

مجموعہ ۲ کتابخانہ امین سید کار عالی حیدرآباد دکن

صف ۱۷

۲۱۹۲۶

برداشت شد ۷ روئے سولہ اشرف

انجمن دانشنامہ کتاب تفسیر الجواب لطنطاوی جلد ہفتم

نمبر کتاب ۶۹۷

کتاب دفن مذکور

١٧١

الجزء الخامس

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

آيات الباهرات

١٣٦٨

(تأليف)

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بطبعة

مُصْطَفَى البَابِ الحَبَلَى وَأَوْلَادُهُ بِمُصَنَّر

حقوق إعادة الطبع محفوظة

محرم سنة ١٣٤٤ هـ - ٥

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تفسیر سورة الانفال ﴾

﴿ وهی مدنیة وهی ست وسبعون آیه ﴾

﴿ وهی تشتمل علی خمسة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - وليرزق كريم - فی صفات المؤمنين الكاملين
﴿ القسم الثاني ﴾ فی ذكر غزوة بدر من قوله - كما أخرجك ربك - الى قوله - وإن الله مع المؤمنين -
﴿ القسم الثالث ﴾ فی وصايا ومواظب للمسلمين من قوله - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله - الى
قوله - والله ذو الفضل العظيم -

﴿ القسم الرابع ﴾ فی ذكر ضلالات الكفار وخيائاتهم مع وعيدهم وزيجهم من قوله تعالى - ولذا يكره
بك الدين كفروا - الى قوله - نعم المولى ونعم النصير -

﴿ القسم الخامس ﴾ فی قصة الغنائم . وكيف يعامل الأسرى . ووصايا عامة فی الحرب والاحتراس من
الأعداء من قوله تعالى - واعلموا أن ما غنمتم من شيء - الى آخر السورة

(مقدمة السورة)

اعلم أن الله عز وجل لما أبان فی سورة البقرة الأحكام الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وجعل
آل عمران للدلالة علی الله ولارالة الشبهات عن رسالة بعض الأنبياء وأكمل فی سورة النساء الأحكام التي فی
البقرة فبین للبراث وأحوال الأزواج والأقارب وأتبعها بالمائدة ذات الفائدة مبنية ما يحل من الصيد وما يحرم
وجعل الأنعام ميدان الحكمة والعلم . والأعراف لتعريف زوال الملك وموت للمالك التي نام ماؤها وشذ
أفرادها عن النهج القويم فهلكت منهم بعد أن برزت تجاراتهم . ولما انتهى الكلام الى هذا المقام
ناسب أن يؤتى بعدها بسورة الأنفال ليؤسس مجدا اسلاميا جديدا ويرفع شأن أمة جديدة ويبنى لها صرحا

على اقتاض الأم السالفة في (سورة الأعراف) • فهو عز وجل يقول - لقد أمكلكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً - كما جاء في سورة المائدة وذلك لم يكن إلا بعد أن شرح في البقرة كثيراً من الأحكام الشرعية • وكذلك في (سورة النساء) • وأبان في آل عمران النصرانية والاسلامية • وأبان في الأنعام الحرمة والحلال • وفي الأعراف ذكر القصة التي استبان فيها كيف تكون سياة الأخلاق من أسباب المضيق والحُرمان • وكيف تصبح ديار الأم قاعاً منصفاً متى زانت عقائد أهلها وتولوا عن النصائح وأعرضوا عن القويمات الصالحات وبخسوا الناس أشياءهم وعثوا في الأرض سداً وبغوا وطفوا • هنالك تفرعهم القارعة وتنزل عليهم الساعة وتحققهم الماحقة وتذرعهم حبيداً خامدين • هذا هو المقصود من سورة الأعراف • وإذا كان هذا هو المثل القديم للأُم القارعة • فقد ذكر سورة الأنفال والتوبة بعد ذلك ليبين للمسلمين كيف تفي الأم وتبدي ويقول هأنذا فعلت بالأم السالفة وقد أنلتكم قوة وأعطيتكم خلافة الأرض ومكنت لكم فيها وجعلتكم خلفاء لأهلها فلكم فارس ولكم الروم فلا يبين لكم في سورة الأنفال والتوبة معاملتكم مع الأم وكيف تحاربون وتعاقدون • وإياكم أن يفرمكم أنى جعلتكم أقوياء فإذا تكبرتم وأبيتُمْ فافرقوا الأعراف ان عثم وبوس وهوذا ان أردتم ولا تفرنكم سورنا الأنفال والتوبة الدالتان على أن لكم شأناً وانكم منصورون • فالأعراف وبوس وهوذا المسكنات للأنفال والتوبة تشهدان أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده - وتلك الأيام نداولها بين الناس - وما من ملك إلا كمثل الام قبلكم وأنا الحكم العدل • ولذلك لما انصرم الزمان ونهبت تلك الأيام سلطة المرجحة عليكم كما سلطت أمما ودولا وحوادث جوية وزلازل أرضية على الأم المذكورة في بوس وفي هود وفي الأعراف • ولقد تبين صدق هذا المعنى المأخوذ من الترتيب المذكور باجتياب المرجحة بلاد الاسلام وغلبيهم عليهم صاروا في ذل بعد عزهم • وفي شقاء بعد سعدهم • وفي شر بعد خيرهم • وفي ضر بعد فقههم • - سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلاً - • وقد آن أن أشرع في تفسير سورة الأنفال • فأقول

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ يَدَيْكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *

(التفسير اللفظي)

اعلم أيها الذي أن هذه السورة مدنية كلها وهي (٧٦) آية • واعلم أن المسلمين اختلفوا في غنائم بدر كيف تقسم ومن الذين يستحقونها المهاجرون أم الأنصار • وورد أن الشبان تسارعوا إلى الهيجا فقتلوا سبعين وأسر سبعين • ثم طلبوا الغنائم وكان المال قليلا • فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كننا رداً لكم وثمة تنحازون إليها فزلت الآية فقسمها رسول الله ﷺ بينهم على السواء فلم

يخص الشبان لقتلهم وأسره الأعداء ولا الشيوخ لمحافظة على رسول الله ﷺ ولا المهاجرين لسبقهم في الاسلام ولا الأنصار لنصرهم الرسول ﷺ وإيوائهم النبي والمهاجرين . وهذا قوله تعالى (يسألونك عن الزيادة) أي الغنائم يعني حكمها . وإنما سميت الغنيمة قتلا لأنها من فضل الله وعطائه والنفل في الأصل الزيادة (قل الأنفال لله والرسول) أي أمرها محتص بهما يقسمها الرسول على ما يأمر الله به . وقد علمت آتفاً أن النبي ﷺ سوى بين المهاجرين في القسم وقد نزل بيان القسمة بعد ذلك في قوله تعالى - واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة الخ - فتلك الآية تبيان لكيفية القسم فتكون هذه الآية محكمة كما قاله عبد الرحمن بن زيد . ولما كان أمر الغنائم أمراً دنيوياً والأمور المادية تنزل بالنوع الانساني الى دركات الأخلاق وتفاصيل الأعمال أخذ سبحانه يردعهم عن ذلك ويردهم الى الفضائل الخلقية لأن الحمادي في المادية يقطع الأرحام ويفرق الجماعات ويولد البغض فقال (فاتقوا الله) في الاختلاف والمشاجرة والتنازع والشقاق في حوز الغنائم (وأصلحو ذات بينكم) حقيقة وصلكم أو أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق ولا صلح أحوال الألفة إلا بالمساعدة والمواساة وتسليم الأمور لله تعالى لا بلشاكسة والمشاجرة (وأطيعوا الله ورسوله) فيما أمرتم به في الغنائم وغيرها (إن كنتم مؤمنين) كاملي الايمان . قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا معاشراً أصحاب بدر اختلفنا في النفل وسامت فيه أخلاقنا فزعزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ تقسمه بين المسلمين على السواء . وعن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتل به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فأثيت رسول الله ﷺ واستوهبت منه فقال ليس هذا لى ولالك اطرحه في القبض فطرحته وفي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلى فما جاوزت إلا قليلاً حتى نزلت سورة الأنفال فقال لى رسول الله ﷺ سألتى السيف وليس لى وإنه قد صار لى فاذهب غذه اه

ومقتضى هذه الآية أن كمال الايمان بطاعة الأوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان ثم أخذ يبين صفات كاملي الايمان فوصفهم بخمس صفات . وهاك بيانها

(١) أن توجل قلوبهم وتفرغ له كره استعظاما وتهيبا من جلالة . وهذا الخوف عند العصاة من العاتية يكون من العقاب . وعند الخواص يكون من الهيبة والعظمة لأنهم يأمرون عظمة الله فيخافونه أشد خوف فالتخوف على مقتضى المراتب . وفي آية أخرى - ولطمئن قلوبهم بذكر الله - والاطمئنان إنما يكون بالمعرفة المذكورة في الصفة الثانية وهى

(٢) اهم إذا تليت عليهم آيات الله زادتهم ايمانا . فمن كانت الدلائل عنده أكثر كان ايمانه أقوى فالعامة يكفهم دلائل الدين والقرآن . والخاصة يفكرون في ملكوت السموات والأرض ومعجائب النبات والحيوان والانسان ومعجائب هذا الوجود . وما يزيد الايمان عند الطائفتين العبادات ومزاولة الأعمال الدينية . ومتى كان المرء رجلاً من خشية الله موقفاً به لتتابع الآيات الكونية والقرآنية على قلبه توكل عليه وفوض أمره اليه . واليك بيان الوصف الثالث

(٣) وهو التفويض لله فلا يخشى إلا هو ولا يرجو إلا ربه

(٤) صفتان عمليتان وهما إقامة الصلاة المفروضة بمحدودها وأركانها في أوقاتها . وانفاق الأموال فيها أمرهم الله به من الاتفاق فيه كالزكاة والحج والجهاد وغير ذلك من الاتفاق في أنواع البر . وهذا قوله تعالى (إنما المؤمنون) الكاملوا الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذلك (واذا تليت عليهم آياته) أى القرآن (زادهم ايمانا) لزيادة المؤمن به أولاًطمئنان النفس ورسوخ اليقين . لما بالآيات القرآنية . وإما بالأدلة الكونية التى يشير لها القرآن . وإما بالعمل بما تقتضيه الآيات (وعلى ربهم يتوكلون) ومن وثق بوعده

لله ووعيده كان من المتوكلين عليه لاعلى غيره وهى درجة عالية ومربية شريفة . وهذه الصفات الثلاث وهى
 ﴿ الوجل . وزيادة الايمان . والتوكل ﴾ من أعمال القلوب وقوله (الذين يقيمون الصلاة وعمارزقاهم
 ينفقون) أى الذين يحافظون عليها ويؤدونها كاملة تامة حاضرة قلوبهم وينفقون المال لمستحقه فلا تربط
 قلوبهم كما حصل للذين تشاجروا لأجل الغنيمة فهؤلاء وأمثالهم خير لهم ألا يعجلوا المال مقصودا لذاته بل هو
 وسيلة والوسيلة للحبيب غير المحبوب والمحبوب هو الكمال والفضائل والوصول لله بما قدموا من أعمال
 مبرورة وأفعال مشكورة وقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) أى لأنهم حققوا ايمانهم بأن ضموا اليه مكارم
 أعمال القلوب من الخشية والايقان والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح من الصلاة والصدقة وحقا مصدرؤكد
 (لهم درجات عند ربهم) مراتب بعضها أعلى من بعض . وذلك المراتب والدرجات على مقتضى تلك الصفات
 فمن الناس من يعرف جمال الله فى السموات والأرض ولكنه غير واثق به قلق القلب . ومن العاتية من هم
 متوكلون على الله واثقون به ولكنهم لا يعرفون جلال الله ومنهم المتوكلون للموتون . ولكن الأموال
 شغلت باهم وقلوبهم لا تحضر فى الصلاة وإن حضرت كانت غير تامة الحضور . فهذه المراتب المتفاوتة تكون
 درجات الانسان بعد الموت ويوم القيامة على مقدارها وهى الى الزهد فى الدنيا والولوع بالله وآياته أقرب فهؤلاء
 لهم درجات عند ربهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم فى الجنة لا منتهى له
 ﴿ لطائف القسم الأول لسورة الأنفال ﴾

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

اعلم أيها الذكى أن المسلمين اليوم قد نسوا حظا من هذا القرآن والا فكيف تخاذلوا وتناذبوا وتشاجروا
 فترى ملوك العرب فى الجزيرة ورؤساء القبائل فى بلاد المغرب وبعض عظماء المصريين متقاطعين متدابرين
 متكالبين على الأموال والعظمة والرياسة جهالة ونذالة وقلة كمال
 أومارأوا أهل أوروبا مع تباعد مذاهبهم الدينية . فهذا (كاثوليكي) وهذا (بروتستانتي) ومع تباعد مقامهم
 وتشعبها فاتهم يتقاتلون على دول وممالك أفلا ينظر رؤساء المسلمين الى هؤلاء وهم يجلسون على اللبنة
 ويتحاسبون ويصطلحون حقنا للدماء وحفظا للجوار وراحة للشعوب . أما هؤلاء الأمراء الاسلاميون
 فاتهم يتقاتلون على أمور صغيرة . أو ما قرؤا هذه الآية فاطلوعوا على فعل الله ورسوله وكيف نزلت الآية عند
 التشاجر على الغنائم قسمها ﷺ بين المجاهدين بالسوية فكيف لا يفعل هؤلاء ما فعله نبينا ﷺ وكيف
 لا يقيمون الوزن بالنقسط ولا يجلسون مجلسا يدلى فيه كل بحجته ومنى ظهر الحق أطاعوه واتبعوه ولن يفعلوا
 ذلك إلا اذا كانوا كاملين فى الايمان . فهؤلاء لا بالاسلام عملوا ولا بالعقل اصطلحوا - انها لا تعمى الأبصار
 ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور - . وقد شغل قلوبهم عرض الدنيا ففتش على قلوبهم غشاء كثيف
 واعلم أن الدنيا لا تنقاد إلا للنفوس عالية وقلوب واعية بعيدة النظر فان المواد والأعراض نتائج المعنى فلا عمل
 إلا بعد فكر . ولا نتائج إلا بعد تفكير . فهؤلاء الذين ملكوا الممالك لم آراء أدتهم الى ذلك ولم مواهب
 وعقول وجيوش فلامادة لإلحاح يتكون صدق وعدل وفكر وتكون المادة على مقتضاه وهذا بأحد أمرين
 اما بدين بذكر المرء بصفات المؤمنين وهى هذه الخمسة وغيرها . واما بعقل كما اتفق لكثير من ملوك الفرنجة
 فبعض أمراء الشرق المسلمين لم ينالوا نصيبا من الحكمة ولا حظا من الدين فلذلك يتقاتلون على صفائر
 الامور ومخفريات الأشياء وهم سامعون لاهون والفرجة من حولهم على أذنانهم يصحكون صم بكى عمى فهم
 لا يرجعون . فبلا وجلت قلوبهم . وهلا ذكروا ربهم . وهلا نظروا نظرة فى المال الذى تعادوا لأجله
 ففرغوا أن اتصفهم بمجمل الصفات يعطيهم ملكا أو سوس ورزقا أشرف - والله هو الولي الحميد - اه

(اللطيفة الثانية)

اعلم أيها الذي أن التوكل على الله يستفيد فالتدين (الأولى) ألا يحزن في الحال للمستقبل (الثانية) أنه يجد التوفيق عند حصول مأموه في المستقبل . وليس يكون متوكلا حقا إلا إذا اتقن عمله اتقاناً تاماً وقام بشروطه على الوجه اللائق وفكر فيه وعمل ولم يتخوسها ولم يبق إلا أن تبعد عنه الآفات النادرة والأحوال العارضة . فهذا هو التوكل حقا . فأما الكسالى الساهون اللاهون الذين لا يعملون ويتبعون أنهم متوكلون فأولئك هم المتزددون وهم كثير من أئمة المسلمين . اهـ

(اللطيفة الثالثة)

تبين من هذه الآية أن أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح . ألا ترى أن الإيمان بالله وخشيته والإطلاع على مجائبه والتوكل عليه مقدمات على الصلاة والزكاة وهذا من لطائف القرآن . أن أعمال القلب ونوافرها عند الناس قليلهم خيري الدنيا والآخرة . ولقد أجمع العلماء أن أثر القلب في أحوال الإنسان أقرب إلى الثواب من أثر الجوارح ولولا النية وهي من أعمال القلب لكانت العبادات كلها باطلة وهكذا في أحوال الدنيا . فالتوكل أصبح الناس في هذا الزمان وفي غيره لاصح بينهم ولا اتحاد ولا التماس إلا بنظافة البواطن . ولذلك ترى أم الاسلام المتخاذلة إنما حصل لها ذلك بالجهل السائد بصلح الدنيا والآخرة . والجهل من صفات القلب . ومن أعظم الجهل أنهم أعرضوا عن مجائب هذه الدنيا ومافيا من البسائط واللطائف التي تزيد المرء إيقاناً بربه وهي التي جاءت في قوله - وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً - فهذه الدنيا كلها من آيات الله ومعرفتها عمل قلبي ولا سبيل إلى استئثار مافيا من معادن ونبات وحيوان إلا بعد العلم ف هؤلاء الأمراء لما جهلوا آيات الله نقص إيمانهم . ولما نقص الإيمان انحصرت عقولهم فيما بين أيديهم من موارد ضئيلة فتقاتلوا وتحاسدوا وتعادوا وذلك لجهلهم بآيات الله وهي إحدى إحصال القلبية الثالثة . ولقد جعل الله صلح ذات البين وإطاعة الله ورسوله ملحقين على هذه الأمور القلبية فمن فقدوها فقد الطاعة والصلح ومن جمعها نال الصلح وهؤلاء للمسلمون أعرضوا عن جمال الله في هذا العالم فلم يدرسوا مجائب هذه الدنيا وفرحوا بما عندهم من العلم الضئيل والمال الكثير - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - فلا سبيل لرقبهم وصلحهم وطاعتهم لربهم إلا بما يأتي

(١) أن ينتشر العلم بينهم بمجائب هذه الدنيا وما علم أدب اللغة والتاريخ إلا مقدمة لتلك العلم الشريف

(٢) أن تهذب النفوس حتى يحشى الناس ربهم وذلك بذكر الآيات والأحاديث الزاجرة والمخوقة بطش

المنتقم الجبار

(٣) إقامة الصلوات وبذل المال . فهذه هي الملهذة للنفوس وأهمها تعميم العلوم العصرية

(حكم ظهرت في هذه الآيات)

قد يظن القارئ أن هذا العنوان كغيره مما يجعل للتشويق أولياً بالغة والاغراق . ولكن أقول إن المقام مقام علم وحكمة وإذا كان صدق الكتب الدينية مرجعه العلم كان ذلك أثبت . ألا ترى إلى ما ذكره علماءنا كالامام الغزالي إذ يقول (إذا أردت أن تعرف صدق هذا الدين فاعمل ببعض مافيه ثم انتظر النتيجة) مثل قوله تعالى - والذين جاهدوا معنا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين - وكقوله (من استغنى عنه الله ومن استغنى عنه الله) فانه جعل صدق النتائج للحديث وأولاًية هو المعيار لصدقها قد قدمت لك هذا لتتظري في تركيب هذه السور كما أشرت إليه سابقاً . ولكن يجدر بي هنا أن أعطى المقام حقه وأبينه فأقول . قد قلت سابقاً أن سورة الأعراف جاءت إنذاراً للكافرين وذكرى للمؤمنين بنص الآية في أولها وما أتت ذا قد اطاعت على هلاك الأمم السالفة مثل قوم نوح وعاد وثمود الخ وختمتها بثلاثة

أشياء (١) أن يصفح الإنسان عن الجاهلين ولا يتبع خطوات الشيطان في المداوات (٢) وأن يسمع القرآن وينصت له (٣) وأن يذكر ربه في نفسه مع المراقبة . هذان هما اللذان جاءت بهما سورة الأعراف مضمون السورة كلها واصلح في آخرها . فالظفر في سورة الأفعال والتوبة اللذين جاءا في أمر الغنيمة والحرب والنصر . فهنا أمران (١) أمر مقاصد السورة العائنة وهذا يطول الكلام على مناسبتها لماتين السورتين (٢) وأمر مناسبة آخر سورة الأعراف لأول سورة الأفعال . فلا تكلم عن ثاني الأمرين أولاً ثم أتبعه بالأول الذي هو المقصود بالحكم فأقول . المناسبة بين السورتين أى بين آخر الأعراف وأول الأفعال . ان آخر الأعراف كما اشتمل على الاعراض عن الجاهلين وترك العداوة والبغضاء وعلى الانصات للقرآن وعلى ذكر الله ذكرًا بحضور القلب . هكذا أول سورة الأفعال فيها الصلح بين المتخاصمين وهو راجع للأول وفيه قوله تعالى - الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم - وقوله تعالى - واذا نلت عليهم آياته زادتهم ایمانا - وهما راجعان الى الثاني والثالث . فهذا هو تمام الكلام على ثاني الأمرين وهو المناسبة بين آخر الأعراف وأول الأفعال . أما الكلام على أولهما وهو ملخص الأعراف وملخص الأفعال والتوبة وهو المقصود من ذكر الحكم فأقول مفصلاً بعد أن ذكرته مجملًا في آخر سورة الأعراف . اعلم أن هذا العلم لا يمكن معرفته إلا في زماننا الحاضر لأننا جئنا بعد ١٣ قرناً فشاهدنا بأعيننا وقرأنا في كتبنا وتاريخنا ما دلنا على حسن نظام هذا القرآن . ان سورة الأعراف فيها هلاك الأمم التي فسدت . وبماذا فسدت . فسدت بالترف والنعيم والظلم وأكل أموال الناس بالباطل والتعالى على الناس الخ كل هذا مع الكفر . هؤلاء هلكوا وقد أنذر الله الكفار به وذكر المسلمين بما ذكروهم . ذكرهم بأنكم أيها المسلمون يوما ما ستفتح لكم البلاد وستجوسون خلالها وتسعمرون أرض ربكم . فلتعلموا أيها المسلمون أني أنا الحكم . أنا العدل . أنا لا أبقى في أرضي من لا ينفع الناس . ان الناس جميعا عبادي فكل من ساعدكم أحيت . وكل من حافظ عليهم ساعدته . أنا أساعد الطيور في أعشاشها والاسود في آجامها والحشرات في عجايبها فكيف أترك الإنسان سهلاً بلا نظام . فما أتم أولاء أيها المسلمون قد ملكتم الأرض في العصور الأولى فصدقم ثم بعد ذلك فسقم . أنا وعدتكم بالنصر في سورة الأفعال وقسمت الغنائم بينكم وهي التي تأخذونها من عبادي وهكذا توالى النصر عليكم وذهب البأس والضراء وكانت الحرب سجالا . كل ذلك في الأفعال والتوبة ثم كانت الغلبة لكم مع علمكم بأن سورة الأعراف لم تزل ماثلة أمامكم تقرأونها بحيث اذا أخلتكم بنظام عبادي أهلكتكم وأذلكم ولن تجبوا لستى تبديلا

سورة الأعراف منذرة وسورة الأفعال والتوبة مشترتان بالنصر والغنيمة . مضى العصر الأول بعد نبينا فماذا حصل . تفرقت شيعا وذائق بعضكم بأس بعض وأصبحت الخلافات ترفا ونعيا وصارا الملك للعلو والفساد ومن أراد العلو في الأرض أو الفساد أذلك وأهلكته فلما توالى الملك في العباسيين أجيالا واستنموا الى عماليكهم سلطتهم عليهم فأخذوا يحبسونهم ويقتلونهم * وقال شاعرهم

خليفة في قصص * بين وصيف وبغا

يقول ما قالاه * كما تقول البيغا

فكيف تكون حال قوم خليفته عبد لعبد من عبيدهم وهما وصيف وبغا . وسبب ذلك أنك تركتم الشورى التي سميت سورة باسمها ولا قائمة للإسلام إلا بها . ولما تماديت في الضلال أرسلت التتار فأزالوا الدولة العباسية وهكذا في الأندلس أستفحل ملككم ولما فسدت واكتفتم بالشعر والشعراء وتركتم مواهبكم وعقولكم سلطت عليكم الفرنجة فاحتلوا بلادكم . ثم ان الأمة التركية أصابها ما أصاب العرب فهي في أولها حازمة وفي آخرها اضمحل ملكها بسبب الترف والعجم وجهل الملوك وفساد النظام والظلم وهذا ترك

النورى كما تقدم الى هي أقرب الى اصلاح ذات الين المذكور هنا . أيها المسلمون ها أتم أولاء ذمتم
الأمرين وأصبحتم من أضف الأمم . لماذا هذا . لأنى أنا الذى جعلتكم خلاص الأرض مريدا بذلك
أن ترقوا النوع الإنسانى وقد حصل فعلا ولما فلتتم وتنازعتم وتقاتلتم على الملك أذلتكم للفرجة
أندرون لماذا هذا كله لأن علماءكم وأدباءكم وحكماءكم لم يريدوا أن يدرسوا لكم القرآن وسره ولم يفهموكم
لماذا وضعت سورة الأعراف قبل الأقال والتوبة . ألم يقل رسول الله ﷺ لكم ﴿ ان الدنيا خضرة
حلاوة وان الله مستخلفكم فيها فانظر كيف تعملون ﴾ قد استخلفتم فى الأرض كما قلت فى كتابى وكما قال
نبيكم ونظرت كيف تعملون فرايتكم فى الزمان الأخير لا تصلحون لقيادة أهل الأرض فنجيتكم من الملك
وأصيبتكم عن الرئاسة على عبادى . إن خليفتى لابد أن يتخلق بأخلاقى . ألم تدرسوا ما جاء فى سورة
يونس بعد التوبة . ألم أقل لكم فيها - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا لأنه بما تعملون بصير -
فها أنا اذا استخلفكم وأنا بصير بعملكم فنجيتكم عن السيادة فى الأرض . لأنى أنا القائل - إن يشأ
بذهبكم وبأت بخلقى جديد * وما ذلك على الله بعزيز -

قلتم سورة الأعراف على سورتي الفناء والحرب والنصر وذكرتم بعد ما بعثم الطغيان . فها أتم
لأن قد طغيتم وبغيتم فأصيبتكم عن قيادة خلقى . هذا هو الذى فهمته الآن من ترتيب هذه السور الأربعة
سورة للأنذار وسورتان للفناء والحرب وسورة فيها الأمر بعلم الطغيان . الظلم لم يقل الله لنا لا تطغوا فى
سورة الأعراف وهى مكينة بل أخرها بعد ذكر الفناء والنصر فى السورتين لأنه هنا يمكن الطغيان
هذا هو السر فى ذكر النهى عن الطغيان فى سورة يونس لأنى سورة الأعراف . فانظر أيها الذكي
كيف كان ترتيب السور مفيدا معانى قد حققنا الحوادث وأظهرها الزمان
وقد كنت فى آخر سورة الأعراف ذكرت معنى حديث ذم الدنيا وها أنا اذا الآن أذكره بنصه

﴿ عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن
عما أخاف عليكم ما فتح عليكم من زهرة الدنيا وزيقتها فقال الرجل أوبأى الخبز بالشر فسكت رسول الله ﷺ
ورأى أنه ينزل عليه فأفاق يسبح عنه الرجاء وقال أين هذا السائل وكأنه حده فقال انه لا يأتى الخبز بالشر
وان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو لم إلا آكلة الخضرة فانها أكلت حتى امتدت خاضرها فاستقبلت عين
الشمس فظلمت وبألت ثم ربت وان هذا المال خضر خاوونم صاحب السلم هو لمن أعطى منه المسكين
واليتيم وابن السبيل وان من يأخذه بغير حق كمن يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيامة ﴾ أخرجه
الشيخان والنسائى . ويحسن أن تذكر تفسير بعض ألفاظ هذا الحديث الشريف فنقول (زهرة الدنيا) حسنها
وبهجتها (الرجاء) العرق الكثير (الخطب) النفع يقال حبط بطنه اذا انتفخ فهاك به (بساط) (١) اذا ألقى
رجيعه سهلا رقيقا . وفى الحديث مثلال أحدهما للفرط فى جمع الدنيا والآخرة لفتقد فى أخذها والانتفاع
بها . انتهى من كتاب تيسر الوصول لجامع الاصول

﴿ دواء هذا الداء ﴾

على - أنا وعليك أنت وعلى كل مطلع على هذا التفسير أن نجعل كل حياتنا وفقا على ارشاد الأمم الاسلاميه
فى قرانا وبلادنا وأمننا فنقول لم نرجع محمدا لاسلام ومحمد آمننا السالفة وأن نسلك سبيلا أخرى غير ما يسلكها
للتأخرون من المسلمين فلنعمم التعليم ولنعم الصغار كيف ينظرون فى هذه الدنيا واذا أسمعنهم القرآن فلنطعمهم
نماذج من الطبيعة جميلة حلاوة سارة شارحة للصديق فاذا قرأ التلميد - والشمس ونجهاها - رسما له صورة
الشمس وذكرنا له منافعها وجمالها وشرحنا صدره بالجمال والحكمة التى أبدعها الله فيها وأثرنا له

سبل العلم فيها كما ستره ان شاء الله في سورة (الشمس) عند تفسيرها هناك وكيف كان القمع والنبات والماء والرياح كلها مستخرات بضوء الشمس وهي التي سخرها الله فيخرج الطالب من تلك الصور بطم وحكمة لا يحفظ مجرد ولا معان ممدجة لا تثير في النفس إعجاباً ونشوقاً . هكذا فليكن القرآن ودرسه أى انه يكون مصحوباً بجمال العلم حتى يشتهه ويعشق النظر والبحث الطلاب من صفرهم . فهذا المستوى صفات المسلمين على عرش الحكمة في ايمان صفرهم فيدربون على النظر والجمال فيشربون على البحث عاكفين وعلى الدراسة مجدين . وهذا أولاً شكر الله والشكر واجب وجوباً عينياً . وثانياً زيادة في التوحيد . وثالثاً زيادة في حب الله . ورابعاً زيادة في تمرد عقولهم للبحث فيما خباء الله في هذا العالم من المنافع التي يكون استخراجها فرض كفاية ليقوم بها أمر المعاش في هذه الدنيا . هذا هو القدر قصير فيه المسلمون فناموا . وهذا هو الذي سيكون العمل به بعد انتشار هذا التفسير وستكون التعاليم الاسلامية مخالفة كل المخالفة لما عليه المتأخرون من قديم بال . ويصبح في الاسلام جيل هو خير الأجيال ويكونون رحمة للعالمين لأنهم ورثة من خصه الله بهذا الوصف الجليل . انتهى

(الحكمة العامة في هذه الآيات)

ان هنا مراتب (ثلاثة) وجعل عند ذكر الله . وزيادة الايمان . بزيادة الدلائل . وتوكل على الله بحيث يفوض أمره اليه ولا يرجو ولا يخاف غيره لعله أن العالم نظام تام وهو سبحانه وتعالى قد تكفل بالجليل والحقير من خلقه . هذه أعمال القلوب وهناك (عملان) للجوارح وهما إقامة الصلاة وإتقان المال في الوجود المطالبة . فمن اتصف بهذه الصفات الخمسة فهو المؤمن حقاً . قال الواحدى من كانت الدلائل عنده أكثر وأقوى كان إيمانه أزيد لأنه عند حصول كثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون معرفة الله أقوى فيزداد اليقين . انتهى والدلائل المذكورة سمعية وعقلية على حسب درجة المستدل . ثم ان المؤمن يخاف الله لحياته أو طيبه بجلاله وتطمين نفسه باليقين متى كثرت الدلائل . فالإيمان اذن يشمل الأعمال القلبية والأعمال الجسمية . ويؤيده حديث الشيخين . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال عليه السلام (الإيمان بنوع وسبعون شعبة أعلاها شهادة ألا لاله إلا الله وأدناها إمطة الأذن من الطريق والحياة شعبة من الإيمان) اهـ فالإيمان يزيد وينقص على مقتضى أعمال العبد

قال عمير بن حبيب وكان له محبة (ان للإيمان زيادة ونقصا قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وجدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه) اهـ

أقول ولما كانت هذه الآيات بهذه المثابة بحيث تجمع جميع فروع الدين من العقلى والعلمى وبها وبحديث الشيخين صار المؤمن حقاً عزيز الوجود فان اتصف بوصف نقص آخر . أقول لما كانت كذلك أورثت خلافاً بين المتقدمين الأجلاء من أمة الاسلام . هل يقول المسلم أنا مؤمن حقاً كما في هذه الآية أم عليه أن يحترس وأصحاب أبى حنيفة رحمه الله لا يمتنعون للسلم أن يقول (أنا مؤمن حقاً) وأصحاب الشافعى رضى الله عنه يقولون (الأولى للسلم أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله)

وسأل رجل الحسن رضى الله عنه . فقال أؤمن أنت . فقال الحسن ان كنت سألتني عن الايمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا بها مؤمن وان سألتني عن قوله تعالى - انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم - فلا أدري أنا منهم أم لا

هذه جملة صالحة من مجامع أقوال ساداتنا وآبائنا للمتقدمين فهل يحب أن أتى اليك ما نتيجة هذه الأقوال للمسلمين في المستقبل أقول لك ان آباءنا السابقين قد أحضروا لنا الحجارة والأجر والجص والزجاج والخشب والحديد وجميع ما يلزم لبناء البيت العظيم وهو الايمان وقالوا لنا هذه تركناها لكم فابنوا مساكن الايمان

وأأسوه • وهاتين أولاء قد مهدتا لكم الطرق وسهلنا لكم السبل فعلينا الأساس وعليكم البناء
هذا ملخص ما ذكره في هذا المقام • اجتهد أبو حنيفة واجتهد الشافعي في هذه الآية وهذا الحسن
وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين فاسمع ماورق في قسمي مفصلا ومومها

اعلم أيها الذي أتى مسؤول عن العلم وعن الأمة وأنت وجميع من قرأوا هذا الكتاب وأمثاله من هذه الأمة
مسؤولون • للمسئولة مشتركة بين أهل العلم لافرق بين متقدم ومتأخر • أقول اعلم أن الانسان في أول أمره
يجول بخاطره أمور مجبولة عمومية وهو يحاول فهمها فلا يقدر حتى اذا كشف الحجاب كان ذلك اطمئنانا للنفس
والاطمئنان هو سعادة الدنيا والآخرة • يسمع الوعيد ويخاف ربه من ذنوبه فاذا أكثر الاستغفار والاعتبار
والنظر فاستبصر عرف الحقائق فاطمأن قلبه • وللأول الاشارة بقوله • وجلت فلوبهم - والثاني بقوله
- زادتهم إيمانا - وقوله في سورة أخرى - ألا بذكر الله تطمئن القلوب - لاطمئنان القلوب ولا يكون
الايمن حقا مستكملا جميع شرائطه إلا اذا قلنا بما جاء في حديث الصحيحين في الايمان وأتينا بشعب الايمان
كلها • الله أكبر • ما الايمان الحق • الايمان الحق علم وعمل • العلم له فروع والعمل له فروع •
فروع العلم كثيرة والعمل فروعه كثيرة • ذكر الله اجمالا لهذا كله في هذه السورة خمسة أمور ولكن
حديث الشيخين جعله جميع فروع الحياة صغيرها وكبيرها • جلّ العلم وجلت الحكمة ونصح العلماء وجّد
الأئمة وصدق رسول الله الذي هو أفضل من الجميع وكيف لا يكون كذلك • انه جعل الايمان أشبه بانسان
الانسان له عقل يفكر وجوارح وحواس • الانسان لاتم السانئته إلا بجميع الحواس والعقل وسائر
الأعضاء حتى الظفر والشعر • هكذا الايمان ان لم يستكمل هذا كله فانه لا يكون حقا كما اذا لم يستكمل
الانسان جميع هذه القوى والقدر فانه لا يكون تام الأعمال • ان النبوة أنارت للموضوع وشرحته ولكن
الأئمة تحيروا واختلقوا وكل له حجة • الانسان اذا قص ظفرا أو أصبعا أو صينا أو أذنا فانه لانسب منه صفة
الانسانية ولكنه يكون غير متمكن من جميع مطالبه بل ينقصه بعضها مادام انه من نوع الانسان • هكذا
الايمن لا يقال انه قد ذهب من الانسان اذا قصت بعض الأعمال ولكن لا يكون مستوفيا جميع ما يكون
به الكمال • ولكن هنا حكمة عجيبة وآية غريبة وبدائع مدهشة • يقول الله - انما المؤمنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم الخ - لم يقل المؤمن بل قال المؤمنون كأنه فتح لنا باب حلّ للمشكلة التي حيرت
الألباب بل فتح الباب على مصراعيه فلا وها أنا ذا أدخل معك في ساحات العلم الواسعة وأشرب معك من
ريحها المختوم والشراب المثلج اللذيذ للشاربين

علم الله قبل أن يخلق الناس وقبل أن ينزل القرآن أن الحياة لا كمال لها إلا بالاجتماع والناس في اجتماعهم
أشبه بانسان واحد فكل واحد عليه عمل لا يناسب الآخر فلذا لم يقدر صاحب العلم على عمل ما قدر عليه
صاحب العمل • وترى التجار والحداد والرحاج وصانع الكهرباء وسائق القطار وصانع السفن ومحرّك
الطيارات والمطادكل واحد قام بعمل لا يحسنه الآخر فبالاجتماع هؤلاء يكونون قد أكملوا الايمان في الأمة
ثم ان علماءنا رحمهم الله هم الذين قالوا ان هذه فروض كفايات فخي قصرت الأمة في أمر منها عذب
المجموع في الدنيا بالقلّة وفي الآخرة بجهنم على التقصير فالأئمة كلها متضامنة هنا في الدنيا والآخرة فأنا مكلف
أن يكون في بلاد الاسلام كل صناعة وكل علم ومعنى ذلك أن أكون مساعدا بالفكر أو بالمال أو بما أستطيع
فعله ومتى قصرت كان إيماني ناقصا على مقدار قصيري في منفعة المجموع • فخي استكمل في الأمة أهبتها بما
يطابق زمتها كان الناس في حال تشبه حال تمام الايمان ولكل فرد من الأفراد قسطه من الكمال الذي
يناسبه ويلائمه

فاذا سمعت أصحاب الشافعي يحترسون من قول القائل ﴿أنا مؤمن حقا﴾ وإذا سمعت الحنفية لا يجتهدون

أن يقولوا ﴿أنا مؤمن حقاً﴾ وإذا سمعت الحسن يقول ﴿أنا لا أدري حالى فيما عدا الإيمان بالله الخ﴾
فاعلم أن ما ذكرناه لك واف بما قالوه كاف . ان الحسن يعلم أنه لا يقدر أن يقوم بجميع الأعمال فى
حديث الصحيحين ﴿الإيمان بضع وسبعون شعباً أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله الخ﴾ وقد تقدم ذكره
قريباً فى هذا المقام

إذن الإيمان لا يقدّر زراعة ولا تجارة ولا صناعة ولا سياسة ولا طرقاً تعبد ولا أنهرها تحفر إلا دخلت فيه
فاذا كان الكناس والزبال ومصلى الطرقات للقطرات ورجال مصلحة التجارى التى فى القاهرة التى لا عمل لها
إلا استراج للمواد البرازية منها الى جهة الجبل الاصفر بالغانسكة

إذا كان هؤلاء كلهم أمهالهم من الدين الاسلامى بنص نفس الحديث . فاذن الإيمان فى ديننا قد
اقتطع جميع القنوت والصناعات . هذا هو الدين . وهذا هو الذى أخاف النشأى والحسن أن يقولوا نحن
مؤمنون حقاً . وعلى هذا يكون للمؤمنون فى هذا الزمان مقصرين حقاً ولا يقولون اننا مؤمنون حقاً لأننا
قصرنا فى الأعمال العامة التى نص بعض علماء الأصول انها أفضل من فرض العين

هذا هو الجواب الذى فتح الله به فى هذه المسألة وصار الإيمان حقاً يرجع لشيوخ النظم العام فى الأئمة
فعلى مقدار استتباب النظم وكمال العلوم والصناعات يقال ان هذه الأئمة إيمانها حق وكامل وعلى مقدار النقص
يكون النقص والأفراد فى الأئمة متضامنون لم يخلق الإنسان وحده . يذكر النبي ﷺ فى الحديث امطة
الأذى ومعنى ذلك المحافظة على راحة الجمهور ورفاهيته وهذا لا يتم بالأعمال الفردية البتة . اننا لم نقدر أن نخرج
القاذورات من القاهرة الا رجال متعلمين . إذن علينا أن نجتمع شملنا لسائر مصالح الحياة فحقى كملت كنا
مؤمنين حقاً ويكون الفرد الواحد إيمانه على مقدار ما أثر فى هذه الحياة العامة . هكذا يقول هنا - انما
المؤمنون - ولم يقل المؤمن شيئاً بذلك الى الاجتهاد العام كما فى قوله تعالى - إياك نعبد وإياك نستعين -
بالتون لا بالهمزة شيئاً للجميع وإياك أن تظن أنى أريد إيماناً خيالياً للجموع كلا بل أقول ان كمال الجموع
فى المصالح الدنيوية والاخرية يدعو لتكميل إيمان الأفراد وذلك بتعاونهم واتحادهم . فالملوف يعين القارىء
على أحداث الأعمال النافعة والقارىء يعاضده اخوانه فيحدثون أعمالاً فى نظام الأئمة وهذه الأعمال ينتفع
بها الكاتب وغيره من عباد الله

ومن أهم أعمال الإيمان الصلح بين المتخاصمين عملاً بقوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم -

﴿الصلح فى بلاد الاسلام﴾

يقول الله - اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله - ان هذا من أهم شعب الإيمان وللتلك
ذكرها هنا . فاذا كان الإيمان يدخل فيه امطة الأذى من الطريق فما أسوأ أن يدخل فيه ما ذكره الله
هنا من الصلح بين المتخاصمين فان امطة الأذى من النفوس وحياتها بالوعدة والحببة أفضل وأفضل وأفضل
آلاف الآلاف من ازالة الأذى من الطريق . ان الأئمة للفرقة المتباغضة لارفع مناراً ولا يدفع عاراً ولا تورى
ناراً ولا تحفظ الحرث ولا التسل بل يقر بها البلا ويحمر عليها أذياله الردى وتنغمس فى العداوت وتفرق فى بحر
الضلالات ويحيط بها الأعداء ويستفحل للقاء ويستعصى النبوء

ولعمري ما قتل الإيمان ولا أضف شوكة أهله إلا للجهل الفاضح الذى فخر هذه الأمم للمسكينة إذ جعلوا
بأسهم بينهم شديداً فهم فى حمرة ساهون والجهل صانع وخيم وأعشاش تبيض فيها وتقرخ نواصب القربان
ومندرات الممار

أمر الله عز وجل بصلح ذات البين فى هذه السورة . ثم ذكر حقيقة الإيمان أو الإيمان الحق وحار
العلماء فى وصفه وعرفت مقصود القرآن والسنة والأئمة أنه عبارة عن حقيقة جامعة لجميع أعمال الحياة الدنيا

والآخرة فالإيمان أمر واحد كما أن الإنسانية عبارة عن الجسم والروح من حيث الكمال فالجسم بلا روح ليس بالإنسان والروح بلا جسم نسيها جنة أو ملكا كما دمتنا في الأرض فعليتنا حفظ الأمرين ﴿ الجسم والروح ﴾ هكذا الإيمان وهذه الحقيقة الإيمانية التي شرحها النبي ﷺ في معنى الإيمان هي ما شرحت لك الآن من النظام العام في الأئمة . ولكن هذه الحقيقة لم يرد الأئمة رضوان الله عليهم أن يوضحوها مع أن النبي ﷺ أحاط بها في حديث الشيعين لأنهم رأوا أن السائلين لم يستعملوا لفهمها . وهكذا الحسن رضى الله عنه فكل من هؤلاء الأعلام نحا نحوا في الإيمان يناسب زمانه وعصره . ولكن هذا هو الزمان الذي يلي العلم فيه صريحا ولا يوجه إليه طعن ولا لوم ولا قدح . أن نور النبوة يظهر في هذا الزمان حقا . حقا هذا هو نور النبوة ظاهر . نعم ظاهر في هذا التفسير . ظاهر أشد الظهور . أن المسلمين اليوم مساكين متعطلون إلى العلم يريدون الهدى والله قد جاء الهدى ووضح الحق وجاء النصر وهذه بشارت بقت اليوم هي بشارت العلم والهدى والنور المبين

هذا هو الزمان الذي يحق لنا أن نكشف النقاب عن تلك الأنوار المحجبة التي منع ظهورها للناس فيما مضى نوازع الملوك فأبجوا العلماء غطابوا الناس على قدر عقولهم وما يسمح به زمانهم في حقيقة الإيمان فالإيمان حقيقته اليوم في هذا التفسير مشرقة مسفرة ضاحكة مستبشرة . وخال الإيمان ترفع أعلام الدنيا والدين . وقد أومأنا لك فيما تقدم أن أهم خصال الإيمان صلح ذات البين ولذلك خصها الله بالذكر في هذا المقام

﴿ الكلام على صلح ذات البين ﴾

قد ذكرت في المقام السابق مزار التفرق والشقاق . وأزيد الآن إيضاحا فأقول ان المسلمين اليوم في قراهم وفي مدنهم وفي أجمع أبتلوا ﴿ بأمرين ﴾ أولهما شر من تانيهما وهما الجهل والشقاق . أن الشقاق يكون على مقدار الجهل . والعلم هو الذي يجمع القلوب . وأين العلم في الاسلام الآن . فنش في القرى وفي المدن لا نجد إلا جهلا فاجها وشقاقا شديدا وربما يقوم النزاع بين بعض الأفراد على شيء لا يذكر وقد يؤدي إلى ما لا يحمد عقباه

﴿ القرى ﴾

لقد ولت في بلاد (الشرقية) من البلاد المصرية وكنت أقرب حركات الناس في إبان صغرى فكنت أراهم يحقرون كل صادق ويعتقون كل صريح العبارة ويعتونه رجلا لا وزن له وعندهم الرجل العظيم هو الذي يخادع الناس ويخدعهم ويقول بلسانه ما ليس في قلبه

﴿ المدن ﴾

ثم أتت وجهت أهل المدن الذين عاشرتهم عدة من السنين لا يعيشون إلا بالمجاهة والمبالغة ولما قلت سعادة القلوب لعدم الاخلاص اخترع الناس سعادة لفظية . أما للعتلاء فألقاب الفخامة كقولهم ﴿ سعادة الباشا ﴾ و ﴿ معالي الوزير ﴾ ويلقبون سلاطينهم وأمرأهم بأعصاب الجلالة أو أعصاب النبوة أو ما أشبه ذلك . كل هذا لكي يسموا باسم السعادة من جلسائهم وهذه قامت مقام ما كان الشعراء في الصور الأولى يقومون به من منح للملوك والأمرء . كل هذا ليستعوض الإنسان عن اللذة والسعادة الحقيقية النفسية بالسعادة اللفظية . وليس معنى هذا أن كل من أطلق عليه لقب من هذه الألقاب لا يعمل له أو لسماعه . كلا . فكثير منهم يحسون في نفوسهم بسعادة عظيمة لما لهم من الأهمال ولكن المقام مقام بحث وتنقيب فإن قلة الاخلاص وعدم السعادة النفسية حلت بعض الأمرء في الأزمان السالفة على اختراع هذه الألفاظ السمجة ليستظل في ظلها الذي هو - من يحوم لا يارد ولا يفتنى من الذهب - بل هو له شر

يرى به عليهم ويورثهم ذلا ومهانة ويتحلمون ذلك لأجل للظاهر الكاذبة ويسعدون سعادة لفظية أى يقال لأحدهم ﴿سعادتك﴾

وإذا كانت هذه حال المدن فإن التقاطع والتدابير يحصل بين القلوب إذ لم يجتمع على قضية إلا قليلا فلذلك كثر الشقاق والنفاق . كل هذا للعلم الناقص أو للجهل المبين

﴿ الأم الإسلامية ﴾

اعلم أيها الذكي أن الأمة من الفرد . فأخلاق الفرد هي أخلاق الأمم . فالذي رأيته في قريتي ورأيته في بعض المدن رأيته بين أم الاسلام قاطبة

﴿ الأم الاسلامية وجمعية الأم في أوروبا ﴾

أنظر ربك الله نحن أولاء في عصرنا الحاضر كيف نسبح أوروبا لها جمعية أم وإن لم تهم بواجبها بل ظهر لها تريد ابتلاع الشرق وهضمه . وأهم بلاد الشرق بلاد الاسلام . فلماذا نرى أم الاسلام لا رابطة بينها ولا قوة تحفظ توازنها ولو صورية بجمعية الأم السورية فإن هذه الجمعية وكذلك محكمة (الهامي) ربما تأنيان بالفرض على طول الزمان وهم الآن يطعنون إليها عند الاصطدام . فلماذا نرى المسلمين ليس بين دولهم مثل هذه الجماعات

﴿ الاصلاح العلم ﴾

واعلم أن دواء هذا الداء في الأم الاسلامية يجب له الشروط الآتية

- (١) أن كل من يمتد له فكر يجب عليه أن يديه باخلاص
- (٢) يجب تعميم التعليم العقلي والديني ولكن بشرط العقل والتفكير فقد مضى زمن الحفظ بلا عقل وفي هذا التفسير بعض طرق التفكير مطولة
- (٣) أن تلقى آيات الأخلاق والمواظع للمسلمين بهيئة جذابة ولا يشكل الناس على المفسرين بل يطبعون نفوسهم بطابع الكمال فيؤثرون في السامعين
- (٤) أن تلقى الى الناس آيات العلوم التي تبلغ (٧٥٠) آية بشرط أن يكون إلقاءها بهيئة تستقيم في مخلوقات الله فيحبونه بحميم صنعه ويدع أعماله كما ذكرنا في هذا التفسير غير مرة
- (٥) أن يعتد الناس عن الثغالي في الألقاب فكل أمة لو تفت أقلت عن هذه العادة العقيمة التي هي بالأطفال أولى منها بالرجال

(٦) أن يتعلم الناس التعامل والاخلاص والاستقلال الفكري فكفى ما أضناه

(٧) ويجب الاتجاه الكلي لتعميم التعليم

هذه هي التي نبحث في العقول اقلابا وفي الأم رجلا وههنا نقدر أن نقول ﴿تؤلف جماعات في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل أمة لاصلاح ذات البين﴾ واذن قبل النفوس قول للمصلحين . فأما الآن حسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تحسر المؤلف على الأم الاسلامية ﴾

فياليت شعري متى نسبح بالتعليم العالم (الاجباري) في الاسلام . ومتى نسبح اتحادا بين الأم الاسلامية كاتحاد الأم الأوروبية ضد الشرقيين . ومتى نسبح شيوع العلم والصناعات بينهم . ومتى يكون لهم جمعية عامته للفصل في مشاكلهم للمادية والأدبية . بل متى يكون فيهم حكام ناظرون وعلماء مدققون وخلفاء لله في الأرض دارسون ينظرون في أمر الأم الاسلامية كلها شرقيا وغربيا

إن الله وضع للمسلمين في وسط الأرض بين الشرق الأقصى وأوروبا . فحي يقومون بهيئة الوساطة بين

الطائفتين ويكونون حكما عادلا بين الشرق والغرب • هذا هو المركز العام للأمم الاسلام • هذا ماسطرته
ليلة الجمعة (٣١) ديسمبر سنة ١٩٢٦ وسأتيه بمقالة كنت كتبته قبل ذلك في بلدة المريج توضح مافى آخر
هذا المقال ايضا شافيا فأقول

لله كتابان • كتاب كتبه بيده وهو عالم النبات والحيوان ونحوهما • وكتاب أنزله كلاما نسمعه وهو
الكتب السماوية والكتابان متطابقان

﴿ تفسير القرآن في الحقول والحشرات ﴾

هل لك أيها القارئ أن أحدثك حديثا عجيبا يطول شرحه ويحسن وضعه • ان جمال الطبيعة وبهاؤها
ونورها واشراقها وبدائعها شاخصات أمامنا ظاهرات بهيجات ولكنك أكثر الناس لا يعلمون • يعلمون
ظاهرا وهم عن التفكير معروضون • إن صلح ذات البين نتيجته الاتحاد وحسن النظام في الأمة بأسرها
وفي سورة الحجرات خاطب الله الناس جميعا لأنهم عباده فقال - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر
وأُنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - • هاتان الآيتان في القرآن صلح ذات البين بين المسلمين وتعارف
بين جميع الناس • والمسلمون اليوم لم يقوموا بأولهما ولم يسمعوا وصية ربنا في ثانيتهما - ومن كان في
هذه أعشى فهو في الآخرة أعشى وأضل سبيلا -

فها أناذا أحدث المسلمين المعاصرين لنا والدين من بعدنا وأذكر لهم نظرتي في الحقول إذ توجهت الى
ناحية المريج من ضواحي القاهرة بصحرا لأمور زراعية • خربت وأنا كاره لأننى يرجمنى كل مايقطع النظر العقلى
على فركبت القطار الى الطريق الموصل من القاهرة الى بلدة المريج • فهاذا حصل • عاودنى الله بعبادة الاكولم
﴿ ذلك ﴾ أنه قابلنى بعض قراء هذا التفسير وهو مفتش من مفتشى الزراعة وقد توجه لمرج ليشرف على
أعمال فرقته من العمال التى تقتل الحشرة الفاتكة بالأشجار المسماة (بق الهيكسكس الحقيقي) قتلت له صف
لى هذه الحشرة • فقال ان (بق الهيكسكس الحقيقي) من النسيطة النصفية الجناح وهى ذكور واناث والذكر
أصغر حجما من الأنثى (١) وطوله من مليمتر قريبا الى مليمتر ونصف (٢) له أجنحة (٣) وعدد أفراده
أقل من عدد أفراد الاناث (٤) الأنثى لونها قرنفلى فاتح يضاف الى الشكل فلو جسدتها طبقة شمعية (٥)
طولها من مليمترين الى ٣ مليمتر (٦) تضع الأنثى بيضا من ١٥٠ بيضة الى ٣٠٠ بيضة والبيضة
لا ترى إلا بالنظار للعظم (٧) يكون البيض فى كيس شمعى يسمى كيس البيض وبعد (٦ الى ٩) أيام يفقس
حسب حالة الجو ويخرج صفارها نقطة جدا شكلها كشكل الحشرة الكاملة وتكون هذه الصفار فى أوّل
أمرها ذات أرجل ثم تغير جلدها أكثر من مرة فتترك الأرجل معها • وهكذا الزوائد التى نخس بها وتكتفى
بأن تضع خرطومها فى النقط المهمة فى الأغصان وتعلق بها وتمتص الصلرات ولازال تلك الصفار تغذى
أربعة أسابيع ثم تستعد للحمل كأنها تها هذه لاحتجاج الى الذكور فيضعها يلتصقها ذكورها وبعضها يتكون
البيض فيها ولاحتجاج الى ذكر وهذا من العجب فقد أطلعتنى ذلك للمفتش على الكتاب المطبوع فوجدته كما
قال وقال ان الذكور أكثرها يموت (٨) ان هذه الحشرة تفرز مادة كالدقيق على جسمها وقد رأيتها أنا بعينى
رأسي وهذه المادة تقيم الملوثرات الجبوية وهذه الحشرة تنام فى أوائل اكتوبر الى حوالى نصف مارس وبعد ذلك
تستيقظ • فسأته فى أى تاريخ جاءت هذه الحشرة الى مصر • فقال من سنة ١٩١٢ ميلادية أحضرها
رجل انجليزى اسمه للسرت (براون) من الخارج • قلت وكيف ذلك • قال أحضر نباتا من بلاد أوروبا
يسمى (الهيكسكس) فسببت باسمه وقد كان مصابا بهذه الحشرة فأخذت تنتشر من هذا النبات الذى زرعه
ببلادنا فزينة فقط الى أشجارنا من الثوت والبق والبلخ والخرنوب والقطن والباويا والتيل وانتشر فى القاهرة
وضواحيها والجيزة وبنى سويف والقنوب وسوهاج ومركز جرجا والاسماعيلية والسويس • كل هذا حصل

بسبب ذلك النبات الذي أتى به المستر (براون) الإنجليزي . فقلت وكيف نكون العدوى . فقال تكون بالماء وبالطهارة وبالحيوانات . وذلك . أن الهواء يمر بالشجر فيحمل معه تلك الحشرات الى شجر آخر سليم وهكذا الماء والانسان والحيوان . فلما تعلق به تلك الحشرة وكذلك يد الانسان وثوبه وهكذا الحيوانات يعلق بها اذا لامست هذا الشجر . ثم ان هذه الحشرات لا تنص إلا في النقطة التي فيها تنمو الشجر ومتى امتصت العصارة وأتت الورق بجانبها ينقص ويتجمد وهكذا الفص كله ثم الشجرة وهكذا الشجرات حولها ثم أخذني للفنش وأراني العمال يرشون الشجر والورق والأغصان بالماء الذي فيه (بتروكسيل) أي لم يصف وهذا البترول مستخرج من البلاد المصرية بقرب السويس ومع هذا أيضا طين من طين (قنا) والأجزاء من واحد من البترول و٢ من الطين و١٢ من الماء ومتى رشوا الماء على الورق غمر الحشرة فسلت للمسام بالطين والبترول غلت الحيوان . هذا ملخص العمل الذي يقوم به للفنش وعمله . وقد كان معى صديق لى من أهل العلم . قال مافائدة هذا الكلام . قلت فيه تفسير آيات كثيرة والآية التي نحن بسببها . قال هذا شيء بعيد للرعى فأومعه . قلت ألت ترى أن هذه الحشرة في أكثر أحوالها أكلها لاحتياج للذكر بل يكون بيضا الذي قد يصل الى (٣٠٠) بيضة بلا ذكر . قال بلى . قلت أفألت ترى أن الله قد أعطى هذه الحشرة وقاية من الحر والبرد وعوارض الجوع بما قرره على ظاهرها مما هو كالمحقق . قال بلى . قلت أفألت ترى أن الأرجل اذا جاء وقت الاستغناء عنها خلعتها الحيوان وعاش بلا أرجل كما ذكرناه قال بلى . قلت أفألت ترى أن العدوى تنتشر من هذا الحيوان كما تنتشر عوامل الاقلاع في النبات فكما كان الاقلاع في النبات بالرياح والحيوان وبغيرها كما ستره في سورة الحجر مفصلا . هكذا هنا نرى الاقلاع في الملاك والتدمير يشبه الاقلاع في الاصلاح هناك . قال بلى . قلت ألت ترى أن الانسان يحارب هذه الحشرة ومع ذلك تنتشر بسرعة هائلة . قال بلى . قلت ان نظر الانسان للعلوم (قسين) نظري يؤدى الى النافع المادية ونظري يؤدى الى مافوق المادية . أما النظر الى النافع المادية فان الطبيب والمهندس وعالم الزراعة كل يبحث عن المنفعة المادية التي هو يصددها . وليس يرتفع نظره الى ما هو أعلى ك هؤلاء الذين يقتلون هذه الحشرة في الحدائق المصرية فليس لهم مطلب وراءها . فأما النظر لما هو أعلى من ذلك فهو نظر يرتقى الى عالم أعلى من عالمنا . فهنا يرى الانسان أن الله تعالى هدى هذه الحشرة وحفظها ونعم بحاربها وهذا قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - الذي خلق فسوى - والذي قدر فهدى - فانه أعلى واذا كان أعلى فيستوى عليه جميع خلقه في النظام . رأى المصلحة توجب أن تكثر الحشرات للمصلحة للأشجار والحشرات القاتلة لها فأكثر منهما وجعل الانسان سعيدا بالأولى شقيا بالثانية وهذا قوله تعالى - ونبلوكم بالشتر والخبز فتنة - علم الله أن هذه الحشرة تسيحار بها الانسان بكل الوسائل فأمدتها بالثديرة الكثيرة وجعل الأذى لاحتياج الى ذكر - فتبارك الله أحسن الخالقين - وهذا قوله - وكل شيء عنده بقدر - ونوله - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - قال هذا حسن ولكن لم فصل المقصود هنا . قلت فلتنظر الى الكور والاثاث من هذا النوع . أليس هنا الحيوان قامت فيه الأثني مقام الذكر والأنثى وهذه أشبه بنوع من النبات يشتمل على الذكر والأنثى معا ويسمونه خشي كالهاتورة والبنج كما تقدم في سورة الأنعام . قال ثم ماذا . قلت فاتخذ الله كورة بالاثوة ظاهر في هذه الحشرات من الحيوان وفي بعض النبات وقد ظهر الخشفي في نوع الانسان فهذا معناه أن الطبيعة تنطق قائلة (ان الذكور والاناث في كل حي متحدة بحسب أصلها) ولذلك تجد النوعين يتجاذبان على تباعد الديار وجميع أحوال هذا الانسان كأحوال الكور والاثاث أى انهم متطوون متضامنون متشبكة مصالحهم فكما نرى الكور والاثاث ظهر اتحادهما في الطبيعة ونواذرهما . هكذا نراهم متحدين غاية وتشيبة

ومقصدا • لذلك يتعارفون • هكذا سائر شؤون الحياة • فأهل الشرق وأهل الغرب جميعا يحتاج بعضهم الى بعض • قال ثم ماذا • زدنى ايضا • قلت ان اتحادكم والأمتي في أدنى النبات وأدنى الحيوان وشواذ الانسان رمز الى اتصافهما مقاصد وغايات تجمعهما والذكورة والانوثة المذكورتان لافرق بينهما وبين سائر أعمال الحياة • فأهل الشرق والغرب يحتاج بعضهم الى بعض • ألا ترى أن الحشرة المذكورة وهي (بق الهبكتس) قد انتقل مع الشجرة من الأقطار البعيدة ونقل العدوى الى القطر المصري في أشجاره • قال وما فائدة هذا • قلت فائدته أن كل مصيبة تحمل بأتمّة تضرّ غيرها على هذه الأرض • فالطاعون والجذري والجدى وأنواع كثيرة من الأمراض تأخذها الأم بعضها عن بعض ولذلك ترى لكل أمة على حدودها مكانا تمتحن فيه القادمين لينظروا أفهم مرض معد أم لا وهكذا • وإذا حصل خطأ في أمة أثر في غيرها من الأمم ولقد كان للحروب الأهلية في بلاد الصين في هذه الأيام ولاعتصاب عمال مناجم الفحم في بلاد الانجليز أثر سيئ في رخص أسعار القطن المصري وساعده على ذلك كثرة القطن الأمريكي فافطر كيف صار الناس على الأرض متضامنين وهم يجهلون انهم متضامنون • متعلين وهم يجهلون انهم متصلون • بينهم علاقة كبيرة في السراء والضراء وهم يجهلون • عمهم السلك الكهربائي وأحاط بهم من كل جانب نظام برىدى وآتو جوى واتصل الشرق بالغرب وحلقت الطيارات التي صنعها الانسان في الجوى • وفي هذه الأيام (فبراير ١٩٢٧) صنع الألمان طائرة تحمل جميع ما يلزمها مدة بحيث تطير حول الكرة كلها وترجع الى مكانها من غير احتياج الى ذخيرة أخرى • أليس هذا بعض قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ها هوذا بعض التعارف قد ابتدأ • فقال ياسبحان الله قد كان أول السلام لايشعر الانسان فيه بأن له مناسبة لهذه الآية حين ذكرتها • لم ندر أى مناسبة بين نبات (الهبكتس) وبين هذه الآية فظهر أن الذكورة والانوثة في العالم الانساني والنباتي والحيواني قد اتحدنا في بعض أفرادها وكان ذلك في الانسان رمزا الى توثيق الروابط في سائر مصالحه • فلأول الرمز بقوله - خلقناكم من ذكر وأنثى - وللثاني الرمز بقوله - لتعارفوا - فقلت إذن هذه الآية وردت خطاب العقل الانساني العام ومعنى هذا أن المسلمين يحسن لهم أن يقوم فيهم حكام وفلاسفة ويدرسوا نظام الوجود ويعرفوه كالذى ذكرته في كتابي (أين الانسان) الذى عرفه أهل أوروبا أنه خطاب للأمم كلها ويبينوا للامم أن العقل يبين أن الناس متحدون أصلا وغاية وانه يجب أن يكون هناك نظام عام يجمع الضرر والضرار من أى نوع ويسمون هذا النظام (التعارف) • قال لى ولكن المسلمين الآن ليسوا قادرين على ذلك • قلت نعم والسبيل الى ذلك أن يقوم فيهم مفكرون ويعممو التعليم في الأمم الاسلامية ويجعلوا لهم نظاما يسمى (اصلاح ذات البين) وهو المذكور في هذه الآية - وأصلحوا ذات بينكم -

فهنا (درجتان) في الاصلاح • درجة اصلاح ذات البين بين المسلمين • والدرجة الأخرى درجة التعارف العام بين أمم الأرض كافة • قال وما السبيل الى ذلك • قلت السبيل اليه هو ما ذكرته في هذا التفسير وما يذكره غيرى من علماء الأمم الاسلامية في أقطار الأرض • أقول فليقم كل مفكر في الاسلام بفهم اللهم من هذه الآراء في الاسلام وليعمم التعليم لأنه لاحياة ولاسعادة للأمم إلا بالعلم • وقيل فى المعنى ما الفضل إلا لأهل العلم اهم • على الهدى لمن استهدى أدلاء

وهناك يظهر للمصلحون الذين يصلحون ذات البين بين أمم الاسلام حتى يكونوا على الأقل أشبه بالممالك المتحدة بأمرىكا التى ليست عندها هاتان الآيتان أو كأمم الألمان الذين لا يقرّون هذه الآيات • اللهم انك أنت الذى زرعت النبات وخلقت الحيوان ونظمت الانسان وأعطيت كل شئ خلقه وهديته وجعلت الذكورة والانوثة في الانسان رمزا الى اتحاده أصلا وغاية وألممت أن تصل هذه الغاية بالبريد الجوى والأرضى

والطرق البرية والبحرية وأتمت المسلمين قرونا وقرونا ثم أتت التي جعلت أمثال هذا التفسير في الأمم الإسلامية والآراء التي تصدر من كبار الأئمة في عصرنا موقظات لشعوب الاسلام أن يدوروا نظام الوجود ويصمموا التعليم كما قدّمنا ويستدوا يصلح ذات البين بين المسلمين

ومعنى تعارف هذه الأمم كانت سببا في التعارف العام وأعلى الأقل قيلت هذا من المصلحين في جميع الأمم فاصلاح ذات البين للذكور في هذه الآية يتقدمه دروس العالم . فلذا كنا نرى اننا قد طلب منا التعارف العام بآية الحجرات ونداء الله للناس جميعهم فبالأولى علينا صلح ذات البين بيننا الذي هو في هذه الآية فانظر كيف كان التعارف العام لسائر الناس والصلح اختصاص بين الأمم الإسلامية . ولا جرم أن الصلح والمودة أخص من التعارف العام . وهذا عجيب إذ وضع في كل آية ما يناسبها فالتعارف للعموم والمصالحة للخصوص أى خصوص الأمم الإسلامية اللهم ان المسلمين لم يعملوا اليوم لأخص الأميين فضلا عن أعمهما ولن يوفقهم إلا أن يتذكر عقلاؤهم في أمثال ما كتبه في هذا التفسير . اللهم انك أنت الذي حكمت على الانسان أن يحتاج الى الطيور في أوكرها لتنتق له الحشرات الآكلات لزراعته كما في قردان والغراب وغيرهما مما مر ذكره في سورة المائدة في مقدّماتها وهكذا العنكبوت الآتي في سورة لقمان فإذ يأكل الحشرات أيضا لينقى زرعنا سلما فسكانك جعلت هذه المخلوقات الحية كأسرة واحدة وقلت في سورة الأنعام - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أم أثناسك الخ - جعلتها أمما أمثالنا ثم أثبت في الصلح في الشرق والغرب أننا ملزمون بالمحافظة عليها لتساعدنا في بقاء نباتنا . فالطيور مساعدات وذوات الأربع من البهائم والأنعام مساعدات فهذه أم أمثالنا فلنحافظ عليها لأجل حياتنا ومعاشنا . وإذا كان هذا شأننا مع الحيوان الأعجم فما نحن أولاء مع الانسان العام علينا أن نسعى للتعارف معه كما نتعرف بالحيوان وندرسه ثم ههنا في هذه السورة أثبت لنا بأخص من ذلك وهو صلح ذات البين بيننا

اللهم ان الأمم الإسلامية اليوم في صور مريب وتصبّر مخجل . فلا يهينهم اتفقوا . ولا مع الأمم تعارفوا ولا للأمم الحيوانية درسوا . ثلاث درجات جهلوا . درجة الحيوانية والإسلامية والإنسانية للذكورات في الأنعام والأفئال والحجرات على هذا الترتيب . وأخص هذه الدرجات ما نحن بسنده الآن في هذه السورة وهذا هو تفسير آياتنا التي نحن بسندها وهي - وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله - وهذه أول الدرجات اعتقادا وعملا ويلبها التعارف العام للذكور في الحجرات ويلبها دراسة الأمم الحيوانية على اختلاف أنواعها . هذا هو الذي يجب على المسلمين فليدرس ولينظر

(مافوق للمادة)

(تذييل لهذا المقام)

قال صاحبى قد قلت ان هناك نظرا يؤدى الى مافوق الامور المادية فما معنى هذا وهل الانسان يرتفع عن المادية في هذه الأرض . قلت اعلم أننا نحن في نفوسنا في هذه الحياة بزعة شريفة الى حال عالية وذلك كما في هذا اللقال يتعالى الانسان عن ملابسات الأجسام الى أقصى مرام . نفخني رعاك الله أم أين لك أن كل عالم يعلم قد حصر عقله فيه . ففالم الهندسة يبحث عن الأشكال وتتأقحها . وهكذا علماء الزراعة لا يدرسون إلا ما يخص ما هم فيه كهؤلاء الذين يقتلون الحشرات . ان هؤلاء لا يستلثون اللذة التي يجدها صاحب العلم العام . ان الانسان على الأرض مغلوب على أمره خاضع لهذا الجسم يسير لقوته ويحفظه فشغله ذلك عن النظر العام والتفكير في بدیع صنع الله . وهذا التفكير هو لب الدين الاسلامي قال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض -

وقد اصطفى الله أناسا وهم الأنبياء والحكماء فلهم زعامة الى النظام العام فاذا نظروا في أمثال هذه الحشرات

وفي سعادة الأم وشقاوتها وفي نظام السموات والأرض • وفي الحياة والموت • وفي القسط والجذب والحب
كانوا عند ذلك النظر كالمجربين عن هذه المادة • اللهم ان عقولنا التي غُست في أجسامنا قد حبست عن
عالمها الجليل

ان هنا نظاما أدركناه وهذا النظام استوى فيه ما يؤلفنا وما يسرنا فان حشرات الهلاك وحشرات الحياة
قد ساعدها الله وحفظهما ووزعهما • لأن نظام هذا الوجود الذي نعيش فيه تكافؤ الخير والشر والشر
والنفع ولذلك نجد عندنا موتا وحياة • امرأة تلد وملك يقبض الأرواح • فهنا تعاون بين الحياة والموت
والخير والشر ونحن بذلك نمتحنون • لو كانت العاطفة الانسانية كاملة لاستوى عدوها الموت والحياة والخير
والشر • ان نظام الوجود ساوى بين الأسمين ونظام الوجود محكم • ان العقل الانساني متى قرأ الحكمة
عرف أن هذا النظام جميل وأن الموت والحياة والخير والشر ضروريان لنظام هذا الوجود • ومع هذه
الحكمة التي يعرفها نراه يحزن ويضرخ وهذا قص مشين مزر بنا دال على قصتنا في هذا الوجود ولعلنا في
عالم بعد هذا يتساوى عندنا الخير والشر فتكون عواطفنا سائرة على نظام عقولنا • اللهم ان العواطف لا
تكون كاملة إلا اذا كانت جارية على نسق نظامك العالي ونحن اليوم على الأرض أطفال في أحوالنا ونحن
سائررون الى هذه الغاية حتى نوازي عواطفنا نظامك وتكون - على سر متقابلين - لاهم ولا وزن ونكون
راضين وراضاتما بنظام هذا الوجود الذي هو على أتم نظام • ان الانسانية الجاهلة اليوم سترتقي لما في
الأجيال الآتية وما في عالم الأرواح • ولا سبيل لسعادة الانسان إلا بالاتحاد العام والوفاء التام بين الأرواح
بحيث يكونون في العالم الواسع متحدين متحابين وتزول الفوارق بينهم • فليكن المسلمون اليوم مبتدئين
بصلح ذات البين بينهم ثم يقبلون ذلك بالاعتراف العام بقدر الامكان حتى يتم الإصلاح ويوم القيامة يوضع
الناس في مراتبهم وأحوالهم لما في نعم واما في حجم
ان صلح ذات البين والاعتراف العام للأمم من الأنوار التي يقذفها الله في قلوب الخواص من عباده لتتهدي
الأمم ويستدير الوجود

قال صاحب اضرب لي مثلا لهذه الصفة العالية • قلت ان مثلاً يكتل الطيب فانه أفضل راحم للريض
يقطع عضوه وهو رحيم فليس يكون المريض منتفعا بالطيب حتى الانتفاع إلا اذا أدرك الغرض من عمله
فالطبيب يرجته لا يبالى بالألام التي تعترى المريض من جراء لماعى البواء • هكذا لله تعالى والعوالم التي تتولى
نظام هذه الدنيا يريدون الإصلاح العام ولا يبالون بحشرة تأكل الزرع وطاعون عام وأمراض فائكة لأنهم
يدبرون التدبير العام فالأرض كلها أشبه بانسان واحد • فموت أمة وحياة أخرى وسعادة أمة وشقاوة أخرى
أشبه بما يعترى الانسان من حلق شره وقلم أطفاله تارة وتطويلها أخرى ومريض عضو ومحة آخره فطر
العالم الأعلى الذي يتلقى الأمر عن الله هو هذا النظر • فقال من أين أتى لك هذا القول • قلت أنا لم
أقلد أحداً وإنما هذه خواطر هجمت على النفس ونفوسنا لها اتصال بعوالم أخرى • فأنا أحس الآن بأن
هذا المعنى حق وأن هناك عوالم أرق منا نظرها للأرض هو هذا النظر لأنى أنا وأما في هذه الأرض أجد في
نفسى سرورا رائدة وانشرها عند أدراك نظام هذه الحشرة الفائكة بأشجارنا الملهمة لزراعنا فلماذا هذه اللذة
وكيف أدركتها قسى كما أدركت وسرت بنظام الحشرات الذي تكون سببا في القاح النبات • فإذا كانت
قسى على هذا الخطأى تسر بحسن النظام سواء كان لشهوتها أو لضعفها فهذا دليل أن هناك عوالم هذا دأبها
تشرف على عملنا ونجعل أمامها كأنه مدرسة أحيوان لا تفعل فيه إلا المصلحة العامة

ان سرورنا بالنظام العام وابتهاجا به سعادة وبهجة وجمال • فقال وهل السرور بذلك واللذة تكون
لكتبر من أهل العلم وهل هذه دائمة • قلت • كلا • ان نفوس الحكماء تشربها في أوقات قليلة ثم تغلب

خاصة ونصى أن تكون جميع الصناعات والعلوم قد جعلت لها استعدادات في الفطرة كما ظهر ذلك في الذكورة واللاتوة بحث هذا الموضوع بحثا كبيرا . ورأيت أن الاذ كياء قلوب وأصحاب الاجسام العملية يتكثرون على مقتضى الطلب . ثم نظرت الى قص الارض فوجدتها مغطاة البقاع استعدادا للنافع المختلفة فثبت في نفسى أن هذه الدنيا وضعا عجيب من حيث الارض ومناقصها والناس واستعدادهم فألفت الكتاب وانتشر في أوروبا بلا قوة منى لأنى ليس لى معينون فى هذا لأن الشرق ليس له عهد بعمل مثل هذا . وذكرت فى الكتاب أن الناس لا يبنوا لهم عيش إلا اذا استخرجوا جميع القوى فى الانسان وفى الأرض ولا يتم هذا إلا بأن يصكون الناس كأسرة واحدة . ولما عرف هذا أهل أوروبا قرضوه ولحسوه كله وسترى فى سورة الجبرات ملخص الكتاب بقلم الكتاب الاوروبين . انظر الى سورة الجبرات تر هناك آيتين (الأولى) - انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون - (والثانية) - يا أيها الناس لا نخافنكم من ذكر واتى وبعثناكم شوحا وبقابل لتعارفوا إلخ - فالآية الأولى تتفق مع ما هنا فالمسلمون يكون بينهم الصلح والمودة ثم هم بعد ذلك يتعارفون مع غيرهم . ان فى الجبرات الأمرين معا فأولها هو ما فى هذه السورة من الصلح بين المسلمين . وثانيهما هو التعارف العلم . وأهم ما فى هذا المقال أن آية التعارف هى ملخص كتاب (أين الانسان)

الارى رعاك الله أن مسألة الذكور والامات التى فى أول الآية هى عنها التى كانت أول ما فكرت لظهور الكتاب وأن مسألة التعارف التى فى آخرها هى بعينها التى قررتها فى آخر الكتاب . أفلا تتعجب من أن يكون هذا الكتاب تفسير الآية واحدة من القرآن وتلك الآية منتمية للآية هنا . فان السلام العام يحتاج (الأمرين) صلح خاص بين المسلمين واتحاد مع الأمم فى الأعمال الملتمة . وانظر كيف كانت آية الصلح بين المسلمين جاءت فى هذه السورة التى هى مقدمة فى الترتيب على تلك السورة وأيضا هى فى الجبرات أيضا مقدمة ذلك هو العجب الذى سترناه وانحنا هناك وهذا يدعو للمسلمين الى (الأمرين) صلح بينهم وتعارف مع الأمم وقد ابتدأ ثانيهما وشرح عقلاء المسلمين فى أولها فليشر المسلمون بعدنا . وهذه من عجائب ومجربات القرآن فى هذا الزمان اه

(كيف قصر المسلمون فى قوله تعالى - واصلحوا ذات بينكم -)

ان للمسلمين يتقهم الرقى فى كل شئ . ان المودة لا تكون إلا بعمل ومادام العمل قليلا كانت المودة ضعيفة بل هى معدومة . لارى بين المسلمين اليوم مودة كالتى نراها بين الأمم الأخرى . نعم المسلمون مودتهم محبوبة وليس يظهرها إلا الحركة العلمية والعملية . واتى ليحزننى ألا أقرأ للمسلمين مثل ما قرأته اليوم ٢١ يناير سنة ١٩٢٧ أن أول عادية جوت (بالتلفون) الذى لاسلك له جوت يوم ٧ يناير المذكور بين صاحب جريدة (النيويورك ورلد) وبين رئيس تحرير (الدبلى اكسپريس) بلندن وبينهما ثلاثة آلاف ميل أى نحو ثمن الدائرة المحيطة بالأرض . وقد تبادلوا التحيات والابحار عن جوت البلدين (نيويورك ولندن) وأخلت صورة كل منهما وهو فى بلده وأرسلت صورة الأول حالا بطريق اللاسلكى وهكذا صورة الأمواج عند تسلكها ونشر هذا كله فى جريدة (الدبلى اكسپريس)

هذه هى مودات الفرنجة والأمريكان . أيها القارئ لهذا التفسير فكر فى أقول وقل لى هل سمعت مثل هذا بين مصر وبناد أو بينهما وبين الاستاة والاقتان أو بينهما وبين شمال أفريقيا . كلا . فهذه أم أقدمها صفار العلماء عن العلوم وعن الصناعات فجهاوا العالم التى نعيش فيه وجهوا أنفسهم . وسيكون هذا التفسير من مبادئ النهضة العلمية والعمل بعد العلم . انتهى

﴿ فريدة مشرقة في سورة الاغال والتوبة ثم القتال والفتح والحجرات ﴾

ومن عجائب القرآن أن ذكر الصلح جاء قبيل الكلام على القتال والنصر في هذه السورة ﴿ ذلك ﴾ لان قتال العدو لا يتم الا بعد اتفاق المجاهدين كما قدمنا فاذا تباعضوا فلا قتال ولا نصر . وانظر الى سورة الحجرات التي بعد سورة القتال ثم سورة الفتح كيف ذكر فيها الصلح بين المسلمين والتعارف بين الامم . كأنه يقول هنا لا جهاد الا بعد اتفاق الامة واتحادها . ويقول هناك اذا جاهدتم وفتحت البلاد فعليكم ﴿ اصرار ﴾ صلح فيما بينكم شامل كما كنتم قبل القتال ثم تعارف مع الامم وتكون النتيجة هكذا صلح دائم قبل الحرب وبعدها في الامة . ثم انكم اذا ملكتم الامم فتعارفوا مع دوام الصلح . هذا ما يؤخذ من ترتيب السور والآيات والله على ماقول وكيل . انتهى الكلام على القسم الاول

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ * يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ * لِيُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيُظِلَّ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْغَافِرُونَ * إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْحَكِيمِ * إِذْ يُنَشِّيكُمُ النَّحْسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَنِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّهْبَ فَأُصِرُّوا فَوْقَ الْأَعْقَابِ وَأُصِرُّوا مِنْهُمْ كُلُّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاكُوهَا اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا زَحَفًا فَلَا تُولُؤْهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُؤْلِمِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُورُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالِهِ أَوْ مَتَحَبِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّلَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَلِكَُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ * إِنْ تَسْتَفْتِهِمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُهُمْ وَلَوْ كُنْتُمْ وَاللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ *

(مقدمة في سبب غزوة بدر)

روى أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في عبر قريش في أربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومعهم جبال تحمل عطرًا وميرة ويزا (١) حتى إذا كانوا قريبًا من بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يومًا في السنة فبلغ النبي ﷺ خبرهم فقال لأصحابه هذه عبر قريش فيها أموالهم وحرصهم على الخروج إليهم فقتل بعضهم وقتل بعضهم فلما سمع أبو سفيان بمسير رسول الله ﷺ إليه استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستغرم ويخبرهم أن محمداً في أصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة وكانت عائكة بنت عبد المطلب قد رأت رؤيا قبل قدوم ضمضم مكة بثلاثة أيام أفزعها فأخبرت بها أباها العباس بن عبد المطلب قالت رأيت راكبا أقبل على بعيره حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته قائلاً ألا فانفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث فأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل للمسجد والناس يتبعونه فينأون حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها بأعلى صوته ألا فانفروا يا آل غدر إلى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على رأس أبي قيس فصرخ مثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولادار من دورها إلا ودخلها منها فلقة فقال العباس وإته أن هذه الرؤيا قطيعة فاكتمها ولاذكرها لأحد ثم ذكر العباس الرؤيا للوليد بن عتبة واستكنمه إياها والوليد ذكرها لأبيه عتبة وفشا الحديث . قال العباس فعملت أطوف بالبيت وأبوجهل ابن هشام في نفر من قريش يتحدثون برؤيا عائكة فلما رآني أبوجهل قال يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل البناء قال العباس فلما فرغت من طوافي أقبلت إليهم فقال لي أبوجهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبوة فيكم . قلت وما ذاك . قال الرؤيا التي رأيت عائكة . قلت وما رأيت . قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتلبأ نسائكم قد زعمت عائكة في رؤياها أنه قال (انفروا في ثلاث) فستربص بكم هذه الثلاث فإن يك ما قالت حقا فسيكون وإن تخس الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بأنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس فأنكرت أن تكون عائكة رأت شيئاً ثم تفرقا فشاخ قول أبي جهل في الناس فلم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقلن أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم حتى تناول النساء وأنت تسمع فأبى القيرة فاحتدم القبط في صدر العباس وأقسم أن يتعرض له ويقص منه قال فغصت في اليوم الثالث من رؤيا عائكة وأنا حديد غضب أرى أني قد فاني شيء أحب أن أدركه منه . قال فدخلت للمسجد فرأيت فوالله أني لأمر نحوه أن تعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال العباس قتل في نفسي ماله لئله أكل هذا فرقا مني أن أشأته قال فإذا هو سمع ما أسمع سمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ يبطن الوادي واقفا على بعيره وقد بدع بعيره وحول رجليه وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش الاطيمة اللطيمة (هتتم معناها) هذه أموالكم مع أبي سفيان وقد عرض لها محمد في أصحابه ولا أرى أن تدركوها القوث القوث قال فشغلني عني وشغلني عنه ما جاء من الأمر فخرجت قريش سراعا ولم يشكف إلا أبو لهب وقد بث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له (ذاقرد) فأناء اخبر عن مسير قريش لينعوا عن عيرهم فسار رسول الله ﷺ حتى إذا كان بالرواح أخذ عينا لاقوم فأخبره بخبرهم وبمسار رسول الله ﷺ عينا له يدعى (ارقيط) فأناء بخبر القوم وسبق العير رسول الله ﷺ فجاء الوحي - أن الله وعدكم إحدى الطائفتين أمها لكم - أما العير وأما قريش فكانت العير أحب إليهم فاستشار رسول الله ﷺ

(١) وهذا هو معنى الطيعة

أصحابه فقال بعضهم هذا ذكرت لنا القتال حتى تنأهب له أنا أخرجتنا للعير فرد عليهم وقال إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر فقال وأحسن وكذلك عمر والمقداد بن عمرو إذ قال يا رسول الله امض لما أمرك الله ففتح معك والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى - اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون - ولكن نقول اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون الخ فدعا له رسول الله ﷺ بخير ثم قال سعد بن معاذ من الأنصار فأحسن في المقال فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونشط ذلك فقال سبروا على بركة الله وأبشروا فإن الله عز وجل وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم • روى مسلم عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدثه عن أهل بدر قال إن رسول الله ﷺ كان يربنا مصارع أهل بدر بالأس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى وهذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى حتى انتهى إليهم فقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله فإني وجدت ما وعدني الله حقا • فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها • فقال ما أتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيء فذلك قوله سبحانه وتعالى - وإذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنهما لكم - يعني طائفة أبي سفيان مع العير وطائفة أبي جهل مع النفير • إذا عرفت أيها الذي هذه المقدمة الوجيزة هنا أسهل تفسير الآيات

يقول الله الأفعال ثابتة لله والرسول مع كراهتهم تلك ثباتا مثل ثبات إخوانك ربك من بيتك يعني بالمدينة لأنها مهاجرة ومسكنه أويته فيها مع كراهتهم وهذا قوله (كما أخرجتك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون) أى أخرجتك في حال كراهتهم (بمجادلتك في الحق) في إثارة الجهاد بإظهار الحق لا بإثارة نقي العير عليه (بعد ما تبين) أنهم ينصرون أي توجهاوا بإعلام الرسول ﷺ (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) أى يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم • إذ روى أنهم رجالة وما كان فيهم إلا فارسان • وفيه إيماء إلى أنهم كانوا فزعين رعبا (واذكر) إذ يمدكم الله إحدى الطائفتين أنهما لكم) وقوله - أنهما لكم - بدل من - إحدى - (وتوعدون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير إذ لم يكن فيها إلا أو بعون فارسا فتنبوها وكرهوا النفير والشوكة الخفة مستعارة من واحدة الشوك (ويريد الله أن يحق الحق) أن يبينه ويعليه (بكلماته) للموحى بها في هذه الحال (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم يعني إنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها بملافة العير والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق بملافة النفير فعل ماضل (ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) ذلك • وأعلم أن رسول الله ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلثة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك • وأيضا كان الصحابة يقولون (ربنا انصرنا على عدونا أغشنا يا غياث المستغيثين) وذلك لما عملوا أنه لا يحصى من القتال وهذا قوله تعالى مبذلا من قوله - إذ يمدكم الله إحدى الطائفتين - (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم) أى بأنى (بأن من الملائكة مردين) بكسر الدال وفتحها أى متبعين فهم على الأول كانوا ساقا للجيش وعلى الثاني كانوا مقدمته • ويقال ردفة إذا تبعه وأردفته إياه إذا تبعته (وما جعله الله) أى الامداد (إلا بصرى لكم) أى الإشارة لكم بالنصر (ولتعلمن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقتلكم وذلكم • وظاهر الآية يفيد أنهم لم يقاتلوا (ولذلك) قال بعض العلماء إنما كانوا يكتفون السواد ويثبتون المؤمنين

والا فلك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا • ويقول بعضهم انهم قالوا يوم بدر ولم يقاتلوا في سواه من الأيام وهناك روايات وردت في نزولهم يوم بدر وقاتلهم لانطيل بذكرها هنا (وما النصر الا من عند الله) أيها المؤمنون فتقوا بنصره ولا تسكلوا على قوتكم وشدة بأسكم وما كثرة الجيوش ولا امداد الملائكة ولا قوتكم وكثرتكم الا وساطة لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تأسوا منه بفقدتها (ان الله عزيز) قوى منيع لا يقهره شيء (حكيم) في تدبيره ونصره ينصر من يشاء ويخذل من يشاء • ولما كان المسلمون قليلي العدد وكان أهل مكة كثيرا عددهم اعتراهم الخوف على أنفسهم أن يخلبوا ويقهروا • وعما زاد الطين بلة أن المسلمين نزلوا ذلك اليوم (يوم بدر) على كتيب رمل أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا عليه وأصبح المسلمون على غير ما هم وبعضهم عثت وبعضهم جتب وأصابهم العطش فوسوس لهم الشيطان وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأتم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأتم تصالون محدثين ومجننين فكيف ترجون أن تظهروا على عدوكم • فهذه أمور خمسة (الأول) الخوف من غلبة العدو (الثاني) ما أصابهم من الخلد والجناية والعطش (الثالث) وسوسة الشيطان لهم وكيف يكونون على الجوع وهم بهذه الحال (الرابع) عدم الوثوق وزلزلة القلوب (الخامس) أن الأقدام لانتبت في ذلك الكتيب الأعفر الذي لاماه فيه فلذلك أكرمهم الله بازالة الخوف في قوله بدلا ثانيا من - يهدمكم - (إذ يشبكم الناس أمة منه) الناس النوم الخفيف - أمة منه - أي أمنا من الله لكم من عدوكم أن يغلبكم وهو مغلول لأجله (وذلك) أن الخائف على نفسه لا يأخذ النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لأنه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليهم وقدروا على دفعه عنهم • وهذا كالمجزة لاسما اذا كان ذلك الناس وقع دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم كما قيل • وحصول الناس لهذا الجوع العظيم مع وجود الخوف الشديد أمر خارج عن العادة فهذا هو الأمر الأول من الأمور الخمسة وهو الامن للزيل للخوف • وأشار الى الثاني وهو ما أصابهم من الخلد في قوله (ويترك عليكم من السماء ماء ليطهركم به) فأنزل عليهم للطر فشرى واغسلوا من الجناية والخلد • وأشار الى الثالث وهو الوسوسة بقوله (ويذهب عنكم رجز الشيطان) أي وسوسته (وذلك) أنهم أمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغسلوا وتوضؤوا وتلبذ الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت الوسوسة والاضطراب • وأشار الى الرابع بقوله (وليربط على قلوبكم) بالوثوق بلطف الله • وأشار الى الخامس بقوله (ويثبت به الأقدام) أي بالطمح حتى لا تسوخ في الرمل أو يربط على القلوب حتى تثبت في المعركة • فهذه هي الأمور الخمسة التي أنعم الله عليهم بها لازالة ما ابتلاوا به من نقائصها • واعلم أن هذه القصة اشتملت على ثلاثة أقسام (الملائكة المؤمنون والكافرين) فهنا أخذ سبحانه يشرح لكل طائفة ما يناسبها • فقال في الطائفة الأولى وهم الملائكة (إذ يوحى ربك) بدل ثالث من - إذ يهدمكم - (الى الملائكة أي معكم) في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحى (فتبوا الذين آمنوا) بالبالشارة وقوا قلوبهم • ولقد تقدم في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن السنة والعلم الحديث في أمريكا وأوروبا على اتفاق أن الأرواح الشريرة وهي الشياطين لها قوة تلقى بها الوسواس في قلوب بني آدم وكبر فيها الشر • وهكذا للملائكة قوة الالهام بالخير في قلوب الناس • فالأول وسوسة • والثاني الالهام فهذا هو التثبيت ومنهم التبشير بالنصر والظفر وربما تعدى ذلك القلب الى الظهور عيانا نادرا كما في هذه الغزوة • قيل كان الملك عيسى في صورة رجل أمام الصف ويقول (ابشروا فان الله ناصركم عليهم) ومن صور التثبيت قوله تعالى للملائكة قولوا للمؤمنين (سألقى في قلوب الذين كفروا الرعب) أي الفرع ثم خاطب الله للمؤمنين قائلا (فاضربوا فوق الأعناق) أي أعالي الأعناق التي هي للذئب أوالرؤس (واضربوا منهم كل

بتان) جمع بئانة وهي أطراف أصابع اليدين أى حزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم فضرب الرأس به هلاكه
الإنسان والبئان به يمكن الإنسان من مسك السلاح وحمله والضرب به فإذا قطع بئانه تعطل عن ذلك كله
(ذلك) الضرب (بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى بسبب مشاققتهم لها واشتقاقه من الشق لأن كل من المتعادين
فى شق خلاف شق الآخر (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) وعيد لهم بما أعد لهم فى الآخرة
بعد ما حاق بهم فى الدنيا (ذلكم) القتل والأسر الذى نزل بكم أيها الكفرة واقع (فتدقوه) عاجلا فى الدنيا
وأنه ليسر بالاضافة إلى ما أعد لكم فى الآخرة من العذاب (وأن الكافرين عذاب النار) منصوب على أنه
مفعول معه كقولك مرت والنيل أى ذوقوا ما يحل لكم من العذاب مع ما يحل لكم فى الآخرة وقد وضع فيه
الظاهر موضع الضمر دلالة على أن الكفرة هو السبب فى جمع العذاب العاجل مع الآجل . ولما انتهى الكلام
على خطاب للأنكسة وما يتبعه شرع سبحانه يخاطب المؤمنين وهم الطائفة الثانية فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا
لقيتم الذين كفروا زحفا) وهذا حال من الذين كفروا . والزحف الجيش الذى يرى لكثرة كانه يزحف
أى يدب ديبا من زحف الصي إذا دب على إسته قليلا قليلا سمي بالصدر . فالقنى إذا قنيتم الذين كفروا
كثيرا عددهم (فلاتولهم الأدب) بالانزelm فضلا عن أن يكونوا مثلكم أو أقل منكم أى إذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير وأتم قليل فلا تفتروا فضلا عن أن ندانوهم فى العدد أو تساووهم . وهذه منزلة أولى المهم
العالية الذين يتكلمون على ربهم ولا يبالون بما يترضهم من كوارث وعين (ومن يولهم يومئذ دبره لا متحرقا
لقتال) يريد الكفر بعد الفتر وتفرير العدة فانه من مكايده الحرب (أو متحيزا) منضيا (الى فئة) الى جماعة
أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وهما حالان من فاعل يولهم للضمير (فتدبأ بضرب من الله ومأواه
جهنم وبئس المصير) واعلم أن المتحيز يشمل من تحيز الى فئة بعيدة • لما روى ابن عمر رضى الله عنهما
أنه كان فى سرية بعثهم رسول الله ﷺ ففروا الى المدينة قال فقلت يارسول الله نحن القرارون قال بل أتم
الكرارون وأنا فتشكم • واعلم أن أكثر أهل العلم يقولون إن المسلمين يحرم عليهم الفرار يوم الزحف إذا
كان العدو مثليهم فأقل أما إذا كان أكثر من مثليهم فانه يجوز الفرار وذلك لأن هذه الآية مخصوصة بما بأتى
فى قوله تعالى - الآن خفف الله عنكم - فأفادت الآية أن الواحد يفلب اثنين • قال ابن عباس من فر من
ثلاثة لم يفر من اثنين فقد فر • وقال آخرون ان الفرار كان كية يوم بدر • فأما يوم أحد يوم
حنين فقد خفف الله فى الآيات كقوله فى الأولى - أما استظلم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم -
وفى الثانية - ثم وليتم مدبرين • ثم يثوب الله من بعد ذلك على من يشاء • والقول بأن التولى ليس كبيرة
بعد غزوة بدر وأن المسلمين بعضهم فئة بعض فيكون اقرار متحيزا الى فئة فأما فى يوم بدر فلم تكن لهم فئة
ينحازون اليها فلما انحازوا انحازوا الى المشركين مروى عن الحسن وقتادة والضحاك • وأكثر أهل العلم على
الأول كما قسمتم فإذا كان للمسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفرّوا منهم ويولوهم ظهورهم
وان كان العدو أكثر من مثلى المسلمين جاز لهم أن يفرّوا منهم مروى مجاهد أنهم لما أصرّوا عن قتال أهل
بدر كان الرجل يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فنزل قوله تعالى - ان اختزمتهم بقتلهم - (فل
قتلوهم ولكن الله قتلهم) يعنى بنصره اياكم وهو يشكم عليهم وامدادكم بالملائكة يشرونكم ويملسونكم
ويربطون على قلوبكم بل يكفرون سوادكم ويحاربون معكم على قول ثم ان جبريل قال للنبى ﷺ خذ
قبضة من تراب فارمهم بها فلما اتقى الجمعان تناول ﷺ كفا من الحصباء عليه تراب فرمى به وجوه القوم
وقال شامت الوجوه يعنى قبعت الوجوه فلم يبق مشرك إلا دخل فى عينه وفه ومنخر به من ذلك التراب شئ
فانهزما وبعثهم المؤمنين يقتلونهم ويأسرونهم • ومعلوم أنه ليس فى وسع أحد من البشر أن يرى كفا من
الحصى فى وجوه جيش فلا تبنى عين إلا وقد دخل فيها من ذلك شئ فصوره الرعى صلدت من رسول الله ﷺ

وتأثيرها صدر من الله عز وجل . فلهاذا للمنى صح التثني والاثبات في قوله تعالى (ولمريم إذ رمت ولكتف الله رمي) يعني ان الرمية التي رميتها أنتم لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم وعليه يكون فعل العبد مضافا اليه كسبها إلى الله تعالى خلقا فقد أثبت الفعل للعبد ثم فناه عنه وأثبتته لله فقال - ولكن الله رمي - وإنما فعل ذلك ليهلك عنكم (وليلى) وليعطى (للمؤمنين منه بلاء حسنا) عطاء جيلاى وللإحسان إلى المؤمنين (لأن الله سميع) لسماعهم (عليم) بأحوالهم (ذلكم) البلاء الحسن (وأن الله موهن) مضعب (كيد الكافرين) يعني مكرهم وكيدهم معطوف على - ذلكم - أى المقصود إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وإبطال حيلهم ومكرهم

﴿ طبقة ﴾

قال أهل التفسير وللغازي لما نذب رسول الله ﷺ أصحابه انطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم أسلم وهو غلام أسود لبى الحجاج وأبوسار وهو غلام لبى العاص بن سعد فأخذوها وأتوا بهما رسول الله ﷺ فقال لهم ﷺ أين قريش قالوا هم وراء الكتيب الذى ترى بالسوة القصوى والكتيب الضنفل فقال رسول الله ﷺ كم القوم قالوا كثير قال ماعددهم قال لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قالوا يوما عشرة ويوما تسعة فقال رسول الله ﷺ القوم ما بين التسعائة إلى الألف ثم قال لها من فيهم من أشرف قريش قالوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البحتري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعمة بن عدى والنضرب بن حوث وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونيبه ومنبه ابن الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله ﷺ هذه مكة قد أثقت إليكم أفلاذ كبدها فلما أقبلت قريش ورأها رسول الله ﷺ تصوب من الضنفل وهو الكتيب الرمل جاء إلى الولادى فقال ﴿ اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها ونفرها تحاذيك وتكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتني ﴾ فكان ما كان من النصر والقوز وإلى هنا انتهى الكلام على خطاب المؤمنين

ثم انه سبحانه خاطب الكافرين وهم الطائفة الثالثة فقال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا ﴿ اللهم ان كان محمد على حق فأنصره وان كنا على حق فانصرنا ﴾ ولما التقي الجمعان قال أبو جهل ﴿ اللهم أينما كان الجفر (يعنى نفسه ومحمد ﷺ) قاطعا للرحم فأخذه اليوم . اللهم الصراهدى الفنتين وخير الفريقين وأفضل الجمعين . اللهم من كان الجفر وأقطع لرحه فأخذه اليوم ﴾ ويطلق الفتح على الحكم أى ان تستحكموا الله على أقطع الفريقين للرحم وأظلم الفنتين فينصر للظالم على الظالم فقد جاءكم الفتح يعنى جاءكم حكم الله بنصرة للظالم على الظالم والحق على الباطل والمقطوع على القاطع • روى البخارى ومسلم أن عبد الرحمن بن عوف قال انى لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي فاذا أنا بعلامين من الأنصار حديثه أسنانها فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فقمزني أحدهما فقال أى عم هل تعرف أبوجهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن أختي قال أخبرني أنه يسب رسول الله ﷺ فوالذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعرجل منا فخبجت لذلك وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم أنشب أن نظرت إلى أبى جهل يحول في الناس فقلت لألريان هذا صاحبكما الذى تسالان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم أنصرا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما فقالا لا فنظر رسول الله ﷺ إلى السيفين فقال كلا كما قتله فقصي رسول الله ﷺ بسلبه لها والرجلان معاذ بن عمرو بن الجوح ومعاذ بن عفره رضى الله عنهما

فهاهوذا أبوجهل قد استفتح • وهاهوذا قد جاءه الفتح وحكم الله بقتله قال تعالى لكفار مكة (وان تنهوا) عن الكفر ومعاودة الرسول (فهو خير لكم) تضمنه سلامة الدارين وخير للذين (وان تعودوا) لمحاربته (نمد) نصرته عليكم (ولن نقضى عنكم) ولن تدفع عنكم (فتتكم) جعلتكم (شيأ) من الاغناء (ولو كثرت) فتتكم (وان الله مع المؤمنين) أى ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك • انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من سورة الأنفال

وهنا خمس لطائف (الأولى) احتمال الأخطار في قوله تعالى - واذا يدرككم الله إحدى الطائفتين الخ - (الثانية) أن هذا العالم المادى خاضع لناموس العقول • وأن عمل القلوب مهيسر على الأجساد • وعلاو الهمة به تذلل الصعاب في قوله تعالى - وما جعله الله إلا بشري لكم - • (الثالثة) دقة للملاحظة والبحث الصادق في أمور هذه الحياة في قوله - اذ يشيكم الناس أئمة منه - • (الرابعة) الثبات وقوة العزيمة أساس الأعمال في هذه الحياة • (الخامسة) عدم الاعجاب بالنفس وترك الكبرياء في قوله تعالى - وما رميت لإرميت ولكن الله رمى - • ولنبدا بإيضاح هذه اللطائف الخمسة فنقول

(اللطيفة الأولى)

فيها استبان خلق احتمال الأخطار ومقابلة الحوادث الجسام والأحوال الفخام والامور العظام بالصبر واختيار أعظمها قدرا وأشدّها بأسا وأعلاها شأنًا وأرفعها مقامًا وأسيها نظامًا وأبعدها سيلا وأقومها قبلا ألا وهي الثنائى عن السير والمصارعة الى التغير واصطفاه أشرف الامور • ولمرى كيف يساوى ذلك الزاد والليرة وبعض البر والطير الذى كان مع أبى سفيان ذاهبا الى مكة قتل صناديد قريش • لعمرى ما أبعد العرق ما بين رأس الأمر وأعلاه • وبين ذنبه وأدناه • فلو الهمة في النظر الى معالى الامور وأشرفها لالى أخسها وأحقرها • فلتكن همنا في حياتنا الدنيا متوجهة الى أعلى الامور والتنكب همما يكتفى به الجمهور من العرض القليل والنفع للادى اذا كان هناك ما هو أشرف وأجدر وأعلى وأكبر

(اللطيفة الثانية)

لقد اطلعت على حديث الملائكة • وكيف أرسلهم الله في غزوة بدر • وكيف اختلف العلماء هل هم حاربوا مع المسلمين وظهروا بصورة بشرية وأسلحة حديدية وملابس عربية وقطعوا الرؤوس وأنزوا النفوس أم هم اكتفوا بتكثير السواد واهداء البشارة للمحاربين • أم كان زوطهم على القلوب بالالهام والتبشير وشوية الهمم كما أنهم يتطلون هم الأعداء ويلقون في قلوبهم الرعب • هذا كله قد تقدم ولكن الآية قد ذكرت فصارى الأمر وجاداه ومبدأه ومنتهاه وشرحت المقام وأزاحت اللثام وأذهبت الغملم • فهاذا قالت • ها فيها قوله تعالى - وما جعله الله إلا لشرى لكم - فذكر ذلك على سبيل المحصر والقصر كانه يقول انما خلقت في الأرض غنجرين وظهرتم عليها بمنحين فليكن مقارعة الأبطال والطنن والتزال وما كان ازال الملائكة لتعديوا وهم يعملون • وتنكسوا وهم يتقدمون • وتناموا وهم مستيقظون تائه لم يخلقوا سدى فلاقتحموا الردى بل خلقت بمنحين وفي الأعمال غنجرين • وما ازال للملائكة عليكم إلا لتبشركم بالالهام وتحييتهم الأقوال ولو ثبت انهم قتلوا معكم أنمى لم يكن ذلك إلا ليشجعوك لا ليقعدوك والا لتهبت فضيلة الاختبار وتخرجتم من الحياة بلا اعتبار فلانزل في الآخرة إلا حيث الجهاد في الحياة • ولاجهاد والملائكة قائمون مقامكم • مقاتلون عدوكم • مبددون الأعداء وأتم نيل • وكلما كان العمل أشق كانت النتيجة أرقى والعاقبة أبقي والسعادة أعلى

ألا وإن النية تسبق العمل والأعمال لاقية لها إلا بعزائم القلوب • فكلما امتلأ القلب بالبشارة والآمال انتهجت الأعضاء بالأعمال • ان القلوب لعظيم سلطانها قوة عزيماتها فحي صلتها صلت الأعمال

ومنى جهلت أو خجنت أو شكت أو وثقت بطلت أعمال الجوارح • وكيف يعمل للمأور والآمر
خامد الأتقاس كثير اليأس • وكيف تهيج الأعضاء للعمل إذا كان القلب قليل الأمل ضعيف الحيل خائر
العزيمة حائداً عن الشأن • هناك لاهل له بقاه • ولا تمر له براض

(اللطيفة الثالثة)

أنظر إلى الأمور الخلسة المذكورة في الآيات وكيف فضلها الله تفضيلاً • فذكر هواجس القلوب وخواطر
الضائير ولم يدع قطرات السحاب للماطرات • ولا عطش القوم في الغلوات • ولا ثبات الأقدام في الطرقات
ولا نعاس القوم في طهجات • فجعل لكل من هذه الحوادث حكمة إلهية ومنقباتية إلهية إلهية لتبصرة
للأنفهام • كأنه قيل انظروا في أعمالكم اليومية وأحوالكم الانسانية وما ينتابكم من أمور طبيعية فتفقدوا
صفاؤها وتأملوا كبائرهما • واعلموا أن لكل منها نجاة صادقة وطريقاً واضحاً فاعتبروا بكل منها وتدبروه
وتأملوا فيه وإذا كروه واعلموا أنه مامن صغير من الأمور ولا كبير إلا وله نأ ومسقر علمه من علمه وجهه
من جهه • فإياكم أن تمر عليكم الحوادث من السحاب فلا تهيمون لها وزناً ولا كلفون لها معنى وإذا
كنت قد ذكرت النعاس في غزوة بدر وجعلت لتزول للطرح حكمة عملية وثبوت الأقدام على التراب مكرمة
ربانية ولزوال وسوس الهواجس الشيطانية مزنة حكمية • هكذا فلتكونوا في سائر أموركم مفكرين وفي
جميع أعمالكم ناظرين - وما تكون في شأن وما تلومنه من قرآن ولا تصلون من جهل إلا كنا عليكم
شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك
ولا أكبر إلا في كتاب مبين -

(اللطيفة الرابعة)

هذه داعية الثبات مرقية الهبات • كيف لا وإن تحريم التولي يوم الزحف من أجل الأمور قدراً
وأعظمها أثراً وأشرفها مقاماً • وفيها احتشاق الحياة في عظامم للهبات • وعدم التولي يوم الزحف يكون
من آثاره قوة العزيمة التي هي سر الحياة ومناط الكمال ونهاية الفضائل • ولقد ذكر القرآن الصبر نحو
(٧٠ مرة) وجعله مناط الأعمال • وعليه مدار السعادة في الحال والمآل • وأعظم الصبر ما كان في بذل
النفس في سبيل المجد الآخروي والدينوي وشرف للمقام

(اللطيفة الخامسة)

فيها التواضع وأن يعرف الإنسان مقامه في الوجود فلا يشتر بما أتبع له من ظفر • وما أعطاه إياه القدر
ولا يلبس لباس الخسلاء • ويتبخر تبخر الحسناء • فإذا نال أمراً دينياً أو دنيوياً فليرجع إلى الله تعالى
ولا يكثر من الفرح بما آتاه - أن الله لا يحب الفرحين - • ولعلم أن الله هو الذي أعطاه ولا حول ولا قوة
إلا بالله - أن ذلك في كتاب أن ذلك على الله يسير - لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم -
وهذا آخر الكلام على القسم الثاني من سورة الأنفال

(القسم الثالث)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَتَتَّبِعُوا نَسْمُونَ • وَلَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ • إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّعُفُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ
• وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ، وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ
وَأَنَّهُ إِلَهُ يُمْحَرُونَ • وَأَنْشَأُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ • وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ
النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَضْرِيهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ • يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَوْفُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخَوْفُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ • وَاعْلَمُوا أَنَّمَا
أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ هِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ
يُخَفِّلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ •

﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قوله (ولا تخوفوا الله والرسول) أي عن الرسول (وأنت تسمعون) القرآن وللواضع سماع فهم وقصدي (كالدِّين
قالوا سمعنا) أي كالكفرة أولئك الذين ادَّعوا السماع (وهم لا يسمعون) سماعا يتفهمون به فكأنهم
لا يسمعون رأسا (إن شرَّ الدواب عند الله) شرَّ ما يندب على الأرض وأشرُّ البهائم (الصم) عن الحق
(البكم الذين لا يعقلون) إياه • عقمهم من البهائم ثم جعلهم شرَّها لأنهم أبطلوا ما ميزوا به وبه ففناؤا (خيرا)
أي سعادة كتبت لهم وأوتفقا بالآيات (الأسمهم) سماع قههم (ولوا سمعهم) وقد علم أن لا خير فيهم (تقولوا)
ولم يتفهموا به ولارتقا بعد التصديق والتحول (وهم معرضون) لعنادهم (استجيبوا لله والرسول) بالطاعة
(إذا دعاكم) أفرد الضمير هنا كما سبق في قوله تعالى • ولا تتولوا عنه • لأن ذكر طاعة الله والاستجابة له
للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله واستجابته من طاعة الرسول • وأيضا إن دعوة الله لسمع من الرسول (لما
يحييكم) من

(١) العلوم الدينية لأنها تحي القلوب والجهد موت • قال الاول

لا تجمعن الجهول حلتة • فذلك ميت وثوبه كفن

(٢) وما يورثكم الحياة الأبدية في النعم الدائم من العقائد والأعمال

(٣) وما يورث بقاءكم أحياء في هذه الحياة الدنيا وهو الجهاد إذ لو تركناه قتلنا العدو

(٤) وما يورث حياتكم الاخوية وهي الشهادة لله بالوحداية

طاعة الرسول واجبة للعلوم الدينية والعقائد الاسلامية والجهاد والشهادة • فبالأول حياة القلوب •
وبالثاني حياة الآخرة • وبالثالث حياتنا في الدنيا • وبالرابع حياتنا حياة أرى في الآخرة بالشهادة
ثم قال تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) وهذه الآية لها أربعة أمور أيضا

(١) فهو أقرب اليه من حبل الوريد • وهو عرق في الرقبة شبه الحبل • فهذا تمثيل لغاية قرب

من العبد

(٢) وهو مطلع على خفيات القلوب فيعلم ما قد يغفل عنه صاحبه كما سيأتي إيضاحه في التتوم للغناطيسي

(٣) فلينبه الانسان الى قلبه فليخلصه من الشوائب قبل أن يحال بينه وبينه فلا يتسنى له تصفيته

حين يحال بينه وبين قلبه مجنون أو يموت

(٤) وليعلم الانسان أن عزائمه تحملها الوسواس • وتفسخها المرحمات • وتفسها الشهوات • وقد

يحكم عليه بالكفر فلا يقدر على الإيمان وينم عليه بالإيمان فلا يكفر لشاؤنه في الأول عند الأول وسعاده فيه عند الثاني

(واحقوا فتنة) الفتنة الدنب (لانيصين الخ) أى ان أصابتكم لانتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمك أى اتقوا ذنبا يصمم أثره كأن يقر الناس المنكر . وكأن يداينوا فى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكان تفرق الكلمة . وظاهر البع . ويكسل الناس عن الجهاد . وهذا دالة على أن المسلمين جميعا متضامنون والفرد منهم مثل جميعهم فليتهم كل امرئ بمجموعهم (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) أى واذكروا أيها العرب إذ كنتم أذلاء بين فارس والروم لتفرقكم وبأيتها للمهاجرون أيضا إذ كنتم مستضعفين في أرض مكة تستضعفكم قريش (تخافون أن يتخطفكم الناس) أى فارس والروم للعرب عامة وكفار قريش وغيرهم من العرب للمهاجرين (فاواكم) جعل لكم ماوى تحصنون به من أعدائكم في الأول وفي الثاني (وأيدكم بنصره ويزقكم من الطيبات) الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (لا تخفوا الله والرسول) بأن تركوا الفرائض والسنن . أو بأن يكون ما تبطلون خلاف ما تظهرون . أو يكون منكم غلول في الغنائم (وتخفوا أماناتكم) فيها ينكم بأن لا تحفظوها (وأتمتعوا بطوبى) تبعة ذلك ووباله والخيانة عن عمدولستم باهين . أو أتمتعوا بحسن الحسن وقبح القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أى سبب الوقوع في الفتنة أى الآم والعذاب . أو حجة من الله ليلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم . فليوجه الناس مهمهم الى مراعاة حدود الله فان الناس جميعا متضامنون وليس أولاد الانسان وأمواله بمغنية شيئا اذا ماحق اهلاك بقومه وأموالهم وكيف يعيش المرء منفردا هذا لا يكون (يجعل لكم فرقا) هذه تشمل خمسة معان

(١) هداية في القلوب بها تفرقون بين الحق والباطل (٢) ونصرا تفرقون به بين الحق والمبطل (٣) ومخرسا من الشبهات تفرقون به بين الحق والباطل (٤) ونجاة عما تخافونه في الدارين (٥) وظهورا واشتهارا بالصيت والذكر الحسن لأن من نجا عما يخافه قد فرق بينه وبين الخوف منه . ومن اشتهر صيته فقد ظهر ظهور الصبح . يقول العرب ﴿بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان﴾ أى الصبح وهذه (المعاني الخمسة) حقة فان من اتقى الله هدى قلبه ونصر ونجا من الخوف وخرج من الشبهات لأن قلبه مرن على الحقائق فتتضح له الطرق . وهذه المعاني الأربعة ترجع لمعنى واحد وهو التفرقة بين شئ وآخر . أما الخامس فهو معنى آخر ويرجع الى الأول لأن الصبح يفرق بين الليل والنهار (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو (والله ذو الفضل العظيم) تذكير للمؤمنين أن ما أعده الله لهم بسبب التقوى انما هو فضل واحسان . انتهى التفسير القفلى . وهنا لطائف

(اللطيفة الأولى) - إن شر الرواب عند الله الصم البكم الخ -

(اللطيفة الثانية) - ولعلم الله فيهم خيرا لأسمعهم -

(اللطيفة الثالثة) - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون -

(اللطيفة الرابعة) - واتقوا فتنة لانيصين الذين ظلموا منكم خاصة - الآية

(اللطيفة الخامسة) - واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون -

(اللطيفة السادسة) - يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله والرسول -

(اللطيفة السابعة) - واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة -

(اللطيفة الأولى)

اعلم أن الانسان أرقى من عالم الحيوان وأقل من عالم الملك على سبيل الاجمال باعتبار المجموع ولم تكن

له هذه المنزلة الرفيعة والمقام الكريم وتكريم الله له لما اصف به من قوة الجسم وأشهوة الأكل أو القدرة على التناسل أو القوة العضلية أو التزين بالزينة كالطاووس فان ذلك كله شاركه فيه الحيوان وانما امتيازته بالعقل والعلم والحكمة . ولا جرم أنه اذا تزلزل عن مرتبته ألقى بمراتب الحيوان . فمن غلب عليه طبع القتال لذاته والغلبة عد من الآساد . أو السفاد عد من الصافير . أو الزينة عد من نوع الطاووس . وهكذا تعد الحيوانات نوعا نوعا . فغلب على الانسان طبع من هذه الطباع عد كأنه منها . وقد ذكرنا في سورة البقرة نحو أربعين طبعاً من طبع الحيوان عند قوله تعالى - واذا قال ربك للملائكة الخ - ولا جرم أن الحيوان الذي اصف بصفة خاصة لا عار عليه ولا عيب بل هو قائم بأمره عامل على شاكلته فأما ذلك الانسان الذي تزلزل عن مرتبته والتحق بالأفق الأدنى فانه مذموم مدحور كما قال تعالى - أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون - وهذا هو سر قوله تعالى - إن شر العتات عند الله الصم البكم الخ - . انتهت الطبقة الأولى

(الطبقة الثانية)

اعلم أن هذا العالم كله ما ظهر إلا على علم سبق ونظام أسس على مقتضاه . ومن هذا النظام هذه النواميس التي نراها وتقرؤها في هذا الوجود وعلم الله يشمل الواجب والحائز والمستحيل ولا يكون العلم إلا على مقتضى العلوم . فاذا اقتضى النظام العلم والأحوال الخاصة بمقتضى النظام أن يكون زيد كافرا لا يعقل لأن مزاجه لم يتأهل لذلك . كما ان الحيوان ليس أهلا لمراتب الانسان فانه لامحالة يكون في علم الله لا يقبل الايمان وهو لامحالة اذا جاء في الأرض لا يقبل الايمان . فالعلم يكون على مقتضى العلوم . كأنه يقول لو سبق العلم بأن فهم خيرا لاستعدادهم له لأسمعهم سماع تفهم ولم يرتدوا بعد . وكيف يرتدون وهم أهل للايمان فطرتهم ولو أسمعهم سماع تفهم في أول الأمر لتولوا عنه وهم معرضون لأن فطرتهم غير مستعدة للبقاء على ما فهموا فرضا . وعلى هذا يكون هناك فرق بين قوله - لأسمعهم - وبين قوله - ولو أسمعهم - (فالأول) سماع تفهم مع الدوام عليه (والثاني) سماع تفهم في أول الأمر فليس بينهما التقاء فتأمل . انتهت الطبقة الثانية

(الطبقة الثالثة)

اعلم أن الله قد خلق الانسان ولم يمكنه من الاستيلاء على جميع قواه فجعله أشبه بالقيم الذي يملك مالا . ألا ترى أن الانسان يحال بينه وبين ما يملكه في أحوال

- (١) كالنوم فالتائم ربما لا يتذكر شيئا من أحوال يقظته ويرى أنه في أحوال أخرى
- (٢) المجنون (٣) للمغنى عليه (٤) الذي شرب الخمر (٥) الذي تعاطى الأفيون والمخدرات الأخرى
- (٦) أحوال المرض فقد ينسى في المرض ما كان يتذكره في الصحة
- (٧) ويتذكر عند الاحتضار أمورا لم يكن يتذكرها في صحته (٨) وفي القائد كالإيمان والكفر
- (٩) والذنوب والأعمال الصالحة . فكثيرا ما يقصد الانسان الامتناع عن الذنب فيقع فيه . وكثيرا ما يقصد الخير فيقع في الشر . أو يقصد أن يفعل سوأ فيصرف عنه
- (١٠) تأثير الخطيئة والشعراء فانها تصرف الانسان بما نهيج به فؤاده بالأقوال الحلاية والأبيات الملوذونة فتصرفه عن غرض الى غرض مهما حاول التخلص وأراد الامتناع

(١١) الوسط والبيئة . والتعلم والديانات . والعادات للورثة والمكتسبة . كل هذه تجر الانسان الى طبائعها مهما حاول الانسان التخلص منها والتخلص من أذاها . ناهيك ما قرره العلامة (جوستاف ليبون) في مؤلفاته من أن الوسط والبيئة وآراء الشعب تؤثر في العلماء والجهلاء على حد سواء . فتجد للشعب كله هزة

واحدة ورجة واضطراباً واحداً مسوقين الى ذلك . لاسلطان للنطق على عقولهم . وأما السلطان لذلك المؤثر العام الذي استحوذ على العقول فجمعها كما حصل في فرنسا وتركيا ومصر والمهند من القوة الوطنية والقيام كأنهم رجل واحد للاستقلال . وترى الشاب وهو أوص الناس على لذاته قد حيل بينه وبينها فيقدم نفسه للهلاك وللموت الزلوم في سبيل اقتاذ بلاده . وهذه الخبايلة نعمة عليه وعلى الناس .

ومن هذا للقيام ما أظهره العلم الحديث وأرانا الجبال . والحبب الجباب . والسحر الخلال . والجواهر القيمة . والعقود النظمة . والبدائع الشاقة . والمحسن الراحة . والفن والمرجان . وغرائب الانسان (ذلك) في التنويم للغناطيسى . ومماثل الانسان في أطواره الأربعة الآتى ذكرها في ذلك العلم لاكتل العاتة والعلاء . فأما العاتة فلا يعرفون من هذه الدنيا إلا الظواهر وهم من مواطنها معرضون . وأما الخاصة فهم على ثلاث درجات (الأولى) للتعلمون في المدارس الابتدائية (الثانية) للتعلمون في المدارس الثانوية (الثالثة) للتعلمون في المدارس العالية . فهذه أربع درجات العاتة والابتدائيون والثانويون والعاليون

أفلا ترى أن من لم يتعلم في المدارس العالية يجعلها ويعرف الدرجات الثلاث قبلها وأيضاً للتعلم الابتدائي يجعل الدرجتين فوقه ويعرف ما قبله . والعالي يجعل الطبقات الثلاث فوقه ويعرف درجته هو . اذا عرفت هذا التال فاسمع ما أقول لتعرف سر الله في القرآن وحكمته في الفرقان

يقول علماء (التنويم للغناطيسى) ان له ثلاث درجات كما حتم في هذا التفسير (الأولى) أن يفقد الاحساس ويكون قابلاً لكل ما يليق به المتوهم بكسر الواو (الثاني) أن يفقد الاحساس قدماً تاماً ولكنه يتكلم ويسمع ويبصر ولكن لاسلطان لحواشه عليه (الثالث) أنه يعرف نفسه معرفة تامة ويصف عله وعلاجه ويعرف أحوال الناس من بعد سحق ويبلغ عن حوادث مستقبله ويتكلم بلغات شتى ويرى أرواح الأموات ويصف هيئتها وينقل الى الجالسين أقوالها . ولقد قال علماء هذا الفن ان النائم في الحال الأولى يتذكر كل ما عمله في البقطة . وفي الحال الثانية يتذكر كل ما فعله في البقطة وفي الحال الأولى وفي الحال الثالثة يتذكر كل ما فعله في البقطة وفي الحال الأولى والثانية . وهكذا اذا رجع القهقرى فيحجب عنه علم ما فوقه ويكون عالماً بما هو تحته . أفليس هذا عجيباً جداً وأصبح تمثيلنا بالتلاميذ في المدارس وبالعاتة تشيلاً عجيباً . أفلا ترى أن هذا من الحبب الجباب وأن الانسان منا في هذه الدنيا يجعل نفسه كل الجهل وأن الله حال بينه وبين قلبه وانه قادر في حال من الأحوال أن يرى الأرواح ويحاطبها ويعرف مستقبل الامور ويعرف البسيعته . وهذا أصبح أمراً معروفاً قد شاهدناه بأنفسنا . ولقد حضر في مصر قوم من أو وبا رنؤموا هذا التنويم في هذه السنة وساعدتهم رجال الحكومة والشرطة وهناك دبرت سرقة فلما أناموا رجلاً منهم بحث عن السارقين وسرقاتهم وأحضرهم من أما كن مختلفة وهو مفضض العينين . فهذه العالم أصبحت معروفة للعاتة والخاصة أي لمن اطلع منهم عليها . أفلا ترى اننا قد حال الله بيننا في الدنيا وبين ما لدينا من علوم ومعارف وجمال وكال يزيدينا كمالاً بهذا الجهد وبهذا الجهل الذي لولاه لكسلنا عن أعمال شريفة . ولكم غطي عالمنا وسر عنا عيوباً وكالات في أنفسنا نعم ونشقي بها وهي ستكشف عند الموت قال تعالى - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - (وهنا أسمعك الحديث) قد روى مسلم عن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ان قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء) ثم قال ﷺ (اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك) اه

أوليس من للمجزة الفرائية والجمالب الحكمية أن يقول الله في هذه الآية - واعلموا أن الله يحول

بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - فهو يقول دائماً ذا حبستكم في الدنيا وحلت بينكم وبين عالم الأرواح وما أطوت عليه نفوسكم فإذا سلتمكم من عالم الأجسام وخلعت أرواحكم من هذه الأحلام حشرتكم إلى وأتم مطلعون على جميع ما أنصتم به من خير وشر • وكأل وتقص • ولذن يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ويقال - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً • وما عملت من سوء توفى لوان يثا وبينه أمدا بعيدا • ويجزركم الله نفسه -

فكأنه قيل في هذه الآية قد حلت بينكم وبين مكنون أعمالكم وأخلاقكم وعالمكم لكي تباروا على الأعمال التي تريدكم رقياً كما حلت بين نهر النيل مثلاً وبين اقتشاره بلا ضابط ولا نظام كيلا يتفرق الماء بلا منفعة وإنما حفظته ليسقي الزرع ويدبر الضرع • فهكذا أتم لم أمكنكم من عوالم الغيب والأرواح الجيلة اتفاقاً عليكم وحياً في كالمكم كي تزيدوا استبصاراً واستقارة بالأعمال والجهاد والكمال • وهذه هي الحياة فإذا انكشف الغطاء وقد صرتم في المرحلة الثالثة وذلك باللوت حشرتكم إلى • فاذن الحياة حجاب والحشر كشف ولا يكون ذلك إلا بعد اللوت • فتجيب من بدائع القرآن وغرائبه • وكيف ذكر الانتقايين الحياة بالحياة والكشف باللوت والحشر • ان في القرآن للجائب وبدائع وما يدركها إلا العالمون بكسر اللام { لمحات الأنوار وبواهر الأسرار في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه الخ - }

هذه الآية هي السر الذي ظهر في هذا الزمان بما حصل للمسلمين من الضعف والانتكاس • ان الله عز وجل يحول بين الناس وبين قلوبهم وهذه الحياة تنحصر في ثلاثة أقسام (أولها) الأصول الصناعية النبوية (ثانيها) الأصول الخلقية (ثالثها) الأصول العلمية

أما الأصول الصناعية التي بها يقوى الناس في سيرهم في حياتهم الدنيا وبها يؤدون ما فرض عليهم منها للنافع الماتة فذلك (نوعان) نوع علم في المسلمين وغيرهم ونوع خاص بالمسلمين • أما النوع العام في المسلمين وغيرهم فذلك هو البخار والكهرباء والطيارات في الجو • هذه صناعات كانت مجهولة للأمر كلها شرئها وغيرئها • مسلها وغير مسلها

(١) كان الناس يرون بأعينهم البخار في قدورهم وهم يطبخون طعامهم صباحاً ومساءً في الشرق والغرب وأعينهم تنظره وهو يعالو إلى الجوق وإذا وضعوا الغطاء على القدور أخذ البخار يضط عليه ضغطاً شديداً ولوسقوه سداً محكماً لتحرك القدر بما فيه • كل ذلك كان الناس يشاهدونه • ولا ريب أن الذي يضط على القدر هو نفسه الذي يحرك القطار في البر والسفن في البحر بطريق العقل ولكن الله حال بين الناس شرقاً وغرباً وبين هذه النتيجة حتى أن وقتها فأبرز هذا السر على يد قوم من ضعاف خلقه في أوروبا وأدركوا اليوم أن هذا البخار أخف من الماء (١٧٢٨ مرة) كما أن الهواء أخف من الماء (٨٠٠ مرة فقط)

(٢) وما من امرئ غلباً في الشرق والغرب إلا وقد علم أن الكهرباء يجذب ما يقرب اليه من مواد خفيفة ولكن الله عز وجل حال بين الناس وبين قلوبهم فلم يتبعوا هذه الظاهرة حتى يستخرجوا منها تلك القوة التي بها صنع كل شئ من سقى لأرضنا وطحن لبننا الخ وأبقاها حتى أظهرها في هذا الزمان لما كثر نوع الانسان

(٣) (١) وما من امرئ إلا وقد شاهد أن الدخان الخارج من أفراننا ومطابخنا يعالو إلى الجوق وأن المواد الخفيفة كالريش تطير فيه وهكذا يرى الناس الأطفال أيام العيد يلعبون بكرات تطير في الجوق

(ب) وهكذا يرى الناس الطيور تطير في جوق السماء وأجسامها أهقل من الهواء • فهذان النوعان من الأجسام أي الخفيفة التي لا قوة ترفعها وتحركها والثقيلة التي لها قوة ترفعها وتحركها • أظهرها الله للناس في الشرق والغرب ومضت آلاف السنين وقد ستر الله هذا العلم عن قلوب الناس وإن كانت أبصارهم مفتوحة حتى

إذا جاء الألوان وأراد اظهار السر أوعز الى أناس بالاطعام فاخترعوا النوعين من الطيارات النوع الخفيف الذى يسمى مراكب الهواء باللسان الافرنجي (ايرشيب) ويسمى بالعربية (منطاد) والنوع الثقيل الذى وضعت فيه القوى المحركة وله لوجان كجناحي الطائر وهو يسمى (عربية) بالطيارات . وسترى ايضا هذا فى سورة النحل ان شاء الله مع صور تلك الطيارات وفى سورة تبارك لتعجب من صنع الله عز وجل الذى حال بين قلوب الناس وبينه فى الشرق والغرب فلم يفتنوا للبخار والكهرباء والظلم وغيرها الى أجل مسمى هذا هو القسم الأول من الأصول الصناعية التى حجبها الله عن الناس قاطبة وحال بين قلوبهم وبينها وإن كانت أعينهم مبصرة وقلوبهم مفكرة فهو بقدرته وحكمته لمصلحة حال بينهم وبين ذلك السر العظيم الذى يرونه بعيونهم . وهذا معنى قوله تعالى - فانها لا تصمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التى فى الصدور - فهنا أبصر الناس جميعا ولكن الله أعمى القلوب عنها لحكمة حتى جاء الألوان

وهذا ونحوه هو السر الذى قال الله فيه - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - وهو الحجاب فى قوله - وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا - فالجلب والسد لا يريان ولكنهما موجودان عند أكثر النوع الانساني

﴿ النوع الثانى من الأصول الصناعية التى حال الله بين المسلمين خاصة وبينها ﴾

ان المسلمين فى اقطار الأرض مهما كانوا لآرامهم إلا على وتيرة واحدة جهل تام بأكثر الصناعات ونوم عميق وذلك متراكم إلا قليلا منهم . لماذا هذا لأن الله حال بين أكثرنا وبين المعارف . لماذا والقرآن طامع بالنظر والفكر . ذلك لأن أكثر رجال الدين ورثوا علوما خاصة عن أشياخهم فعلوها للناس ولم يشقوهم لغيرها وصار هذا خلقا يتوارثه الخلف عن السلف . والانسان ابن عاذنه وابن بيتته فظنت الأجيال المتتابة أن ديننا ليس له دخل إلا فى أمور العبادات ونحوها . وهجر الناس كل علم وكل فن حفى بها أم غيرنا وأصبحت فى أخريات الأمم . فهذا لما حال الله بيننا وبين تلك الصناعات بسبب الأعماء والجهلاء وبعض العلماء المقلدين الناعمين على فراش الراحة الوئيد بما اكتسبوا من العادات وما ورثوا بالتقليد عن أشياخهم فهم لا يعلمون . كل هذا والسلم يرى ويسمع أن الأجانب لهم الكلمة العليا فى الصناعة والتجارة والقول الفصل فى السلم والحرب بما نالوا من قوة الصناعات ولكن حال الله بين المرء وقلبه

فترى السلم يرى بينه الخطر المحقق ولكن التقليد وسوء الملكة والعادة ملك عليه مشاعره فأصبح كالأعمى كما اتفق للمصريين القسما إذ عبدوا الهرة فلما حاربهم قبيز ملك القرس وضع اطرر بين الصفيين فانتزع المصري عن الضرب فدخلها القرس وماكوها . هكذا حال المسلمين اليوم . وبهذا تم الكلام على الأصول الصناعية وهى القسم الأول من الثلاثة

﴿ القسم الثانى من الأصول الخلقية ﴾

يعيش الانسان فى بيئة ووسط فيه مخافات خلقية وآداب منحة فترى بسبب الممارسة للتبعية وبما يرى من أساقفته وأخواته يتزك الى أخلاقهم وإن لمس الضرر بنفسه . ألا ترى رعاك الله أن الناس شرقا وغربا يشربون الخمر ويدخنون (الباقى) ويتعاطون ما لا يبيحه الطب وهم يعلمون أنه ضار كقهوة البن والشاي بل ان بعض الأطباء الذين يعلمون ضرر السكرات هم يشربونها . لماذا هذا . لأن العادة غلبتهم وحال الله بين الناس وبين قلوبهم . فهنا الحيولة بسبب الشهوات والقبادة وفى الطيارات والكهرباء والبخار التى تقدمت بخلاف الكسل والتقليد واعتقاد للتأخر أن المتفهم قد أكل كل شئ فى الوجود

﴿ القسم الثالث من الأصول العلمية وهى فصلان (الأول) فى العلوم العامة (والثانى) فى معرفة الله تعالى ﴾

(الفصل الأول)

درج المسلمون في الصور للتأخرة على كتب اعتادوها وعلوم مارسوها كالفقه وعلم التوحيد وظنوا أنهم بهذا رضوا ربه فقال الله بين كثير منهم وبين قلوبهم بسبب الخاطلة والمعاصرة والتقليد الأعمى واعتقاد التلميذ أنه ليس وراء علم أستاذه علم . وقد فرحوا بما عندهم من العلم . - وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون -

يرى المسلم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والجبال وقد أكمل دراسة علم الفقه وعلم التوحيد على الطريقة التي ورثها عن أسلافه من سنيين وشيعيين . يرى جمالا في هذا الوجود . يرى حكمة عالية . يرى نور الله ظاهرا يكاد يذهب بالابصار . يرى قلب الليل والنهار . يرى جمال الأنهار وبهجة الأشجار ونور الأقاليم وجمال الوجود فيروعه ولكنه يحجب عن التفكير فيه لأنه اكتفى بما قرأ في الكتب للمورثة فكأنما هذه الكتب لجام له . أو كأنها سجن سجن فيه . وقد أشير لها في الحديث الصحيح الفيد أن العالم الذي لا يعمل بعلمه يدور في النار كما يدور الحمار في رهام . فأكثر المسلمين يدورون في كتب مخصوصة في الدنيا كأنهم يشاءون بذلك ما سيحصل والبيضاء بالله يوم القيامة لغير العاملين بعلمهم في جهنم . فالتعلم الذي غشى بصره عن الحقائق يدور في الكتب التي قرأها ويرجع إليها مرة بعد أخرى ويحبس فيها حبسا مستمرا ويموت جاهلا بهذا الحبس نفسه . حبس للمسلمون عن العلوم وهذا الحديث الذي ذكرت لك ملخصه كأنه يشير لهذا الزمان . ولعلك تقول ان هذا جراءة منك وكيف تصرح بهذا القول . أقول لك لست أنا المبتدئ به فاسمع ماجاء في الاحياء . فقد أورد للمؤلف في الجزء الأول اعتراضا على نفسه ملخصه (كيف جعلت حد المتكلم أنه يحرس عقيدة العوام عن نشوئهم للبتدعة فهو أشبه بالحراس في طريق الحاج يحفظون الأقدسة أن تخططها الأعراب وجعلت حد الفقيه أنه يحفظ القانون الذي به يستعين السلطان على كف الأشرار مع ان المشهور بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وقد جردتهما من الصفة للدينية . كيف هذا) هذا ملخص الاعتراض الذي أوردته صاحب الاحياء على نفسه . ثم أجاب عن هذا الاعتراض بما يطول شرحه وملخصه (ان ما هو مشهور يخالف الحقيقة فعلى الانسان أن يعرف الرجال بالحق لا بالسكن) وأشار الى أنه عليه السلام مات عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كأبي بكر وعمر ولم يكن فيهم أحد يحسن صفة الكلام ولا يصف نفسه للفتيا منهم إلا بضعة عشر رجلا . ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم . قيل له أتقول ذلك وفيما جلة الصحابة . فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام وإنما أريد العلم بالله تعالى . قلت أفترى أنه أراد صفة الكلام والجمل ثم ذكر أن الشهرة عند الناس بالفقه وبالكلام غير الشهرة عند الله . وأفاد أن شهرة أبي بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وفضله بالسرا الذي وقر في نفسه . وشهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وفضله بالعلم الذي مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله في ولايته وعمله وشقيقته . وبهذا تم الكلام على الفصل الأول من القسم الثالث في الاصول العلمية

(الفصل الثاني من الاصول العلمية في معرفة الله تعالى)

وذلك أن الانسان يحول بنفسه خواطر وتتوارد على عقله وساوس فيقول كيف يكون الله واحدا وهو مع كل انسان وحيوان صغير وجيل . وكيف يسع هذا العالم كله . وكيف يطلع على مافي قلبي وقلوب كل مخلوق . ثم كيف يكون قريبا مني مع أنه عظيم كبير متعال فكيف يكون قريبا بعيدا . يقول المؤمن أنا آمنت بالله ولكن الذي يريد أن يتضح ذاك له ولو بضرب مثل . أذكر لك أيها الذي لمحال بنفسى يوم الاثنين ١٧ يابر سنة ١٩٢٧ أثناء تقديم هذه السورة للطبع إذ جلست نحيى في ضوء الشمس وهو سبب هذا الموضوع كله

(الله والشمس)

اعلم أن الله عز وجل ضرب للناس مثلا محسوسا لنفسه (ذلك) أن الشمس (١) كبيرة جدًا (٢) كثيرة الضوء (٣) بعيدة عن الأرض بعدا شاسعا ويراها الانسان (٤) قريبة منه (٥) وإذا جلس للاستدفاء بها يراها في مقابله كأنها لا تقابل غيره وهي قدر اطار للنخل (٦) والضوء الذي ترسله له خاصة لا يحصر لعدد ذراته . هكذا الله الذي ليس كمثل شئ (١) كبير عظيم (٢) كثير الانعام (٣) بعيد المرتبة والعظمة من الانسان (٤) وهو قريب علما وقدرته منه (٥) وكأن النعم التي في الأرض وفي السماء لم تخلق إلا لتكون لك أنت وحدهم لأنك لا تميت إلا بهذا النظام العام (٦) والنعم التي يرسلها لك لا تحصى

هذا هو المثل المحسوس الذي يراه الناس والحيوان وهم لا يفتنون

(ابراج بعض صفات هذا المثل وهو الخامس)

وذلك أن الانسان اذا استدفأ بنور الشمس شتاء مثلا يرى انها تقابه كأنها دائرة الطويل وينظر عينا ويساوا فلا يرى شمسا إلا هذه . وإذا كانت هي للقابة لك فكأنها لا تقابل غيرك . ثم ان كل انسان على سطح أرضنا يرى هذا الرأي وهكذا كل حيوان أرضي أو طائر فكل هؤلاء انما ينظرون ما يكاد يخيّل لهم أنه خاص بهم . هذه حال كل شئ على الأرض يجلس والشمس بحذاءه لا سواه وهي في الحقيقة بحذاء كل واحد من سكانها حيوانا وانسانا . ثم ما يقال في أرضنا يقال في سواها من السيارات وتوابعها وما أكثرها دوائر حولها وما أصغر أرضنا وأحقرها بالنسبة لضريحها من السيارات وهي صغرى وكبرى ومجموعها بعدة المثلثات لأن هناك سيارات صغيرة دوائر حول الشمس كما هو مدون في هذا التفسير كثيرا . وهكذا حولها ذوات الأذنان التي يقولون عنها انها كسمك البحر عتدا . فالشمس حولها ما لا يعد من توابعها والسكان في تلك الكواكب والتوابع والأقمار اذا وجدوا تكون هذه حالهم بحيث يخيّل لكل انما خاصة به عند مقابلتها . وهذا المثل يوضح لنا قوله تعالى (١) - ونحن أقرب اليه من جبل الوريد - وقوله تعالى أيضا (٢) - وإذا سألك عبادي عني فاني قريب - وقوله (٣) - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم يبينهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم - وقوله (٤) - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وقوله (٥) - وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير - (٦) وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلمتم - (٧) - هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض الخ - (٨) وقوله - إن الله سريع الحساب - (٩) وهكذا قوله هنا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه -

لهذا المعنى يشير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وستقرؤه في سورة النور وتجب من أن هذا المعنى قد ظهر ظهورا جليا في أحاديث رؤية الله تعالى . ففي حديث الشيخين عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر الى تمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته (أي لا تزدحمون اذا شددت الليالي ولا ينالكم ضم اذا خفت) فان استطعتم أن لا تلتفتوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح بحمده بك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب - وذكر في حديث أبي داود أيضا الشمس ليس دونها سحاب . ولم يذكر هذه الزيادة الترمذي وإن تعجب فحجب ما سمعه من حديث أبي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله أكلنا يرى ربه غلظا به يوم القيامة قال نعم قلت وما بآية ذلك في خلقه قال يا أبا رزين أليس كلكم يرى التمر ليلة البدر غلظا به قلت بلى قال فأنه أعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فأنه أجل وأعظم أخرجه أبو داود * وفي حديث مسلم أن رسول الله ﷺ قال اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا أزيدكم

فيقولون ألم تبيض وجوها ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف الحجاب لها أعطوا شيأ أحب إليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى له

فتأمل حديث أبي رزين • واجب كيف ضرب مثلا يشبه ما نحن بصدالكلام عليه من أن الله يتجلى لكل أحد كأنه له خاصة بحيث يتابعه الانسان والحيوان وكل حشرة ودابة • فكل هذه تسأله الرزق وشؤون الحياة كأنه خاص بها • وتأمل كيف كانت هذه الحال مشبهة مثل الشمس والقمر معنا • فأما الرؤية نفاضة بأقوال من نوع الانسان بخلاف السؤال فهو علم • ان هذا التشبيه لا يحطّر ببال شاعر ولا كاتب وإنما هو من مقام أعلى وهو مقام النبوة

واعلم أن الوصول للحقائق العلمية بعد التخلي من الأخلاق السائدة هو الوسيلة لرؤية الله تعالى والرؤية بالبصر أمر حيواني • أما الرؤية بالاحاطة بالعالم فهو الموصل لذلك للمقام • ومن لم يجد في نفسه شعورا بالنظام الجليل في هذه الدنيا فكيف يتصور أن يرى موجد هذا النظام • ان الله خلق الجبال في صور الانسان والمخلوقات ليعلم الناس الهيام والفرام بالظواهر اذا كانوا جاهلا • ويرتقي العلماء بالهيام بما هو أجل وأكمل وهو النظام العام والاشراق التام والحكمة الباهرة والأنبياء فوقهم جميعا • اقرأ مقام الحبة في سورة البقرة عند قوله تعالى - يحبونهم كحب الله - • ان من لم يدرك جمال هذا الوجود في هذه الحياة فليس له حظ من رؤية ربه التي نالها العلم وإن ما نكتبه في هذا التفسير يعين على ذلك • فإذا كنت أيها الذي به مفرما فاعلم أنك قد فتحت لك باب الوصول ولا تكوص لك بعد الآن وخربت من الجاهل الذين دخلوا في قوله تعالى هنا - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - فهو لا تكون العلم حاضرة أمامهم وهم لا يعقلونها

تبين لك من هذا كله أن مثال الشمس واضح جلي ولكن الله يحول بين الانسان وبين قلبه فلا يكاد أكثر الناس يعقلون سبب هذه الحيلة • ان الله قريب منا مع بعد مرتبة عنا وأنه أقرب إلينا من الوريد الذي هو عرق في الرقبة • بهذه الحيلة يمتنع الانسان عن قتل ما هو محسوس ومحيط به من كل جانب • ولولا هذه الحيلة ما تاملت الناس ما يضرهم من مطعم ومشرب • ان الناس فوق الأرض يكادون يكونون مغفوفين من النور والجمال بل هم في الحقيقة جمال ونور • ان المادة التي منها خلقنا ما هي إلا كهرباء مدججة كما هو آخر رأى العلماء أرواح مجدة كما هو رأى العلامة (استوارت ميل) وكلاهما نور

هنا بالنسبة لأجسامنا • أما أرواحنا فأمرها ظاهر • والانسان مع هذا كله حيل بينه وبين ادراك حقيقته الجلية البهية الساطعة وهذا من سر هذه الآية فان الله حال بيننا وبين قلوبنا ولولا هذه الحيلة لكان في نور مشرق وجمال باهر يجعلنا في جز من النور والجمال والبهاء الى الأبد • فهذه الحيلة جاءت لسكنا هذه الأرض المظلمة لتتربى فيها عقولنا مدة ثم تنتقل الى عوالم أخرى

(شفاه الصدر ومشرق النور من شمس بازغت ومعان باهرات في هذه الآيات)

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول اذا دعاكم لما يحكيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون الخ)

ان قوله تعالى - دعاكم لما يحكيكم - وقوله - يحول بين المرء وقلبه - فتع باب على مصراعيه للعقول أن تلج الحكمة لتحيا والا حيل بينها وبين السعادة بموت القلب والقلب هنا هي اللطيفة القدسية المنبثقة من العالم الالهي • فلنذكر هنا وصف العوالم المشاهدة من كوكب وقمر وشمس وسحاب مطر زهوس قزح ثم تبقى بجباب الجسم ثم النفس التي هي المقصودة بالحياة • وكيف كشف للناس انها تعتر بها حال تصبّح فيها عالة بالستقبل وتكلم بلغات شتى حال الاختطاف الروحي بالتنويم والله حال بيننا وبين ذلك كله وهو اليوم

يدعونا لطاعته ليكشف عنا الخطاء يوما ما ولو بعد الموت فنقول الدنيا قصر منيف على الأكثاف واسع
الأنوار . نظرت الى سقفه اذا هو مجمع العجائب ومثار العرايب قدوشى بطرائف التطريز ونقش بكل
جميل عزيز . ازدان بالهدر والمرجان . وتلاذلا بمختلف الألوان . نور وهاج . ومراج يتلوه سراج .
فبينما تراه حالك السبابس . مسود الجوانب . مرصعا بالدرارى البهجات . المشرقات فى الظلمات .
اذا بملاء يضاء قرينة منسوجة من القنفة قد نشرت على وجوه تلك للمشركات . وتارة يخيل لى أن ذائب
اللجين سال فى جنبات القصر وصار الجوبة كالنهر . ذلك هو نور القمر . أقول فبينما أنا على تلك الحال
اذا حادت غير تلك للعالم ونسخ تلك العوالم وهى عرائس الصباح ونواصى الطرف الصباح راقصات فى مشارق
النور تتلاذلا بهجات . وزدهى ساحات . بألوان مختلفات . وتتجلى سافرات . وقد يخيل للرائى أن
أمواج النور تتجافل . وبعيوش بواصل . بأسنة لولمع . ومهندات قواطع . برزت فى المشارق وترأت
فى المطالع . احتفالا بمقدم ملكة الكواكب . وسيدة المشارق والمغارب . ذلك هو وصف الصبح
فبينما نحن نرقب عجلاتها . لنشاهد عجايبها . اذا بالفضالة برزت كالذهب الابريز . زينة للناظرين
وجهة العالمين . فذشرت على السماء جلبابا لازورديا . فبرقت وجه القمر والنجوم . وفرشت على
الأرض بساطا ذهبيا منمقا بجميل الأشجار وبديع الأزهار . مزخرفا بما فى الحشائش والزرع من بدائع
الألوان المختلفة الأشكال للزدهرات البهجات

﴿ وصف السحاب وقوس قزح ﴾

وتارة تنفس أيدى الرياح فى الجنوب أو الشمال مطارف مدحامات وحللا داكنات مدليات من الأعلى
الى الآفاق . فى سمت الرأس أعاليها . وعلى الأرض حواشيها . وقد طرزهها قوس السحاب بأصفر فوق
أخضر يتلوه أحمر وأصفر

وقد نشرت أبهى الجنوب مطارفا • على الحق دكنا والحواشى على الأرض
طرزها قوس السحاب بأصفر • على أخضر فى أحمر تحت مبيض
كهيمته خود أقبلت فى غلائل • مصبغة والبعض أقصر من بعض

تلك حال هذا الوجود الذى تعيش فيه . فدينانا جميلة الحيا باهرة المناظر . ساحرة الطرف . رشيقة
القد . غيداء . هيفاء . كلال . عينا . ازينت للناظرين . زينة لرب العالمين . فهى عادة لعوب .
وفاتنة طروب . من عادتها الدلال والتبخير فى الغلائل لا الأغلال فهى كما قال كعب بن زهير
فما تنوم على حال تكون بها • كما تلون فى ألوانها الغول

﴿ الكلام على الكتب السارية والمعارف النفسية والكتب الحكيمية ﴾

هذه صفات العوالم المشاهدة التى لأجلها نزلت الكتب الدجاية كالنوراة والزبور والانجيل والقرآن
وألفت الكتب وخلقت الحكماء وتتابع العلماء . فهنا وحى يوحى للنوى النفوس الشريفة وكتب تؤلف
على أيدى حكماء ذوى جد وتشهير ونفوس منقوشة بتلك العوالم مزدانة بأجمل تلك الجواهر
إن لله أبهى لنا هذا الوجود كتابا نقرؤه . هذا الوجود كتاب مسطور فى رقة منشور . كتاب
كتبه يده . وما أحسن كتابه . وما أجمل عمله . وما أبدع صنعه . كتبه وزينه وأحسنه . كتب
الله هذا الوجود بحروف كبيرة تم أوحى الى الأنبياء فكانت الديانات بألفاظ نسمعها وحروف نكتبها ومعان
نقلها نذل على نظام هذا الوجود ثم ألهم الحكماء من كل أمة والأولياء من كل دولة قدوة ونوا وألقوا لافهار
أسرار الديانات بمختلف اللغات لاجتلاء تلك للشاهدات وفهم الغائبات عن الحس والإبصار

﴿ الجسم الانساني ﴾

ثم انه أسكن نفوسنا في أجسامنا ونقش الأجسام بنقوش تضاهي نقوش هذا العالم الكبير فنظم الهيكل الانساني وأبدع فيه من كل سر خفي ومظهر جلّي . فنظم الأعضاء ووزنها ووزق الوجوه وحسنا ونقش الألوان وزوّقتها وسوّى المقاميل وأحكم الأعضاء وأبدع الحواس وفصل الخواص ورتب الأششاء ونظم مجرى الغذاء وطريق النفس وموارد الدم ومصادره . كل ذلك شرحته في سورة آل عمران شرحا جميلا ونسقته هناك تنسيقا قويا

فهنا كتب الدين يسمعا الناس كلمات في الهواء بأنهم أوبصرونها في الكتب بعيونهم ونظام هذه الدنيا حروف كبيرة يقرؤها المفكرون ويعرفها المالمون (جمع عالم) بكسر اللام ومختصر هذه الدنيا هو الجسم الانساني فيه معنى العالم كله كما مر في آل عمران . اذن النفس لها لوحان لوح كبير هو هذا العالم ولوح صغير هو هذا الجسم . ولها دالتان دلالة الكتب السماوية ودلالة العلوم الحسكية . هذه هي علوم الأولين والآخرين . فاقرا كتب الدين وتأمل نظام هذه الدنيا وادرس عجائب جسمك . بهذا تكون حكيما وصديقا نابعا لنبينا ﷺ بل وارثا من كبار الوارثين

﴿ النظر في النفس ﴾

وياك أن تغفل عن أفضل الامور وأجلها قدرا وأعظمها خطرا . ألا وهو القلب . وقد ورد في الآثار ﴿ قلب المؤمن عرش الرحمن ﴾

ان ماقلته لك في هذا المقال املاء من القلب فلا كتاب لى ولا منظر أسمى . فانا الساعة لست أنظر الى السماء ولا الصباح ولا الليل والنهار ولا أسمى الأشجار ولا الأنهار . ولكنى أكتب من لوح القلب . ان الكتب السماوية والبروس الحسكية وعجائب هذه الدنيا وغرائب الأعضاء الجسمية . كل ذلك يقصده تكميل النفس بتلك النقوش واسعاها بما في الطروس

كل ما في هذه الدنيا عيان ولسان وبنان ووجنان . فالعيان كل ما نعينه من السموات والأرضين وغيرها والكلام باللسان والكتابة بالبنان معبران عن ذلك العيان والقلب هو الذى رسم فيه تلك النقوش

﴿ غفلة الناس عن القلب ﴾

يعيش الناس ويموتون وأكثرهم لا يعلمون أن هناك علما كبيرا كامنا في قوسهم . الانسان يؤمن بأنه يرى ولكنه لا يصدق أن نفسه عالم كبير لا يراه الناس وإنما يراه هو . أنا أكتب هذا وكأني أشاهد في لوح نفسى النجوم والسماء والشمس والقمر والصباح والمساء وأشاهد رسوم الأعداد من الواحد الى العشرة الى الألف وهكذا وألاحظ كل ما بقى من المحفوظ من علم أو نظم أو أثر وكل محفوظ يحيل للنفس أن له مكانا رسم فيه وكان هذه النفس عالم واسع قد ابتلع عوالمنا التى نعيش فيها وزاد عليها . أنا أكتب هذا وكأن نفسى هى التى تخلى على

يقول العلماء اذا عرف الانسان هذا الوجود كله وجهل نفسه فقد جهل كل شئ . ان النفس هى الباقية لنا في سفرنا وحضرنا وموتنا وحيانا وهى التى فيها رسمت كل هذه المظاهر فصار لروحنا الذى قرره أنظر الى رسوم نفسك ترها عجيبة وأضرب لك مثلا بالأعداد والكلام المحفوظ والكواكب . أنت أتدرك أنك تحس في نفسك بالأعداد مرتبة منظمة بترتيبها ولولا هذا الترتيب ما عرفت العدد ولا كوفت الحساب وتسمع الجبل العلوية تترسم صورتها في نفسك حتى اذا احتجبت اليها عرفتها ونفقتك . وتفكر في الشمس والقمر فتراها حاضرين في قلبك . هذه ثلاثة أمثلة ﴿ فالأول ﴾ وهو العدد لا وجود له في الخارج وإنما وجوده في نفسك فقط وليس في الخارج إلا المعداد ﴿ والثاني ﴾ وهى الجبل ما هى إلا ألفاظ والألفاظ صوت

والأصوات حركات في الهواء والحركات تضمحل حين بروزها وتخفى وقت ظهورها ﴿والثالث﴾ وهو الشمس والقمر باقيان في السماء • فهنا حفظت النفس لنا مالا وجود له وهي الأعداد وما وجد واضمحل بسرعة وهي الليل وما هو باق وهو الشمس والقمر • إذن النفس أرقى من هذا العالم فإن فيها موجودات لا توجد فيه وفيها تبقى الموجودات التي اضمحلت فيه • ألا ترى أنك ترى المساناجيل الطلعة يوما ما ثم يدور البحر دورته فيصبح قبيحا ضعيفا وهولزال في تفكك على ما كان عليه • فكأن نفوسنا صادقة حافظة للمادة لا تصلق ولا تحفظ بل فيها تتغير الموجودات وتبطل والنفس تحفظ • ان نفوسنا هي المقصود من هذا العالم ويقول بعض العلماء ﴿ان الغذاء فينا يطفئ حتى تكون خلاصته سمعا وبصرا وفكرا وهذا الفكر أشبه بستانيل القمح التي دلت بظهورها على أصل بذرها فالولا أن البذر يحرق فمح ما كان الناتج قمحا﴾ إذن أصل العالم فكر أوتقوس ونفوسنا تسيطر على هذه المواد وتحكم وتحلل وتركب • إذن هي من عالم أسمى من عالم الحس • وكأنها خلقت هنا للتمرن والتعلم وكأن هذا الوجود وهذه الأجسام لوح تفرقه حتى إذا تمت عملها فارقت الأرض حاملة معها زادها في هيئتها

ان هذه العلوم الفلسفية والدينية والنظام والطبيعة والميكل الانساني بالتشريع رسوم وقوش لغزي النفس كغذاء الطعام للأجسام • وكلما زادت النفس غذاء فكريا ازدادت كالا حتى تقرب من العوالم القدسية • ان هذا العالم صنع بحساب ونظام وعلى مقدار تعقله تقرب النفس من صافه • وكلما استكملت بالعلم ازدادت الى ذلك الصانع شوقا • وإذا غفلنا عن تلك القوة القدسية المعب عنها (بالقاب) ابتعدنا عن السعادة • وأمثال هذا هو المقصود من آية - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه محشرون -

ولما كان الحشر اليه وهو لطيف خبير منزعه عن المادة وجب أن تكون النفوس القريبة منه بعد الحشر مغرمة بالعلم والحكمة حتى تستعد لقائه وهل يجالس الصالحين للالوك

وفي بعض الأخبار ﴿من عرف نفسه عرف ربه﴾ وفي القرآن - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وقوله تعالى - والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها • والنهار اذا جلاها • والليل اذا يشأها • والسماء وما بناها • والأرض وما طحاها • ونفس وما سواها • فأنزلها جوارها وتقواها • قد أفلق من زكاه • وقد خاب من دساها - ان هذه الآيات هي قس للموضوع الذي ذكرته الآن وإن هذه الصورة المرسومة لك تبيانا لهذا العالم • ما كنت وقت كتابها ملاحظا هذه الآيات إذا هي كالتفسير لها فإن هذه العوالم كلوح للنفس

ان تفكك هي جنتك وهي نارك • هي جنة العلوم والمعارف وهي نار الجوانح بالشهوات والعداوات والذنوب • ان النعيم الأوفى إنما يكون بجمال النفوس ومتى جلت بالعلم والحكمة استغنت عن جميع العوالم بقاء ربه ولا يلقى الله وبشاهده إلا نفوس مشرقات. أما النفوس التي حال الله بينها وبين قلوبها واستعدادها فقد حوت النظر اليه

ان النفس تصورت الجازر والواجب والمستحيل • الجازر كجميع هذا العالم المشاهد كأن تجعل (٤٠) من ضرب (٤ في ١٠) أو من ضرب (٥ في ٨) والواجب كالاله والملك وكأن تصور أن (٢٥) من ضرب (٥ في ٥) والمستحيل كشريك الباري وكأن تصور أن (٤٠) من ضرب (٥ في ٥) أي أنك تحكم أن أربعين مستحيل أن تكون حاصل ضرب هذين العديدين فهي تصورت الواجب وحكمت بثبوته والمستحيل وحكمت بعينه وهي تصور للجبريات عن المادة صورا فيها ولذلك تنوعت طرق الوصول الى الله وأعان النفس على استحضار مبعودها ظهور الشعائر والمنابر والمساجد والناظر ومناسك الحج وأمكنة الطواف والوقوف والمناهد للعلوم • كل هذه وأمثالها لتعين النفس على استحضار من هو مجرد عن المادة ولو كان مشاهدا كما تشاهد الشمس وهو حاضر دائما عند حواسنا لم نحتاج الى جميع هذه الشعائر

النفس أدركت العلوم الطبيعية التي تحتاج في تعلمها إلى المادة في الخارج وفي الذهن . وأدركت العلوم الرياضية المحتاجة في تعلمها إلى المادة في الخارج لا في الذهن . وأدركت العلوم الإلهية التي لا تحتاج إلى المادة لا في الخارج ولا في الذهن . والعلوم الإلهية هي العلوم العامة كتقسيم العلوم وكتقولات الخ (النفس في حال النوم تعطيك صورة من الدنيا والآخرة)

ألا ترى أنك في البقطة تفكر وتحس وفي حال النوم كذلك تعلم وتفرغ وتفرح وتحزن ثم يمر عليك وقت في النوم لا يكون لك إحساس بهذا الوجود البتة . ولا معنى لحياتي إلا أنني أحس وأفكر فأنا إذن عند فقد الشعور والادراك صرت كالتيث قشبايت الحلال حال الميت وحال النائم الذي لا يشعرنا هو أشبه بالموت أصبح من لوازم الحياة . لا تتم الحياة إلا بنوم . وقد يكون في النوم زوال الحس والشعور . والمعنى المخوف منه في الموت عند الناس كافة هو فقد ذلك الشعور وقد حصل في نفس الحياة وحيث يقال إذا حصل فقد الشعور في حياتنا الدنيا ولم يكن سببا في الفناء فربما يكون فقد الشعور بالموت ليس سببا في الفناء بل الحياة ربما كانت كاملة وتظهر بحال أخرى

(استيقاظ النفس ونومها يثلاث الحياة والموت)

إن الناس في كل يوم وليلة يموتون ويمضون تمرينا على الموت الأكبر والحياة الكبرى . ولقد استدلل (سقراط) بتعاقب هاتين الحادتين على أن الحياة ستكون بعد الموت كما قسناه في سورة الأنعام . النفس ترسم فيها صور الآثار الواصلة إليها بالمرض فتتخيل في الأحلام الحكي نارا متأججة تحيط بها . ويتصور الذي اعتراه البرد والأمراض الباردة أنه في بحر لحي كما يعرفه أكثر الناس في أنفسهم . وهكذا السوداوى يراول أعمال الموتى وسواد الأجسام وهكذا النفس تتجمل لكل ما تدركه صورة تخيلها له . إن النفس بحر لحي لا ساحل له . النفس يحكم دمه على من يمشي على الحائط بالسقوط . إن الإنسان إذا مشى على الأرض لا يشغل مقدار عرض الحائط ولكن الوهم يحس للشيء عليه أنه ساقط لاهللة فيسقط ذلك لأن وهم النفس صورته السقوط فسقط . الوهم أبرز صاحب الشهوة البهيمية صورة ما يشبهه من صور النساء والأغذية فتتمتع بها في المنام . وصورة لدى القوة الضمنية صور الأعداء لجندهم في ميدان الأحلام والأوهام النفس هي التي إذا أذبت وهذبت وريبت لم تؤثر فيها الأوهام . فترى أولئك اللادين الذين دربوا على المشي على الحبال أو الجالوس على كرسي موضوع فوق عمود مرتفع لاسقطون كما يشاهد في هذا الزمان ذلك لأن الوهم اتجه إلى النجاة وضبط الأفكار . النفس أثرت في جسم المحتمل فأفرز مادة من جسمه . والنفس بالتهذيب والرياضة تؤثر في غيرها إما بالعلم وإما بالآثار الظاهرة . كل ذلك إشارة إلى أنها في هذا العالم قوة إلهية أنزلها الله إلى الأرض لتكون مظهر جلاله وجماله - وما يعقلها إلا العالمون - ولا يحجب عنها إلا المغفلون . هذه قطرة من بحر قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون - . انتهى

(يا قوتة في عقد هذا المقال)

بعد أن كتبت هذه المقالة تبين لي أن هذا الموضوع لا آخر له ومنه يتفرع علوم الأمم القديمة والحديثة في النفس ولواني أطلعت البنان والقلم طال في الأمد ولكنني أقصر على هذه الباقوتة فضعا أمامك فاهما فني . لك هذا الوجود وتشرق اشراق الكواكب والشمس والقمر . ليس للدار على كثرة العلوم وإنما للدار على حسن التصرف والتعلل . ولليل يكفيك خير من كثير يلبيك . فها هي ذه الباقوتة أهديها إليك فأقول أنظر في سورة البقرة عند تفسير آية - وما أنزل على للملكين بابل هاروت وماروت - فانك تقرأ هناك أنهم في التنويم المغناطيسي في الأكاديمية الطبية الفرنسية أمهروا للسيو (فرواساك) فنوم للسيوكازو

الصاب بداء الصرع وقد كان فرواساك في حجرة والمسيو كازوفى أخرى ولم يعلم الأخير بحضور الأول وحصل ما حصل من اخبار للمسيو كازوفى المريض عن مرضه ومستقبله وكيف تمكن مداوئه وعين اليوم والساعة والحقبة التى سيأتى فيها للمرض ثم ترى هناك قبل ذلك المرحلات الثلاث المتقدمة في هذا المقام قريبا هذا هو الذى تقدمت في سورة البقرة واذا كانت هذه الامور أصبحت الآن معروفة في أوروبا وإن من نتوهمه تنويعا تاما تكون هذه حاله فاذن أمر النفوس البشرية عظيم جدا مدهش ونفسى ونفسك فيها هذه القدرة وقد حال الله بيننا وبينها وهو يدعونا ليحيينا بالطاعة حتى يرد إلينا ملكنا العظيم في هذه النفس واذن نفهم هذه الآية فنحن في هذه الحياة قد حال الله بيننا وبين قلوبنا • فاعجب للقرآن واعجب للتعبير بالحيولة وكن ما عشت مفكرا اذكر اعمش حكما قويا وترقب هذه الحال التى انطوى نلبك عليها ان الآية اثبتت الى أننا في هذه الحياة أموات لأنه حال بيننا وبين قلوبنا • ولقد وجدنا أن قلوبنا تعلم عجائب لانها لها وتقدر على الماقتدر عليه في حال التنويم • فهذه الحياة كأنها موت وهو يدعونا للحياة فانكسرت القضية خيانتا موت وموتنا حياة وهذا ما يفسر ماورد في الآثار (الناس نيام فاذا ماتوا انشعوا) ياسبحان الله وياسمائه • ان هذه المقالة تفتح باب لفهم قوله تعالى - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا -

ومن قرأ كتب علماء الأرواح في العصر الحاضر واطلع على علوم الهنود وما تضمنه كتاب (راجا يوتا) المؤلف باللغة الانجليزية مترجما من اللغة الأوردية أدرك بعض سر - قل الروح من أمر ربي - • ان مجاه في تلك الكتب هو الذى أشار له قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وقوله - سريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - فها هو ذا الله قد أطلع الأمم اليوم على بعض سر الروح الذى هو بعض آيات الله في الأفسس وعجائبها فاذا كان أهل الديانات قديما والمسلمون يؤمنون بأمر الروح ايمانا فان الدين المعلوم على كتب الأمم يؤمنون يقينا • وكيف لا يوقن المرء بسر الروح والروح قد نبئت عجائبها في المجالس الروحية وبدا جلالها ونطق الأبيكم وأبصر الأعشى وبرق في العلم الفنى الجاهل وبرز في الفلسفة من لا يحسن خطابه ولا يقرأ كتابا ولا يعرجوا بلا اعلانا لاسرا • ومتى فارق تلك الحال رجع الى سيرته ان رجال الصوفية في الاسلام قد ظهر لهم بالرياضات نفس مظاهر بالتنويم المغناطيسى اليوم • وذكر زهاد الهند وعبادهم من تلك الأسرار مالا يكاد يتخيله العقل وأتوا جميعا بالهجب العجائب من اخبار الغيبات وأعمال عجيبات • وقد يدفن التلميذ في قبره ستة أشهر ثم يخرجونه ويكشفون الغطاء عنه ويخرج من الصندوق في جمع حافل ثم يتحرك ويصكك • ولقد صنع بعضهم هذه العجائب على ملائمة الناس في هذه السنة والى قبلها في انكسرتا وقد شهدها القوم في المسارح العامة وقد أغمى على السيدات عند مشاهدتهم تلك الظاهرة فأصرت الحكومة بعدم تكرار هذا رقا بالنساء والضعاف منهم • هذا كله من سر قوله تعالى - قل الروح من أمر ربي - • ان النوع الانسانى مقبل على سعادة لا يحلم بها الآن • وهذه السعادة وهذا الملك العظيم هو الآن كامن في أنفسهم ويظهر نارة بالعبادة وأخرى بالرياضة وأخرى بالتنويم المغناطيسى لحظة فاذا استيقظ ذلك النائم لم يدرك شيئا مما كان يعرفه مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعم المذكور في قوله تعالى - واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا • عليهم ثياب سندس خضر واستبق وحلوا أساور من فضة وسقاهم زهبا شرابا طهورا - في تلك الحياة التى جاءت في قوله تعالى - وان الدار الآخرة هى الحيوان لو كانوا يعلمون - فقول - لو كانوا يعلمون - إشارة الى أن الناس يحبوا عنها حصر الله الحياة في تلك الحال مؤكدا بأن وباللام • فالحياة إلا تلك الحياة التى ظهرت طلائعها فيها ذكرناه وحال الله بيننا وبينها • وهذا هو المعنى النطوى في قوله تعالى هنا - لما يحسبكم - فهذه هى الحياة

المذكورة في آيتنا وما نحن عليه في الدنيا موت • فأهل الأرض اليوم ميتون في حياتهم الحيوانية التي يسبها حال الله بينهم وبين تلك الحياة

ويقول علماء الهند في الكتاب المتقدم • ان سر هذا العالم كله في الانسان مخبوء في عجب ذنبه وان هذا العجب في نظرهم حكمة لوجوده وان الرياضة والعبادة والذكر والعلم والفلسفة كل هذه تمنع الحجاب الحاجز للنفس بين عجب الذنب وعالمه وبين السماع الانساني • وان علوم أهل الأرض التي وقفوا عليها من طريق الحواس والعقل فصل للمخ من طريق أصصاب الحس والحركة والفكر • أما أسرار الملك والملكوت المحجوبة في عجب الذنب فاما تتراى للعقل بطريق الانطباع من عجب الذنب في المخ • وانما ذكرت هذه التي لا برهان عليها ولا أي دليل لأن عجب الذنب مذکور في الأحاديث انه هو الباقي الذي لا يفنى كالروح فهذا هو العجب العجيب أن يكون كلام الهنود منذ آلاف السنين بطريق العلم المكتسب بالرياضة هو الذي جاء به نبينا ﷺ وهذا معجزة له ﷺ ذكرتها استطرادا لمسألة الحياة في قوله تعالى هنا - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحكيكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - • انتهى

(ضوء الباقوة وازدياد في عجائبها)

ان عجب فجب ماجاء في كتابي للسمى (كتاب الأرواح) صفحة ١٩٢ من ذكر حادثة مدهشة في سنة ١٨٧٣ ذكرتها جرائد أوروبا وأمريكا • وهي أن المؤلف الانجليزي ديكلس فاجانه اللنية في مدينة لندن سنة ١٨٧٠ قبل أن يتم روايته للدعوة (أسرار ادوين بود) فاتمها بعد موته على يد الوسيط الأمريكي (جيمس) في مدينة (بوسطن) وجيمس هذا لم يكن إلا غلاما صائعا قليل العلم يقضى أيامه في اتقان حرفته واتفق انه حضر سنة ١٨٧٢ في إحدى ليالي (تشرين الأول) جلسة روحانية تجلّي فيها روح ديكلس وطلب أن يكون جيمس المذكور وسيطا يتم به روايته فقبل جيمس وصار يجلس في كل ليلة وتحرّك يده وهي تكتب القراطيس أقوالا لا يعلمها ودام على ذلك سبعة أشهر أكمل فيها الرواية بألف ومائتي قرطاس ولقد شهد رجال الصحافة عموما أنه يستحيل على القارئ أن يميز بين ما كتبه ديكلس قبل موته وبين ما كتبه الوسيط جيمس بعد موته أقل اختلاف لافي الانشاء ولا في الخط ولا في نسق الرواية حتى ان الأغلاط الاملائية التي كان المؤلف في حياته يتعادها بقيت كما هي • اهـ

وفي صفحة ١٩٣ من هذا الكتاب نقلا عن علماء الأرواح في عصرنا ماله ولقد جاءت مقالات في الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدي فتيان حديثي السن أوفتيات ساذجات لا يحسن القراءة • اهـ

وجاء في صفحة ١٩٨ من اسكتاب المذكور نقلا عن المشرع الفقيه (سارجان كوكس) ما ترجمه كثيرا ما رأيت غلاما مبرفيا وهو وسيط عار عن كل علم ونهذيب يجادل هنداسيتلا الروح عليه قوما من العلاسفة في مسائل المنطق ومعرفة الغيب والارادة والقدرة وغالبا كان يفهمهم بأجوبة السديدة وأنا نفسي أقيمت عليه يوما بعضا من معضلات علم النفس فخلها لي يبراهين قاطعة وألفاظ في منتهى الرقة والصراحة مع انه في حالة الطبيعية لا يدري ما الفلسفة ولا يجد ألفاظا يعبر بها عن أفكاره الصغيرة

وجاء في صفحة ٢٨٠ من الكتاب المذكور (الطبعة الثانية) انه ليس كل ماجاء في الكتاب المذكور مسلما به بل حال البرزخ مشكلة فلا تتخذ الأقوال الروحانية كلها دليلا إلا ماورد عن أرواح نقية وساعده الدليل (آراء علماء الاسلام في النفس الانسانية وصفاتها واطلاعها على العجائب)

وقد جاء في صفحة ٢٨١ من الكتاب المذكور (الطبعة الثانية)

اعلم أن مناجاة الأرواح هي الصفة الخاصة لأئمة الاسلام لاسباب رجال الصوفية . وهذا شائع ذائع ولكن الناس يكذبون ما لا يعلمون . وهاك ماقاله الامام الغزالي في كتابه (كيمياء السعادة)
 اعلم أنه مامن أحد إلا ويدخل في قابه الخطر المستقيم وبيان الحق على سبيل الالهام وذلك لا يدخل من طريق الحواس بل يدخل في القلب لا يعرف من أين جاء لأن القلب من عالم الملكوت والحواس مخلوقة لهذا العالم . ثم قال ولا تظن أن هذه الطاقة تمنح بالنوم والموت فقط بل تنفتح باليقظة لمن أخلص الجهاد والرياسة وتخلص من بد الشهوة والغضب والأخلاق القبيحة والأعمال الرديئة . فاذا جلس في مكان خال وعطل طريق الحواس وفتح عين الباطن وسمعه وجعل القلب في مناسبة عالم الملكوت وقال دائما الله الله بقلبه دون لسانه الى أن يصير لا خبر معه من نفسه ولا من العالم ويبقى لا يرى شيئا إلا الله انفتحت له تلك الطاقة وأبصر في اليقظة الذي يبصره في النوم فظهر له أرواح الملائكة والأنبياء والصور الحسنة الجميلة الجليلة وانكشف له ملكوت السموات والأرض ورأى ما لا يمكن شرحه ولا وصفه كما قال النبي ﷺ (أزويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها) وقال عز وجل - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض - الى آخر ما هنالك فافهم ان شئت

فانظر في هذا القول الجامع إذ جعل الانكشاف في النوم وفي الموت وفي صفاء النفس . ولا جرم أن النوم (قسنان) نوم طبيعي . ونوم صناعى . والتمناهى هو الذى استعمله اليوم علماء أوروبا للمسمى (التنويم المضاطيعى) الذى تقم في هذا للقام كالغلام الصيرى الذى يجادل في الفلسفة والمنطق في تلك الحال وكالغلام الصانع جيمس الذى أتم رواية ديكنس بعد موته . فهذان وغيرهما ممن يعدون بالآلاف كشف لهم العلم في نومهم الصناعى . وهكذا تجد العلامة (أوليفر لودج) أكبر علماء الانجليز في الطبيعة وهو معاصر لنا يقول انى حادث الأموات وعرفت أن هناك أرواحا أعلى منا تهتم بنا وتحيط بنا من كل جانب فحرفت أن ما كان يقوله الأنبياء والتقيديسون من مساعدة للملائكة ومساعدة الله نفسه لنا هو كلام حق وليس مجازا ولا مواربة . ولكن هؤلاء عرفوا ذلك بصفاء قوسهم . أما أنا فلم أوفق لطريقهم وإنما طريقى على لاخير ولكنه مؤد إلى ما أدت اليه طريقهم من حيث النتيجة واليقين . اهـ

وهنا تبدى من جلبيسى هذا السؤال فقال . هذا بيان جميل جامع علوم الشرق والغرب في هذه المسألة وأنت اذا لم تذكر كلام علماء الاسلام لم يهتم بما نقله عن الفرنجة أمم الاسلام . فمن أجل الحكمة وأعجبها أن وفقك الله لجمع الرأى الشرقى والغربى في مقام واحد مع الايضاح . ولكنى أريد أن تفصل القول بعض التفصيل في طرق الصوفية في الاسلام ثم بيان الكشف هل نهتم به ونجعل حياتنا وفقا عليه أم ماذا تكون السبيل . فقلت له أننا طرق الصوفية فيها واسعة النطاق لاحد لها . الطرق لله بعدد أنفاس المخلوقات وكما اختلف النبات وتعدت الطرق لله وتعددت . ويقولون ان الجوع والسر والسمت والعزلة هي الأركان الأربعة لها . وترى في الاحياء للإمام الغزالي شرح طريقة الجوع (وذلك) انهم يأمرؤن التلاميذ باقلال الطعام تدريجا حتى يصل الى أقصى حد في القلة . ومن أسهل تلك الطرق أن يتناول الانسان الطعام في مواعيد خاصة ثم يؤخر للميعاد كل يوم دقائق معلومة بحيث لا يضطر بصحته ولا يشعر بتعب وجوع ولا يزال يؤخر كل يوم ذلك الموعد حتى يأكل كل يوم مرة ثم يزيد الى يومين ثم ثلاثة وهكذا الى عشر ثم الى ٢٠ ثم الى ٤٠ وهاك يفتح له هذا الباب وذلك بشرط خاصة . ثم ان هذه الطريقة ومثاها مما لا يحصى اعترضها قوم فقالوا أننا أن العلوم تفتح أبوابها بهذا ولكن أكثر الناس لا يقدرؤن عليها وإذا قدرؤا كان ذلك خطرا عليهم إذ لا علم عند المرید يصون به فكره من الوسوس بل ربما جن . ثم قالوا وخير الآراء أن يتعلم المرید أولا ثم يهذب نفسه آخر . هذه هي ملخص آراء علماء

الاسلام . وأما قول صاحب هل نهتم بالكشف ونجعل حياتنا وقها عليه . لجوابه أن المدبر على تهذيب النفس نهديا على قدر الامكان حتى نكون أمة وسطا فالتطرف يضيع الأهم . فلما سمع ذلك قال لم أفهم ما تريد . فقلت يقول علماء الصوفية ان الكشف للريد يحده الله له في فترات ليثبت به عقيدته فأما إذا اطمأن المرید وعرف أن هذه المجاهدات لها ثمرات فإن دوام الكشف له يعوقه عن ارتقاء نفسه فإدامل ناقصا تكشف له أموال بعض اخوانه أو بعض الامور المستقبلية فإذا كمل علم هو نفسه أن ذلك ناقص . فاذن يستعبد بالله منه وينفر . وخير الفتح والكشف إنما هو الكشف العلمي ومعرفة الحقائق التي يزيد بها جلاء صفاء النفس . فهذا هو الكشف المحمود . فإذا سمعت أن رجلا صوفيا يخبر بما في قلوب الناس أو أحوالهم أو مستقبلهم فاعلم أنه ان اغترت بهذه الحال وفرح بها فانها تمسده عن العلوم والمعارف ويصبح شيطانا رجما والناس يظنون به من الأولياء وما هو بولي لأن هو الا رجل انجذبت نفسه لأمر شهواني لجمع الناس حوله ليفرح بهم وبأخضاعهم ويشاركهم في العرض الزائل ولا فرق بينه وبين أرباب الأموال وأرباب الجبال وأرباب الصيت والشهرة في علم أو فوق . فكل هؤلاء لهم حظ دنيوي ناقص ويكون هؤلاء أشبه بالمترجم (بالفتح) المغناطيسي الذي يخبر بما لا يعرف

ولقد قرأت في بعض كتب الامام الشيرازي ما معناه أن الرجل السوقي أفضل من المجنوب الذي لا يعمل له فانه ينفع الناس . وفيه أيضا أن الانسان قد يكون من أولياء الله لاجتهاده ولكن الله يؤخر له كشف الحقائق الى ما بعد الموت . اهـ

هذا هو الذي فتح الله به في هذا المقام وأنا قد أفضت الكلام فيه لدقته وعظم شأنه ولأنه هو الذي فتح الله به عليّ . - وما أدري ما يفعل بي ولا بكم - وفوق كل ذي علم عليم - واعلم أن الأمم اذا اتجهت أكبرها لفتح الحس الباطني اتجها كلها انحدرت الى الانحطاط كما في أهل الهند وبعض أم الاسلام للتأخرين . وإنما السبيل الوسط في الأمر فيكون الناس وسطا يهذبون قوسهم ويقرؤون العلوم وبأخوتهم من كل فن طرفا . وهذه طريقة الاسلام كما تقدمت عن الامام الغزالي ولذلك سمو أئمة وسطا فلاحم في الشهوة وحدها مغمورون . ولا على الباطن وحده عاكفون . وفي القرآن - قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة . - هذا ذكوه لئلا تصير قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون - اهـ صباح الأحد ٢ رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

(اللطيفة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة)

هذه اللطائف الأربع ذات علاقة ومتناسبة لللطيفة الثالثة . ذلك أن هذه اللطيفة الثالثة قد شرح فيها كيف كان الانسان محجوبا عن عالمه مغمورا في حياته تأمها في بيدها اللذة الجرمانية وشهواته الجنيانية كما اتضح في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فانظر كيف أتبعها بالهي عن الأعمال التي توجب أذى الجمهور وضياح الأئمة وتعزفها وضمر المجموع . ألا وان النوع الانساني اليوم على هذه الأرض مغمور في جوانبه تأه في بسادتها ظلام جهول . فكما جهل نفسه في اللطيفة قبلها جهل آله الله بالمجموع فأصبح يلمس في الظلام السعادة وما هو والله بسعيد وأنت لو فتشت في أهل الشرق والغرب لرأيت مسألة النوع الانساني واتصال بعضه ببعض واحتياج أهل الشرق الى الغرب والتكس قد أصبحت واضحة ظاهرة فتري أهل روسيا اذا قلّ القمح من بلادهم يحتاج لذلك أعصاب الانجليز . وقل فظير ذلك في القطن والحرير والصلح والحرب والمرض وما أشبه ذلك . فالأمم الأرضية اليوم متصلة اتصالا حقيقيا لاشك فيه . كل ذلك معلوم ولكن القوى العائلية في النوع الانساني لم تباع منزلة السامية ومقامها الرفيع هم كالأطفال فتري كل أمة في حاجة الى اختتام هي بخارجها وتناوشتها لتحصل على ما في يدها . هذا في الأمم ومثلها الأفراد

فكل أمة أفرادها محتاج بعضهم لبعض وبارئها المجموع يرتقي الفرد ويصعد بها تميز الأشياء ومع ذلك نرى الرجل يبحث على حنف أخيه ويودّ لو يصبح فقيرا سائلا أو مريضا . كل ذلك للجهالة العمياء والضلالة الكتماء . وقد يقدر الرجل أن يصلح المجموع فيكسل أو ييخل . وإنما كسله وبخله على نفسه لأن المجموع إذا ساعد فقد ساعد مثله . وإذا شقى فقد شقى مثله . وهكذا ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك مضاعف للمجموع والفرد عضو من هذا الهيكل الكبير وهو الأمم كما في معنى الحديث الشريف ﴿ مثل المؤمنين في تعاونهم وتعاظمهم كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والجلي ﴾ فإذا جهل الإنسان نفسه في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فهو يجهل المجموع وواجبه لتراكم الشهوات حتى أصبح الأفراد والأمم يجهلون أنهم لأحياء لهم إلا بالمجموع فيلعب بعضهم بعضا ويقتل بعضهم بعضا . فالجهل في المجموع كالجهل في الأفراد

وأما ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ فلها تابعة لثنتين قبلها وهي ثمرتها ونيعتها إذا امتدبان فيما تقسم في الرابعة أن ترك معاونة المجموع ضرر كبير ويجهل عظيم . فالتعاون إذن يورث السيادة والسعادة في الدنيا والآخرة ولذلك ذل هنا - واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس - لتفرقكم وعدم اهتمامكم بمجموعكم - فأوأكم وأيدكم بنصره - ولما اجتمعتم . وأما ﴿ اللطيفة السادسة ﴾ وهي - يا أيها الذين آمنوا لا تحذونوا الله والرسول الخ - فهي كسوابقها النظر فيها للمجموع لا للأفراد يقصد بها التحاب والتعاون وعدم استيلاء فئة على فئة واحدة . وقد نزلت هذه الآية كما قال السدي في جاسة كانوا يسمعون السر من النبي ﷺ فيفسونه حتى يبلغ للمشركين . وقال جابر بن عبد الله ان أبا سفيان خرج من مكة فأخبره جبريل النبي ﷺ فأخبر النبي ﷺ أصحابه وقال اخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأزل الله عز وجل هذه الآية . وأيضا نزلت في أبي لبيبة ﴿ وذلك ﴾ أنه ﷺ حاصر بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صلح اخوانهم بنى النضير على أن يسبوا إلى اخوانهم بالذرعات واربعا بأرض الشام فأبى إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل لنا أبا لبيبة وكان مناصحا لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه اليهم فقاتلوا ما يرى هل نزل على حكم سعد بن معاذ فأشار إلى حلقه انه الذبح قال أبو لبيبة فما زالت قدساي حتى علمت أني خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أوتوب الله علي فحكّت سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقبل له قد نيب عليك فخل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني لجاءه خلفه بيده فقال ان من تمام توبتي أن أهجرك ارقومي التي أصبت فيها الذنب وأن أتخلع من مالي فقال عليه السلام يحزبك اثلث أن تصدق به وأما ﴿ اللطيفة السابعة ﴾ فهي من نتائج السابقات إذ جعل الأموال والبين فتنه بهم ، يشغل الإنسان عن مجموع الأمة وعلى قدر التهاون بالمجموع يتعد الإنسان عن الله عز وجل ويقل نصره في الدنيا والآخرة فاللح والبون فتنه وامتحان للمرء في هذه الدنيا فيختبر للمرء فان جمع بين المال والولد ولم يشغله عن المجموع كان عبدا لله حقا ومن طمست بصيرته فاكتفى بما لديه فانه جهل المجموع ولم يعرف نظام الانسانية العاتية ولا الانسانية الدينية وكفى بالجهل بابا للعذاب في جهنم وبئس القرار

(القسم الرابع)

وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ

اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا مَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ مَعِينَنَا لَوْ أَنَّ اللَّهَ تَفَلَّنَا مِثْلَ
 هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ
 فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا آيَةً مِنْ رَبِّكَ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ
 وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ
 صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُسْكَاةً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * إِنْ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يُتَّفَقُونَ أَنَا وَهُمْ لَيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَهُونَ إِذْ تُكْرَهُنَّ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
 يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ
 بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 إِنْ يَنْتَهِبُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يُتَّوَدَّوْا فَقَدْ مَضَتْ سُنْتُ الْأَوَّلِينَ * وَهَاتِلُوهُمْ حَتَّى
 لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَتُوبَ الَّذِينَ كَلَّ اللَّهُ فَإِنْ أَتَتْهُمُ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِنْ تَوَلَّوْا
 فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُوَلَّاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ *

(التفسير اللفظي)

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر نعمة على المؤمنين بقوتهم بعد ضعفهم وبنصرهم بعد ذلهم وبأنهم بعد
 خوفهم أعقبه بذكر ما أنعم به على النبي ﷺ فيما اتفق له في مكة وكان وقت نزول هذه الآيات بالمدينة .
 وحصل ما ذكره المفسرون في سبب هذه الآيات أن قريشا خافوا لما أسلم الأنصار أن يعظم أمر رسول الله ﷺ
 فاجتمع نفر من كفار قريش في دار الندوة لينشأوا في أمره فاعترضهم إبليس في صورة شيخ نجدي
 فدخل معهم فقال أبو البحتري رأي أن نحسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تهقون إليه طعامه وشرابه
 منها حتى يموت . فقال الشيخ النجدي بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم .
 فقال هشام بن عمرو رأي أن نحملوه على جمل فنخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع . فقال بئس الرأي
 يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم . فقال أبو جهل أنا أرى أن نأخذوا من كل بطن غلاما ونقطعوه سينا صارما
 فيضربوه ضربة واحدة فيفترق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على ضرب قريش كلهم فإذا طلبوا
 العقل عطلنا . فقال صدق هذا الفتي فنصرفوا على رأيه . فأتى جبريل النبي ﷺ وأخبره الخبر وأمره
 بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار * وذكر بعضهم
 أنه أخذ قبضة من تراب وأخذ الله عز وجل أبصارهم عنه فخرج وجهه ل ينثر التراب على رؤوسهم وهو يقرأ
 - إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا - إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون - ولما المشركون يحرسون عليا
 وهو على فراش رسول الله ﷺ ويحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ثابروا إليه ليقنأوه فأراه عليا
 فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري فأتوا أراه وأرسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار رأوا على بابها نسج العنكبوت
 فقالوا لودخله لم يكن لنسج العنكبوت على بابها أثر فكشك في الغار ثلاثا ثم خرج إلى المدينة

قال القاضي رحمه الله ان هذه القصة موافقة للقرآن ولكن حديث ابليس وظهوره بصورة انسان باطل
ولقد ردت عليه العلامة الرازي . أما أنا فأقول ان العلم الحديث جعل مثل هذه الامور جائزة فان الأرواح
الشريرة تظهر بأشكال شتى ولامانع من ذلك وليس للقام مقام تحقيق فانه ليس بهم في تفسير الآية
وهذا هو قوله تعالى (واذ يكرهك للدين كفروا) أصل المكر الاحتيال في خفية (ليثبتوك) ليحبسوك
وهو رأى أني البحرى (أو يقتلوك) وهو رأى أني جهل (أو يخرجوك) طردا وهو رأى هشام ابن
عمر وكا قتم (ويكفرون ويكرهون) يعاملهم معاملة الكافرين بأن أخرجهم إلى بدر وقل المسلمين في
أعينهم حتى جلاوا عليهم قتلوا (والله خير الماكرين) أى مكروه أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا .
ثم اعلم أن النضرين الحارث من بنى عبد الله كان يختلف إلى أرض فارس والحيرة ويسمع أخبارهم عن رسم
وأستديار وأحاديث الجهم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون
ويسجدون ويكون فلما جاء مكة وجد النبي ﷺ قد أوحى اليه وهو يقرأ ويصلى فقال النضرين الحارث
(قد سمعنا) يعنى مثل هذا الذى جاء به محمد (لونشاء لقلنا مثل هذا) الخ فقال له رسول الله ﷺ وبلك
انه كلام الله فقال (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) أى فاعقبنا على
انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل (أو اتقنا بعذاب أليم) نوع آخر من جنس العذاب الأليم وقد أجاب
الله دعاءه قتل صبرا يوم بدر . وللقصود من هذا القول التهكم وظهار اليقين على كونه باطلا
وروى أيضا البخارى ومسلم عن أنس أن أبا جهل قال كما قال النضر فزلت (وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم) الآية فلما أخرجوه نزلت (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصتون عن المسجد الحرام)

(إيضاح للقام)

قالوا نزلت هذه الآية على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقى بقية من المسلمين يستغفرون
فأنزل الله (وما كان معذبهم وهم يستغفرون) ثم لما خرج أولئك المسلمون من بين أظهر الكافرين أذن
الله في فتح مكة فهو المذاب الذى وعدهم . وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين
آمنوا معه فقال الله - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - يعنى المسلمين
فلما خرجوا قال الله - وما لهم ألا يعذبهم الله - وهذا هو قوله تعالى - وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قسمننا -
الى قوله - وهم يستغفرون - ثم قال تعالى - وما لهم ألا يعذبهم الله - أى أى شئ يمنعهم من أن يعذبهم
الله بالقتل والأسر بعد خروجك من بين أظهرهم - وهم يصتون عن المسجد الحرام - أى وما لهم ذلك ومن
ذلك الصدا الجاؤهم رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه)
مستحقين ولاية أمره مع شركهم وذلك ردت لما كانوا يقولون نحن ولادة البيت والحرم فصدت من نشاء وندخل
من نشاء (ان أولياءه إلا اللعنون) من الشرك (ولكن أكرمهم ليعلمون) أنه لا ولاية لهم عليه وأما
أقلهم فانه يعلم أن دين الاسلام حق ولكنه يعاند ويكابر كبرياء وخيلاء . وكيف يكونون ولادة البيت (وما
كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) أى صغيرا وتصدقا . وكيف يكون الصغير بالقلم والتصفيق باليد
صلاة وذلك لأنهم كانوا على دين الخليل عليه السلام وقد مضت الأحقاب نالوا الأحقاب والقوم قد خلاوا من
الحكمة فاقبلت صلاتهم مدعاة للشح والسخرية من صغير وتصفيق كما يفعل بعض جهلاء الصوفية من
ضرب على الدفوف ورفع الأصوات فى الطرقات وفى المساجد . ولقد تفنن القوم فى هذه الجهالة العمياء
ونسوا الصلاة الاسلامية والتوجه لى الجلال والا كرم فيها والتوجه بالقلب لله فى العبادة شأن كل دين نام
عنه حكماء وغاب عنه علماء وذهبت دوله وضاع مجده وتبدل شأنه وغابت شمس وأقبل ظلامه وذهب
ضياؤه ومضاؤه واستبدل بسعوده تحسا ورفعتة خفضا وبأوجهه حضيضا وبشرفه ضعة . ساء مثلا القوم

الجاهلون • قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون • ويقال مكأ الطائر يكو إذا صفر • وقال حسان بن ثابت صلاتهم اتصفت بالمكأ ولذلك عذبهم الله فقال (فتوفوا للذئاب) أي القتل والأمر يوم بدر وعذاب الآخرة يوم القيامة (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا هذه هي عبادتهم البدنية وهي المكأ والتصدية • وأما عبادتهم للمالية التي لا جدوى لها أيضا فذلك أنه لما أصيب من أصيب من قريش يوم بدر ورجع أبوسفیان بعيره إلى مكة مشى عبدا لله بن أبي بن ربيعة وعكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش قد أصيب آلهؤهم وأبناءؤهم وأخوانهم يوم بدر فكلما أبا سفیان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلما ندرك منه ثارا بمن أصيب منا فحصل ذلك يوم أحد فقال الله فيهم (إن الذين كفروا يصفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم في الاتفاق الصدة عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله (فنبهتقوتها ثم تكون عليهم حسرة) ثم تكون عاقبة إضاقها ندما وحسرة (ثم يلقبون) آخر الأمر وقد تم ذلك كله وهذا من دلائل النبوة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (والذين كفروا) أي الذين نشؤوا على الكفر منهم لأن بعضهم قد أسلم (إلى جهنم يحشرون) يساقون وإنما يحشرون (ليجز الله الخبيث من الطيب) الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين (ويجعل الخبيث) الفريق الخبيث (بعضه على بعض فيركه جميعا) فيجعله (في جهنم) أي الفريق الخبيث (أولئك) الإشارة لفريق الخبيث (هم الخاسرون) أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) أي أي سفیان وأصحابه (إن يفتوا) عما هم عليه من عدوة رسول الله ﷺ وقتاله بال دخول في الإسلام (يفسر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وإن يعودوا) لقتاله (قد مضت سنة الأولين) بإهلاك أعداء الأنبياء في الدنيا ونصر الأنبياء والأولياء • وقد أجمع العلماء أن الإسلام يجب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية وهو ساعة إسلامه كيوم ولدته أمه فليس عليه ذنب (وقاتلهم حتى لا تكون فتنة) لا يوجد فيهم مشرك (ويكون الدين كله لله) أي تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره (فان اتهموا) عن الشرك وإيذاء المؤمنين والصدع عن سبيل الله (فان الله بما يعملون بصير) فلا يخفى عليه شيء (وإن تولوا) يعني أعرضوا عن الإيمان وأصروا على الكفر وعدوا إلى القتال (فاعلموا أن الله مولاكم) وليكم وناصركم وحافظكم فتقوا به ولا تباؤا بعبادتهم (نعم للمولى) لا يضيع من تولاه (ولم النصير) لا يظلم من نصره فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاهما فهو له نعم للمولى ونعم النصير

(لطيفة في قوله تعالى - فاعلموا أن الله مولاكم نعم للمولى ونعم النصير - وفي بقية الآيات)

اعلم أن هذا المقام مقام اظهار الحقائق وإبطال الأباطيل وأن الله ناصر الصادقين ونازل المبطلين ولم يقصه علينا مجرد التسلوة ولا مجرد القصص ولكن أنزله الله وقرئ على طول الأزمان ليكون ذلك عبرة لنا • واعلم أيها القارئ أنني ما كتبت في هذا التفسير حرفا ولا خطت بقلمى كلمة إلا وفي قلبي استشعار بالنصر ورجاء الرجوة واعتقاد النعمة ألا وإن هذا زمان العولم والمحيط بنا وإن قد انبثت همتي من إبان صفري لتدوين الحقائق العلمية مع الآيات القرآنية وقد وجدت في نفسي كلفرة وكالفريزة فلم أقدر على مكايحتي ولم يكني دفعها • وقد قال علماء النفس الاسلاميون والصوفية منهم أن فكر الطاعة إذا كان ثابتا في النفس هادئا دائما فانه من الله وضده ما كان من الشيطان وفكرة الشر التي تحدث باستغزل من الشيطان وفكرة التحير المستغزة للـ الوقتية أيضا تكون من اللاتسكة • ولقد وجدت نفسي تاققة لهذه المباحث عاكفة عليها • وكنت على التكبير قوم وكنت أوديت في هذه السبيل ولكن التصروجه حليتي وإعانة الله كانت تكو في والمنشجعات القلبية والأخبار

الواصله من الآفاق وآلاء الله المترادفة وإعاناته للمتابعة وعرفانه للتوالي وإلهامه الصادق وولاؤه الدائم . كل ذلك قد حل في نفسى محلا جعلها تنق بعون الله . وبأن هذه الأمة الاسلاميه ستقبوا مكانها اللائق بها وتحل محلها الرفيع ومقامها البديع ومجدها الباذخ وعزها الشايع وسعادتها المستقبلة وأن الله سيغير أطوار هذه الأمة من الجهل الى العلم . ومن السكون الى الحركة . ومن القتل الى العز . ومن الضعة الى الشرف . وسيظهر في هذه الأمة حكماء صادقون وعلماء محققون ويكونون شرف الانسانية وذخر الأمة المحمدية ويكون لهم القدح المملئ في اسحاق الحق وازهاق الباطل . وسيكون فيهم من يتبع صنعة ربه ويدفعه ويسقرون هذا التفسير وما ماله من كتب علماء الاسلام في بلاد الشرق . وبهذه الصفة يدرسون الوجود وماحواه ونظام الكواكب وما والاه وعجائب النبات وما ساقاه وبدائع الحيوان وما غذاه وغرائب الهواء في مجراه وأنواع الماء في مسراه وفي بطن الأرض ومتناه

وهذا سر قوله تعالى - فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير - . اللهم انى وهت بوعدك وفد وعدتنا في القرآن . اللهم أعم النعمة على هذه الأمة التى استنزلها الطامعون وحقرها الأوديون . اللهم أعزها وانصرها وعلما وانزلها من الجباله العمياء الى نور العلم للبين . انتهى الكلام في القسم الرابع

(الْقِسْمُ الْخَامِسُ)

وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِينَ آمَنُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنْتُمْ بِالْمَدِينَةِ الدُّنْيَا وَمِنْ بِالْمَدِينَةِ الْقُسْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لَيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ وَيَبْخَىٰ مَنْ حَىٰ عَنْ يَتْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكُمْ اللَّهُ فِي مَنَازِكٍ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكُمْ كَثِيرًا لَفَسَخْتُمْ وَلَنَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمْهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَأَعْلَبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ
يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ
يَقْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأُذْبَارُهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْمُجْسِدِ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُتَعِدًّا نِعْمَةً أَنْتُمْ عَلَى
قَوْمٍ حَتَّى يُسَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ تَعْلِيمٌ عَلِيمٌ * كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا
ظَالِمِينَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ
ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَلَمَّا تَفَقَّحْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدْتُمُومَ مَنْ
خَلَقْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيفَةٌ فَأَنْزِلْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ
لَا يَهْدِي الْغَالِينَ * وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْزِزُونَ * وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا
اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا
تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَسْمَعُ مَا تُنْفِقُونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ *
وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ
يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَالْفَ يَنْ قُلُوبِهِمْ لَوْ
أَفْقَتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَفْقَتَ يَنْ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ يَنْزِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
* يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا
أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ
ضَعْفًا فَلَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ
يُؤْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ * مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِرَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ

لَسْتُمْ فِيهَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُلْنَا لَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَنْسَرِيِّ إِنَّ يَتْلَمُ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا
 يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ
 فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
 وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْوُوا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
 بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجَرُوا إِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ
 فِي الدِّينِ فَمَلِكُكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ يَبْتَئِكُمْ وَيَتَنَبَّهْ مِثَاقُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ *
 وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَقْلَعُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ *
 وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ أَوْوُوا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا
 لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ
 مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

﴿ مقدمة لتفسير هذه الآيات ﴾

اعلم أن الغنيمة ما أخذ من مال الكفار على سبيل القهر والغلبة بإجفاف خيل عليه وركاب والفيء ما أخذ
 من مال الكفار بغير إجفاف خيل ولا ركاب . وقد ذكر حكم الغنائم هنا (وملخصه) أنها تقسم خمسة أقسام
 أربعة منها للمقاتلين وواحد يقسم على خمسة أقسام . قسم لرسول الله ﷺ وهو خمس الخمس . وقسم
 لأقاربه وهم بنوهائهم وبنو المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل وقد استحقوه لما روى أن جبير بن مطعم
 جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان النبي ﷺ فيما يقسم من الخمس في بني هاشم وبني المطلب قال فقلت
 يا رسول الله أعطيت بني المطلب وتركنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله ﷺ إنما بنوهائهم
 وبنو المطلب شيء واحد . وفي رواية أنا وبنو المطلب لا نفرق في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد
 وشبك بين أصابعه . وقسم لبياتمي . وقسم للساكنين . وقسم لابن السبيل وهو المسافر البعيد عن
 ماله . وأما الأخصاص الأربعة الباقية فيعطى للفرس منها ثلاثة أسهم سهم له وسهمان لفرسه ويعطى للراجل
 سهمًا واحدًا . وقال أبو حنيفة للفرس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبيد والنسوان والصبيان إذا حضروا
 القتال وحكم المقار حكم للقتول . وعند أبي حنيفة يحضر الإمام بين أن يجعل الفارقه قسمًا بينهم وبين أن
 يجعله للصالح العامة ومن قتل مشركًا استحق سلبه والسلب كل ما كان على المقتول من ملبوس وسلاح وهكذا
 الفرس الذي كان يركبه

ثم إن خمس الخمس التي لرسول الله ﷺ والآخر الذي لقوى القربى قد سقط بوفاته ﷺ وصار الكل
 مصرورًا إلى الثلاثة الباقية عند أبي حنيفة . وقال مالك الأمر في سهم رسول الله ﷺ مفوض إلى الإمام
 يصرفه إلى ما يراه أهم

وأما الفيء فنذهب الشافعي في أحد قوليه أنه لصالح المسلمين ويعطى أولًا للغانلة ما يكتفون ثم الأهم فالأهم

من المصلح والأكثرين على هذا . واعلم أن النبي ﷺ وإن كان له خمس الخمس فإنه كان يعطيه أحيانا لمن يراه أهلا . روى عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله ﷺ يوم خيبر وبرة من جنب بعر فقال أيها الناس إنه لا يحل لي مما أءاه الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي إذا عرفت هذا فما أسهل أن تعرف قوله تعالى (واعلموا أن ماغنمتم) أي الذي أخذتموه من مال الكفار قهرا (من شيء) مما يقع عليه اسم الشيء حتى تحيط (فإن لله خمسة) أي فثابت لله خمسة وأما ذكر الله للتعظيم لأن الله له ملك السموات والأرض لاسدس الخمس المذكور في الآية (والرسول ولدى القري والبتاهي والسالكين وابن السبيل) ولقد تقدم تفصيل القول في هذا آقا . وأزيد عليه هنا أن سهم النبي ﷺ كان الشيخان أبو بكر وعمر يصرفانه إلى مصلح المسلمين عامة كما كان يفعل ﷺ وهناك أقوال غير هذه ضربنا عنها صفحا ثم قال (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) محمد من الآيات والملائكة والنصر (يوم الفرقان) أي يوم بدر الذي به فرقنا بين الحق والباطل (يوم التقي الجعان) المسلمون والكفار . يقول الله - إن كنتم آمنتم الحق - فاعلموا أنه جعل الخمس هؤلاء فسلموه اليهم وانقموا بالأخماس الأربعة الباقية . فالتقصود بالذات هنا العمل بالأمر لا مجرد العلم (والله على كل شيء قدير) فيقصد على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة . ثم إن الله قد أظهر في هذه الفقرة من الحكم الباهرة ما يؤيد النبوة ويثبت قلوب المؤمنين (الحكمة الأولى) أن المؤمنين لما نزلوا بدرًا كانوا بشفير الوادي الذي هو أقرب إلى المدينة والشفير هو الشط وهو العدو مثل العين وكانت هذه العدو رخوة تسوخ فيها الأقدام ولا يعنى فيها إلا التمسك ولم يكن فيها ماء (الثانية) أن كفار مكة كانوا بالعدو التي هي أبعد من المدينة وأقصى منها وفيها الماء ولا تسوخ فيها الأرجل (الثالثة) أن ركب أبي سفيان المعبر عنه بالعير كان في مكان أسفل أي عند شاطئ البحر فكان قريبا من كفار مكة يستظهرون به عند الحاجة . والمسافة بين الركب وبدر ثلاثة أميال (الرابعة) أن المؤمنين لما خرجوا ليأخذوا العير خرج الكفار لجمعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد فكيف تمكن الحاربة إذن بين عدوين قوي مستعد وضعيف غير مستعد ولو أن الضعيف أمد القوي للقتال ثم علم حقيقة الأمر لتختلف طبعيا فكيف به وهو لم يواعد . فهذه (الحكم الأربعة) هي الآتي ذكرها في الآيات على الترتيب والحكمتان الأوليان في حكم الواحدة فكانت هما ثلاث حكم وهذا قوله تعالى (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان (وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) أي في مكان أسفل منكم والجهة حال من الظرف قبله (ولوتواعدتم) أنتم وهم القتال (لاختلفتم في الميعاد) هيمة منهم وبأسا من الظفر . كل ذلك دلالة على أن هذا النصر إنما هو من الله وأنه من دلائل النبوة وهو ما زاد المؤمنين إيمانا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقا بأن يفعل وهو نصر للمؤمنين وخذلان للكافرين ثم علق بقوله - مفعولا - قوله (لبلك) ليكفر (من هلك عن بينة) من كفر بعد حجة قامت عليه (وبعجا من حق عن بينة) ويؤمن من آمن على مثل ذلك . فالهلاك هو الكفر والحياة هي الإيمان . أوليصل من صل على بينة ويهتدى من اهتدى على بينة . أو يموت من يموت على بينة عاينها ويمش من يعيش عن حجة شاهدها ثلاثا يكون له حجة ومعزدة فإن وقفة بدر من الآيات العجيبة الواحة (إن الله لسميع) لأقوالهم (عليم) بكفر من كفر وعقابه وإيمان من آمن ونوابه وهنا أخذ بذكر حكمة أخرى فقال تعالى (إذ يريكم الله في منامك) إلى قوله (والى الله ترجع الأمور) وحاصله أن الله سبحانه وتعالى أرى النبي ﷺ للمشركين قليلا فأخبر أصحابه بذلك فكان ذلك تشجيبا لهم على عدوهم ولو أن النبي ﷺ رآهم كثيرا في المنام لفعل أصحابه أي جبنوا عن القتال وتنازعوا في أمر القتال ونزعة دوا (ولكن الله سلم) أي عصم للمسلمين من التنازع والتخالفه فيما بينهم وسلمهم من الهزيمة

ثم انه لما التقي الجعان أرى الله المسلمين أعداءهم قليلا في أعينهم حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه أترامهم سبعين قتال أترامهم مائة وذلك ليثبت الله قلوبهم وليصدقوا رؤيا النبي ﷺ
وكما قتل الكافرين في أعين المسلمين قتل المسلمين في أعين المشركين حتى قال أبو جهل ان محمدا وأصحابه
أكلة جزير فلا تتناولهم واربطوهم في الحبال استقلا لا لهم واستغفروا لأنهم قتلتم في عينه . ثم قال سبحانه
(يقضى الله أمرها كان مفعولا) أى أمرها كائننا وهو اعلاء كلمة الله ونصر أوليائه واذلال للمشركين وتكرير
هذه الجلة لسببين مختلفين فهناك القضاء المبرم باستيلاء المسلمين وغلبتهم على الكافرين مع اختلاف القوى
وتباعد الأحوال وهنا القضاء بتقليل الكثير في الأعين ليكون ذلك باعثا على القتال . فهما قضاآن بأمرين
مختلفين أحدهما سبب والآخر مسبب

(لطيفة)

إن قصة بدر قد فصلت تفصيلا في مواضع مختلفة بحيث حلت تحليلا مفصلا ولكل جزء منها حكمة .
الآرى أنه ذكر في أول السورة (١) النعاس الذى اعتراهم (٢) ونزول الماء عليهم (٣) وتطهيرهم به
(٤) ونزول رجز الشيطان منهم (٥) وتثبيت قلوبهم . وهناك سادس وهو الهام الملائكة لهم بالتبشير
وبعضهم شاهدهم . وههنا زاد كونهم بالعدوة الدنيا وهو السابع . وكون المدعو بالعدوة القصوى وهو
الثامن . وكون الركب جهة ساحل البحر وهو التاسع . وكونهم حاربوا على غير استعداد وهو العاشر .
وكون النبي ﷺ رآهم في منامه قليلا وهو الحادى عشر وكون المسلمين وأوهم لما التقوا قليلا وهو الثانى عشر
وكون الكفار رأوا المسلمين في أعينهم قليلا وهو الثالث عشر وجاء في سورة آل عمران أن الله كثرة المؤمنين في
أعين للمشركين أى بعد احتدام وطيس الحرب كما قال - يرونهم مثليهم رأى العين - فصار المؤمنون الذين
هم ثلث للمشركين قريبا في أعين المشركين على عدد المشركين وهذا هو الرابع عشر
فانظر أيها الفكي كيف ذكر القرآن (١٤) مسأله في غزوة بدر بحيث لم يذكر نفاضا يشاهد ولا مطرا يستقيم
ولا خاطرا في قوسهم ولا رؤيا في منام نبينا ﷺ ولا رؤيه أعينهم ولا منزلهم الذى ينزلون فيه ولا ترابا يشون
عليه إلا ذكره وأظهر حكمته . أليس هذا من العجب . أليس هذا التحليل يدلنا أن تفكر فيما يحصل
لنا من الهجاب في حياتنا الدنيا وأن تفكر فيما ينزل بنا من خير أو شر ثم تعرف حكمة الله فيه . ان أحوالنا
كلها سلسلة متصلة شر وخير ومرض وصحة وآراء تعرض لنا . فليكن أيها العاقل أن تفكر في كل ما يصيبك
وما تناله وأن تحللها كما حلل الله غزوة بدر وتلتمس لكل حال حكمة وتساءل الله أن يعطيك حكمة ما حصل
لك فان هذا يفتح بصائرنا . ويؤثر قرائننا . ويشرح صدورنا . ويدلنا على عيوبنا . ويصيرنا بذنوبنا
ويرشدنا الى طرق الصواب . ولرب حادثة واحدة في حياتنا مزيجة تنير بصائرنا اذا تأملناها . وتفكر
أيها العاقل فيما صر عليك فستجد من حكم الله فيها ومن الهجاب ما لا يشاركك فيها سواك فليكن امرئ
تاريخ حياته مستغل عن سواء وإياك أن تستهزئ بتاريخ حياتك فتعلم أنه ملء من الهجاب متى فكرت
فيه كما ان الزهرة الواحدة تحمل كثيرا من الدلم للتفكيرين ولا يعرف لها معنى من لا يظنون . وانظر الى
أحوالك وكيف تجد نفسك يوما قد أحببت انسانا حتى عشقته ووقت بامرئ حتى جعلته قائما بشؤئك كلها
ثم يرى بعد حين أن هذا المحبوب للشوق ليس أهلا للحبة ولا للعشق وأن هذا الموثوق به ليس أهلا للثقة
متقلب الحال وتبدل العواطف والأخلاق ويصبح المحبوب مكروها والأمين خائنا حقا أو باطلا . وهكذا
كل ما حولنا وما نسمعه من القول والسير وما نشاهده من الامور والصناعات . فترى زيدا تزين له صناعة
الحداثة فأما عمرو فانه يزدريها وهكذا ترى جميع أحوالنا كذلك الأغنية والملابس والمساكن . ولذلك ترى
الناس لا يزالون يتقلبون ويتفكرون من حال الى حال ويخترعون . وبهذه الآيات أظهر الله انه غالب على

أمره لافرق بين الصالحين والطالحين والأنبياء والمرسلين . فهاهنا سبحانه أوى النبي ﷺ في المنام أن
 القوم قليل ثم أراهم للمؤمنين كذلك نهرا فظنوا أن الألف مائة أو أقل ورأى أهل مكة أن المؤمنين لا يصح
 أن يقاتلوا بل يربطون بالخيال وبعد أن دارت للمركة رأوا أن عدد نحو ثلثمائة يبلغ ألفين فانهزموا
 كل ذلك ليتم أمره وينفذ حكمه في خلقه ونحن نشاهد ذلك في أحوالنا . فترى زيدا يؤثر بقوله فينا
 وهو كاذب فأصبح القليل كثيرا في أعيننا ثم نعمل به ويسمعه آخر منا فيقول هذا كاذب في دعواه فيرى
 كثيرا ادعائه كاذبا فيحجم عن آرائه وكل هذا كالتطبيق على قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء
 وقلبه - . ألا ترى أنه حال بين المشركين وبين قلوبهم لما أراهم للمؤمنين قليلا جدا وبين المسلمين وقلوبهم
 حين أراهم للمشركين مائة وبين للمشركين وقلوبهم لما رأوا المسلمين ضعيفين فتفقد أمره بهذه الآراء التي أحدثها
 في النفوس . هكذا حال بين زيد وقلبه حينما صدق عمرا لما كثرا القليل وخذعه وغشه في معاملته وإنما
 فعل الله ذلك يزيد ليهذه ويعصره بالعواقب فإن لم يتبصر بذلك توالى خيلته في أعماله

بل الحياة الدنيا كلها وشهواتها ولذاتها وأموالها وجنودها وجيوشها وممالكها وحبا الاقامة فيها من باب
 تكثير القليل إذ زارها أصحاب أضعاف ماض عليه من المنفعة وبعد حين نعرف حقيقتها . ويرى الزهاد أن
 عظيمها حقير وكبيرها صغير . كل هذا لتكثير القليل وتقليل الكثير - وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور -
 ويظهر أن هذه الحياة كسبح الخليل وحواشي وشهواتها تكبر لنا صورها والحقيقة تخفي وراء هذه الصور
 للزوجة والنتيجة من هذه الصور والأشكال والخيال وخداع الأهل والأبصار وتوالى الغفلات علينا وتزين
 الشهوات لنا والخيال بيننا وبين قلوبنا . كل ذلك لتبصر وتذكر أمر هذه الحياة وتنتور بصائرنا وترقى
 عقولنا ونعرف أن الحياة الدنيا لعب ولهو ونستطيع الحكمة والعلم من هذه الأشكال كما تستبطن أجسامنا
 للمواد الغذائية حاجتها وترى باقية خارج الجسم فلئن تعاطينا الهواء والماء والخبز وحلولة الشمس فان أجسامنا
 تعمل فيها أعمالا كيميائية عجيبية وتصلني من ذلك مادة الغذاء الصافية وتوزعها على جميع أعضاء الجسم وترى
 بالباقي من الماء والهواء خارجه وإن زادت الحرارة فينا تدلونا منها . هكذا هذه الصور والأشكال المحيطة
 بنا يجب أن تدرك العقول حقائق المقصود منها ولا تبتأ بها . فالمرء والحياة والفن والفقر والصحة والمرض
 والمجبة والكرامة والعز والضعف . كل هذه صور تمثل فينا ونحن المثلون لها لنعرف حقائقها ونهذبنا
 بوقائها وندوتها في قنوسنا وترفع بها إلى الملا الأعلى حتى إذا فارقتنا هذه الدار كانت لنا سلاحا وجناحا لنطير
 به في العلا ولا نبقى مع الجاهلين الذين يسكنون في الطريق إلى الله بعد الموت

والتأمل في أحوالنا بعد أن أشبه بالمؤمنين تنويعا مغناطيسيا فقد رأينا أن للنوم (الكسر) يعطى
 للنوم حظا ويقول هوسكر فيستلذه ويعطيه سكرًا فيقول هوسكتل فيتأذى منه وهكذا يجعله يتكيف بما
 يقوله ويظن نفسه كما يوحى إليه النوم . هكذا تجد أحوال الناس في الدنيا . فترى قنوسنا تنقلب تقلبا
 كثيرا كما تقدم في الحديث (إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن) وهو متردد أبدا بين
 المتضادات والمتناقضات وكأننا في هذه الحياة نيام . فإذا انحلت أربطتنا من هذا الجسم معدنا إلى عالم أعلى
 وتيقظنا من غفلتنا ويقال لنا إن بصرا حديد . وما يعزى أنفسنا ما يكثر القليل ويقل الكثير كما في
 غزوة بدر . فتقليل الكثير هناك نظيره عند الناس قاطبة للنظار للفرح بتقليل المسافة بيننا وبين المنظر
 وهكذا نظير تكثير القليل للنظار المعظم فانه يربى الصغير كبيرا وهذا قوله تعالى - وما الحياة الدنيا إلا متاع
 الغرور - . انتهى

ثم أخذ سبحانه وتعالى يعظ المؤمنين فأمرهم أولا أن يبتغوا في الحرب ولا يهزموا ولا يلقوا الأعداء بقلوب
 واثقة بالنصر ووعده الله والدار الآخرة وثانيا أن يذكر الله في مواطن الحرب مستظهرين بذكره سننصرين

به داعين على عدوهم ﴿اللهم اخذهم﴾ وذلك يكون سبب الفلاح والظفر والنصر والثواب فينبغي للعبد ألا يشغله شيء عن ذكر الله وأن يتوجه إليه عند الشدائد وقبل عليه فارغ البال واتقيا بأن لطفه لا ينفك عنه في سائر الأحوال . وثالثا أن يطعموا الله والرسول قبا أمرها به ونهوا عنه على كل حال . ورابعا أن لا يتنازعوا باختلاف الآراء كما اختلفوا ببدن فان ذلك يورث القتل والجلين والضرب ويذهب ربحهم أى قوتهم ونصرتهم . وخامسا أن يصبروا عند لقاء العدو في كل حال فان الله ينصر الصابرين ويعينهم * روى البخارى ومسلم عن عبد الله بن أبى أوفى أن رسول الله ﷺ فى بعض أيامه التى لقي فيها العدو انتظر حتى اذا مالت الشمس قام فيهم فقال أيها الناس لا تخموا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموه فاصبوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف . ثم قال رسول الله ﷺ اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم * وروى الشيخان أيضا أن رسول الله ﷺ قال لا تخموا لقاء العدو فاذا لقيتموه فاصبوا . وسادسا نهامهم أن يكونوا كأهل مكة الذين خرجوا من ديارهم أى من مكة (طرا) غرا واشرا (ورثاء الناس) ليبتلوا عليهم بالشجاعة والسباحة (وذلك) انهم لما بلغوا الحقة وافاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلت عنكم فقال أبو جهل لا والله حتى تقدم بدرنا وشرب بها الخمر وتعزف علينا القينات ونطمع بها من حضرة من العرب ويسمع بنا الناس فلا يزالون يهايوننا أبدا فامضوا فوافوها ولكن ماذا شربوا شربوا كأس الموت وذاقوا العذاب المون وبكت عليهم الباكيات ورملت نسائهم ويقت أطفالهم (ويصدون عن سبيل الله) أى ويمنعون الناس عن دخول فى دين الله فهى لله عبادة أن لا يكون عملهم للرياء ولا لالتباس ما عند الناس وأمرهم الله أن يخلصوا لله التبة وأن يكون قاطبهم حسبة فى نصر دينهم ومؤازرة نبيهم ﷺ وأن لا يعملوا إلا لذلك ولا يطلبوا غيره (والله بما يعملون محيط) وهذا وعيد وتهديد يعنى انه تعالى عالم بجميع أعمال العباد فيجازى المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم فيه فائتوا واذكروا الله كثيرا) الى قوله (والله بما يعملون محيط) ثم أخذ سبحانه فى اتمام الكلام على المشركين وكيف قلبت الحقائق عندهم وحيل بينهم وبين قلوبهم فقال (ولمّا زين لهم الشيطان) أى واذكر (أعمالهم) فى معاداة النبي ﷺ بالسوسة (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنى جلوكم) وذلك بما يوسوس فى نفوسهم فيرون الفخر والعز والشرف وبما يبيت والسمة فيما تخيلوه من أنهم يغلبيون المؤمنين وانهم لا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وان ذلك كله قرئ الى الله والله يجير من نصره (فلما ترامت الفتتان) أى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه) رجع القهقرى أى بطل كيده وأصبح ما تخيلوه غرا وشرفا سبب الهلاك والاضعة والدلة (وقال لى برى منكم لى أرى مالارون * لى أخاف الله) أى تبرا منهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله للمؤمنين بالملائكة وهذا المعنى قاله الحسن واختاره ابن بحر * وقيل ان الآية على ظاهرها (وذلك) أن قرينا لما اجتمعت على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنفاته من الاحنة وكان ذلك بينهم فتمثل لهم ابلوس بصورة سراق بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم وإنى مجبركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة نزل نكص وكانت يده فى يد الحارث بن هشام فقال له الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال - لى أرى مالارون - ودفع فى صدر الحارث وانطلق وانهمزوا فلما بلغوا مكة قال هزم الناس سراقه فبلغه ذلك فقال والله ما شررت بسيركم - حتى بلغتني هزيتكم فلما أسدوا علموا انه الشيطان فيكون على هذا قوله - لى أخاف الله - لى أخافه إذ يصيبني بمكرهه من الملائكة أو نحو ذلك (والله شديد العقاب) لمن كفر وطغى واذكر (لما يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) أى الذين هم مؤمنون ولكن بقيت عندهم شبهة (غرة هؤلاء) للمؤمنين (دينهم) فتمرضوا للهلاك وهم ثلثائة و نصفة عشر رجلا يقتالون نحو ألف فأجاب الله قائلا (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) لا يذل

من استجار به غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى كما سلط البعوض على القليل فلا يضر على التخلص منه وكما يسلط الثرات للسمكة مكروبا على الانسان والحيوان (حكيم) يفضل بحكمته البالغة في هذا العالم ما يستعده العقول وتجز عن ادراكه اولو الالباب ويجعل من الفهم الخجزي الذي كان من امد قديم في باطن الأرض نارا ونورا وأنواعا من الأصباغ والألوان والجناب مع ان منظره ليس فيه إلا أنه خم أسود اللون لاشية فيه . وهكذا يفعل بحكمته العجب العجيب قال تعالى (ولو ترى) ولوعابت وشاهدت فان لو تجعل المضارع ماضيا وان يعكسها (إذ) ظرف لتري (ينوفى الذين كفروا لللائكة) بيدراى ولو رأيت الكفرة حين يتوفاهم الملائكة أى يقبضون أرواحهم بيدر حال كونهم (يضرعون وجوههم) اذا أنفخوا (وأدبرهم) أى ظهورهم اذا أدبروا (و) يقولون (ذوقوا عذاب الحرى) أى ذوقوا مقامة عذاب النار وجواب لو محذوف أى لرايت أمرا فظيما (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت أيديكم) بسبب ما كسبت من الكفر والمعاصي وهو خبر ذلك ثم عطف على فقط ما قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى بذى ظلم • يقول ذلك العذاب (ببينين) بسبب كفركم ومعاصيكم و بأن الله ليس بظلام للعبيد لأن تعذيب الكفار من العدل والمراد باليد هنا القدرة ثم قال (كذاب آل فرعون) أى دأب هؤلاء وعادتهم كذاب آل فرعون وعادتهم وطريقهم (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون نبيين دأبهم قتال (كفروا بإيات الله فأخذهم الله بذنوبهم) كما أخذ هؤلاء (إن الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه في دفعه شئ (ذلك) أى ما حل بهم (بأن الله) بسبب أن الله (لم يك مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى ينفروا ما بأنفسهم) يتلوا ما بهم من حال الى حال أسوأ وذلك أن الله أنعم على أهل مكة بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث لهم رسولا من أنفسهم فقابلوا هذه النعم بالكفران فلم يشكروها وكذبوا رسوله وقطعوا الرحم وغيروا ما بأنفسهم فسلهم الله العمة وأخذهم بالعقاب • قال السدى نعمة الله هو محمد ﷺ أنعم به على قريش فكفروا به وكذبوه ففقه الله الى الأنصار (وأن الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليهم) بما يفعلون فيجازيهم بما فعلوا (كذاب آل فرعون) تكرير للتأكيد يعنى أن هؤلاء الكفار الذين قتالوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون (والذين من قبلهم كذبوا بإيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم) فبعضهم أهلكتهم بالرخصة وبعضهم بالتسلف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ فكذاك أهلكتنا كفار قريش بالسيف (وأغرقتنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يعنى الأولين والآخرين . واعلم أن هذه الآية كما كررت للتأكيد كانت لبيان أن آل فرعون أهلكتوا بالاغراق وانهم سجدوا نعم الترتيبه . وأهم من ذلك كله حكمة عالية وآية عجيبه (ذلك) أن هذه السورة مدنية ولقد نزلت سور كثيرة من القرآن في مكة وجميع السور المكية فيها إهلاك الأمم بالكفر . ولقد ذكرت قصص الأمم وأخبارها كثيرا في سور مختلفة بحيث أصبح ذلك مألوفا معروفا لقراء القرآن وفى تلك السور كلها اشارات وتصريحات أن المكذبين نفي ﷺ سيكونون مثل الأمم السابقة يصيبهم ما أصابهم . ألا ترى الى قوله تعالى - أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكتناهم - والى قوله - وكأى من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكتناهم فلانارهم - وقوله تعالى - ألم تركب فعل ربك بعدا - الى قوله - وفرعون ذى الأوتار • الذين طغوا في البلاد • فأكفروا فيها الفساد • ضب عليهم ربك سوط عذاب • إن ربك لبالرصاد • ومكذا كانت السور المكية مشحونة بهذا الانذار والتخويف وهو ﷺ إذ ذاك لا جيش له ولا حابة ولا قوة ولا سلاح ولا يظن أنه يكون كذلك بمن كانوا حوله فلما هاجر الى المدينة ونصر في غزوة بدر وهزم أهل مكة ذكرهم الله فقال - كذاب آل فرعون - وكررها منها على حصول ما كانوا ينفرون به وهذا هو السبب في تكرارها تنبيها على المهزلة . ولعمري ان هذه هى المهزلة حقا . وكيف لا تكون من أهم المعجزات وقد حصل المنذر به

وأهلكوا كما كانوا ينترون اه

ثم قال تعالى (إن شرّ الوداب عند الله الذين كفروا) أصروا على الكفر (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم إيمان (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض تبيننا وتخصيصا . وذلك أن رسول الله ﷺ عاهد يهود بني قريظة ألا يعاربوا ولا يعاونوا عليه أحدا فنقضوا العهد وأتوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله ﷺ وأصحابه ثم قالوا نسينا وأخطأنا فعايدهم الثانية فنقضوا العهد أيضا وماتوا الكفار على رسول الله ﷺ يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله ﷺ . والمراد بالمرّة مرة للمعاودة والمخاربة (وهم لا يتقون) أي لا يخافون الله في نقض العهد ولا سبة الغدر وميقته ومن جمع بين الكفر ونقض العهد فهو من شرّ الوداب (فاما تتقنهم) تصادفهم وتظفرون بهم (في الحرب فشرد بهم من خلفهم) * قال ابن عباس معناه فشكل بهم من وراءهم وقال سعيد بن جبيرة أنذرهم من خلفهم . والتشديد قفران على اضطراب (لعلهم يذكرون) أي لعل ذلك النكال ينعمهم من نقض العهد (واما تخافون من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانذروهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) يعني على طريق ظاهر مستوي يعني أعلمهم قبل حربك ليأسم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون أنت وهم بنقض العهد سواء فلا يتوهمون أنك نقضت العهد أولا بنصب الحرب معهم وهذا اذا ظهرت الخيانة بأمارات تلوح وتضخ من غير استفاضة كما يفهمه لفظ تخافون فيلزم يجب على الامام أن ينبذ اليهم العهد ويسلمهم الحرب وذلك كما اتفق ليني قريظة إذ عاهدوا النبي ﷺ ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه فظاهروهم على النبي ﷺ خفاف النبي ﷺ القدر به وبأصحابه وأما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلاحاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله ﷺ بأهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله ﷺ فلم يرعهم ولا وجبت رسول الله ﷺ بم الظهران وذلك على أربع فرائس من مكة وقد علل سبحانه الأمر بنبذ العهد وإعلام الأمر وظهاره قبل الحرب لما أنه لم يكن مستغيبا بقوله (إن الله لا يحب الخائنين) الذين يحاربون قبل أن ينبذوا العهد حينما نظروا أمارات نقض العهد (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) الذين كفروا ومفعول أول وجهه سبقوا مفعول ثان أي ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا فاتوا وأفلتوا من أن يظفروهم * وفي قراءة - ولا تحسبن (من خلفهم) الذين كفروا سبقوا - والمفعولان كما هما (انهم لا يجزون) أي انهم لا يجزون الله فلا يلتقم منهم وفيه تسلية للنبي ﷺ فيمن فاته من المشركين ولم يلتقم منهم فأعلمه الله اسمهم لا يجزونهم قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه . والقوة قال العلماء انها جميع أنواع الأسلحة والآلات التي تكون قوة في الحرب على قوة الأعداء والحصون والمعاقل والرمي وقد وقف رسول الله ﷺ على المنبر يقول - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - ألا ان القوة الرمي . أخرجه مسلم

والقصد أنه من جملة الأمور به وسياق تفصيل هذا للقام قريبا . قال تعالى (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فهي فعال بمعنى مفعول وهو مطوف على قوة كما عطف جبريل وميكال على الملائكة (ترهبون به) أي تخوفون بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) يعني كفاركم (وأخزيهم من دونهم) من غيرهم كاليهود والمنافقين والفرس والروم والأمم الأوروبية الحالية الذين لا يخافون إلا اذا تأهب الناس لحربهم وقاموا لمقاتلتهم وهووا المناجزتهم (لا تعلمونهم) لا تعرفونهم بأعينهم وانما هم أعم من الكفار تقابل وتعادى أي من المسلمين على توالي الأزمان فكل يعلم من يعاديه ولا يعرف سواء والله يعلم الجميع لأنه محيط علما بمخلوقاته وهو قوله (الله يعلمهم) تم حرض على الاتفاق في الحرب ليعدوا ما استطاعوا من قوة

ومن رباط الخيل الذي لا يتم إلا ببذل المال فقال (وماتفقوا من شئ في سبيل الله يوفى اليكم) ثوابه (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثواب أعمالكم شياً . لما ذكر الله للمعاهدة وبذلها وأنه يجب إعلان الحرب إذا كانت هناك أمارات لنقض العهد وكذلك أعداد العدة والكرام والسلاح إذ يقول إن هذه العدة لا يقصد منها أن يكون للمسلمون دائماً مهاجمين محاربين وإنما الاستعداد لقصد الازهراق فيها بونكم وهذا الازهراق هو الذي يجعل الناس تحترم دولتكم وتخشى جانبكم فيخرجون في صلحكم والسلام معكم ولا مساعدة في الدنيا بشير السلم مع الاحتراس وأعداد العدة ولذلك أعقبه بقوله (وان جنعوا للسلم) مالوا للصلح والاستسلام (فاجنح لها) وعاهدكم (وتوكل على الله) فوؤض أمرك الى الله فيما عقدته معهم ليكون عوناً لك في جميع أحوالك ولا تخف من إبطانهم خداعاً فيه فان الله يصمك من مكرهم ويحييهم (لأنه هو السميع) لأقوالهم (العليم) بنياتهم (وان يريدوا أن يخضعوا فان حسبك الله) كافيك • قال جرير

اني وجدت من للكلام حسبكم • أن تلبسوا خز الثياب وتلبعوا

(هو الذي أيدك بنصره) قوّاك بأسباب النصر الباطنة (وبالمؤمنين) وهم الأسباب الظاهرة ثم بين كيف أيدته بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) ومنهم الأوس والخزرج فقد ألف الله بين قلوبهم بعد تعاديه مائة وعشرين سنة . ومعلوم أن العرب كانت فيهم الحمية الشديدة والافتة والصبيّة القوية والضعيفة والعداوة للمروءة عن الآباء والأجداد ولا تزال هذه الأمور مشاهدة في أبناء العرب قومنا بمصر والشام وبلاد المغرب والعراق لم تفارقهم فهم يتفادون لجة الجاهلية وكلما كانوا أقرب الى البداوة كعرب مصر كانوا أغرق في هذه الحال . فانظر كيف ألف الله بينهم لما جاءهم رسول الله ﷺ فأصبعوا اخواناً وهذه معجزة النبي ﷺ فان اجتماع قلوبهم أمر لا يسهل له فظهر مع هذه العداوة والحمية ولذلك قال تعالى (لوانفقت ماني الأرض جميعاً ما ألقت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم) جمع بين قلوبهم وكلّتهم بالاسلام (لأنه عزيز) يقهر من يخضعونك (حكيم) ينصر من يتبعونك . وبأيت شعري أليس هذا هو النبي العربي . أليس هو جدنا وعم أقاربنا ودينه بين ظهرائنا . وكيف ألف الله بين قلوب العرب في الجاهلية ولم يؤلف بين أبنائهم في الاسلام . بأيت شعري مالي أرى أبناء العرب في بلاد مراکش وفي الجزائر وتونس وطرابلس والشام والعراق والحجاز لا يكادون يعرفون انهم أبناء أولئك الأجداد الكرام . يا عجبا كيف يتقوى رجال أسبانيا بالعرب على العرب في مراکش . وكيف تقوى أهل فرنسا على العرب بالعرب في مراکش والجزائر . كيف وكيف . كيف أصبح أبناء العرب أشتاتاً حتى أذلّتهم أوروبا . أليس ديننا هو ديننا . أليس القرآن هو القرآن . أليس هؤلاء أبناء أولئك . أقول نعم انهم أبناءؤهم ولكن لم يظهر في الأئمة من يجمع الكلمة فكل قائم رغبة في الرئاسة على قومه وأكثرهم يأخذ النقوذ من الفرنجة ويحاربون اخوانهم وذلك لشدة جهاتهم وقلة تربيتهم وانهم يظهر في الاسلام مصلح عام الاصلاح يقوم خليفة عن الرسول ﷺ بل هم جميعاً يتحاربون ويتعادون على حطام الدنيا القليل دلالة على أن العقول ضعيفة والنفوس ذليلة . أو ما علموا أن اتحادهم يكسبهم عزّة وقوة ومنعة . أو ما علموا أن أمم أوروبا مع اختلاف لغاتهم وأجناسهم يتحالفون ويتحدون ويتألفون على ابتلاع المسلمين وأبناء العرب تامخون . يا عجبا كل الحب تتحد القذاب على اقتناص الشياخ ولاتتحد الشياخ على الفرار على الأقل فضلا عن انها تستأسد وتصد العدو المغير والآساد الفترسة

ولئن رأينا آباءنا في الصدر الأوّل قد تعادوا واقتتلوا ليكون الاجتهاد هو الذي أداهم الى ذلك وكان لهم ملك عظيم يخافون أن يضع فلما تعادوا لم يضع ملكهم ولو رأوه أبلا للزوال بالتقال لم يتعادوا كما معاوية رضى الله عنه في خطابه الملك الروم لما طلب منه الجزية في لئن لم تكف عن طلبك الجزية لأصلحن صاحبي (يعني علياً) وأكون أوّل جندي يحاربك بأمره في فكف ملك الروم عنه . أما أبناء العرب الآن فانهم

ساحون لاهون جاعلون يتقاتلون ليستعبدهم الفرنجة وهم في غيهم يعمهون
فهذا دليل على أن الله لم يؤلف بين قلوبهم وهذا دلالة على أن دين الاسلام عندهم ليس في التزلة التي
كانت له عند أسلافهم • هذا تحقيق للتمام فلينظر أبناء العرب اخواني في أنفسهم ولينظروا لهم
عجرا فلما حياة سعيدة واتحاد إيماني وإما أن يصبحوا عبيدا للفرنجة خاضعين • ثم قال الله تعالى (يا أيها
النبي حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) في محل نصب مفعول معه • قال الشاعر
إذا كانت الهيجا واشتجر القنا • لحسبك والصحاك سيف مهدي

والمراد بالمؤمنين المهاجرون والأنصار فيدخل فيها عمر وغيره فلازوم لتخصيصها به وهي مدنية
وقوله (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) بالغ في حنهم عليه • وقرئ • حرض - من الحرص
(ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) • وفي
قراءة - وان تكن منكم مائة صابرة - (بأنهم قوم لا يفقهون) بسبب أن الكفار قوم جهلة يتقاتلون على غير
احساب وطلب ثواب كالبهائم فيقتل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته • روى البخاري عن ابن عباس
قال لما نزلت - ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - كتب عليهم ألا يفرّ واحد من عشرة ولا
عشرون من مائتين ثم نزلت - الآن خفف الله عنكم - الآية فكتب الأفرّ مائة من مائتين • وفي رواية
أخرى عنه قال لما نزلت - ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - شق ذلك على المسلمين فنزلت
- الآن خفف الله عنكم - الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر بقدر ما خفف عنهم وعلى
هذا تكون هذه الآية ناسخة لما قبلها وهي قوله تعالى (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن
مستم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين) بالنسبة للمعونة
• ويقال ان قتال الواحد للعشرة كان في يوم بدر فقتل ذلك وعلم الله أن فيهم ضعفا في قتال الواحد للعشرة
قال العلامة الرازي ما ملخصه • وإعلم أن جمهور العلماء ادّعوا أن قوله - الآن خفف الله عنكم - ناسخ
للآية المتقدمة • وأنكر أبو مسلم الأصفهاني هذا النسخ وبينه بأن وجوب مقاومة العشرين للمائتين مشروط
بأن يكونوا قادرين على الصبر في مقابلة المائتين وقوله - الآن خفف الله عنكم الخ - يدل على أن ذلك
الشرط غير حاصل في حق هؤلاء صار الحكم دائرا مع وجود الشرط وجودا وعمدا وبصر المعنى ان حصل
منكم عشرون موصوفون بالصبر على مقاومة المائتين فليستغفوا بمقاومتهم واذن فلانسخ وليس ذكر التخفيف
يدل على حصول التثخيل قبله لأن عادة العرب الرخصة بمثل هذا وفي القرآن - يريد الله أن يخفف عنكم -
وذلك عند الرخصة للحرب في نكاح الأمة وليس هناك نسخ • انتهى ملخصا مختصرا

وعلى عليه العلامة الرازي فقال ان ثبت اجماع الأمة على الاطلاق قبل أبي مسلم على حصول هذا النسخ
فلا كلام عليه فان لم يحصل هذا الاجماع القاطع فنقول قول أبي مسلم صحيح حسن اه من الرازي
(عجائب القرآن في هذا العصر)

اني وإيم لله لني عجب من هذه الحكم الجبيلة • وآيات الله الحكيمية • فيها أن أفسر في أول هذه
السورة إذ وردت الأخبار في الجرائد يوم الثلاثاء ١٢ أغسطس سنة ١٩٤٤ ما يفيد أن العشرين يغلبون
مائتين وأن المائة يغلبون ألفا في حرب المسلمين بمراكش مع الاسبانين فنجبت كل العجب وأيقنت بهذا
وبتكراراته في الآيات السابقة ان هذا التفسير ملحوظ بالناية الإلهية والمساعدة الربانية فقد وردت الأخبار
أن القبائل الجبيلة بمراكش انضموا الى جماعة المحاربين بالريف القاطنين بمحاربة الأسبان ليتخلصوا من
استعبادهم وأن رجال القبائل تنهبوا الآن وكثير منهم قتلوا رؤسدهم الذين أغراهم الأسبانيتون بلدا أي أنهم
يريدون الرجوع الى مصر الأول عصر الاتحاد بالدين وأن هناك معركة في (وادي توه) هجم فيها الاسبانيتون

بثلاثين ألف جندي على رجال عبد الكريم ففشنت معركة هائلة دامت ثلاثة أيام متوالية وفقد الاسبانيون فيها ثلاثة آلاف جندي بين قتييل وجريح ثم ارتقوا على أعقابهم خامسين وكانت قوات الأمير الريني ثلاثة آلاف مقاتل وهؤلاء هم الذين قتلوا قائدهم المسمى سعد بن مرزوق الذي أسبغ عليه الاسبان نعتهم ليحارب المسلمين (انظر الاهرل المؤرخ ١٢ أغسطس المذكور)

ثم أقولها أنذا الآن في ليلة الأربعاء ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٦ أحضر التفسير للطبع وأقرر أن الأخبار وردت أن عبد الكريم سلم نفسه للفرنسيين ولانزال الحرب كما هي بعد أن ظن الناس أنها قد انتهت وهؤلاء لايزالون يحاربون الفرنسيين والاسبان معا . أفليس من العجيب أن تكون هذه الواقعة مذكورة بنصها أن ثلاثين ألفا قاتلهم ثلاثة آلاف مسلم . أليس هذا هو ما ذكره الآية . ولئن تقول الأمة الاسلامية اليوم بتجديدها وعيها . وكيف قام ثلاثة آلاف ثلاثين ألفا . وكيف تصادف أن يكون وقت تفسير هذه الآيات

ان مانعت عليه الآية الأولى أصبح موجودا في الاسلام فهل تقول لاحجب عليهم المقاومة . كلا . بل تقول يجب لأن هؤلاء ثلاثة آلاف صابرين قادرين على القتال . ولأن ذنبا دخلت قريتنا وهي ٣٠٠ ذنب وعندما ثلاثة رجال أقوياء وهم قادرون على طردهم لوجب على هؤلاء الرجال طردهم وبعض أهل أوروبا ذئاب فهل اذا وجدنا عدنا رجالا ذوي قوة قادرين على طردهم . تقول لا يجب عليكم . كلا . بل هو واجب فالجواب تابع للقدرة . ولأن ثلاثين مريضا دخلوا قرية ليقاتلوا ووجدنا ثلاثة أقوياء فلا يأمرون بتنازلهم على فرض أن لا قادر سواهم . ان كلام أبي مسلم لا غبار عليه كما قاله العلامة الرازي وقد أبدى الواقع الذي شاهده الناس في هذا الاسبوع . ولقد تكرر ذلك كثيرا في حرب الأندلس وحرب الترك وغيرها فتشبه من الحكمة والعلم والقرآن

(لطيفتان)

(الأولى قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم -)

ان علم النفس وتأثير قواه في أحوالنا اليومية وأخلاقنا الشخصية أصبح منتشر في أوروبا وأمر يكاظمه الوصول الطوال فيه . يقولون ان النفس مخزن كقوة مودعة سموها القوة المفاضلية وقد ذكرت هذا للقال في سورة البقرة فارجع اليها هناك فعل العاقل اذا أراد السعادة أن يحفظ اللسان والشهوات والرغبات ودمج النفس وكثرة الضحك . وأن يكون رزيا ساكنا قليل الانجاب . قليل الحركات . قليل التلهف على مطالبه وانما بما يريد موقا به حافظا لكل كلمة وحركة وفكرة . ويقولون ان هذه القوى تحفظ للانسان ذخيرة وتجعله قورا . ويقولون أيضا أن قوة العزيمة وتوجه النفس للطلوب والثقة بحصوله لها أثر في الخارج ولهم أدلة خطافية سفسطية في ذلك ولكنهم يعتمدون على التجارب . فالتجارب عندهم هي محور الأعمال . وبالجملة ان النفس الانسانية لها آثار في الناس حقا . ومن أراد الخير فليجعل النفس متوجهة اليه ولا حاجة الى الاطالة في هذا بعد ما بينا في سورة البقرة

ولا أدل على ذلك في القرآن من قوله في هذه الآية - ذلك بأن الله لم يك منبرا نعمة أنعمها على قوم الخ - وقوله تعالى - إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا - الى قوله - ذلك بأنهم قوم لا يفقهون - فجعل الفقه النفسي والفكر الوجداني والشعور الانساني منشأ الانزهازم في الحرب وكذلك قوله تعالى - اني معكم فتيوا الذين آمنوا - وقوله - وما جعله الله إلا بشري لكم - ولذلك يقول هؤلاء العلماء الاوروبيون ان المرء اذا استشعر في نفسه حصول مطلوبة وهو ثابت العزم قوى الارادة حصل له مطلوبه هو الحديث (أنا عندنا عبيدي في) وفي الآية - من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع

قليل نظر - الآية - فهذا على أحد وجهيه يرجع لسوء الظن بالله وهو اليأس . فكل هذه ترجع الى شعور الناس بالخير والشر مؤثر في أخلاقها وأحوالها . ويدهن على ذلك الفلاسفة قائلين ﴿ أن الانسان يمشى على الحائط فيسقط لتكرار الوهم والحاحه عليه أنك ساقط فيسقط ولكنه في العادة وهو على الأرض لا يمشى على ما هو أوسع من ذلك الحائط ﴾ وقد جعلوا هذا الدليل للمعالم عند العموم مقدمة للاعتراف بما يحدث في النفوس البشرية من آثار أفكارها من حبة وبغض وسعادة وشقاء وما يحلبه تلك الآراء من أحوال الانسان للمادية فان استحضاره في نفسه أنه من التجار أو العلماء أو العاتق يلزمه أن يزيأ بزهم . فهنا الفكر ألبس الجسم ملبس من فكر أنه منهم . هكذا يتقانون عن بعض علماء اليونان أنه يقول ﴿ ان السجاجة اذا اعتادت أن تقاقل الدبكية نبت لها (مصيبة) كالتي لديك ﴾ ويقول علماء العصر الحاضر ﴿ إن كل تمهيج دماغى ناتج عن أحد الآراء كثوران النصب أو الهيام أو الغضب أو الرعب يهد السيل الى فقد الحس ﴾ و ترى الجندى في الحرب يصاب بجراح بليغة ولا يشعر بها ومن المحكوم عليهم بالموت من لا يضرب الجلاذ فيهم وقت الاعداد إلا جثة باردة تركتها الروح لشدة الرعب . وبعض المحكوم عليهم بالاعداد عصبوا عينيهم وصبوا ماء دافئا على رقبتهم أو هموه انهم قصدهم فبات معتقدا أن دمه قد استنزف كله

وروى أن (مونيوس شيقولا) في ثوران حبه للوطن وضع يده على جرة متفددة ولم يشعر بألمها • وقد روى مثل ذلك عن بعض العاشقين

وهذا بعض ما يدل عليه قوله تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نعمة أنعمها على قوم حتى يشيروا ما بأنفسهم - جاء في مجلة (للمرشد) ما يأتي

﴿ امرأة تلد ضفدعا ﴾

في مجلة الجالية (برازيل) ملاحظته

في ضاحية (أربول غراندى) من بلاد المكسيك مناجم زيت الكاز يعمل فيها عدد كبير من العمالة بينهم رجل اسمه (الينو زونيغا) وزوجته (حنة كوتاراس) وكان لا ينقصهما لتمام سعادتهما سوى ولد يكون عظم أمالهما . ومنذ أشهر أخذ (زونيغا) يعد المعدادات لولادة زوجته حتى اذا حانت الساعة المنتظرة خرج الطبيب وعلى يده (ضفدع) كبيرة خضراء اللون ضخمة البطن بارزة العينين طويلة اليدين والرجلين وقال له هذا هو ابنك يا زونيغا فذهل الرجل لدى رؤية هذا الحيوان القبيح الشكل وقال لا يمكن أن يكون هذا ابني وتراجع خائفا من منظر المولود الضفدعي الذي لا يقل طوله عن (٦٥) سنتيمترا

وكانت الأم تواقعة لترى ابنها البكر لكنهم منعوها من ذلك . ولما رأوا أن لامناص من أن تراه قتتموه اليها فلما شاهدته صرخت وأغمى عليها وتوافد الناس ليروا المولود العجيب

وقد فحص الأطباء والوالدين ليعلموا هل فيهما عيب خلق أو مرضى سبب هذه الولادة فلم يجدوا سببا إلا ما علموه من أن الأم كانت تكره منظر الضفادع وتخافها واتمها في الليلة السابقة إذ كانت نائمة شرحت بشئ أملس بارد يمر على وجهها فاستيقظت منزعورة وأضاءت المصباح فاذا هو ضفدع فأصيبت بنوبة عصبية وفي المساء التالي وضعت الضفدع . اهـ

﴿ أثر الوهم ﴾

جاء في مجلاتنا المصرية في ٢١ يونيو سنة ١٩٢٦ ما يأتي

يضر لنا الاستهواء عتة مظاهر طالما حيرت عقولنا في حياتنا اليومية ويكشف لنا الساتر عن سر أوهاطنا وآلامنا الخيالية التي كثيرا ما عكرت صفو حياتنا . وهكذا نكون مدينين بسعادتنا وهناتنا لعم النفس الحديث . والاستهواء القاء فكرة أو اعتقاد ما في نفس اللوحى اليه فيقبلها دون معارضة . ولا تلبث أن

تحوّل الى عمل أو عقيدة ثابتة دون أن يدور للموتى اليه

والقابلية للاستهواء تكاد تكون غريزة في الانسان إلا أنها تزداد كثيرا عند الأطفال والضعفاء قوّة وإرادة والصبيّين والقدّين في حالة غير عادية بوجه عام . كما أن بعض الناس يتنازول بقوّة الاستهواء مثل الرؤساء والزعماء في العلم أو الدين أو السياسة وأقوياء الإرادة والجسم والاستهواء إما ذاتي أو خارجي . فالثاني هو الذي يستهوى فيه الانسان نفسه . والثاني هو الذي يستهوى فيه غيره من الأفراد أو الجماعات

وممارس البراهمة من الهند نوعا من الاستهواء الذاتي إذ يستهوى الواحد منهم نفسه الى الزهد والتشغف في الحياة فيخرج الى مغارة بعيدة ويحاسب القرفصاء عاريا ويردّد جملا خاصة طول يومه مثل ﴿ يجب أن أزهد الحياة لأنها دنيئة ﴾ فلا يلبث بعد بضعة أيام حتى يجد فكرة الزهد قد تملكته جميع مشاعره وتحوّلت الى عقيدة شديدة وبذا يصبح رجلا متقشفا زاهدا في الحياة قلبا وقالباً

ويمكن لمن مارس أى عادة ضارة أن يستهوى نفسه الى إبطالها . فالمدخن مثلا يمكنه ترك التدخين ونسيانه اذا ردّد في نفسه كل صباح ومساء بلهجة العزم والحزم جملة خاصة مثل ﴿ يجب أن أترك التدخين لأنه مضر بصحتي ﴾ ولاشك أنه اذا واطب على ذلك تحوّل هذه الفكرة التي تردّد في النفس الى عقيدة ثابتة ثم الى عمل وينتهي الأمر بإبطال التدخين

وكثيرا ما كان الاستهواء وعلى الأخص الذاتي منه منبعا لأوهامنا وآلامنا الخيالية . فالانسان قد يكثر من التفكير في مستقبله وينظر اليه خلال منظار أسود فيساوره الخوف ويسود عليه روح التشاؤم فلا يلبث أن يتحوّل هذا التفكير الى عقيدة ثابتة بل الى عمل وتصبح حياته سلسلة من الأزمات والهموم التي لا سبب لها ويعاوده الفشل في جميع أعماله وتخط قواه الجسميّة . فيظن أن تنبؤاته قد صدقت والواقع أنه انما هو الذي جعلها فصّاق لأنه استهوى نفسه الى تحقيقها . وقد تأيدت هذه النظرية النفسية بالتجارب والبراهين المحسوسة في الانسان والحيوان فخلاخص الجهاز الهضمي طرة أثناء فرحها وأثناء حزنها فوجد أنه في الحالة الأولى يسير سيرا حسنا عاديا بينما يقف قريبا عن العمل في الثانية

وقد جرب أحد مشاهير الأطباء قوّة الاستهواء في الجسم فاستأذن من حكومته في قتل مجرم محكوم عليه بالأعدام بقوّة الاستهواء وأخذ مصوب العينين الى غرفة سوداء مظلمة وكان هو أيضا يلبس الملابس السوداء القاتمة وأخذ يعبد عليه كثيرا جملة ﴿ سأعذك بقطع شريان من جسمك ﴾ بلهجة التأكيد والعزم ثم طرحه على سرور كرر على مسامحه طريقة القتل وأوضح له ماسيشعره ثانية وأخرى عند قطع الشريان من سبلان اللحم الى القيوبة الى الموت ثم أمسك موسى عاديا وقطع به ذراع المجرم قطعاً سطحيا ثم فتح صلبورا كان قد أعدّه فأخذ الماء يسيل منه على ذراع المجرم كأنه اللحم في حرارته العادية فلم يلبث المجرم أن مات تحت تأثير الاستهواء الشديد وتحققت الوفاة بواسطة جمع من الأطباء خصه خصا دقيقا

ومن التجارب التي عملت أيضا لاثبات قوّة الاستهواء وتأثير الوهم على الجسم أن أحد علماء النفس في إنجلترا اتفق مع سكان بضعة منازل كان يمرّ عليها بالنع ليل في الصباح لتوزيع لبنه أن يمدى كل واحد منهم عجيبة من الضف الجفائي غير العادي الذي يبدو على وجه هذا البائع بجملة خاصة بالترتيب كان يقول الأول ﴿ مالي أرى وجهك اليوم شاحبا بخلاف عادتك ﴾ والثاني ﴿ لماذا ترتعش وأنت تعلميني اللين ﴾ والثالث ﴿ أراك لا تقدر على المشي اليوم ﴾ وهكذا فما وصل البائع الى نهاية دورته حتى سقط على الأرض مغشيا عليه وقد كان بصحة جيدة عادية عند خروجه من منزله . وبما ذلك إلا لأن فطرة الضعف التي ردها زبائنه في نفسه حوّلت الى عقيدة بالتكرار ثم الى عمل موقع على الأرض فاقد الرشد

ويبالغ (أميل كويه) الفرنسي في قوة الاستهواء ويقول أنه يجب أن يتخذ كوسيلة لشفاء كثير من الأمراض ولاشك أن قوله هذا نصيبا كبيرا من الصحة إذ أنا كثيرا ما نشعر بالصداع أو الضعف أو الانحلال الجنائي وكثيرا ما نصاب بالأمراض العصبية نتيجة الأوهام والخاوف التي لا وجود لها والتي نلقينا في روع أنفسنا أو بوحى النبا بها ماحولنا من بيئة حمزة أو من قوم ان قصدا وإن عفوا ولذا يمكن أن يؤكد أن الطالب مثلا الذي يفكر كثيرا في الرسوب إنما يستهوى نفسه للرسوب دون أن يدري فيرسب . وكذلك العامل الذي يفكر دائما في الفشل غالبا ما يفسل بقوة الاستهواء الذاتي فابنهم أيها القارئ في وجه الدهر يتقسم لك وافرح بأنك المرح واعتقد في الشفاء من أمراضك وآلامك لأنك تساعد بذلك نفسك على النجاة وتلهمها عن كل ما يحزنك بالرياضة البدنية والتزهة والأعمال اليدوية وانظر الى للمستقبل دائما نظرة المتفائل السورور لأنوم بالجراح تذهب عنك أو هامك الكثيرة القتالة وتسمو بنفسك الى النجاح المحتم . انتهى

(المعالجة بالاستهواء وفيها أيضا في تاريخه) (طريقة الدكتور أميل كويه)

في أواسط هذا الشهر (يوليو سنة ١٩٢٦) توفي في باريس العالم الفرنسي الشهير الدكتور (أميل كويه) الذي يعتبره أعظم دعاة الاستهواء وأكبر القائلين بذهب الشفاء بطريقة الإيهام توفي هذا العالم في منزله بمدينة (نانسى) بعد عمر طويل قضى معظمه في المباحث النفسية وفي مدى تأثير الوهم في النفس . وقد طار صيته في جميع أنحاء العالم وكان الانكليز والأمريكيون يعتبرونه زعيم الأطباء الرومانيين أو الاستهوائيين بلانماز لم يكن هذا العالم مبتكرا ولكنه قح آراء علماء الاستهواء الفرنسيين بما أذاعه من النظريات الجديدة وهي نظريات تقضى ببذ كثير من المذاهب العلمية البحتة وعدم التقيد بها حتى لا يظل الاستهواء مجرد نظرية علمية بل يصبح من الحقائق التي هي في متناول الجميع وقد كانت شهرة (كويه) مبنية على ما أبانه من سلطة النفس على الجسد وما أثبتته بتجارب عدة أمام جماهير من الأطباء . وكان دائما يقول ان الأطباء يغلطون غلطا فظيحا لأنهم يعنون بالجسد دون النفس ولأنهم يهملون درس السلطة غير المنظورة التي للوهم على الجسد . فالطبيب الذي يستشار في معالجة العليل لا يفتحص عادة سوى أعضاء الجسم وحالتها ولا يفتحص بحالة العليل النفسية وما يمكن أن يعطاه لانهاش تلك الحالة (وبعبارة أخرى) أنه يتجاهل قيمة (اللقوى للعنوى) الذي يفعل في شفاء النفس ما لا يفعله للقوى المادى . وقد أثبت الأستاذ (كويه) بتجارب عدة أن للمعركة عجيبة في كلا العالمين المادى والجنائى وأن تسليطه على الجسد يحدث تأثيرا عجيبا . وفي الواقع أن الفكر قد يكون سببا زعافا أو مصلا شافيا . وطريقة الاستعانة به على مداواة الأمراض ليست حديثة بل قد كانت معروفة منذ أقدم الأزمنة وقد أهملها العلماء مدة ثم عادوا اليوم الى ادراك أهميتها في معالجة الأمراض

والحق يقال ان الدكتور (كويه) أباغ طريقة المعالجة بالاستهواء أقصى الحدود وأثبت انها من الطرق التي يجب على الأطباء أن يضعوها في مقدمة وسائل للمعالجة فإذا كان المصل المادى يفيد في بعض الحالات فإن المصل للعنوى أى التطبيب بالاستهواء يفيد في جميع الحالات . وإذا علمنا كيف نستعمله نكون قد أسدينا الى الجنس البشرى أعظم معروف يتقوره الفكر . وليس ذلك فقط بل ان هذا (المصل العنوى) يفيد أيضا في شفاء الكثير من الأمراض الأدبية . فالشخص الذي هو رقيق لبعض العادات الرديئة يمكن شفاؤه من داء تلك العادات واصلاح ما فسد من أخلاقه . وشفاؤه بالاستهواء أسهل في هذه الحالة من

شفائه بالعقاقير . وفي هذه الحالة تصبح الهيئة الاجتماعية كلها مؤلفة من أفراد أسماء البنية . أسماء الأخلاق
ويصبح العالم فردوسا زاهرا تطيب الإقامة فيه

ان لسلك امرئ (كيانين) أحدهما الوجدان الذي بواسطته يدرك كل مايقع حوله ويشعر بكل
مايحصل . والآخر الوجدان الكامن الذي يدفع المرء الى إثبات أعمال كثيرة بطريقة أوتوماتيكية مجردة
من عنصر الإرادة وهذا الأخير الوجدان الكامن معروف بآثاره أو بنتاج الأعمال التي تدفع للمرء الى
إثباتها وهو المهيمن على كل حركة من حركات الجسم . فإذا استغرق المرء في سبات أو ذهول توقف ذلك
الوجدان عن العمل وهو الوسيلة التي بها يعمل الفكر عمل الحسل المصنوع الشافي الذي في إمكانه أن ينقذ
الجسم من أمراض كثيرة وآلام عدة

هذا وإن ما يحدث في النفس في أثناء عملية الاستهواء يشبه عملية الانبات تماما . ولذلك يصح تسميته
بالانبات النفسي أو العقلي . ففكرة الشفاء هي البذرة التي يمكن بذورها في النفس لتنمو وتكبر حتى تقناول
كل شيء وتأتي بالثمر الطوبى . وطريقة الاستهواء المنسوبة الى الدكتور (كويه) بسيطة جدا يستطيع كل
امرئ أن يستعملها . وخلاصتها أن يردّد كل يوم على مسمع من نفسه هذه العبارة وهي قوله (أشعر
كل يوم بأنني أقتل من حسن الى أحسن من كل الوجوه)

ويجب ترديد هذه العبارة صباح مساء حتى تصبح في النفس عقيدة راسخة . وكان (كويه) يلتفتها
لكل من يقصده مستشفيا ويشهد الكثيرون أنهم نالوا بواسطتها الشفاء (وبعبارة أخرى) ان التفاؤل
الحسن هو أساس طريقة (كويه) . فإذا تشامد المرء من كل ما حوله فلا يمكن أن يرى في العالم إلا ظلاما
دامسا . وبالعكس ذلك إذا كان كثير التفاؤل شديد الثقة بحسن حالته فإن النتيجة تكون خيرا لا محالة
وفي أوروبا اليوم جمهور كبير من أتباع (كويه) الذين خبروا طريقته بأنفسهم وهم يعملون على اذلتها
بين الناس . فكتان (كويه) عليهم أن يطبوا أنفسهم ويتبروا عقول الغير . وبين الأطباء فريق غير
قلييل ممن يحاولون الجمع بين الطب الاستهوائي والطب المادى . والجمع بينهما ممكن لاحتياج إلى شيء
من التجربة . انتهى

كل هذا الذي قلناه من سرّ قوله تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغبرا نصمة أنعمها على قوم حتى يفروا
ما بأنفسهم - وهذا من عجائب القرآن التي أبرزها العلم الحديث

(اللطيفة الثانية)

(إيضاح الكلام على قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الخ -)
(١) اعلم أن الله عز وجل قد نظم هذا العالم على القوى المتضادة والأحوال المختلفة والوجوه المتعارضة
والاصول المتناقضة . ولم يشأ أن يكون ساجدا قليل التركيب فسوّاه وهندمه وجعله مصقول الجوانب منظم
الأطراف مكمل الأكشاف

(٢) ثم انه كلما كان أكثر عناصر وأعظم تركيبا كان في المنافع أبعد غورا وأعظم وقعا وأعجب صنعا
ألم تر الى فاعل الماء والطين والهواء والحرارة كيف تتج منها النبات المختلف الغرات العظيم البركات وإلى
الذكريان والاناث من أنواع الحيوان وبنى الانسان كيف كان اتحادهما منتجا بقاء الأنواع وتكاثر الأشخاص
ثم انه كلما كان للحدثين غير مقترين كان التفاعل بينهما أعظم أثرا وأبلغ قعقا وأحسن صنعا
ناهيك ما ترى من فاعل الفحم للسبي بفحم (للموجبت) مع بعض المعادن كيف تتج منها الكهرباء
البديعة الصنع المدهشة اللب للوقدة النار السريعة الأخبار المنتجة للحرارة الهيمنة الآترة وإلى الاكسوجين
والكربون كيف أوجب اتحادهما ظهور النار وعجائب الآثار . وهكذا اتحاد الاكسوجين والادروجين

كيف نتج منه فضل الصانع الحكيم وجود الماء العجيب الازواء الذي هو حياة كل حي من عاقل وجاهل ووضع شامل وتام وحيوان

(٣) على هذه القاعدة بنى تقاتل النول وقصاح الأم ومصارعة الأقران واحتدام الوغي في الميدان . وكلما كان الاختلاف أشد إفعالا وأبعد في العداوة كان الاصطدام أشد أثرا وأعظم وقعا وأظهر أثرا وأقوى بالأبطال وأغور في السكال . ولقد تقرر في الحكمة أن الأمم إذا لم توفق للحرب نارا ولم تشمر عن ساعد جدتها أدركها الخور واعتورها الضر واستحل طم الكسل ونامت على وساد الراحة الوئير وذات من الوهن والضعف عذاب السعير كما ذكره الحكيم (أوساطا ليس) في رسالته الى الاسكندر وقد ضرب لذلك الأمثال وقرره تقريرا . فكان مثل الأمم في ذلك كمثل العناصر المرمأة في الفلاة والهواء الهاب في مجراه والماء الجاري الى متهته فلا عشب يسقيه ولا حيوان يرويه ويكمل الذكران الذين اجتنبوا النسوان والنساء اللاتي أظن الرجال فذهبت من بين هؤلاء ثمرات الاتحاد وبلايا بالحسرات والحسرات . ان علنا الأرض حكم عليه ألا يرتقى إلا بالتناقضات ولا ينشأ إلا بالمتخلفات . فالقاعدة واحدة تباعد في الصفات وتناف في الأحوال ثم التقاء ينشأ منه أحوال جديدة وحوادث مفيدة وأعمال سديدة وأمور مفيدة

ولعل هذا العالم أقرب الى النقص وأبعد من السكال . ولعل هناك في العوالم ما هو أسرف مقاما وأعلى في النظم كمها . ولعل طبعه الغريب الذي ذكرناه قد قضت به الحكمة لنقص في أصوله ووهن في تركيبه بالنسبة لما هو أعلى منه وأبعد وأجمل . ولعل نسيته الى ما هو أرق منه كنيشة تركيب الحشرات السامة من القاذورات المهدئة الى الجوف فسادا الى تركيب الانسان من العناصر الطيبة فسكان النتائج كلفقعات والنهايات تابعة البدايات . لذلك كان الانسان في أعماله وأخلاقه وأحواله تابعا لعالمه الذي ركب منه حذو القذة بالقذة تابعا لخطواته سائرا في طريقه دائرا على محوره ناهجا منبهجه . فترى الجيوش في الميادين تلتقي التفقاء أو تصطدم اصطداما كاللقاء الأكسوجين والادروجين وغم للعوجات وبعض المعادن فيما تقدم وتراموا بالحجارة والرصاص والحديد والنيان واستعملوا أنواع المرفعات وأعجب المركبات البارية من الديناميت والكراوات المحرقة المنبهة . المنزلة الصواعق . المهلكة للأثم . للزيلة للمالك . الخربة للنيان . المبيدة للقلاع ولوأها أمسكت عن القتال وزكت الزبال لأعيائها الكسل ولهدمت الخيل ولأمتها الخيل والخلل فنامت العيون وهدأت الجفون وأمت الطوارق وأصبح أهلها أقرب الى الحيوان الأعجم فبطؤت الحركات وهدأت الجماعات وبارت الصناعات وسادت الخلل وضاع المال وخابت للأثم الآمال لذلك ترى أن الله قد حيا للأثم عناصر للقتال وأصولا للحروب منها ظاهر يعلمه اخصاص والعالم كالحجارة والحديد والرصاص . ومنها ما خفي تركيبه وعظمت آثاره كالمرفعات المركبة من القطن والمواد المنبهة

(للمرفعات في الحروب من القطن والمواد المنبهة)

ان القطن مركب من شعور دقيقة قد بحثت بالمظار المظلم فظهرت بصورة أبيض مفرطحة ملتوية شفاقة وهذه الأنياب الشفاقة جلبها شجر القطن من اللوادة الأرضية والطوائية تسمى (سايالوز) وهذه المادة تكون في جميع النباتات . فهذه المادة إذا خلطت بمحاض التريك وبمحاض الكبريتيك نحوحت الى مادة تسمى (نيتروسيلولوز) أو (قطن البارود) وإذا نظرت الى هذه وجبتها كالقطن العادي في شكله ولكنه متى طرق أو سخن احترق من غير أن يترك بقية صلبة بل يتحول جميعه الى مادة هوائية لالون لها هذه المادة إذا أضيفت الأثير وفي الكحول أو صنعت منها كتلة مرنة تصب في قوالب أو تقطع قطع صغيرة ذات أحجام متساوية فان هذه القوالب والقطع تكون مودة مفرقة وأول من كشفها العلامة (بول فيللو) فاستخدمته الحكومة الفرنسية سنة ١٨٨٧ م * وهذا هو البارود الذي لا خان له لأن ماله دخان يحجب رؤية العدو

﴿ الديناميت ﴾

إذا خلطنا الجلسرين بحامض النتريك المصاف إليه حامض الكبريتيك نتج سائل زيتي القوام أهمل من الماء ولا يختلط به طعمه حلو ولكنه سام يستعمل في الطب بمقادير قليلة . وإذا سخن أو طرّق فرقع بشدة متحوّلا إلى غازات النتروجين وثنائي أكسيد الكربون والاكسوجين وهو سائل خطر لا يؤمن له جانب ويصعب استعماله مفرقا في حالته السائلة وهو يسمى (نيتروجلسرين) فإذا مزج بالشارية وبعض الأتربة صنعت منه قوالب للديناميت

﴿ الجلائن المفرق وغيره ﴾

في سنة ١٨٧٥ خلط العلامة (الفرد نوبل) الكيماوي السويدي هذا السائل الشديد الفرقعة بقطن البارود المتقدم فخرج من هذا وذلك مفرق مزدوج يسمى (الجلائن المفرق) . وهناك جسم صلب أصفر متباور تصنعه جميع الحكومات من مادة تسمى (الفتول) وجسم آخر يصنع من مادة اسمها (تولول) وهما مادتان تستخرجان من الفحم الحجري . واعلم أن صنع المولّد المفرقة المذكورة خطر للغاية ولذلك يبتون أبلية صغيرة بعضها منفصل عن بعض بحيث يكون بين كل بناء وآخر فضاء طلق واسع فإذا حصل انفجار في أحدها انحصر الخطر فيه فلا يمتدّاه إلى بقية للعمل ويصنع هناك مقادير معينة من المفرقات في زمن معين ويلبس العمال والعملات ملابس خاصة خالية من الجيوب والأشياء المعدنية ويضعون في أرجلهم أحذية خاصة خالية من السامير الحديدية ولا يجوز للأجانب دخول هذه الأمكنة إلا بإذن خاص وقبل الدخول يفتشون تفتيشا دقيقا ويؤخذ منهم كل ما يحتمل أن يحدث ضررا مثل علب الكبريت والديابيس والأزرار المعدنية وغيرها ثم يلبسون أحذية خاصة وقضاء هذه الأماكن بالكهرباء وجميع الآلات البخارية والكهربائية المعدة لتوليد القوة اللازمة توضع خارج البناء ويمرّ من آن لآخر مفتشون ملاحظة النظام ومنع تجمع أتربة المولّد للفرقة . واعلم أن أقلّ خطأ سواء أكان في تقدير المولّد أم في تفسير أحوالها الخارجية كالضغط ودرجة الحرارة قد يؤدّي إلى انفجارها أثناء صنعها ويتبع ذلك ضرر جسم أقله موت الصانع . وعلبه فإن صناعة المفرقات تستلزم من الحيلة والحذر والعناية ما لا يحتاج له صناعة أخرى . ولذلك قد يؤمن الصانع على حياته قبل الاشتغال بها حتى يعوض على ورثته ما فقدوه من حياته

فالنظر كيف كان القطن والكبريت والنتريك الحامضات قد حوّلت إلى مادة محرقة . وكيف كان وضع هذه المادة مع الكحول والأثير يكون مادة مفرقة . ثم انظر كيف كان الجلسرين إذا خلط بالحامضين المتقدمين مع نشارة الخشب وبعض الأتربة يصبح ديناميتا بهذا الأبنية والقلاع الحصينة . ثم كيف كان الفحم أيضا مصدرا مادتين مفرقتين بأوزان معلومة ونظم خاصة

﴿ الله أمرنا بهذه الصناعات استعدادا للحرب ﴾

يقول الله - وأعتوا لهم ما استطعتم من قوة - فهنا القوة العقلية العلمية انني تتقدم القوة العملية الحربية . لقد كانت الحرب قديما بالجحر والحديد والرصاص ثم ارتقت اليوم فصارت بالمعقول والأفكار . فأهل أوروبا ضاعوا الأبدان بالنسبة لأهل أفريقيا وآسيا ولكنهم استخدموا العقول فأكسبتهم صناعات قامت مقام القوى الجسدية فصار هؤلاء في باقي الناس أشبه بالإنسان في باقي الحيوان . فالحيوان قويت أجساده ولكن الإنسان الذي هو أضعف منه قوة خلق أقوى حيلة ففضله فسخره . فأهل أوروبا اليوم ومن يحا نحوه وكل من قرأ العلوم والصناعات الحديثة أصبحوا في نوع الإنسان سادته والبقية كأنهم عبيدهم . فإذا قال الله للمسلمين - وأعتوا لهم ما استطعتم من قوة - فمعناه لا ندروا قوة جسمية ولا قوة عقلية إلا استعدادهم بها وإذا أصبح علم الصناعات جميعها فرضا واجبا على المسلمين وعليهم حتما أن يدرسوا ما ذرأ الله

في الأرض من عجائب العوالم وما في ذراتها من كائنات للنافع ومدفونات العجائب ومكنونات البدائع وجواهر الحكم المصونة المحبوبة عن أنظار الجاهلين للتحلية للناظرين للكنسوفة للجذنين العاشقين بالله ما أجل بهاء الطبيعة . وما أجل نورها وأبهى سناءها وأحسن وجهتها . لقد سترت عن الجاهلين وكشفتها للعاشقين وأزلفت وإبهرت للناظرين . وقالت لمن ليس لها كفؤ ولم يعطها مهرا

• ومن خطب الحسناء لم يلقها مهر •

فلينافس في تلك العلوم المتنافسون . وليقبل عليها المسلمون . وليطيروا في الشرق والغرب سراعا لهم لها يدركون . فيأعجبا للمسلمين كيف يعيشون بين أمم سلاحها (الديناميت) والمواد المحرقة والمسمية والمهلكة وسلاحهم البارود والرماح . وكيف يخلع قوم أحاط بهم الإصلاح والعمران وهم جامدون

(نظرات القلاح الى شجرة القطن ونظرات علماء الحرب)

هل يعلم القلاح المصري والبنادى وأمثالهما حين يزعمون القطن يضعون البقرة في الأرض ويسقونها الماء وتحرق في الحقول ويعزقونها بالقنوس ويزيدونها ربا . وحين يظهر الشعر فيها . وحين يأتون بالنساء والأطفال لجمع تلك المادة الشعرية القطنية . وحين يحلبونها ويبيعونها للتجار بالاسكندرية وغيرها فيأخذون البراهم والدنانير لقاء حوائجهم . هل يعلمون إذ ذاك أن لهذا القطن نبأ عظيما . وهل يعلم حكماء الاسلام وعلماءه والمتفهمون فيهم أن لكل ظاهر باطن وظاهر القطن لباس أو أكنية ورياش وفرش ومخدات وغيرها مما يتجمل به الناس وباطنه ما يستخرجه علماء الكيمياء من البارود الذي لا دخان له يخلطه بالأحماض . وكيف كان القطن من أسباب الظفر في الحروب . وكيف كان من الفحم الذي يوقده الناس في بيوتهم مواد تؤخذ بطرق مخصوصة تكون مفرقة قاتلة . فجعل الذي خلق المادة على هذا النظام وصورها على هذه الصورة البديعة العجيبة . ألا بعدا للقوم الجاهلين . وأف وثق للقوم لا يتقانون . وهل يعلم هؤلاء أن أمثال هذه المسألة مما يوجب فتح المدارس على مصراعيها واتخاذها أساسا للرق واستعدادا للطوارئ . وفيها تحلل عناصر كل يابسة وخضراء ورطب ويابس وجامد وناعم وحى وميت وحيوان ونبات وإنسان فتحلل عناصر الخلوقات فلاحكم على مركب إلا اذا عرفت أبزله كما لم تعرف اللغات إلا بمعرفة سرورها . إن هذا الاستعداد والأمر به يرجع الى رقى العقول والآراء وإثنا انما أرسلنا الى هذا العالم وخلقنا فيه للوقوف على الحقائق ومعرفة أصوله . وكأن الله عز وجل يريد أن يطلعنا على عناصره ولكه وأصول خلقه وتركيب أجزائه وعجائب صنعه ووزنه ونظامه ومحاسنه حتى نرتقي الى ما هو أعلى مراما وأحسن نظاما وأبهى كالا . ويجعل من طرق ذلك نظام الحروب والقضاء العدوليات بين الناس ليتسابقوا الى المعالي ولا سبيل الى ذلك التسابق في علنا الأرضي إلا بهذه . وما مثل الجيوش في ميادين القتال . والقنا قهر القنا . وموج النمايا متلاطم إلا كتل للاعبين (الشطرنج) أو غيره إذ يصبحون في وجل وأمل وخوف ورجاء

وكأنما هذا الانسان وهو في الأرض طائر على جناحين (أحدهما) الرجاء (والثاني) الخوف كما قال تعالى - هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا - فإذا لم يكن الخوف والطمع بالحروب القاهرة سعى الناس لها باللعب ليطيروا مجتمعين في عالم الخوف والرجاء وهم يلعبون وكأنهم إذ لعبوا (الشطرنج) أو الألعاب (اللاومبية) المشهورة اليوم بين النول يقولون اننا مجبولون على المسابقة مفطورون على المنافسة فان لم تكن بالحرب سعينا اليها بالعب . كل ذلك تقوية الأبدان وتنشيط الشبان وتعجيد البلدان وتقوية الأركان واسعاد المدن وتشديد العمران

(تناسق آتى القرآن وتلاحقها في مسألة عقة الحرب والقتال)

فإذا قال الله في سورة البقرة - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا - وقال فيها - إن في خلق

السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الخ -
 وإذا قال في آل عمران - إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء - وقال - شهد الله أنه لا إله
 إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم - وقال - ويتفكرون في خلق
 السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقال في سورة النساء - والله ما في السماوات وما في الأرض
 وكفى بالله وكيلاً • إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا - وإذا قال في
 سورة المائدة - ياويلي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين -
 وإذا قال في سورة الأنعام - إن الله فائق الحب والنوى - إلى قوله - وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا
 به نبات كل شيء - وقال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض - • وإذا قال في سورة
 الأعراف والوزن يومئذ الحق - وقال - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم الخ -
 إذا قال ذلك كله في السور المتقدمة على هذه السورة • فهاهوذا يقول في سورة الأنفال - وأعدوا
 لهم ما استطعتم من قوة - • فهذه القوة من القوى التي خلقت لنا في الأرض كما جاء في البقرة • فجاءت
 القطن وحض الكبريتيك وحض النيتريك والجلسرين والكحول والأثير والمواد المتعينة من الفحم
 الحجري • كل هذه مما خلقها الله لنا في الأرض وخالطينا قائلا - هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا -
 فهذه خلقت لنا كما خلقت للرجة فخلوا الفحم الحجري والقطن والكبريت واتخذوا منها تلك الآلات المهيكة
 ويحون تركنا واكتفينا بالشرء منهم وهكذا هذه الأشياء مما جاء في قوله تعالى - إن في خلق السماوات
 والأرض واختلاف الليل والنهار - آيات لأولي الأبصار - فلها من الجباب للهشة والغرائب البديعة
 الدالة على حكمة الصانع المبدع • ولعمري من ذا الذي يقف على هذه الأسرار ولا يدبش لهذه
 الحكم العجيبة • والافئلة كيف يكون هذا القطن الذي نلبسه بعد أن استخرجناه بالزراعة إذا أضفنا عليه
 بعض العناصر قلب لنا القلاع والحصون وخرت السقوف من فوقنا • أليس هذا من العجب • أليس هذا
 من دلائل التوحيد للذكورة في آية البقرة للذكورة • ولعمري كيف تصير المواد الفحمية مفرقات • وكيف
 يكون القطن الذي يقينا حرًا مهسا لسا كن منزلولا للذن • وكيف اجتذبت هذه الأسرار في هذه المخلوقات
 التي تحيط بنا ولا تدري ما فيها • أليس الإنسان وهو نائم في سريره متغط بلحافه قد أصبح نائما في وسط
 جهنم • فالقطن الذي يحيط به من كل جانب إن هو إلا مواد مفرقة ينقصها الكبريت والنيتريك تصير
 هادمة البنيان • ثم هذه الأشياء وهي متفرقة غير مجتمعة قد خفيت عن الإنسان في قديم الزمان فلم يعلم
 أنها تحرب المدن وتهدم القلاع ولكن الله يقول في آل عمران - إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في
 السماء - وعلى ذلك يعلم لمن يشاء من عباده • وهذه العناصر للذكورة تصنع بحساب دقيق حتى تصير
 مواد مفرقة فإذا اختلف الموازين أو الأعمال الصناعية اختلفت تلك المصنوعات وهذا قوله تعالى - شهد الله
 أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط - فهنا لابد من القيام بالعدل في وزن المقادير وهذا
 من دلائل الوحدة إذ كيف كانت هذه الأشياء بموازين محدودة ومقادير معدودة ونظم قائمة ومصناعات
 صادقة ولو اختلف الوزن لانفجر للمصنوع فأهلك الحرث والنسل • وكذلك قوله - ويتفكرون في خلق
 السماوات والأرض - وهذا من نوع الفكر في المصنوعات ونظامها ودقتها • وهكذا قوله في سورة الأعراف
 - والوزن يومئذ الحق - فالقيام بالقسط في آل عمران والوزن الحق في الأعراف ظهرا في مقادير الديناميت
 والمواد للمفرقة كما ظهرا في غيرها • وهكذا قوله في سورة المائدة - ياويلي أعجزت أن أكون مثل هذا
 الغراب - • فهنا يقال إذا كان ابن آدم يقول متحسرا على نفسه كيف أعجز أن أكون مثل الغراب
 وتأسف وندم على الجهالة فلتكن الحسرة والجهالة هنا أنكي وأشد تنكيلا • كيف لا والندامة في قصة إبي

آدم على الجهل بدفن القتييل مع علم الغراب به فقلده . وههنا تكون الحسرة والندامة على أم تهلك وقصور
تخرب . وبيوش تهزم . وأم توت . وبلاد تضيع . ولساء تسبي . وصبيان يصبحون ابتاما .
وذلك كله بسلاح الأعداء وهم من الأدميين . وإذا ندم ابن آدم على جهله بصناعة الغراب وهو من غير جنسه
فهو بالندم على جهله بصناعة بني جنسه أجدر . فإنا نرى الانسان يجهز عن صناعة النحل في خليته ولكنه
قط لا يجهز عن صناعة أخيه الانسان . فإذا أسف الانسان على جهله بصناعة غير بني جنسه فهو على جهله
بصناعة أبناء جنسه أشد ملامة وأذى الى الندامة وأبعد عن الكرامة وأقرب الى الاهانة . وهذا يناسب
قوله تعالى في سورة النساء - إن يشأ يذهبكم أيها الناس - لجهالتكم بهجائب خلقى وتباعدكم عن التبصر
فى علمى والشرب من مناهل فضلى - ويأتى آخرى - أعلم بخافى قبوا النعمة فشكروها وسقتها لهم فقبواها
وذلك أيضا قوله تعالى - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض - . أوليس هذا من عجائب
الملوكوت فان اللذة المتناهية فى صناعة القطن حتى يصير وادع مفرقة من أعجب العجائب وأبداع الغرائب
وإذا جاء فى الأعراف - يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم - . وقد جعل للمفسرون من هذا
اللباس القطن . فهاهو يقول هنا - وأعتدوا لهم ما استطعتم من قوة - فكان من تلك القوة القطن
الذكور فى السورة قبلها وكأنه لما قال - ذلك من آيات الله - استبرا الى قوله - أنزلنا عليكم لباسا يواري
سوآتكم - يرعى الى ما نحن بمصدده أى يقول ان اللباس الذى أنزلته عليكم من آيات الله أى الدالات على
عجائب النعمة ومن ذلك اللباس القطن ومنه تكون المواد المفرقة . فلذلك جاء فى سورة الأنفال هنا بقول
- وأعتدوا لهم ما استطعتم من قوة - ومن تلك الاستطاعة استنباط الفرقعات من القطن الذى عد من آيات
الله . وقيل بعدها - لعلهم يذكرون -

لعمري ما أجل العلم وأبهج الحكمة وأبداع القرآن . وما ألفت هذا المقام فته الحمد إذ أنعم بفضله
على عبده وألهه أن ينظم هذه الآيات فى نظم وبجعلها متألفة متتالية . قد التأمت فيها المصلحة الدنيوية
بالعجائب الالهية . فهذا وأمثاله فلفسر القرآن فى هذا الزمان . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
واعلم أن هذا التهيج من التفسيريين اعاد الماطالب الدينية والدنيوية والآخرة والأولى . ولا تعجب من
هذا ولا يكن فى صدمك حرج فنفس القرآن قد صرح بهذا فى سورة البقرة فقال - وزاده بسطة فى العلم
والجسم - فهنا زيادة البسطة فى العلم تظهر فى المركبات السكبائية ووزنها ونظامها . وكيف يكون القطن
مع حض الكبريتيك ومع حض النيتريك بمقادير محدودة . وكذلك الكحول والأثير والنفارة والتراب
والجلسرين فى صنع الديناميت . فعرفة هذه المقادير وتركيبها أثر من آثار العلوم التى ندرس فى المدارس فى
العالم الانسانى . ومتى صنعت هذه المقادير واستخدمها أتوا به الأجسام غلبت الأتمة غيرها . ولا جرم أن
رجال الشرق اليوم أقوى أبدا وأصح أجساما من رجال أوروبا ضعافى الأبدان . فإذا صنعوا هذه
المصنوعات غلبوهم لا محالة كما غاب جمع صغير من أهل مرا كش دولة اسبانيا على جلاله قدرها وعظم خطرها
فما بالاك إذا عرفوا هذه الصاعلت ودرسوها حتى دراستها . فهنا ينم ﴿الأمران﴾ البسطة فى العلم
والبسطة فى الجسم . ولذلك أعقبه بقوله - والله يؤتى ملكه من يشاء - ثم ختم الآية بقوله - والله واسع
عليم - فالتفسير بأنه يؤتى ملكه من يشاء بعد ذكر البسطة فى العلم والجسم دال على أن الأولى بالملك العالمون
الأقوياء . فقوة العقل وقوة الجسم هما مفتاح الممالك والسلطان عليها . والتعبير بأن الله واسع وأنه عليم
إشارة الى أنه تعالى لانهاية لمعلوماته ومعلوماته متقنة واسعة المدى . ولذلك نرى الأمم تتسابق الى الاستفادة
من سعتها . وكل من كان أسبق الى علمها كان أولى بالملك - وفوق كل ذى علم عليم -

﴿ زهرة ناضرة بهجة في قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الخ - ﴾

اعلم أن القوة (نوعان) نوع مادي ونوع معنوي . أما المادي فظاهر بما تقدم . وأما المعنوي فذلك هو ما يحدث الثبات في النفوس ويقوى القلوب . ومن أهم ذلك كثرة الأمور وازدهار الجدد وعدم الابهة بما في البواطن والأسرار . قال أبو مسلم الخراساني الذي أبدى الدولة الأموية وكان السبب في ظهور الدولة العباسية في الثالث الأول من القرن الثاني الهجري

أدركت بالحزم والكتان ما عجزت . عنه ملوك بني مروان إذ حشدوا
ضربهم ضربة بالسيف فانتبهوا . من رقدة لم ينلها قبلهم أحد
ومن رمى غنا في أرض مسبعة . ونال عنها بولي رعيها الأسد

وفي الحديث ﴿ الحرب خدعة ﴾ وفي آيات هذه السورة سر الحرب بل أهم أسرارها الوجود . ألا ترى إلى قوله تعالى - وأذبركمهم لئذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللکم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا الخ - قلل الله الكثير قبل الابتداء في الحرب . وهكذا كثيرا قليل في عين الكفار لينزموا وبشر المسلمين بالنصر والفوز والملائكة . كل ذلك من القوة المعنوية . ومن عجب أن كبار رجال الحرب الكبار التي حدثت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨ قد أعلنوا في الجرائد في هذا الأسبوع من شهر (مارس سنة ١٩٢٧) سرا من أسرار الحرب ونبا من أنباء التدبير وحسن النظام والتعقل وذلك أنهم كتبوا أن فرنسا (يوم أن أعلن الألمان أنهم راوضون بشروط الخلفاء) كان جيشها في غاية الانحلال . وقد اشتربت الثورة في الرأس وأخذ الصباط والجنود يسفلون لوإذا طالبين الخروج من مأزق الحرب فكان رؤساء الفرق يحضرون هؤلاء أمام المدافع ويقتولهم أفرادا وعشرات ومئات . وكان ذلك كله سرا بحيث لا يطلع رئيس فرقة على ما عند غيره من الفرق حتى باتت رئاسة أركان الحرب في حيرة وألم وخوف شديد من ذهاب الدولة وضياع البلاد فكان جهل الألمان بما هو داخل الجيش الفرنسي هو السلاح الأقوى الذي به كس الخلفاء الحرب . ولوعوا حقيقة الموقف عند الجيش الفرنسي لضربهم ضربة قاصمة في بضع ساعات ولا تهي الأمر وجاء الفوز وانعكست الآية فأصبح الغالب مغلوبا والقاهر مغهورا وبقلت الحال والله علم حكيم

﴿ مسامرة ﴾

هها أسامرك أيها السكي . ههنا أخذك عن الجبل والور والعرفان والبهجة والعلم . أخذتك عن هذا السر البديع والظام الجليل . هذا هو الجبال هذا هو الور . أنظر في آيات هذه السورة وغيرها إذ يقلل الله الكثير ويكثر القليل . وتجب من أن تقلل الكثير وتكثر القليل هو سر هذه الدنيا . رجال الحرب لا يقاتلون إلا ما أمامهم ولا يفتقون إلا أن النصر حللهم بكتائهم وحزمهم وعزيمهم . نعم هذا حسن ولكن هناك ما هو أحسن وأجل من العلم والحكمة . أنظر هذا الوجود زره مبيا على هذه النظرية نظرية تقليل الكبير وتكثر القليل . هذه هي السياسة التي زارها بأعيننا . ونسمعها بأذاننا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - . ألا ترى عراك الله مناظر الجحوم والشمس والقمر . فانظر كيف قلها الله في أعينا . الشمس جرم صغير والقمر في أعينا والكواكب التابعة والسيارة صغيرات جدا زارها مقدار الليمونة تلالا في جق السماء . وحنيفة الشمس والقمر والنجوم غير ذلك . حقيقتها أنها أجسام هائلة عظيمة حتى إن أرضنا بالنسبة للشمس جزء من أكثر من ألف ألف جزء من الشمس والثوابت التي زارها صغيرة هي أجسام أكبر من شمسنا بما لا حد له حتى إن كوكب (الساك الريح) يبلغ نوره (٨٠٠٠) شماعة آلاف ضعف نور الشمس وهذا ما هو أعظم وأعظم فلأن الله جعل أعينا تنظر إلى الشمس وإلى تلك الكواكب نظرا بجلى حقائنها ويظهر صورها وترارها على ما هي عليه لعين الأبصار في لمح البصر أو أقرب . وكيف لانعمي الأبصار تلك أضواء تفوق الوصف . وإذا كانت شمسنا الصغيرة لا تطلق أن تحرق فيها على الأرض

ويعتدونها ويتبعونها ٣٥ سنة بسير القطر البخارية في أرضنا (١٧) سنة بسيرة المدفع . فكيف بنا
 إذا رأيناها كأنها أماننا . فهل يبقى لنا بصرا . ويبقى لنا وجود . وإذا كان هذا في شمسنا الضعيفة
 فما بالك بالشمس الأخرى التي نسبها كواكب ثوابت . ألا ترى معي أن سياسة الأمم في حربها أشبه
 بما نرى في هذا الوجود كما سمعت عن أبي مسلم الخراساني وعن الأمم الأوروبية كالألمان الذين يكتمون
 ما يخشون من للدعوات وكاليابان الذين لما حلروا الروس اختبأت سفنهم في البحر بأن لونوها بلون يشبه
 لون الماء وزرقة الجوف فلم يفرق الروس اذن بين الأمواج والجوف وبين سفن اليابان فاقضت الآخرون على
 الأولين فأهلكوهم وكسبوا قضية الحرب . فهذه من قليل الكثير لأنهم أوهموهم ألا سفن أمامهم ثم
 انقضوا عليهم . إن الله عز وجل جعل نظامه واحدا . فإذا أرانا النجوم ضعيفة الضوء على حسب القانون
 للعلوم من أنه كلما طال البعد صغر الجسم فذلك ليسعدنا بالنظر إليها فندرسها ونعلم سريها . وبهذا ناسف
 في البر والبحر بأنواع التجارة . فاختفاء الحقائق هنا وكتمانها لمنفعة الناس . قال الله في أعيننا تلك الأنوار
 العظيمة لاسعدنا بالتجارة والسفر للعمل ولكسب الرزق وأخفى الألمان والفرنسيون والمسلمون وغيرهم في
 حروبهم أحوال جيوشهم فنصروا . أخفى الله عظمته النور عن أعيننا بقواعد الأجرام للضيقة وأخفى اليابانيون
 سفنهم بإعطائها لونا يشبه لون الماء . ونتيجة الأمرين واحد هو جهل الحقائق فيكون السبق العظيم
 اللهم أنك مجتهد على جهلنا كما أنك مجتهد على علمنا . جهل الانسان أجله فعمر وزرع وقلم وهندس
 ودبر وأحكم وبني . كل ذلك لتكبر القليل . ربما لا يبقى من عمر الانسان الا أيام أو ساعات ولكن الله
 وضع في قلبه آمالا جساما . يطوف طاق الموت ويصعب يوم الفناء وغراب الفراق والانطلاق من هذه
 الحياة ويدنو ملك الموت من المرء ولكن الله يكثر القليل في عينه ليدوم على العمل ويقطف الثمرات غيره
 فهذا هو تدبير الله في خلقه وقد قلده عبادة لاسيا رجال الحرب ونحن في هذا التفسير (إذا رأينا هذا
 الجبال في العالم الذي نعيش فيه وأن مانسمه في حروب الأمم نشاهده أمامنا قليلا مانطقه) أشد فرحا وأعظم
 نصرا وأعز نفرا وأكثر جنودا من قواد الحروب لأن ولوج أبواب العرفان والنصر على جيوش الغفلة
 والجهالة أربع مقامات وأوسع فناء وأرق درجة وأقدس منزلة وأبعد مدى وأبقى أثرا
 ان الذات النفسية تكون على حسب العلوم فكما كان للعلوم كانت اللذة به أقوى . وأرى
 لذة أقوى مما تلاحظه نفوسنا من جمال هذا العالم الذي ينظره أكثر الناس وهم لا يعقلون ما ينظرون - قل
 بفضل الله وبرحمته فينبلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - . ومن ذا الذي كان يظن أن قليل الكثير
 في الآيات يحوى هذه المعاني ويحوى بلاد الألمان والروس واليابان وكواكب السماء ودنوا الآجال . أم من
 ذا الذي كان يظن أن آية واحدة من القرآن تسلم أنوارها وتشرق في ميادين الحرب والنضال ومشارك
 الأنوار في عوالم السماء وتكون الأجنة في البطون إذ يكثر صانع هذا العالم القليل من القدرة في عين
 الأمهات والآباء فلا ترى أباً ولا أمّاً يستطيعان فراق طفل أمره عين ضعيف جسمه قليل أثره فيكبر في
 أعينهما حتى يكون أعظم قدرا من الملوك والأمراء والعلماء والحكام ويشجسم عندهما . فإذا قلل الله أمر
 الشمس والكواكب لنعيش بهذا التقليل وتقوى أصارها على رؤية النور الضئيل الذي ياسب عيوننا .
 فهو هكذا عكس القضية في أمر القدرة فاعظم الولد في عين أبويه حتى خيل لهما أنه سيكون أشجع من عترة
 وأقضى من أبي حسن . وأحلب من قس بن ساعدتوسجبان . وأعلم من الأحف بن قيس . وأرقى من السموم
 ابن عاديا . وأسوس من (إسبارك) . وأدهى من سيدنا عمرو بن العاص . وأجل من سيدنا يوسف عليه
 السلام . وأعلم من عالم قریش الذي يلا طباق الأرض علما . وأرقى في الفلسفة من سقراط . وفي
 الهندسة من أقليدس . وفي الفلك من (فلامريوس) . وفي الانشاء من ابن المقفع والصابي . وفي الشعر

من أبى العلاء للمرمى وشوق بك للمصرى

هذا ما جعله الله في الأرض قانونا عاما ان كبر صغير الأبناء في عيون الآباء رحمة بالأولين وقسيرا
للآخرين كما كبر بالآلات المكبرة الأجسام ففرنا مرثها • ذلك كله من سرّ قوله تعالى في هذه السورة
- واذا برىكموه اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويظلمكم في أعينهم - فجّل العلم وجّل الله الذي آمن كل شئ
وأحسنه وقدره تقديرا ووزنه بيزان عدل • فسخرنا بالتفليل والتكثير ونحن غافلون عما يراد بنا وكان
التفليل والتكثير للذكوران من أهم الأعمال الحربية والنظم العسكرية وتربية القرية ونظام هذا الوجود
كالمجموعة الشمسية • انتهى يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية • هذا نهاية الكلام
في قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - والحمد لله على ما أنتم

(ولنشرع في الكلام على تفسير بقية السورة) قال تعالى (ما كان لنبى أن يكون له أسرى الخ)
اعلم أن الغنائم لم تحلّ للأنتم قبلنا فلذلك تجد التوراة التي بين ظهرانينا مصرحة بهذا في مواضع كثيرة
وكانت نار تنزل من السماء تحترق ما غنموه من الأعداء ويحرم عليهم أن يشاطوه • فلما كان يوم بدر
وحى بالأمرى وهم سبعون أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبى طالب فاستشار فيهم أبا بكر رضى الله عنه فقال
أبو بكر يارسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأنهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون
لنا قوة على الكفار • وقال عمر يارسول الله كذبوك وأخجوك فدمهم نضرب أعناقهم مكان عليا من عقيل
فيضرب عنقه ويمكن حزة من العباس فيضرب عنقه ويمكن من فلان (نسب لعمر) فأضرب عنقه فان
هؤلاء أئمة الكفر • وقال عبد الله بن رواحة أنظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا
فقال له العباس قطعت رحلك فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبه ثم دخل ثم خرج رسول الله ﷺ فقال
ان الله يلبين قلوب رجال حتى تكون آيين من البين ويشد قلوب رجال حتى تكون أئمة من الجارة وان
مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال - فمن تبعني فانه منى ومن عصا فانك غفور رحيم - ومثلك يا أبا بكر مثل
عيسى قال - إن تمذّبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم - • ومثلك يا عمر مثل نوح
قال - رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا - • ومثلك يا عبد الله بن رواحة كئل موسى إذ قال
- ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم - ثم قال رسول الله ﷺ
اليوم أنتم عائلة فلا يفلتن أحد منهم إلا بغداة أو ضرب عنق قال عبد الله بن مسعود الاسهيل بن بيضاء فاقى
سمعه يذكر الاسلام ثم بعد هنية قال رسول الله ﷺ الاسهيل بن بيضاء ثم قال ﷺ ان شئتم قتلتموهم
وان شئتم فادبتموهم فقالوا بل نأخذ المدا • قال عمر فلما كان من الغد جثت فاذا رسول الله ﷺ وأبو بكر
يعيكان فقلت يارسول الله أخبرني من أى نبي نبكى أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجدها كيت
لبكائكما فقال رسول الله ﷺ أبكى على أصحابك من أخذهم القداء لقد عرض على عذابهم أدنى من
هذه الشجرة لشجرة قريبة من نبي الله ﷺ فنزل قوله تعالى (ما كان لنبى) • وقرأى - ما كان
لنبي - (أن يكون له أسرى حتى يشق في الأرض) يكثر القتل ويبلغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حظه
ويجزئ الاسلام ويستولى أهله • يقال أمّته المرض اذا أهله وهو من الشخانة إذ مقام النبوة للنشر الدعوة
وشيت الايمان وبداية الناس وهذه أول غزوة غزوها فما كان لكم أن تسبقوا الأعداء لأخذ القداء
بل كان الامتحان فيهم أخرى بكم (تريدون عرض) الحياة الدنيا واقتطف الثمرة قبل أوانها بأخذكم القداء
(والله يريد الآخر) يريد لكم سبب نيل ثوبها من اعزاز الدين ووقع الأعداء (والله عزيز) يغلب أوليائه
أعداءه (حكيم) في تدبير مصالح عباده (ولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح
وهو ألا يعاقب الخفي في اجتهاده • أولا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنبى عه أو ان القدية

التي أخذوها منحل - لهم (لمسكم) لأصابعكم (فيا أخذتم عذاب عظيم) وقوله من الله صفة وسبق صفة ثانية
 لكتاب وخبره محذوف أى موجود * قال محمد بن اسحق لم يكن من المؤمنين أحد ممن حضر بدرا الا
 وأحب الغنائم الا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ * ولذلك قال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب من السماء
 لما نجما منه غير عمر وسعد بن معاذ * (وذلك) لأن كلا منهما أشار بالاختيار

ثم اعلم أن قوله تعالى - تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة - تنبيه على ما هجر في الدين والحكمة
 أن تراكم الأموال واقبال الدنيا مدعاة للتوغل في اللذات والشهوات كما ورد في حديث البخاري أن رسول
 الله ﷺ قال (ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا وزخرفها فقال قائل يا رسول الله
 أو يأتي الشر من الخير) فشبّه له رسول الله ﷺ حال الدنيا واقبالها بحال الهائم الرامّة في الكلا
 فهي (قسبان) قسم يأكل ويشرب وينام في الشمس وهو مهيح سليم * وقسم منها يأكل ما يضره
 من الحشائش أو يميته وان الكلا والحشيش إنما يفت يسقي الماء النازل من السماء * فالطير والخير والنبات
 منه ما ضره ومنه ما نفع * فهذا هو مثل الدنيا وعلى ذلك كانت الغنائم وكثرتها من أسباب تأخر الأمل
 اذا نامت على وساد الراحة وبطرت وفرحت فيخرج جيل قليل القوة لم يتعود العمل فتضيع الأمة وتهلك
 شأن الكسالىين النائمين ولقد علم الله أن هذه الأمة ستقوى على الغنائم فذكرها بالعذاب وبكى الرسول
 ﷺ ثم أحلّ لهم ذلك واكتفى بوعظ الرسول لنا وتحذيرنا من الدنيا وغرورها وأن القرآن مملوء من الترهيد
 في الدنيا وأن نبينا رحمة للعالمين ونحن تابعوه وهكذا فافهم * ولما نزلت الآية التي نحن بصددنا كفا
 أصحاب رسول الله ﷺ أيديهم عما أخذوا من القداء والغنائم فنزل (فكلوا مما غنمتم) من الغنمة وبقية
 الغنائم (حلالا) حال من الغنوم (طيبا واتقوا الله) في مخالفتها (إن الله غفور رحيم) أباح لكم ما أخذتم
 (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) * وفي قراءة - الأسارى - (إن يعلم الله في قلوبكم خيرا)
 إيماننا واخلاصا وحققة نية (بأنفسكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بأن يعطيكم في الدنيا أضعافه أو في الآخرة
 نوابا (ويقرر لكم ولله غفور رحيم) * نزلت في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وكان أحد
 العشرة الذين ضمنوا أن يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة إلى بدر وكان قد خرج معه عشرون أوقية من
 ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت نوبته يوم الوقعة ببدر فأراد أن يطعم ذلك اليوم فافتقدوا فلم يعلم شيئا
 وبقيت العشرة أوقية معه فلما أسرا أخذت منه فقام رسول الله ﷺ أن يحسب العشرة أوقية من ماله
 فأبى رسول الله ﷺ وقال أما شئ خرجت به لتستعين به علينا فلا تركه لك وكلف فداء ابن أخيه عتيل بن
 أبي طالب ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تركني أنكشف قريشا ما بقيت فقال رسول الله ﷺ
 فأين الذهب الذي دفنته أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا
 فان حدثت في حلفت فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل وقيم (يعني بنيه) فقال العباس وما يدريك يا ابن
 أخي قال أخبرني ببدر قال العباس أشهد أنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله لم يطاع
 عليه أحد إلا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل وأمر ابن أخيه عتيل ونوفل بن الحرث فأسلما قال العباس
 فأبدلني الله خيرا من ذلك إلى الآن عشرين عبدا ان أذناهم ليتجرفي عشرين ألما وأعطيني زمزم ومأحب
 أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم * وروى أنه قدم على رسول الله ﷺ مال
 البحرين وهو ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وماصل حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ما
 قدر على حله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني قال تعالى (وان يريدوا) أى الأسرى (خيانتك) نقض
 ما عاهدوك عليه (فقد خانوا الله من قبل) بأن كفروا وتقصوا ميثاقه المأخوذ عليهم من الدلائل العقلية
 (فأمسك) أى أمسك الله المؤمنين (منهم) ببدر فقتلوا وأسروا فان عاد تقصهم العهد عاد الامكان منهم

(والله علي) بما في بواطنهم من خيانة أو تقصص عهد (حكيم) يجعل العقوبة على اللذنب والثواب على الحسنة (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله) وهم المهاجرون (والذين آووا ونصروا) أي آووه إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار (أولئك بعضهم أولياء بعض) أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان للمهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة أو بالنصرة دون القرابات • وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه للمهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالأرحام حينما كانوا أصداء ذلك منسوخا بقوله تعالى - وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله - (والذين آمنوا ولم يهاجروا) يعني آمنوا وأقاموا بمكة (مالكم من ولايتهم من شيء) يعني من الميراث (حتى يهاجروا) إلى المدينة (وإن استنصركم في الدين) أي إن استنصركم الذين آمنوا ولم يهاجروا (فعليناكم النصر) أي فعليناكم نصركم وأعادتهم (إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) أي عهد فلا تنصروهم عليهم لأن ميثاقهم يمنعهم من أن يبتدؤا القتال فكيف تعينون الذين لم يهاجروا على قوم لا يبتدئون أذا هم (والله بما تعملون) من صلح وغيره (بصير) • والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) في الميراث • ظاهره اثبات للولاية بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثهم وإيجاب مباعدتهم ومصادمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يثور بعضهم بعضا (الافتعوا) أي الافتعوا إلا ما أمر ربكم به من نواصل للمسلمين وتولى بعضهم بعضا في التوارث تفصيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تحسوا قرابة الكفار كقرابة (تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن للمسلمين مالم يسيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا كما هو حاصل اليوم فترى أمراء الاسلام وعظماء يتقربون من القرينة ويقاطون معهم المسلمين في العراق والشام وبلاد الجزائر وصرا كش ولولا اعانة المسلمين في الحرب العامة لأوروبا على المسلمين ما أخذوا بلاد الاسلام ولولا اعانة المسلمين للحلفاء لاتصرت ألمانيا على الحلفاء ولكن المسلمين ضيعوا عهدهم وقاوتها في صفوف الأعداء ضد اخوانهم فاقبل القرينة عليهم وقسموا بلاد الاسلام بينهم فأخذوا لجزائر العراق وفلسطين وأخذوا الفرنسيون الشام كما أخذت فرنسا قبل أربعين سنة تونس وبقيلها الجزائر وأخذت انكلترا مصر واقسم الفرنسيون والأسبان صرا كش • كل هذا تقاطع المسلمين وجهاتهم ومصادق لقوله تعالى - لا تتعاضدوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير - فهذه هي الفتنة وهذا هو الفساد الكبير وأي فساد أعظم من هذا أن يصبح المسلمون ومالكهم كقطع الشطرنج تنقل في الرقعة بلا علمها ويساقون للذاب الهون • ذلك لقله العلم فيهم وغلبة الجهل وأن الطمع قد غشى على العقول والنفوس فلا ينظرون إلا بشهواتهم ولا يسمعون إلا بأطماعهم القصيرة النظر العديمة الجدوى (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) • ولما بين الله أحكامهم من حيث المعاملات أخذ بين حقائق إيمانهم وما أعد لهم قبيحا لأحكام الآخرة بعد أحكام الدنيا • وأيضا لما جعل الله في أول السورة المؤمنين حقا هم الذين يوجلون عند ذكر الله ويزيدون إيمانا بتلاوة آياته ويتوكلون على ربه وقيمون الصلاة ويؤنون الزكاة إبان في آخرها هنا أن المهاجرين والأنصار قد استوفوا شروط المؤمنين حقا ولذلك أعقبه بقوله (لهم مغفرة) لتوبتهم (ورزق كريم) في الجنة (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة (فأولئك منكم) وذلك للترغيب • واعلم أن المهاجرين الأولين هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة قبل صلح الحديبية والمهاجرون الهجرة الثانية هم الذين هاجروا بعد صلح الحديبية إلى فتح مكة بقوله - والذين آمنوا وهاجروا إلح - يقصد به الهجرة الأولى وقوله - والذين آمنوا من بعد إلح - يراد به والله أعلم الهجرة الثانية فأما بعد فتح مكة فقد صارت دار اسلام لقوله **عَلَيْكُمْ** (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) أخرجاه في الصحيحين • وقال الحسن الهجرة غير مقطوعة أي من بلد يخاف المؤمن على اظهار دينه فيه

من كثرة الكفار فهذا يجب عليه أن يهاجر الى بلد لا يخاف فيه على اظهار دينه وفي هذا افهام أن المهاجرين
الأولين أفضل من الذين بعدهم فآلحقوا بهم قال تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)
• قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالمجرة والائاخ حتى نزلت هذه الآية فهذا تبين أن سبب القرابة أولى
وأقوى من سبب المجرة والائاخ فهذا نسخ لما تقدم • وكتاب الله أى حكمه أو اللوح المحفوظ • وتسك
أبو حنيفة بهذه الآية في توريث ذوى الأرحام • أما الشافعى رضى الله عنه فقال كتاب الله حكم الله الذى
بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالأحكام التى ذكرها في سورة النساء من قسمة الموارث
واعطاء أهل الفروض فروضهم (إن الله بكل شئ عليم) يعنى انه سبحانه عالم بكل شئ لا تخفى عليه خافية

(لطيفة)

بيننا أنا أكتب في تفسير هذه الآية وأقول آراء الامامين الجليلين أبى حنيفة وامامنا الشافعى رضى الله عنهما
واختلافهما واجتهادهما مصلحة الأئمة • وكيف يقول أحدهما لا توريث لذوى الأرحام ويورثهم الآخر ويحتج
كل منهما بحجة على مآخذ الله عليه • فهذا يقول أولوا الأرحام يشمل من في آية الميراث وغيرهم • والآخر
يقول حكم الله الذى ورد في سورة النساء يقيد به - ولكل وجهة هو موليها - رأيت أنه مما يجب على
في هذا المقام • لقد اجتهدا فأحسنا الاجتهاد وحافظا على حقوق الأقارب بقدر طاقتهما البشرية • ولوأنها
كانا حين ورأيا أوروبا وانهزما القرص لاضطهاد الأمم الاسلامية وارتقاءها بالعلوم والمعارف والفنى والثروة
والعلوم الطبيعية وما سخر الله لهم من العوالم للمادية فأصبحوا ولهم مشارق الأرض ومغاربها • لوأنها كانا
حين نقالا مما بصراحة إن قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وقوله - انظروا الى ثمرة
لذاثمر - وقوله - هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعا - وقوله - وسخر لكم الأنهار وسخر لكم
الشمس والقمر دابئين • وسخر لكم الليل والنهار - وقوله - هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا
وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - من الآيات التى تبلغ سبحانه وخسب آية من القرآن
أقول لوكانا حين ونظرا ما نظرناه نقالا ان هذه العلوم يجب دراستها في جميع أقطار الاسلام دراسة كما
تدرس الأحكام الشرعية بصاية أم وأهملهم أكمل • ولقد أوجبت للمذاهب كلها العلوم والصاعات على سبيل
فرض الكفاية • ولكن علماء الاسلام لم يعطوها العناية الكافية ولوأن في المسلمين مجتهدين الآن متيقظين
لأحبوا العهد الأول وحرصوا للمسلمين على علوم الكائنات وسبق للمسلمون الترجمة ولقال لهم علماءهم
من عرف فن الطبيعة والفلك والكيمياء فله ثواب من قرأ للميراث والوضوء والصلاة لأنها علوم دينية
لوأن هذين الامامين كانا حين لرأينا خلافهما فيا يجب على المسلمين من تلك العلوم ولرأينا حرمها
الشديد على أئمتنا المسكية

حرام على علماء الاسلام أن يناموا • حرام عليهم أن يذروا الأئمة تتخطب وهم نائمون • حرام على
الحكام في مصر وفرنس والعراق والشام والترك وشمال أفريقيا وبلاد نجد أن لا يفتشروا وجوب السلام على
المسلمين ليسابقوا الترجمة وليقاوموهم • فانظر كيف بلغ من اجتهاد امامينا أن بالغوا في مبحث أولى الأرحام
هل هم حاصلون بمن ذكروا في الآية • أم هم أهم منهم مع ان المال الموروث لا يزيد بهذا التقسيم سواء
أمكن للعموم أم للخصوص • ان المال للموروث لم يزد بعد هذا كله ولكن المسألة في أن يعطى كل
ذى حق حقه من أقرب الميت • هذا هو الخلاف في الآية

فانظر لجهالة المتأخرين من المسلمين وقد رأوا بأعينهم أن الغربيين قد سخروا الطبيعة فاستخرجوا منها
أموالا وأموالا حتى أحاطوا بها من كل جانب وفتحوا للممالك شرقا وغربا ودخل كل بيت من بيوتهم مكاسب
ومكاسب ونالوا حظا عظيما بما رزقهم الله بهداهة عقولهم وارشاد حكائهم وتبيان رؤسائهم • كل ذلك رأوه

لم يحركوا ساكنا ولم يقولوا يا أبناء المسلمين ويا اخواننا المحمديين هذه ارض الله لكم وعوله فامسكوها واستخرجوا كنوزها حتى تقوى ائمة الاسلام . وانظروا كيف كان ائمتنا يحافظون على القليل للوروث فلا يأخذ زيد مال عمرو . فكيف لنا بمحافظه على مال الائمة كلها التقي والتقير والعظيم والحقير ذلك المال المستخرج من الأرض والجبال والهواء والماء . دونكم وخواص الطبيعة ومجائب الكيمياء وكيف وصل الألمان الى استخراج الترات من الهواء وأصبح الهواء المحيط بالأرض كثرا لآلات الحريسة والسماذ في الزراعة ومكبسا هجيبا والمسلمون ينتفسون في الهواء ويشربون الماء وهم غافلون عن استنباط الحيل في استخراج كنوزها . وكيف أصبحت حركات الماء النازل من أعلى الى أسفل كما في شلالات مصر أو الخزانات التي أنشئت على النيل مبدأ للكهرباء التي تبث النور وتوقد النار وتجري القطرات وتعلي الائمة من الفوائد ملاحصر له . فاذا جده ائمتنا وعشوا ودققوا حفظ المال الأفراد . فبالت شعري كيف قصرت أنظار للتأخرين فاموا نومة أهل الكهف فلم يرفعوا أبصارهم الى الميراث العام الذي يملأ البيوت جميعها مالا ويورثها جلا ويجعل الائمة جمالا وكالا . فالأرض كلها لله - ولله ميراث السموات والأرض - وهذا هو الميراث الذي سخره لنا فقال - وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - فهو الوارث وهو المسخر ومن أعرض عن النعم فهو حقيق بالخسران ومن كسل عن مواهبه بآء بالخسران

﴿ للميراث ميراثان ميراث الحى وميراث الميت ﴾

ان ميراث الميت وميراث الحى - حى . فله هو الحى وهو الذى له خزائن السموات والأرض . ان ميراث الميت فى علم الفقه إنما يقع أسرة واحدة بخلاف ميراث الحى فإنه يقع الأم كلها . وميراث الميت يجعل الوارث بطل . الحركات قليل الهمة . وميراث الحى وهو الله يعطيه للناس على قدر أعمالهم فتقوى أبادانهم وتصح عقولهم فهو عدل . ولقد نجد الدين رقوا أنهم فى الزمان الحاضر من الصاميين الذين لامل لهم ورنوه فجتوا فى العمل فرفعوا شأن الأم . فأما للوك الذين ورثوا ملكهم عن أبائهم فكثير منهم أصابوا الأم بالسكبات وأحاطوا بها الأزمت . ولقد ترى الأم الانجليزية ضربت على كل تركة مقدارا من المال يكثر كلما كثرت التركة وقل كلما كان المال قليلا . ونرى البلشفية منعت للملك وأصمت جميع الائمة بالعمل لترقى البلاد بأعمال أبنائها . التنوع الانساني اليوم ولى وجهته شطر ميراث الله الذى له خزائن السموات والأرض فعلى المسلمين أن يوجهوا عايتهم لتلك الميراث الذى يسع الممالك كلها ولم يضيّق الله على أمة فيه ولم يمه عن أحد وإنما يعطيه بالعلم فكلما كان الناس أكثر علما بصنوعاته كانوا أكثر ثروة وغنى ان الأنبياء لم يورثوا مالا ﴿ نحن معشر الأنبياء لانورث ما تركناه صدقة ﴾ فالنبوة فتحت باب العلم على مصراعيه ولكنها أغلقت باب المال من ناحيتها تنبها على تلك الخزائن الالهية وللورث الربانية . ومن هذا المقام - برئى ويرث من آكل يعقوب - ذلك ميراث العلم فالأنبياء يورثون الناس علما وذلك مفتاح خزائن السموات والأرض

وعسى الله أن يبيد لهذه الائمة أمرها ويرجع مجدها ويرفع عنها نيرها ويجعلها رجة للعالمين . اللهم انى لأرید بكتائى إلا رقى النوع الانسانى وأن يكون للمسلمون أرشد العالمين وأصلح بنى الانسان وأن يكونوا قادة وسادة ورجة لهم لا يظلمون ولا يظلمون . انتهى تفسير سورة الأتفال

سورة التوبة

هي مدينة بالاجتماع إلا آيتين في آخرها - لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلح - فاعلموا نزلنا في مكة وهي مائة وتسع وعشرون أو ثلاثون آية وتركتم التسمية في أولها لأنها نزلت لرفع الأمان والبسلة أمان لأن الرحمة فيها وأبى أمان فوق الرحمة واتسمية افتتاح الخبر وأول هذه السورة وعيد وتقض عهود * وقيل إن الصحابة اختلفوا في سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما معا مائتان وخمس آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال * وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا بينهما فرجة تبنيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة وسأل ابن عباس رضي الله عنهما في ذلك سيدنا عثمان رضي الله عنه فقال كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضموا هؤلاء الآيات في السور التي يذكر فيها كذا وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شيئا بقتها وظنفت انها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا انها من غيرها من أجل ذلك فمرت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعها في السبع الطوال . أخرجه أبو دلود والترمذي وقال حديث حسن اه

(تقسيم سورة براءة)

هي أربعة أقسام ﴿ أولها ﴾ الآيات التي قرأها سيدنا علي بن أبي طالب يوم الحج الأكبر وهي أربعون إلى قوله - فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل - ﴿ ثانيها ﴾ التحريض على الجهاد والافتاق في سبيل الله ووصف اليهود والنصارى والأخبار والرهبان والجزبة والأشهر الحرم من قوله - لا تنفروا بعدكم - إلى قوله - ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون - ﴿ ثالثها ﴾ في المناقنين ونوبيخهم وأحوالهم من قوله تعالى - لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا - إلى قوله - أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم - ﴿ رابعها ﴾ الكلام على المؤمنين وأحوالهم من قوله - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم - إلى آخر السورة

(القسم الأول)

برأءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن مبذونكم فمؤخرون لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بمذاب اليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأبوا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين * فإذا أنسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذلوا وأخضروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا

الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
 فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ
 لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَاسْتَقَامُوا
 لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ
 إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ * أَشْتَرُوا بِآيَاتِ
 اللَّهِ نَجَاتًا قَلِيلًا فَوَسَدُوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا
 ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَلَمْ يُخَوِّثْكُمْ فِي الَّذِينَ
 وَتَفَصَّلَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ
 فَقَاتِلُوا أَلْفَةً الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ * أَلَا تَتَذَكَّرُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
 وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أُولَئِكَ أَنْخَشَوْهُمْ فَلَا يَنْخَشُونَهُمْ إِنَّ كُنتُمْ
 مُؤْمِنِينَ * قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشَفِّ سُدُورَ قَوْمٍ
 مُؤْمِنِينَ * وَيَذْهَبْ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا
 رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ
 اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ
 مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى
 أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَجْمَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَنْزِ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *
 الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ
 وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتِ لَهُمْ فِيهَا نِعَمٌ مُقِيمٌ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
 أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ

إِنَّ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
 وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي
 سَبِيلِهِ فَدَرَبُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي
 مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أُنْجِشْتُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ
 عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * ثُمَّ يَثُوبُ
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ
 فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ
 عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ * وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ
 قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَمَّا يُؤْفَكُونَ *
 اتَّخَذُوا أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا
 وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
 اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
 لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
 وَالرَّهْبَانِ لَيَا كُفْرٌ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْتَنِزُونَ الذَّهَبَ
 وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّبِعُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُجْنَى عَلَيْهَا فِي تَارٍ جَهَنَّمَ
 فَتَكُونُ بِمَا جَبَاهُمْ وَجَنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
 تَكْتَنِزُونَ * إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَغْلِبُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
 كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ

يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجِلُّونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُتَوَلَّوْا عِدَّةَ مَحْرَمٍ اللَّهُ فَيُجِلُّوا مَحْرَمَ
 اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ
 إِذَا قِيلَ لَكُمْ اتَّقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِينُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
 فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ *

اعلم أن هذه الآيات أربعون وهي التي قرأها سيدنا علي يوم الحج الأكبر (العید) على الناس وملخص
 هذا المقام أن رسول الله ﷺ كان مأمورا أن لا يقاتل المشركين أولا والآيات في ذلك كثيرة مشهورة
 ثم بعد ذلك أمر أن يقاتل من قاتله * قال الحسن أمر الله عز وجل رسوله ﷺ بقتال من قاتله من
 للمشركين فقال - وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم - فكان لا يقاتل الا من قاتله ثم أمره بقتال للمشركين
 والبراءة منهم وأجلهم أربعة أشهر فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر اه
 وقوله رضى الله عنه فلم يكن لأحد منهم أجل أكثر من أربعة أشهر أى الإبنى حجة وهم حى من كنانة
 أمر رسول الله ﷺ بأعام عهدهم الى مقدمتهم وكان قد بقى من مقدمتهم تسعة أشهر وكان السبب فيه انهم
 لم ينقضوا عهدها وكان ابتداء الأشهر الأربعة يوم الحج الأكبر أى يوم العيد وكان ذلك في العام العاشر من
 شهر ذى القعدة فآخر الأشهر الأربعة العاشر من شهر ربيع الأول وانما كان الحج في شهر ذى القعدة
 لأجل النساء الذى كان يحسبه العرب فلما كان العام الذى بعده صار الحج في العاشر من ذى الحجة وفيها
 حج رسول الله ﷺ وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض الخديث
 وهذا لمن كان له عهد أقل من أربعة أشهر فأما من لم يكن له عهد فقد جعل عهده أربعة أشهر ومن
 كان عهده فوق الأربعة حط أجله الى أربعة ان كان نقص شيئا من شروط العهد فأما ان كان أتم شروط العهد
 كبنى ضمرة من كنانة فهو لأه يوفى لهم بهدهم

﴿ سبب هذا النداء يوم الحج الأكبر ﴾

اعلم أن مكة لما فتحت سنة ثمان من الهجرة وجاءت سنة تسع أراد رسول الله ﷺ أن يحج فقيل
 له للمشركون يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فقال لا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فبعث أبا بكر في
 تلك السنة أميرا على الموسم ليقيم للناس الحج ثم بعث بعده عليا على ناقته الضيافة ليقرا على الناس صدر
 براءة وأمره أن يؤذن بمكة ومعنى وعرفة أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله ﷺ من كل مشرك ولا يطوف
 بالبيت عريان ولما كلم أبو بكر رضى الله عنه رسول الله ﷺ في ذلك قال أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت
 معى في الغار وانك معى على الخوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر أميرا على الحجاج وعلى بن أبى طالب
 يؤذن ببراءة فلما كان قبل التروية بيوم خطب أبو بكر في الناس وحجتهم عن مناسكهم حتى اذا كان يوم
 النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن في الناس بالذى أمر به وقرأ عليهم أول سورة براءة
 وقال يزيد بن عبيد بن جراح سألنا عليا بن أبى تتي بعث في الحجة قال بعثت بأربع لا يطوف بالبيت عريان ومن
 كان بينه وبين الله ﷺ عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا
 نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا في حج ثم حج الى الله ﷺ ستة عشر حجة الوداع
 فلم يحج في العام القابل الذى حج فيه الهى ﷺ حجة الوداع مشرك وأزل الله في العام الذى فيه نبذ أبو بكر
 الى المشركين عهدهم - يا أيها الذين آمنوا أتموا أعمالكم للمشركين نجس فلا ترضوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
 وان ختم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله - الآية وانما أمر سيدنا علي بالنداء في الناس لأن عادة العرب

جوت أن لا يتولى قرار العهد ونقضه إلا سيد القبيلة وكبيرها أورجل من أقاربه وكان على بن أبي طالب أقرب إلى النبي ﷺ من أبي بكر لأنه ابن عمه . وما ذكره المفسرون في سبب هذا النداء أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى تبوك كان المناقشون يريخون الأرايف وجعل المشركون ينتقون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله ﷺ فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى . وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء . في سورة الأنفال فهذا النبذ على سواء . ولما وقف سيدنا علي وفادى في الناس بالآيات من أول براءة عند حجرة العقبة وقال يا أيها الناس اتى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا قرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أصرت بأربع وهي المتقدمة فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه إلا طعن بالرماح وضرب بالسيف . هذا خلاصة ما ذكره المفسرون مع تشعبه فللشرع في تفسير الآيات . قال تعالى (براءة) أى هذه براءة (من الله ورسوله) البراءة التباعد عما نكره مجاورته . قال الزجاج أى قد برى الله ورسوله من اعطاهم العهد والوفاء بها إذا نكثوا (الى الذين عاهدتم من للمشركين) أى هذه براءة واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم (يسبحوا في الأرض أربعة أشهر) أى فسبحوا أيها المشركون في الأرض كيف شئتم مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين والسباحة الضرب في الأرض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة وللمنى قل لهم يسبحوا والقصد من الأمر الاباحة والاطلاق والاعلام بمحصل الأمان وزوال الخوف والقتال وبعد الأشهر الأربعة التي شرحتها فيما تقدم وبيننا ما اخترناه من كلام المفسرين يقتل المشرك حيث أدرك ويؤسر إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان . ولا تظنوا أيها المشركون انكم تقوتون الله فلا يمكن المسلمين منكم . كلا فلتعلموا أنكم لا تقاتلون من أبدي المؤمنين (واعلموا أنكم غير معجزى الله) معنى ان هذا الامهال ليس لهجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب ويؤمن . وما مثلكم في أنكم في قبضة الله وقد أمهلهم ثم إذا أخذكم وسلط المؤمنين عليكم لن تقتلوا بل تقاتلون إلا كمثل ما قال طرفة بن العبد

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى • لسكا طول المرحى وفتياه باليد
مضى ما يشاء يوما يقده لحقه • ومن بك في قيد المنية ينقد

فهكذا هؤلاء يسبحون أربعة أشهر كأنهم كالحيوانات المربوطة في العول وقد وضع الرجل نذاه في يده فبرع الحيوان كما يشاء ومتى أراد الرجل جذبته ارتد إليه حالا هكذا الموت مع الناس وهكذا المؤمنون مع المشركين بعد الأشهر الأربعة فهم لا يفتنون بل هم في قبضتهم هذا معنى الآية لأن الله خاذل الكافرين (وأن الله عجزى الكافرين) بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب في الآخرة (و) هذا (أذن من الله ورسوله) أى اعلام صادر من الله ورسوله (الى الناس يوم الحج الأكبر) يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرى وإنما وصف بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر وحجته وأذان معطوفة على جملة براءة كأن الله يقول - واعلام من الله ورسوله - (أن الله) أى بأن الله وحذفت صلة الأذان تخفيفا (برى من المشركين ورسوله) برى على قراءة الرفع • وقرئ - ورسوله بالنصب - عطفا على اسم ان وقرئ بالجزم (حكى) أن اعرابيا سمع رجلا يقرأ - ورسوله - بالجزم فقال ان كان الله بريئا من رسوله فلما برى منه فليبه الرجل الى عمر حكى الاعرابي قرأته فعندنا أمر عمر بنتم العربية وهذه قراءة واردة أيضا والجزم لما على الجوار وأعلى القسم فرسوله مثله اللام (فان تبتم فهو) أى فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة أى تبتم عن التوبى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) غير فائتين من عذابه (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) في الآخرة ثم استثنى من قوله - براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين - فقالوا لهم سبحو الى آخره قوله (إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينصوكم شيئا) من شروط العهد ولم

ينكثوه ولم يقتلوا منكم ولم يبرؤكم قط كفى ضرة (ولم يظاهروا) أى ولم يعاونوا (عليكم أحدا) يعنى من
 عدوكم (فأتوا اليهم عهدهم الى مذهبهم) أى الى تمام مذهبهم ولا يجبروهم بحرى الناكثين (إن الله يحب
 المتقين) الذين يضعون الامور مواضعها ويوفون بالعهد مع المؤمنين ولا يجعلونهم فانا كائنين (فاذا انسليخ
 الأشهر الحرم) أى انقضت شهور العهد وانما سميت حرمًا لحرمه تقض العهد فيها وهى التى أبيض لنا كائنين
 أن يسبحوا فيها وهذا اختيار مجاهد ومحمد بن اسحق وهو الذى يناسب نظم الكلام واتزان المعنى
 (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل وسوم (وخنوهم) وأسروهم • والأخذ الأسير
 (واحصروهم) واحبسوهم أو حوّلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل مرة • وحتّاز
 ترصدونهم به وهو منصوب على الظرف (فان تابوا) عن الكفر وآمنوا (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) حتى
 تصدق بوبئهم وإيمانهم (نقلوا سبيلهم) فاطلقوهم بعد الأسر والحصار ونصّوا في قبضتكم أو دعوهم ولا
 تتعرضوا لهم ان لم تكونوا استحوذتم عليهم ومن ترك الصلاة ومنع الزكاة لا يحل سبيله (إن الله غفور
 رحيم) تطيل لتخليه سبيلهم فان الله يغفر بالاسلام ما قد سلف للكافر (وان أحد من المشركين) للمأمور
 بالترضى لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره
 ويطلع على حقيقة الأمر (ثم أبلغه مأمنه) داره التى يأمن فيها أن لم يسلم ثم قاله ان شئت فعلى المسلمين أن لا
 يؤذوا مستأمنًا وليس له أن يقيم في دارنا وعلينا أن نمكثه من العودة (ذلك) الأمر بالاجرة (بأنهم)
 بسبب انهم (قوم) جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما يدعوا اليه فلا بد من اسطائهم الامان حتى
 يسمعوا ويفهموا الحق (كيف يكون للمشركين عهدهم عند الله وعند رسوله) كيف استفهام فى معنى الاستنكار
 والتعجب ومعناه المجدد ايضا أى لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يقدرون وينقضون العهد
 (لا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) وهم بنو ضمرة المتفق ذكركم ولم ينقضوا شرطًا من شروط العهد
 ولم يعينوا عليكم عدوًا كما تقدم قصصه فترى صوابهم (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أى فان استقاموا
 على العهد فاستقيموا على الوفاء وهذا كقوله فيما تقدم - فأتوا اليهم عهدهم الى مذهبهم - ولكنه مفيد هنا
 بأن يستقيموا على العهد وما شرطية (إن الله يحب المتقين) الذين يترصّون ويستيقظون فى هذه الأحوال
 وأشغالها ويميزون بين الخبيث والطيب (كيف) تكرار تعجب واستبعاد أى كيف يكون بينكم وبينهم عهد
 (وان يظهروا عليكم) يظلموكم أى كيف وحالهم لهم أن يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا)
 قرابة (ولأنتم) عهدا - رضونكم بأفواههم) بالوعد بالايمان والوفاء بالعهد وهذا كلام مستأنف فى وصف
 حالهم وأن ظاهرهم بخلاف باطنهم وهو يقرر استبعاد الثبات منهم على العهد وكأنه قيل لماذا يوصفون بذلك
 فكان الجواب - رضونكم الخ - (وتأبى قلوبهم) الايمان والوفاء بالعهد (وأكثرهم فاسقون) ناقضون
 العهود متمردون فى الكفر لاصموده تمنعهم عن الكذب والفضائل ردهم عن النكث وهذه حال أكثرهم
 أما أقلهم فهم وان كانوا اكفارا فهم ثابتون على العدالة فى دينهم ولذلك لم ينقضوا العهد (استبدلوا
 بآيات الله) بالقرآن (ثمنًا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الشهوات ونقض العهود والمباقة فى العداوات
 (فصدوا عن سبيله) أى عدلوا عن دينه وصرّفوا غيرهم أو صدوا عن سبيل بيته بحصر الحاج والعمار (انهم)
 ساء ما كانوا يعملون) وللقصود بالله عملهم هذا ثم وصفهم هنا كما وصفهم قبل بقوله - لا يرقبون فى مؤمن
 إلا ولانتم) وهذا غير ما تقدم لأنه قال هناك - فيكم - وهنا قال - فى مؤمن - فهذا أعم • ويقال ان
 هؤلاء نقضوا العهد بسبب أكلة أطعمهم ايها يوسف بن سوب فذهب الله بذلك ودلى هذا يكون هذا
 خاص بهؤلاء والأول أعم (وأولئك هم الممتدون) للجائزون النفاية فى الظلم والنشر (فان تابوا) عن الكفر
 (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فآخوانكم) أى فهم اخوانكم (فى الدين) لافى النسب (ونفصل الآيات)

نبيها (تقوم يملعون) فيفكرون فيها وهذه جملة معترضة يعنى ونبين حجج أدلتنا ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه كأنه قيل ان من تأمل تصليها فقد استحق منقبة العلم وذلك للتحريض على أن يتأمل الناس مافضل من أحكام المشركين المعاهدين والمحافظة عليها * وقال ابن عباس رضى الله عنهما حرمت هذه الآية دعاء أهل القبلة * وقال ابن مسعود أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يرك فإسلامه له * وقال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال يرحم الله أبا بكر ما كان أفتقه يعنى بذلك ما ذكره أبو بكر فى حق من مع الزكاة وهو قوله (والله لا أفرق بين شيتين جمع الله بينهما) يعنى الصلاة والزكاة * وفى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما بوى رسول الله ﷺ واستخف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبى بكر كيف قتلت الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق للملأ والله لومنعونى فقالوا كانوا يؤدونها لرسول الله ﷺ فقاتلتهم على منعها فقال عمر فولله ما هو الا أن رأيت أن الله شرح صدر أبى بكر لقتال * ثم قال تعالى (وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم) أى وان نقصوا العهود الموكدة بالآيمان (وطعنوا فى دينكم) وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) فقاتلوهم ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك رؤساء مقدمين فى الكفر فهم أحق بالقتل (لهم لأيمان لهم) على الحقيقة وانما أثبت لهم الأيمان فى قوله - وان نكثوا أيمانهم - لأنه أراد أيمانهم الذى أظهرها ثم قال هنا لا أيمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم يكثوا وفيه دليل على أن الذى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده * وهنا قال الحنفية ان بين الكافر ليست يمينا * ويقول الامام الشافعى ان أيمانهم لا بوى بها ويجعل بينهم يمينا حيث وصف بالكث * أقول ومتى كانت الأيمان معاهدا العهد لم يأت هذا الخلاف ولا يكون الا حيث يجعل اليمين بمعنى الخلف فى الموضعين وقوله تعالى (لعلهم ينتهون) أى فقاتلوا أئمة الكفر لى ينتهوا عن الطعن فى دينكم ويرجعوا عن الكفر الى الايمان * ثم أخذ بعض المؤمنين على جهاد الكفار فقال (الأقاتلون قوما نكثوا أيمانهم) نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا صلح الحديبية وأعانوا بنى بكر على خراعة (وهو باخراج الرسول) يعنى من مكة حين اجتمعوا فى دار الندوة (وهم بدؤكم) يعنى بالقتال (أول مرة) يعنى يوم بدر اذ قالوا لا تنصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه وبدؤا بقتال خراعة خلفاء رسول الله ﷺ (أنخسونه) أنتركون قتالهم خشية أن ينالك مكرهم منهم (فالله أحق أن تخشوه) يا معشر المؤمنين فاحشوا ترك أمره (ان كنتم مؤمنين) أى ان كنتم مصدقين بوعد الله ووعده فاحشوه وهل يكمل الايمان الا بحصر الخشية فى الله وعدم اللبالة بمن سواه * ولما انتهى من توبيخهم على ترك القتال أمرهم به فقال (قاتلوهم يعذبهم الله) الى قوله (ويذهب غيظ قلوبهم) فجعل المرتب على القتال خمسة أمور (١) التعذيب بالقتل (٢) واللذ بالقهر ونزول الهوان (٣) والنصر عليهم والظفر بهم (٤) وشقاء صدور المؤمنين وشقاء داء قلوبهم بما كانوا ينالونه من الأذى منهم ولا ريب أن من آذاه خصمه أمداطوبلا ثم ممكنه الله منه فانه لا محالة يعظم سروره (٥) وذهاب غيظ القلوب لما تقوا من المكروه * وكل هذا قد حصل وهذه من دلائل النبوة ثم استأنف قائلا (ويثوب الله على من يشاء) كعبض أهل مكة كأبى سبيان وبكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو (والله عليم) بما كان وما سيكون ومنه علم القلوب الصالحة للايمان (سكبر) فى قبول توبتهم وايمانهم * ولما كان ما تقدم يرجع الى القتال واقامة الحروب واخضاع الأعداء وكان ذلك شاقا على الفرس صعبا على الناس أردفه بأن الناس فى الدنيا مخلوقون للأعمال مبتلون بأفعالها والجهاد فيها فمن جد وصبر فاز ومن سقط فى الامتحان نزل به الهوان وهذا هو قوله (أم حسبن)

الى قوله (والله خير بما تعملون) أى أظنتم أنها للمؤمنون أن تركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تختبروا ليظهر
الصادق من الكاذب • والثالث من السمين • والجليل من الردي • • وهل تركون ولم يبين المجاهدون منكم
ولم يتخذوا - وليجة - أى بطانة من دون الله ورسوله والمؤمنين • • ولمخلص الآية أحسبتم أن تركوا بالاجتهاد
والإبراءة من المشركين - والله خير بما تعملون - يعلم غرضكم منه • • ثم انه هاهنا شرع الله عز وجل يبين
فضل الايمان والجهاد ويعطى للمسلمين صورة صادقة للسلم الصادق فهو أولاً بفضل الايمان والجهاد على عمارة
المساجد لأن عمارة المسجد لأفائدة منها إذا لم يكن للعمرمؤمننا وكيف يعمر المسجد وعبادته ملافة أم كيف
يعمر المسجد والهدى محيط به من كل ناحية • فعلى المسلم تصحيح العقائد أولاً فان الجسم لا ينشط إلا على
مقتضى الارادة وأن يجمع الجيوش ويتردد الأعداء ويخيف الأمم حوله حتى لا يطمعوا في دياره

وليعمرى كيف يعلى الناس وهم خائفون • أم كيف يتصدون في المساجد وهم محاصرون • • أم كيف
يقومون بأعمالهم الدينية وهم لا يعتقدون • • وثانياً وضع الآباء والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة والأموال
والتجارة والمساكن في كفة والايمان والجهاد في كفة وفضل الكفة الأولى على الثانية • • ذلك لأن من
اكتشفه العدو وأحاط به الظالمون من كل صوب فأبناءؤه وأهله وأقاربه وماله ومسكنه وجميع ما يمتنع به في حكم
المفقود لأن العدو سيأخذ منه ويحرمه فاقنصت السياسة الحكيمة أن الجهاد والايمان يقتزمان على سائر
ما ذكر • ان الجهاد به صيانة الأئمة وحفظها • وقد هدد من أحب هذه الامور وفضلها على الجهاد والايمان
بعقاب شديد وقد عرفت العقاب فهو الذى وقع فيه المسلمون اليوم فقد ضعف الايمان وقل الجهاد فأخذ
المرتجة المسلمين من كل جانب وهذا مصداق الآية وهذا هو قوله تعالى • ما كان للمشركين • الى قوله • والله
لا يهدي القوم الماسقين • • وسبب نزول الآية أن أسرى بدر من قريش الذين تقسم ذكرهم في سورة
الأنفال ومنهم العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ أقبل عليهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ
يعينونهم بالشرك وجعل على بن أبى طالب بوجه العباس بسبب قتال رسول الله ﷺ وقطعة الرحم قتال
العباس ما لم تكن قد تكون مساوينا ونسكتمون محاسنا ثقيل له وهل لكم محاسن قال نعم نحن أفضل منكم نحن
نعمر المسجد الحرام ونحج الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العاني يعنى الأسير فنزل قوله تعالى (ما كان
للمشركين أن يعمرؤا مساجد الله) سواء أكان للمسجد الحرام أو غيره (شاهدین على أنفسهم بالكفر) بإظهار
الشرك وتكذيب الرسول وعبادة غير الله • وقد كان أهل مكة يطوفون بالبيت عمرة وكانوا كلما طافوا طوفة
سجدوا للأصنام (أولئك حببوا أمهالهم) التى همالوها في الكفر من أمهال البر مثل قرى الضيف وسق
الحاج وفك العاني وكل عمل ليس لله فقد حبط وبطل (وفي الناورهم خالدون) أى من مات منهم على الكفر
فإذا كان أهل مكة قد عمروا المسجد الحرام فليس ينافع لهم لأمرين (الأول) أن أعمالهم حبطت بكفرهم
(الثاني) أنهم مقتصبون لحقوق المسلمين • فالأول في الآية السابقة • والثاني في قوله تعالى (انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله) أى انما تستقيم عمارة
المساجد لمن جمعوا بين قوى العلم للعبر عنه بالايمان الخ والعمل باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وعدم خشية أحد
في أبواب الدين إلا الله فهو لا • وحدهم الذين يقومون بتزيين المساجد بالقرش وتنويرها بالبرج وإدامة
العبادة والتدريس العلم فيها وصيانتها فلا أوصى كافر ببناء مسجد لم تقبل وصيته وهكذا يمنع الكفار من
دخول المساجد بغير إذن مسلم وإذا دخل بغير إذن عزر • • ثم ان الله لما خصص المؤمنين للموصفين بما
ذكر بعمارة المساجد لم يشأ أن يؤمنهم من حوادث القدر بل أبقي لهم خوفا في نفوسهم لئلا يظنوا أن
الانصاف بما ذكر كاف للسعادة فان هناك من الامور النفسية والأخلاق السبعية والعوارض الشيطانية في
النفوس الانسانية ما يبعث على الخشية المذكورة في الآية فلذلك أعقبه بقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من

المهتدين) بسيفه التوقيع فهو له مع كلهم في الايمان يتوقع لهم الهداية . ثم أخذ سبحانه يزيد ايضا وبؤكده . فقال على سبيل الاستفهام الانكارى (أجستم الخ) السقاية والعبارة مصدران أى أجستم أهل - سقاية الحاج وهمارة المسجد الحرام كمن آمن - ثم قرر الحكم فقال (لا يستورون عند الله) و بين عدم المساواة فقال (ولله لا يهتدى القوم الظالمين) ولازم أن الكفر ومعاداة النبي ﷺ ظلم فكيف يساوى هؤلاء الذين هداهم الله وقبلوا الحق ثم ين طائفة أعلى من غيرها وأعظم قدرا من أهل سقاية الحاج وهمارة المسجد الحرام وعن لم يستجمع الصفات المذكورة الآتية وتلك الصفات الايمان والهجرة والجهاد بالنفس والجهاد بالمال فهو له أعظم درجة من غيرهم (وأولئك هم المائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله لأن الجهاد بنفسه وماله فوق المصلى للزك الذي لا يجاهد ولذلك قال في ما تقدم - فقسى أولئك أن يكونوا من المهتدين - وهنا خضعهم بالفوز وأنبهه بالبشارة من ربهم بأنه يرحمهم ويرضى عنهم ويدخلهم جنات نعيمهم فيها دائم وهم خالدون فيها خالدا مؤكدا بالتأييد وعند الله الأجر العظيم الذي يحقر دونه نعيم الدنيا ولانسبة بين أعمال العالمين والأجر الذى استوجبوه . ثم أخذ سبحانه يبين أن الأمة مالم تجتمع أفرادها على رأى واحد تفرقت وحدتها وزالت جامعتها وأهم ذلك الاجتماع على الايمان وقد يستقبله قوم بالوطنية وآخرون باللغة الى آخر ما في كتاب أهل المدينة الفاضلة للمارابى فنهى سبحانه أن يشذ المؤمنون آباءهم واخوانهم أولياءه يوالوهم ان آثروا الكفر على الايمان وأوعدهم قائلا (ومن يتولم منكم فأولئك هم الظالمون) ثم بين أهم ما يجب الناس في الدنيا وهي ثمانية وفضل الجهاد والايمان عليه (قائلا - قل ان كان آبائكم واخوانكم أو زواجكم وعشيرتكم) أقر بأولكم (وأموال اقترتموها) اكتسبتموها (كساده) فوات وقت نفادها وقوله (تقربصوا حتى يأتى الله بأمره الخ) وعيد وتهديد بضياع الأمة ونشيت شملها

(لطائف فيها تقدم من الآيات من هذا القسم من السورة)

(اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - ونفصل الآيات لقوم يعلمون -

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - أم حسبم أن تركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الخ -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول -

(اللطيفة الرابعة) - أجستم سقاية الحاج الخ -

(اللطيفة الخامسة) - قل ان كان آبائكم وأبنائكم الخ -

(اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ونفصل الآيات الخ - والكلام على الأمم الاسلامية ونومتها)

أنظر الى اجتهاد أبى بكر الصديق وكيف يقول بعض الأجلة الأعلام من صدر الأمة الاسلامية ما كان أفقه أبابكر يريد بذلك أنه لم يفرق بين شيئين جمع الله بينهما يعنى الصلاة والزكاة لما جاءه عمر رضى الله عنه قائلا يا أمير المؤمنين اكتب منهم بالصلاة رد عليه قائلا وقد أخذ بلحيته يارجل أجبابى الجاهلية خوارج في الاسلام والله لومنعونى الخ . فتهب كيف كانت قوة الاسلام ومنعته وبقاؤه وبهجته وروقه وملكه لقارس والروم وحفظه الثغور راجعات كلها الى أمر واحد وهو قرن الصلاة بالزكاة وقد فهمها أبو بكر وعمل لحفظها بالوحدة وبين الله أهمية ذلك بقوله - ونفصل الآيات لقوم يعلمون - وقد قال بعض المفسرين انه بذلك يستبرأهم ويحرض الأذكاء على الفهم في أمر المعاهدات . وكأنه قيل من تأمل تفصيلها فقد استحق متبة العلم . وقد ظهر أن أول من استحق متبة العلم في هذا الباب أبو بكر الصديق فهو الذى فهم وهو الذى عمل . هذه هي المقدمة التى أكتبها للنتيجة التى أطلبها وى

(العلام للسماة بالعصرية من السموات والأرض ومجائب الحكمة الالهية)

أنظر أيها الذى كيف استقامت أمة الاسلام ونجح الصديق في أمره . بماذا . بماذا جمع الاسلام .

جمعه بقرن الصلاة بالزكاة وهو الذي تقطن لهذا وحده ثم اتبعه المسلمون وأذعنوا . وبهذا مدحه الله .
 مدحه هو وأمثاله بالعلم . بماذا . بأنه عرف تفصيل هذه المسألة السياسية العمرانية الدينية فهل تقطن
 المسلمون بعد ذلك في هذه الصور . عصور العلم والعرقان . عصور الحكمة والنور . عصور الكشف
 الحديث . عصور الكهرباء والبخار . عصور الكيمياء والحديد . عصور المواد اللطيفة الهوائية التي بها
 تطير الطائرات وتحلق في جو الفضاء . عصور انقلاب المعمورة وتغيير العالم الانساني وازال الصواعق من
 الطائرات . هل قطنوا على من تقع تلك الصواعق . على الجاهلين . من هم الجاهلون . الجاهلون
 بنظام الله . الجاهلون بما خلق الله . الجاهلون بهذا العالم للملوك جمالا وحكمة وبها . وحسابا ووزنا .
 كل العالم موزون منظم بهيج بديع . فواحسرتاه على أمة الاسلام . ووا أسفاه على هذه الأمة النيلية التي
 خلقها الله في الشرق مهد العلم والحكمة والفلسفة . فيا ليت شعري كيف يكون الشرق مهد للدين والعرقان
 وينزل فيه نبي صادق منهم ثم يكون ذلك الشرق نفسه مهد الفباوة والجهالة . وكيف أصبح في ظلام
 دلمس وجهل طامس . لعلك تقول انك بهذا القول خرجت من المقام ودخلت فيما ليس منه وأنى مناسبة
 بين المعاهدات الاسلامية والنظامات الكونية . وانما أنت تريد أن تذكر الجحافل الكونية بمناسبة وغير
 مناسبة لأن هذا يحيل في الكلام وخروج عن سائر التأليف وهذا مما تنفر منه الطبع وبأباه العلماء الأعلام
 أقول على رسلك ان هذا المقام به أي ف وهو به حقيق . ألا ترى أن مناعة أمة الاسلام التي حلت من
 اقتران الصلاة بالزكاة وقد مدح من يعرفها بالعلم . قد جاء في القرآن في سورة الأنعام نظير هذا للدس بل هو
 أبلغ منه فيمن يعرف علم النجوم وسبجها وعلم التشريح وعلم النبات وما أشبه ذلك . فإذا قال الله هنا
 - وقصل الآيات لقوم يعلمون - فقد قال في سورة الأنعام - وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في
 ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون - وهو الذي أنشأكم من قس واحدة فاستقر واستودع
 قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون - ثم شرع يذكر الجنات والأعنان والنخيل وقال - إن في ذلكم لآيات
 لقوم يؤمنون - فانظر كيف يقول هناك قد فصلنا ففيها قد للتحقيق وفيها فصلنا بصيغة الماضي وهي قيد
 التحقيق وعبر في جانب الامور الطبيعية وهو التشريح بالفقه وهو أبلغ من العلم لعلاته على شدة الفطنة
 وختم بأن هذه دلالات لقوم يؤمنون . فانظر كيف ابتدأ الله الآيات بأنه عزيز علم وبأن من يعرفها علم
 فقيه مؤمن فهذه الصفات الثلاثة التي تربت على معرفة هذا العالم المحيط بنا من النبات والحيوان والانسان
 والتشريح والملاك وجميع العلوم الطبيعية لم تذكر في هذا المقام مقام المعاهدات والمعاملات المدنية بل قال
 - قصل الآيات لقوم يعلمون - وهناك أكدها بقدر وكون الفصل ماضيا
 أفلا تتعجب من المسلمين كيف يتفطن الصديق لمسألة اسلامية جمع بها الأئمة كلها وهي قرن الصلاة بالزكاة
 ولما جاء هذا العصر الحاضر وجدنا أقنصنا اليوم لافي العير ولا في الفير . فلا نحن حافظنا على ما ورثناه من
 أولئك الأشراف الأكابر من العلوم العملية . ولا نحن رفعتنا أبارنا الى ما حولنا وحولنا وجهته الأمراء
 الاسلاميين ورؤساء العشائر من التخاذل الى الأمم التي حولهم وكيف سبقوهم في العلوم واستخدموا الطبيعة
 فأعطاهم الله مما في خزائنها . وكيف ناموا عن القرآن ولم يتفطنوا لما تقطن له أسلافنا الكرام
 ولو أنهم نظروا نظرات صادقات لوجدوا من الحث على العلم في الآيات السابقة ما يهيج الصدور ويبعث
 الهمم الى حوز العلوم وفهمها . وكيف كان القرآن قد أعطى العلوم الطبيعية والفلسفة من الأهمية فوق ما
 أعطى العلوم المقهية التي منها أمر المعاهدات في الآيات التي نحن بصدها . يا عجبا كل الجب هل غاب عنكم
 يا معاشرة علماء الاسلام . ان هذه العلوم الكونية هي التبيين وهي العبادة وهي التوحيد وهي الذكر وبها
 افكرو بها حب الله وبها فضلا عن هذا كله الجهاد العلمي والرقى الفكرى والفنى والثروة وغلبة الأعداء

لقد ظهر الآن سر القرآن • هذا هو السر المكنون • هذا هو العلم المخزون • هذا هو الذي نبأه الله في القرآن ليظهره الآن على قلوب قوم يحفظهم لهذا في هذه الأمة فيسوقون الأمة الإسلامية الى دراسة العلوم والرفان ويقرؤون مافي الأرض والسماء من العوالم المحيطة بنا حتى يكونوا عباد الله حقاً وحتى يكونوا خلفاء الله في أرضه • وحتى يكونوا راحة للعالمين • وحتى يظهر الله الاسلام على الدين كله

والا فلماذا نرى الله يصف نفسه في تلك الآيات بالعزة والعلم ويصف العالمين بها بالثقة والعلم والايمان تبارك الله رب العالمين • إن فرق ما بين العلوم الفقهية والعلوم الكونية كالفرق ما بين ذلك للمدح الهيب بالعلم والفقه والايمان وآيات الأنعام مع الصيغة المفيدة للتحقيق وبين مجرد الوصف بالعلم مرة واحدة بصيغة المضارع • ولقد وصف العالمون بهذه العلوم أيضا بأولى الأبواب والمتقين والموقنين وانهم يعدون • لجميع صفات الكمال من علم وايقان وثقة وانهم أولوا الأبواب • كل ذلك وصفهم الله به • وكيف لا يوصفون به وقد علمت أن قرن الصلاة بالزكاة ونوزعها على الناس يقيد الصل في ملكه الناس فأما العلوم الطبيعية ونظام الله فانها يفيدان الناس فوق معرفة الله مالا وغنى وثروة وقوة حربية • جلل الله الذي أكسب للعاني الألفاظ التي تناسبها فمدح عالم الزكاة بمدح أوزير من مدح العلوم الكونية لما يفدقه على الناس من نعمه بتعطيلها وجلل الله الذي غشى على عقول المتأخرين من المسلمين خرمهم ذلك وها هو ذا يريد أن يطلعهم على خزان نعمته وأطعمهم من الآن دلائل رحمته وبدائع حكمته - فتبارك الله أحسن الخالقين -

﴿ اللطيفة الثانية - أم حسبكم أن تتركوا 'ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الآية - ﴾

لقد كثرت الخوض في القرآن على الجهاد وهي قاعدة مقررة ألا سعادة في دين ولادنيا إلا بنفس الجهاد فأما اللذات والشهوات والأمانى فآما هي وقيمة والسعادة إنما قرنت بالصبر والجهاد في جميع الحياة فليجاهد الانسان في العلم والعمل والصدق والأمانة فبهذا الجهاد وحده تكون السعادة وهذا المقام مستوفى في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولنبالونكم بشئ من الخوف والجوع إلخ -

﴿ اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم إلخ - ﴾

ذلك أن رسول الله ﷺ عاهد قريشا عام الحديبية على أن يضعوا الحرب عشرينين يأمن فيها الناس ودخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ ودخل بنو بكر في عهد قريش ثم عدت بنو بكر على خزاعة فقاتل منهم وأعاتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش على خزاعة وتقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي وأخبر رسول الله ﷺ وجعل الخبر في أبيات من الشعر كما يروى فقال رسول الله ﷺ لانصرت ان لم أنصركم وتجهز الى مكة ففتحها سنة ثمان من الهجرة فهؤلاء هم الذين نكثوا أيمانهم وهما باخراج الرسول وهم البادئون بالأذى وقد حصل جميع مافي الآية وهو معجزة

﴿ اللطيفة الرابعة - أجمعتم سقاية الحاج إلخ - ﴾

في البخاري عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس يا فضل اذهب الى أمك فأت رسول الله ﷺ يشرب من عندها فقال اسقني فقال يا رسول الله انهم يجمعون أيديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم أتى زمزم وهم يستنقون ويعملون فيها قال اعلموا فانكم على عمل صالح وروى مسلم عن بكر بن عبد الله المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فأتاه امرأتان فقال مالي أرى بني عمكم يسقون العسل والماءين وأنت تسقون النبيذ أمن حاجة بكم أم من بخل فقال ابن عباس الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل إنما قدم النبي ﷺ على راحلته وخلفه أسامة فاستسقى فأتيته بآناه من نبيذ فشرب وسقى فضله أسامة فقال أحسبتم أو أجليتم كذا فاصنعوا فلا يزيد تغيير ما أمر به رسول الله ﷺ له والنبيذ هو الخمر ينقع في الماء غدوة ويشرب عشاء أو ينقع عشاء ويشرب غدوة لكن ان غلى وحض حرم

﴿ اللطيفة الخامسة - قل ان كان آبؤكم وأبنؤكم إلخ - ﴾

لقد تكرّر في القرآن الحُصْنُ على الاتحاد فلا أمة تقوم إلا به والاتحاد إنما يكون بالقلوب ومتى تفرقت وجهة النظر تفرقت الأمة وهذا المقام قد شرحناه سرات كثيرة في هذا التفسير والله أعلم اهـ

ولما كان تفضيل الإيمان على حب الثمانية المتقدمة في الآية وهي الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والسكان المحبوبة يؤدى إلى اتحاد الأمة ضدّ ذلك يؤدى إلى قاطعها وتدابرها وتزيقها لعلم الاتحاد والالتئام وكان ذلك قد توافر عند أصحاب النبي ﷺ وجبوشه الحكمة أعقب ما تقدم بقوله (ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب كوقعة بدر وقرظفة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وتبلغ غزوات النبي ﷺ تسع عشرة غزوة وقد قاتل في ثمان منها * ثم إن جميع غزواته وسراياه وبعوثه ثمانون وخمس موصفاً منها بالذكر وهو يوم حنين فقال (ويوم) أى واذكروا (يوم حنين) وإد بين مكة والطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً * وقال عروة هو إلى جنب ذى المجاز * أعلننا الله بهذا انه هو الذى يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى الله نصره فلا غلب له فلا ذكر مختصر

الغزوة وماهم منها ثم نأتى بالآيات بعدها * روى أن الغزاة في حنين اثنا عشر ألفاً منهم عشر حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء وكانوا يومئذ أكثر ما كانوا وكان للمشركون أربعة آلاف من هوازن وهيف وكان على هوازن مالك بن عوف النضرى وعلى كنانة ابن عبدالمطلب فلما التقى الجعان قال رجل من الأنصار لن تغلب اليوم من قلة فساء رسول الله ﷺ كلامه فلما التقى الجعان اقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم المشركون وخالوا عن النزارى ثم نادوا بإحالة السواد اذكروا القضاء فتراجعوا وانكشف المسلمون حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله ﷺ في مركزه ليس معه إلا عمه العباس رضى الله عنه آخذاً ببلجامة وابن عمه أبوسفیان بن الحارث فقال للعباس وكان صبيحاً صبح بالناس فنادى بإعياذ الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فسكروا عنقا واحداً يقولون ليك ليك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حيي الوطيس أى اشتدت الحرب والوطيس التنور * ثم أخذ ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار وقال شأته الوجوه فما خلق الله منهم انساناً إلا ملأ عينيه تراباً بذلك القبضة فولوا مدبرين وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم وأعطى المؤلفة قلوبهم مالا كثيراً كآبى سفيان والحرف بن هشام وسهيل بن عمرو والأقرع بن حابس وصفوان بن أمية وعيينة بن حصن كل واحد مائة من الإبل وأعطى عباس بن مرداس أقل من ذلك فأنشده شعرا في ذلك فكمثل له المائة ولم يسط الأنصار شيئاً وأفهمهم أنه يتألف حديثي العهد وأنه هو نفسه معهم فرضوا بذلك * فلنفسر الآيات يقول الله (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تفتح عنكم شيئاً) من الاغناء (وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) أى مع رحبا وهي في موضع الحال أى ملتبسة برحبا كقولك دخلت عليه بتياب المز أى ملتبسا بها * والمقصود انهم لم يجدوا موضعاً لفرارهم عن الأعداء فكانت الأرض ضاقت مع ما هي عليه من السعة (ثم وليم مدبرين) منهزمين (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا والسكينة الطمأنينة فان الحائف يرتجف غير مستقر والآمن في سكون فالسكينة كناية عن الامن (ذلك) أن جمع هوازن وبني نصر رشقوا الغزاة من المسلمين بالنبال وكانوا لا يحيطون للمرى وكان رسول الله ﷺ على بقلته البيضاء فززل ودعا واستنصر وقال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وذلك حين حل المسلمون على الغنائم فشققتهم وكان ما كان (وأنزل جنوداً لم تروها) بأعينكم يعنى الملائكة * وقد اختلفوا في عددهم * ولقد سبق القول فيهم في آل عمران والأنفال * وروى أن رجلاً من نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال أين الخيل والبقي والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراهم فيكم إلا كهية الشامة وما كان قتلنا إلا بأيديهم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ

فقال تلك للملائكة • وروى أن رجلا من المشركين قال يوم نحين لما التقينا وأصحاب محمد لم يبقوا لنا حلب
 هاة أن كشفناهم فينا نحن نسوقهم حتى اتينا إلى صاحب البغلة البيضاء فإذا هو رسول الله ﷺ قال
 فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شأته الوجوه أرجعوا فانهمزنا وركبوا أكتافنا
 فكانت أياها انتهى • وأعلم أن هذه الروايات لم ترد في الصحيح وقد قلتم تحقيق المقام في الأفعال فتفطن
 (وعذب الذين كفروا) باقتل والأسر والسبي (وذلك جزء الكافرين) أي ما قفل بهم جزء كفرهم في
 الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم) وقد تاب على بعض هؤلاء بأن وفقهم
 للإسلام فإن ناسا منهم حووا إلى رسول الله ﷺ وأسلموا وقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبي
 أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وكان السبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال
 ﷺ اختاروا اما سبائكم ولما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالأحساب شيئا فقام رسول الله ﷺ وقال ان
 هؤلاء جلا مسلمين وانا خيرناهم بين الدراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
 نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فتعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
 فقال اني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرضوا اليها فرفضوا انهم قد رضوا • ثم خاطب الله
 المؤمنين في شأن المشركين قائلا (يا أيها الذين آمنوا انما للمشركون نجس) لما في نفوسهم من الخبث
 والرجس وما في عقائدهم من الزيف وما في أبدانهم من القذر فلا يتطهروا وماعشدهم من الحدث الأوفر
 والأكبر كالجنابة فلا يفتسلون وما في أعمالهم من الأذى فيجتنبون كما يجتنب كل ذي مرض معد وكل حيوان
 مفترس • ويقول ابن عباس ان أبدانهم نجسة كالكلاب • ويقول الحسن بن صالح من مس مشركا
 فليشوضا ومثله الزبدي (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) فلا يحجون ولا يمترون عند أبي حنيفة
 ويجوز للماهد دخول الحرم عنده أولا يدخلون الحرم مطلقا فضلا عن المسجد الحرام عند الشافعي وأحمد
 ومالك ولا يدخلون غير المسجد الحرام من المساجد قياسا عند مالك • والمراد بهذا العام السنة التاسعة التي
 حج فيها أبو بكر الصديق بالناس وفيه نادى على يراءة وألبحج بعد العام مشركا كما قلتم • أما بلاد
 الجواز فيجوز للكفار دخولها والاقامة فيها ثلاثة أيام • ففي مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأخرجن اليهود
 والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما • وفي رواية لغير مسلم قال (أخرجوا للمشركين من
 جزيرة العرب) فلم يفرغ لذلك أبو بكر وأجلاه عمر في خلافته وأجل لمن يقدم نائرا ثلاثا • عن ابن
 شهاب قال قال رسول الله ﷺ (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب) أخرجه مالك في الموطأ • ولما
 كان المشركون قد منعوا أن يربوا المسجد الحرام وذلك يدعو إلى عدم دخول الحرم فدخول الحرم اقربا
 من المسجد كان ذلك داعيا أن يبيت أهل مكة جاعا قراء لمنع التجارات والطعام التي كان يجلبها للمشركون
 اليهم كل عام لذلك أعقبه تعالى بقوله (وان ختم صيلة) فقرا (فسوف يفتيكم الله من فضله) من عطائه
 وقد صدق الله وعده وأرسل السماء عليهم مدرارا وكثر خيرهم وأسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن
 وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة وما أعطاهم الله الجزية أيضا وانما قال (ان شاء) ليوجه الآمال إلى الله وأنه
 متفضل (إن الله عليم) بأحوالكم (حكم) فما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
 ولا يحرمون محارم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق) التائب الناسخ للأديان كلها (من الذين أوتوا الكتاب)
 وهذا بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) أي ما هو عليهم • وهذا مستق من جزى دينه إذا
 قضاه حال كونها (عن يد) أي نقدا مسلمة عن يد إلى يد أو مواتية غير ممتعة أي متقادين أو مسلمين
 بأيديهم فلا يشترطون بأيدي غيرهم أو عن غنى لأنها لا تؤخذ من الفقراء عند بعضهم أو عن يد قاهرة فوقهم
 أو عن انعام لأن فسادهم وأحد الجزية منهم نعمة عظيمة • فهذه خمسة معان وكلها لاتنافي بينها لأنهم أدلاء

واقهارون لهم أقوياء ويسلمون الجزية وينعم عليهم وهكذا (وهم صاغرون) أذلاء وإنما كان هؤلاء لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ لأنه سيأتى أن اليهود يجعلون عزيرا ابن الله والنصارى يجعلون المسيح ابن الله وهم يتخذون الأحبار والرهبان أربابا من دون الله في التشريع فيحطلون ويحرمون كما يشاؤون فهذا قوله - لا يؤمنون بالله الخ - وأما قوله - ولا يحرمون الخ - فانهم لا يحرمون ما حرم الكتاب والسنة فلا يحرمون الخمر والخنزير

(١) ثم إن الجزية تؤخذ من اليهود والنصارى من غير العرب بالاجماع
(٢) وتؤخذ من العربى كتابيا كان أو مشركا عند أبي يوسف
(٣) وتؤخذ من أهل الكتاب عربا أو عجميا عند الشافعى
(٤) وتؤخذ من أهل الكتاب عربا كانوا أو عجميا ومن مشركى الجهم ولا تؤخذ من مشركى العرب عند أبي حنيفة

(٥) وتؤخذ من جميع الكفار إلا المرتد عند مالك والأوزاعى
(٦) وتؤخذ من المجوس بائناق الصحابة وضوان الله عليهم أجمعين

﴿ مقدار الجزية ﴾

(١) لاشئ على الفقير الذى ليس كسوبا
(٢) وعلى الفقير الكسوب ١٢ درهما
(٣) وعلى المتوسط ٢٤ درهما
(٤) وعلى الفنى ٤٨ درهما . وهذا مذهب أبي حنيفة رضى الله تعالى عنه
ولا تؤخذ الجزية من الصبيان ولا النسوة ولا العبيد . وقد قدرت أيضا بدينار ودينارين وأربعة دنانير للفقير والمتوسط والفنى . وقال أصحاب الشافعى لا تجوز الزيادة على دينار إلا بالتراضى فالديناران والأربعة للتوسط والفنى عند التراضى والأقل

﴿ من أحوال المجوس والصائبين وذبايحهم ﴾

اتفقوا على حرمة ذبايح المجوس وما كتحتم بخلاف أهل الكتاب ومن دخل في دين اليهود والنصارى قبل النسخ فحكمه حكم اليهود والنصارى تحمل من أكلهم وذبايحهم . والصائبون والسامرة مثلهم مثل أهل الكتاب فهم كأهل البدع في المسلمين . ثم أخذ الله سبحانه بين سبب أخذ الجزية منهم مع أن لهم ديناً وكيف يصفهم بأنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) وذلك لأن يختصر قتل كل من يحفظ التوراة وكان العزيز قد آمنه الله مائة عام فلما أحياه الله قال لقومه أنا أملئ عليكم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا إلا إله ابن الله . ألا ترى أن اليهود لما سمعوا هذا القول لم يكذبوه وكانوا معربين بالكذب (وقالت النصارى المسيح ابن الله) لأن الولد الذى لأب له مستحيل عادة ولأن إبراهيم الأكمة والأرض وإحياء الموتى لا يقوم بهما إلا من كان إلهاً . ويقال إن النصارى كانوا على الدين الحق بعد رفع المسيح إحدى وعشرين سنة يصلون ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له (بولس) قتل جماعة من أصحاب عيسى عليه السلام ثم قال بولس لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والتارمسينا فتحن معيونون إن دخلنا النار ودخلوا الجنة فأتى ساحتا وأسلمهم حتى يدخلوا النار معنا ثم إنه عمد إلى فرس كان يقاتل عليه مرقسه وأظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على رأسه ثم إنه أتى إلى النصارى فقالوا له من أنت قال أنا عدوكم بولس فقد نوديت من السباء أنه ليس لك نوبة حتى تنصرت وقد تبت وأنتكم فأدخلوه الكنيسة ونصروه وأدخلوه بيتاً منها لم يخرج منه سنة

حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت من السماء أن الله قبل توبتك فصعدوه وأحبوه وعلا شأنه فهم
ثم أنه عمده إلى ثلاثة رجال اسم الواحد منهم نسطور والآخر يعقوب والآخر ملكان فعلم نسطور أن عيسى
ومريم والاله ثلاثة . وعلم يعقوب أن عيسى لبس إنسان ولكنه ابن الله . وعلم ملكان أن عيسى هو الله لم
يزل ولا يزال . فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في الخلوة وقال له أنت خالصي وأدع الناس لما
علمتك وأمره أن يذهب إلى ناحية من البلاد ثم قال لهم إني رأيت عيسى في المنام وقد رضى عني وقال
لكل واحد منهم سأذبح نفسي تقرباً إلى عيسى ثم ذهب إلى اللذبح فذبح نفسه . وتفرق هؤلاء الثلاثة فذهب
واحد منهم إلى الروم . فواحد إلى بيت المقدس . والآخر إلى ناحية أخرى ففترق الناس فرقا بهذه المذاهب
واعلم أن هذه الحكاية وإن كان لا دليل يقطع بصحتها تقرب الحقيقة لمن يريد أن يعرف اختلاف
السيحيين . ألا ترى أن اختلاف المسيحيين بعد تلك الأيام كان على هذا النوال قاتل

﴿ حقيقة هذه المسألة في التاريخ ﴾

يقول المحققون من علماء العصر الحاضر ان بولس رجل قريسي ويعرف اللغة العبرية فاحتقر في بادئ
الأمر الرسل ولم ير المسيح ولا سمع كلامه ومع ذلك ادعى أنه قد خست به المعرفة وحده وأخذ يخاطبهم بطرس
ويوحنا فتألف إذ ذاك أي بعد موت المسيح بعشر سنين صنفان من النصارى صنف يتبع من بقي من الرسل
في أورشليم . والثاني تابع لبشارة بولس الذي ادعى أنه أوحى إليه من المسيح ذاته . وبعد حين تمرد
اليهود على يثرون فشبت الحرب في اليهودية بقيادة فسباسيانوس الروماني ثم ابنه طيطس وانتهت باقتناع
أورشليم عام (٧٠ م) وخرب الهيكل وتفرق اليهود أشتاتا ولم يبق من الرسل إلا يوحنا وفيلبس . ولم يبق
إذ ذاك من الدين إلا أحاديث متفرقة على ألسنة الأساقفة واختلطت تعاليم الكنائس بتعاليم الفلسفة اليونانية
وما جاء آخر الجليل الأول حتى نشأت عدة قصص وروايات سميت أناجيل وقد أحصى منها في الجليل الأول
والثاني (٣٥) أنجيليا وصاحب الإحصاء هو فابريسيوس . واختيار الأناجيل الأربعة كان في الجليل الثاني
ونسبتها إلى متى ومرقس ولوقا ويوحنا التي تنازع على العلماء حلها

﴿ نتائج الخلاف في النصرانية ﴾

في سنة ٣٨٤ م أصدر البابا دلامسيوس إلى مارابونيوجوس أن يحترق ترجمة لاتينية جديدة من المهدين
القديم والجديد وكان (تيودوسيوس) الملك في ذلك العهد قد ضجر من الخصامات فأصدر أمراً أن يكون حق
التولية لأسقف رومه وحده وعلى النصارى عموماً اتباعه

﴿ تنازع النصارى في أمر المسيح ﴾

كانت كنائس النصرانية في أول الجليل الرابع منقسمة إلى حزبين الواحد يقر بألوهية المسيح والآخر
ينكرها . وفي سنة ٣١٢ ظهر اريوس فجعل أن للأب والابن جوهرين متميزين . والثاني خليفة الأول
وإذ أن فهو ليس باله . وكان اريوس هذا واسع العلم ذا خلق جيد فأنبئه خلق كثير . ولما رأى اسكندر
أسقف الاسكندرية ذلك استدعى بعض الأساقفة وألفوا جميعاً لعنوا فيه اريوس وتعليمه فكثرت النزاع والشقاق
على هذه المسألة حتى قلت النفوس وضجرت الأمة كلها واهتز عرش الملك قسطنطين فأرسل رسالة على يد
أوزيوس إلى كل من اريوس واسكندر ومخهما فيها على هذا الخلاف النافه الذي لاعلم لأحدهما بحقيقته .
ودام الخصام والجدال واشتد ولم تنفع رسالة الملك فأمر الملك بجميع في نيقيّة سنة ٣٢٥

ومن عجب تطابق أقوال المؤرخين أن هؤلاء الآباء كانوا يتشائمون ويتقانون ويذم كل منهم الآخر
بفضائح لاحد لها . وأمر قسطنطين الملك ألوهية المسيح ونفى الاريوسيين ثم رجعوا من المني متمصرين
ودخلوا الاسكندرية فاضطر قسطنطين أن يقيم جميعاً في أسطاكية فأبطل مذهب اسكندر المسمى (أورثوذكس)

أى مستقيمى الرأى ومات اريوس جفاة وهو محمول على أعناق أصحابه بالعر والابهة ومات قسطنطين سنة ٣٣٧ بعد أن قسم الملك بين أولاده الثلاثة قسطنطين وقسطنس وقسطنط وتوات الجامع بعد ذلك على هذا المنوال فلتنظر أيها الذي كيف كانت الحكاية الأولى للمقولة عن المفسرين (وان كانت محظنة فى التاريخ وفى الرواية) قد أفلتت أن هذا الخلاف له حقيقة . وكيف تبين أن بولس الرسول كان له نزعة خاصة . وكيف كانت ألوهية المسيح وعدمها شغلا شغلا للدولة الرومانية . وكيف أذى الأمر الى أن الملك تيودسيوس القيصر أمر أن يتبع النصارى كلهم البابا (داماسيوس) ومن يخالفه يعاقب ولكن الأريوسيين كانوا كثيرا جدا فلم يعاقبهم فأحتال القديس (أمفيالوك) بحيلة أوجبت أن الملك يعاقب من لايقول بالوهية المسيح . فانظر كيف اهتزت العروش وعظمت المناصب وتقاتلت الأحزاب . كل ذلك على ألوهية المسيح وعدم ألوهيته ولما كان قول اليهود والنصارى لادليل عليه بل هو مصيبة عمية كما عرفت من حقائق التاريخ . قال تعالى (ذلك قولهم بأفواههم) مجرد عن البرهان والتحقيق مهمل لاجل له سوى الأفواه كما قال القيصر للاسكندر ولاريوس وقوله تعالى (بصاهشون قول الذين كفروا من قبل) أى يضاى قولهم قول الذين كفروا من قبل . ومعنى هذا أن هناك ديات فى الأمم السالفة قبل التاريخ فى مصر والعراق وبلاد الكسليك قبل افتتاح أمرىكا كانت فيها هذه الخرافات . أنظر هذا المقام فى سورة البقرة فى أوائلها فقد تبين هناك أن دين التثليث وكون الله له ابن ملأت للمسكوتة ووجدت فى الهند فارجح اليها إن شئت تر العجب العجيب وكذلك فى آخر سورة المائدة . وهذا أيضا من معجزات القرآن . ولعمري لم يعرف الناس أن هناك دينا قبل الدين المسيحى يقول بآب الله وبالوهية ذلك الابن إلا فى هذا الزمان فتجب من عجائب القرآن . وهذا واضح كل الاضاح فى آخر المائدة فيما تقدم . قال تعالى (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالمهلك وتجب من شناعتهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل . ثم أخذ الله سبحانه يبين انهم لم يقتصروا على عبادة المسيح وعزير بل جعلوا الأبحار والرهبان أربابا من دون الله . والأبحار علماء اليهود . والرهبان أصحاب الصوامع فى النصارى . ومعنى كونهم أربابا انهم يعترمون لهم ويحلقون وهم لهم مقلدون * وعن عدى بن حاتم قال أئنت النبي ﷺ وفى عتقى صليب من ذهب فقال ياعدى اطرح عنك هذا الوزن وسمعت يقرأ فى سورة براءة - اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله - قال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شىء استحلوه وإذا حرّموا عليهم شىء حرّموه * قال عبد الله بن المبارك وهل بطل الدين إلا الملوكة * وأبحار سوء ورهبانها

لقد وقع القوم فى جيفة * يبين لدى الصلح انتهاها

وهذا هو قوله تعالى (اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) وهذا الأخير اعتقدوا فيه الألوهية كما تقدم قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا إله إلاهوسبحانه عما يشركون) أى تعالى الله وتنزهه عن أن يكون له شريك فى العبادة (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم) أى يريد رؤساء اليهود والنصارى أن يفعلا فى الاسلام فعل من يعمد الى نور عظيم كالشمس ليطفئه بنفخة بغمه وما هو بمستطيع ذلك . فهكذا دين الاسلام ودلائله الباهرة ومعجزاته الظاهرة . وقد تصدى هؤلاء لخصه وماهم بضاربه شىء لقوته البرهانية وحجته القوية (ويأتى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) أى ويأتى الله إلا أن يعلى دينه ويظهر كلمته ويتم الذى أرسل به نبينا ﷺ وأن الذى يأتى إلا أن يتم نوره (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) القرآن (ودين الحق) الاسلام (ليظهره) ليعلى (على الدين كله) على سائر الأديان فيكون متبعوه لهم السلطان الأكبر فى الكرة الأرضية ويقهرون فارس والروم وهذا كله فى الزمان الأول أما فيما بعد فى مستقبل الزمان فيسيطر فى أمة الاسلام أناس يحملون الأمانة على نبد الجلود والتحل بحلى العلوم

والعرفان واذ ذاك يرقى المسلمون ويكون بأيديهم مقاليد الرياسة والسياسة والحكمة والعلم . وفي ظني أن زماننا هو مبدأ ارتقاء المسلمين إذ يقومون بمهمتهم في العالم ويحكمون الناس بالحق بعد أن يرتقوا ويتسعدوا في المعارف . ويدل على هذا ما روي عن أبي هريرة في حديث نزول عيسى قال قال النبي ﷺ وبهلك في زمانه الملل كلها إلا الاسلام * عن المقداد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يبق على وجه الأرض بيت مدبر ولا وير إلا أدخله الله كلمة الاسلام إما بعزيز أو بذليل أي إما أن يعزهم فيجعلهم من أهله فيعزوا به وإما أن يذلهم فيذلون له . وهذه الجملة كالبيان لقوله - وبأي الله إلا أن يتم نوره - ولتلك كثر - ولو كره المشركون - غبر أن الكفر هناك بذل بالشرك هنا إعلاما بأنهم ضموا الكفر بالرسول إلى الشرك بالله . ولما كانت الآيات المتقدمة قد أثبتت أن الأحبار والرهبان في حكم الآلهة عند أهل الكتاب أخذ يبين هنا سبحانه وتعالى أنهم غير مؤتمنين في أحكامهم التي يحكمون بها وأن أهل الكتاب قد استأنوا من ليسوا بأمناء فقال (يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون) أي ليأخذون لأن الأكل أهم مقاصد الأخذ فغير عنه به (أموال الناس بالباطل) لأنهم يأخذون الرشا من سفلتهم في تخفيف الشرائع والمساغة في الأحكام ويحرفون صفات النبي ﷺ المذكورة في كتبهم استبقاء للرئاسة وحفظا لما ينالونه من المال ببقاء الرئاسة التي يذهبها اعتناق الاسلام (ويصدون عن سبيل الله) ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) سواء كانوا من الأحبار والرهبان أم من المسلمين . والمراد بالمال المكتوز ما لم يؤد زكاته ولولم يكن مكتوزا * قال عليه الصلاة والسلام (ما أدى زكاته فليس يكثر) أي ليس يكثر أوعده عليه * وقال بعض أصحاب النبي ﷺ لما علموا بنزول هذه الآية لو علمنا أي المال خير لا نخذناه فقال رسول الله ﷺ أفضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعيين المؤمنين على إيمانه * وقد ورد في حديث مسلم الوعيد الشديد على من لم يؤد زكاة الذهب والفضة وانها تصفح له صفائح من نار فيحصى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وظهره كالأردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار وهكذا قال في الأبل وجعل من حقها حلها يوم ورودها وإن لم يؤد حقها فانه يبطع لها بقاع قرقر فهي تطؤه جميعها بأخفافها وتنفض بأفواهاها كلما مرت عليها أولاها ردة عليه أخرها الخ وهكذا قال في البقر والغنم والقاع الفرقر هو المستوى من الأرض

وهكذا جاء في حديث البخاري (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه (شديقه) ثم يقول أنا مالك . أنا كنزك ثم تلا - ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم - الآية * والشجاع الحية والأقرع سفة له بطول العرفانه إذا طال عمره تفرق شعره وهذه صفة أخبت الحيات والزيبتان هما الزبدتان في الشديقين . وهذا كله وعيد لمن لم يؤد الزكاة ولذلك قال تعالى (بشرهم بعذاب أليم) وهو السكى (يوم يحصى عليها) أي يوم توفد النار فلما حذفت النار فلم تكن فاعلا وأسند الفصل إلى الجار والجرور وهو عليها * قيل يحصى بالتحسنة كما تقول رفعت القصة إلى الأمير ومتى حذفت القصة قلت رفع إلى الأمير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لأنهم إذا أبصروا الفقير عيسوا وإذا ضمهم مجلس وإياه ازوروا عنه ونولوا بأركانهم ولوله ظهورهم وهذا العذاب يشمل الجهات الأربع المقدسة والمؤخر والجنبيين * ويقال لهم (هذا ما كنزتم لأنفسكم) لمنقضا قد صار مضرمها وعذابها (فتدقروا ما كنتم تكذبون) أي وبال كنزكم . ولما كان المقام في قتال الكفار إذ قال تعالى آتفا - فاتوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الخ - وذكر الجزية واستطرد بذكر ما كفر به اليهود والنصارى وانبع ذلك من حرص أخبارهم ورهبانهم على المال والرشوة أخذ ينم المقام بذكر مسائل أخرى

من مسائل الحرب وهي الأشهر الحرم التي كان العرب يحرّمون فيها القتال اتباعا لدين إبراهيم عليه السلام وأخذ سبحانه يحقق الأمر فيها فأفاد أن الشهور العربية اثنا عشر شهرا • وأما الشهور الشمسية فليس المسلمون مكلفين بحسابها ولا باتباع نظامها فقال (إن عدة الشهور عند الله) أي مبالغ عددها (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) وهو ما أثبتته وأوجبه في حكمه أوفى اللوح المحفوظ (يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم) والأشهر العربية للذكورة أولها المحرم وآخرها ذو الحجة • والأربعة الحرم هي ذوالقعدة للعود عن القتال فيه • وذو الحجة للحج • والمحرم لتحريم القتال • فهذه ثلاثة سرد وواحد فرد وهو رجب لترجيح العرب إياه وتعظيمهم • فالأشهر العربية مبنية على سير القمر تمتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم وأعيادهم وأحكامهم • وهذه السنة ٣٥٤ يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ٣٦٥ يوما وربع يوم فينبغي نحو ١١ يوما • ولما كان هذا المقام علاقته بالحرب عظيمة ناسب أن يذكر من أجل النسيء التي كانت تفعله العرب في الجاهلية فكان يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور كما سيأتي وإنما سميت الأربعة حرمًا لأن العرب في الجاهلية كانت تعظمها وتحرم فيها القتال حتى أن أحدهم لولقي قاتل أبيه وابنه وأخيه في هذه الأربعة الأشهر لم يهجمه ولما جاء الإسلام لم يزداهم إلا حرمة وتعظيمًا فالحسنات فيها مضاعفات والسيئات كذلك (ذلك الدين القيم) أي ذلك الحساب المستقيم والعدد الصحيح المستوي • فالدين هنا الحساب كما قال ﷺ (الكيس من دان نفسه) (أي حسب نفسه) وعمل لما بعد الموت) (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) أي لا تظلموا أنفسكم في الأشهر الحرم فالعمل الصالح فيها أعظم أجرًا والظلم فيها أكثر إثمًا أولا تظلموا فيهن أنفسكم باستحلال الحرم والغارة فيهن كما قال ابن عباس من جهة ومن جهة أخرى لاتباعوا حلالها حرما وسامها حلالا بالنسيء الآتي ذكره كما قال محمد بن اسحق • وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا • وهذا خلاف ما عليه الأكثرون لأن النبي ﷺ غزا هوازن بعمين في شوال وذى القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) أي حال كونهن جميعا (واعلموا أن الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصر بسبب تقوَاهم • فاذا قاتلوا المشركين مجتمعين لامفرقين نصرنا على عدوهم فإن تخاذلوا فليس الله معهم بالنصر • والتقوى من لوازمها الاتحاد والتعارف فذلك كان الله مع المتقين (إنما النسيء زيادة في الكفر) النسيء لغة التأخير كالنسيئة في البيع • والنسيء هنا تأخير شهر حرام إلى شهر آخر بالهوى والغرض وقد كانت العرب تعظم الأشهر الحرم على دين إبراهيم وعامة قريش كانت تجتمع فيها من الصيد والغارة • وقد تقع الحروب في بعض الأشهر الحرم فكانوا يكرهون تأخيرها إلى الأشهر الحلال فنسوا أي أنشروا محريم شهر إلى شهر • وكان يقوم بهذا بنو مالك بن كنانة وكان يقوم الموكل به منهم في الموسم فاذا هم الناس بالانصراف قام خطيبا وقال لاهمة لما قصت أنا الذي لا أعاب ولا أجاب فيتول له للمشركون لييك ثم يسألونه أن ينسئهم شهرا يغربون فيه فيفعل • فيقول مثلا صفر في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الأوتار ونزعوا الأسنة والأزجة من الرماح • وإن قال حلال عقدوا انقيس وركبوا الأسنة في الرماح وأغلروا وفي أيام النبوة كانوا يحججون في كل شهر عامين فخرجوا في ذي الحجة عامين وفي الحرم كذلك وهكذا فوافقت حجة أبي بكر في السنة التاسعة قبل حجة الوداع المرة الثانية من ذى القعدة ثم حج رسول الله ﷺ في العام المقبل حجة الوداع فوافقت حجة شهر ذي الحجة وهو شهر الحج للمشروع فوقف ﷺ بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر يعني وأعلمهم أن أشهر النسيء قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الأمر إلى ما راعى الله عليه حساب الأشهر يوم خلق السموات والأرض وذلك قوله ﷺ كما في البخاري أن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات وذوالقعدة

وذوالحجة والحرم ورجب مضر الذي بين جدادى وشعبان ثم حرم السماء والأموال والأعراض وحذر الناس من
لقتلهم ربهم وهم مذنبون وهو يسألم وقال عليه السلام ليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع
وحذرهم من أن يضرب بعضهم رقاب بعض في كل حال فليس التحريم خاصا بالأشهر الحرم بل عم سائر
السنة فالتحريم أصبح في الاسلام محرمين عاما لافرق بين الأشهر الحرم وغيرها . ويظهر مما تقدم وهو
أنهم كانوا كل سنتين يحججون في شهر من أشهر السنة . انهم ضلوا السبيل لأن الفرق بين السنة الشمسية
والقمرية يقتضى أن يكون الحج في كل شهر ثلاثة أشهر لذا كان لغرض أن يبقى الحج في وقت معين من
السنة كالشعاع أو كالربيع ولن يستقيم هذا إلا بما ذكرنا وتدور السنة في ٣٥ سنة وأما على ما فعله العرب
فانها تدور في ٣٤ سنة وهذا خطأ منهم وضلال فلاحم أقاموا على الأشهر القمرية ولاهم عرفوا كيف يوفقون
الى الأشهر الشمسية التي تهدي الناس الى حقيقة الفصول . ولما كان أمر السنة الشمسية يحتاج الى حساب
وكان الاسلام عاما للأمة المجاهدة والعامة وأن الأمم الجاهلة اذا أرادت التوفيق بين الحساين ضلت سواء السبيل
أمر الله جميع المسلمين أن يسبوا على السن القويم وهي السنة القمرية التي هي أسهل لجميع الناس وإن
كانت أشق لأن الحج يدور في الفصول الأربعة كل ثلاث وثلاثين سنة مرة ويحج الناس في كل فصل سبع
حجج تقريبا ويدوقون الحر والبرد لزيادة الثواب . فانن محاولة التوفيق بالنسبة من الأمم الجاهلة ضلال
في الحساب خطأ فلذلك قال تعالى (يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا أي يوافقوا
عدة الأربعة المحرمة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء أعمالهم) حتى حسبوا قبيح أعمالهم
حسنا (والله ليهدي القوم الكافرين) هداية موصلة الى الحق . ولما انتهى سبحانه من عقيق زمن
التحريم وتبين الأشهر الحرم وغيرها أخذ يبحث للمؤمنين على القتال (وذلك) أنه عليه السلام لما رجع من
الطائف أمر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين طابت الظلال ولم
يكن رسول الله عليه السلام يريد غزوة إلا يرى بغيرها حتى كانت غزوة تبوك ففزاها في حشد شديد واستقل
سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا وجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فشق عليهم الخروج الى
الجهاد فشقاقوا فأرسل الله (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا) اخروجوا (في سبيل الله انما قلتم الى
الأرض) تناقلتم ادخمت النار في النار فصارت ناء ساكنة فدخلت أفه الوصل . وضمن انقل معنى مال
فعدى بالى أى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم شاق السفر ومتاعه فقلتم الى الإقامة بأرضكم ودياركم (أرضين
بالحياة الدنيا من الآخرة) بدل الآخرة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة) في جنب الآخرة (للاقليل) يعنى ان
لذات الدنيا ونعيمها فان زائل ينقد عن قليل ولعيم الآخرة باق على الأبد . وهذا بدل على وجوب الجهاد
على كل حال وفي كل وقت لافرق بين الأشهر الحرم وغيرها . وهنا لطاق ثلاثة

﴿ اللطيفة الأولى تحقيق الكلام في الأشهر الحرم ﴾

اعلم أن علماءنا وان اختلفوا في الأشهر الحرم ومحرم القتال فيها هل هو منسوخ فانك عند التحقيق
تجد الأمر أكبر من أن يختلف فيه فهم متفقون وإن كان كثير من الناس لا يعدون . وبيانه أن دين ابراهيم
الذي كانت العرب تزعم أنها متمسكة به جعل القتال في الحرم محرما وكذلك في الأشهر الحرم للمتقدمة . فاما
بقية السنة وبقية الأرض فالقتال فيها لاسرمة فيه فلما جاء الاسلام حرم الله فيه على الناس دماءهم وأموالهم
وأعراضهم كما جاء في خطبة الوداع فصار التحريم واجعا الى نفس الأعراض والأموال والسماء في كل زمان
وكل مكان فلا دخل إذن للزمان ولا دخل للمكان وإنما المدار على نفس الأعراض والأموال والسماء وهذا
واضح جلى . هنا من جهة ومن جهة أخرى أن هذه السورة قد استبان فيها أن العرب الذين هم متمسكون
بالأشهر الحرم قد ألزموا باتباع الاسلام وأن بلاد العرب لا يجتمع فيه دينان فأصبح هؤلاء محرما عليهم بطريق

الدين كل حرب وكل غارة في الأشهر الحرم وغيرها . نبي أن تقول ماذا يفعلون مع الأمم الأخرى كفارس والروم فنقول ان هؤلاء لا يعرفون ماهي الأشهر الحرم ولا ما هو دين آتو لأن الأشهر الحرم عند العرب لديهم والعرب أسلموا فبعد أن كان التحريم عندهم في أشهر معينة أصبح في جميع الشهر فاذن لامنى لتحريم القتال في الأشهر الحرم ألينة فان كان في بلاد العرب فهو تحصيل حاصل وان كان في غيرها مع الأمم الأخرى فهو لاقيمة له لأن هذه الأمم لا يحترم إلا القوة ولا تنقيد زمان ولا مكان . اذا فهمت هذا عرفت السر في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا الى - ولم يقيد بها زمان لأن هذه أول غزوة غزاها للمسلمون للروم بعد ما فرغوا من قتال العرب فوجب أن يضرب المسلمون التذكر صفحا مع الروم عن الأشهر الحرم ويفزروهم . وهذا هو السر في الاطلاق وقطع النظر عن الأشهر الحرم فتعجب من أسرار القرآن وحكمه الفرية الحجيبة . وبهذا تبين لك من يقول أن تحريم القتال فيها غير منسوخ ومن يقول انه منسوخ فكلاهما حق من وجه فن قال انه غير منسوخ فهو صادق من وجه لأن الأشهر الحرم وغيرها يحرم فيها قتال المسلمين للمسلمين من العرب وغيرهم ومن قال انه منسوخ فهو حق من وجه . وذلك أن قتال الفرس والروم مباح في الأشهر الحرم وغيرها إذ لامنى لتحريم القتال فيها معهم وهم لا يحرمون ذلك وبهذا اتضح للقام وزال الابهام . فالحمد لله الذي ألهم وعلمنا ما لم تكن نعلم

(اللطيفة الثانية)

(الشهور العربية والأفريقية والقطبية وعلة تسميتها بأسمائها المعروفة الآن)

(الشهور عند العرب)

اختلاف المؤرخون في أسماء الأشهر في الجاهلية الأولى قليل ان الأشهر العربية المستعملة اليوم وضعت في عهد كلاب بن مرة أحد أجداد النبي ﷺ وكان ذلك قبل الاسلام بقرنين وعتتها اثنا عشر شهرا . وقد وضعت أسماءها أصلا لبيان الأحوال وأطلقت على الأزمته وهي (محرم) - سمي كذلك لتحريم القتال فيه حتى لمن له ثأر (صفر) - سمي كذلك لما كان يعتري العرب من مرض في ذلك الشهر نسفر منه أولانهم * وقيل لاصفار مكة من أهلها اذا سافروا فيه الى الحرب أرقودهم عنها في محرم (ربيع الأول و ربيع الثاني) - سمي بالربيع لأنهما كانا يأتيان في الحريف . وكانت العرب تسمى الحريف ربيعا

(جداى الأولى وجداى الثانية) - سمي بذلك لاتيانهما في الشتاء عند جود الماء ووقع الجلبد حيث يحف الأرض ويقل الزرع والنبت

(رجب) - سمي بذلك لأنه كان يقال فيه ارجبوا أى كفوا عن القتال فكانت العرب تعظمه وهبائه وسمى بالفرد لأنه منفرد عن باقي الأشهر الحرم المتواليه

(شعبان) - سمي بذلك لانتعاب القبائل فيه الى طلب المياه والعاراب

(رمضان) - سمي بذلك لأنه كان يأتي حيث يبدأ الحر وترمض الأرض * وقبل لاشتداد حر جوف

الصائم وهو ضعيف

(شوال) - سمي بذلك لقولهم شولوا أى ارحلوا * وقيل لقلة المياه فيه لأن نول الماء معنى قل *

وقيل لأن الابل كانت تنسول فيه بأذنانها لشهوة الضراب ولذلك لم تكن العرب تحب فيه الزواج

(ذوالقعدة) - سمي بذلك لقعود العرب فيه عن القتال

(ذوالحجة) - سمي بذلك لاقامتهم الحج فيه

﴿ الشهور عند الأفريج ﴾

وضعت أسماء هذه الشهور في أيام الملكة الرومانية الأولى وهي
(ينار) - مأخوذ من (يانوس) وهو معبود خرافي كانوا يمثلونه بوجهين ينظر بأحدهما السنة المنصرمة
وبالآخر إلى السنة المقبلة

- (فبراير) - مأخوذ من (فبروا) وهي معبودة الطهارة عند الرومان
- (مارس) - مأخوذ من مارس معبود الحرب عندهم
- (أبريل) - مأخوذ من كلمة أيريري أي فتح بالرومانية لأن الزهور تفتح فيه
- (مايو) - مأخوذ من ميا وهي إحدى بنات المارد أطلس (خوافة)
- (يونيه) - مأخوذ من يونون زوجة (جو بتر) رئيس المعبودات
- (يوليه) - سمي بذلك تذكرا (ليوليس قيصر) واضع التقويم اليولياني
- (أغسطس) - سمي به تذكرا لخلفه أغسطس أول أمبراطرة الرومان
- (سبتمبر) - معناها هذا الشهر السابع باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (أكتوبر) - معناه الشهر الثامن باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (نوفمبر) - معناه الشهر التاسع باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما
- (ديسمبر) - معناه الشهر العاشر باعتبار أول السنة (مارس) كما كان قديما

﴿ الشهور القبطية ﴾

انتقلت أسماء تلك الشهور من قدماء المصريين وأضيفها إلى نسلهم من أمّة القبط . وقد سمي المصريون
الشهور بأسماء آلهتهم التي كانوا يعبدونها في سالف العصور وكانوا يقيمون الاحتفالات كل شهر باسم المعبود
السمي به الشهر في هيكله للمكرس له

(توت) - هورأس السنة القبطية وأصل اسمه الهيروغليفية (تهوت) أي إله الحكمة وكان يسميه
المصريون للتأخر عن إله العلم والقلم ويحتفلون به عن بكرة أبيهم بأقامة الاحتفالات الشائقة في أنحاء القطر
تعطيا لميد هذا الإله الذي كان يقع في أول يوم منه . وتستمر الاحتفالات هذه مدة أسبوع . ولا يزال
الأقباط يحتفلون به إلى الآن ويسمونه باسم (النبروز)

(بابه) - اسمه باللغة الهيروغليفية (ني قب دت) أي إله الزرع حيث ينحضر فيه وجه الأرض
(هاتور) اسمه باللغة الهيروغليفية (هاتور) أي إله الجبال حيث يزين فيه وجه الأرض بجمال المزروعات
(كيهك) اسمه باللغة الهيروغليفية (كاهكا) أي إله الخير والنور المقدس
(طوبه) اسمه باللغة الهيروغليفية (طوبيا) أي الأعلى والأسمى أي إله المطر ومن اسمه مدينة طيبة بالصعيد
(أمشير) لم يستدل له على أصل
(برمهات) اسمه باللغة الهيروغليفية (بامونت) أي إله الحرارة حيث تنضج فيه المزروعات لاشتداد الحر
(برموده) اسمه باللغة الهيروغليفية (بأماوب) أي إله الموت والفناء حيث ينتهي فيه أجل المزروعات
ويقفل وجه الأرض

(بشنس) اسمه باللغة الهيروغليفية (باخسو) أي إله الظلام لاعتقادهم أن هذا الإله يساعد الشمس
على إزالة ظلام الليل فلذا يكون النهار في شهر أطول من ليلة حتى يبلغ ١٤ ساعة في بدايته
(بؤنه) اسمه باللغة الهيروغليفية (بالوني) أي إله المعادن لأن فيه تستوى المعادن والأحجار . ولذا
يسميه العامة بؤنه الحجر

(أَيْب) اسمه باللغة الهيروغليفية (هوبا) أى فرح السماء لأنه مبدأ أفراح المصريين حيث كانوا يزعمون أن (هوريس) أى الشمس انتقم فيه لابنه (أوزيريس) أى النيل من عدوه (نيفون) أى التحاريق (مسرى) اسمه باللغة الهيروغليفية (ميشرا) أى ابن الشمس (أيام النسيء) النسيء لغة التأخر وكان قدماء المصريين يسمونه (كوجى أتافوت) أى الشهر الصغير انتهت الطليقة الثانية

﴿ الطليقة الثالثة في قوله تعالى - يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم - ﴾ من معجزات القرآن التي تظهر في هذا الزمان أن أكثر ما جاء فيه من علم اليوم الآخر يظهر في مناجاة الأرواح . ومن اطلع على كتاب الأرواح الذي ألفته في هذا المقام أدرك هذا العجب العجيب فإن قوله - فتكوى بها جباههم إلخ - وقوله في الحديث مامعناه أن البقر تطوُّ صاحبها بأرجلها وهكذا الغنم وكذلك الابل تطوُّه بأخفافها وتدور على ذلك خمسين ألف سنة حتى يتم حسابه ويدخل إما جنة وإما نارا فما تقدم وكذلك حديث البخارى المتقتم وأن أحب الحيات للعبر عنها بالشجاع الأقرع تطوقه وتقول له أنا كزرك أنا مالك . وبيان الحديث أن ماله سيمثل له . كل ذلك دلالة أن ذلك عالم المثال وأن صور الأشياء تظهر هناك وتعذب صاحبها . فهذا بعينه هو المذكور في الكتاب المذكور قولا عن الجمعيات الارزوية . ولقد حادوا الأرواح في أمريكا وكنكترا وفرنسا وغيرها في سائر الدول فأعربت الأرواح عن ذلك وأصحت وقالت ان البخل يعذب بماله . وهناك حكاية القيمين الذين لما مات الحاكم الألماني أخذوا يعذبانه عذابا شديدا حتى استغاث بزوجه لما أحضرت روحه وهكذا . وهذا كثير في كلامهم . فهذا بعينه هو الذي ورد في ديننا . وتعجب كيف يظهر سر القرآن في هذا الزمان ويؤيد الكشف ماسمعه الأذنان ولم تره العينان - فبأى آلاء ربكما تكذبان -

فإن عالم البرزخ وهو ما بعد الموت مملوء من الصور الحسنة والقييحة . وأقرب شئ الى ذلك الصور التي تمثل لنا في المنام وظهور صور أعمالنا بعد موتنا أظهر وأبهر وأجلى وأوضح - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا - بل من كتب سبئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون -

فعلى المسلمين أن يقرؤا علم الأرواح أولا وأن يقوموا بمعركة هذا العلم فلا ثانيا ليين بمحادثة الأرواح حقائق دين الاسلام فستحتشم الأرواح أنها تعذب بصور أعمالها ويستبين للناس إذ ذاك حقائق العلوم الاسلامية . وهذا هو اليقين وفرق بين التقليد واليقين ﴿ جوهرة باهرة ﴾ هذه الآيات من قوله تعالى - قل ان كان أبائكم وآبائكم - الى قوله - سبحانه عما يسركون - مظهران (المظهر الأول) آثارها في الأمم الاسلامية في أول ظهورها وأعمال التأخرين لشأنها وآثارها في الانقلاب الأوروبي والحديث (المظهر الثاني) مجاء عن علماء الأرواح حديثا ببلاد أوروبا

﴿ المظهر الأول وفيه مقامان (المقام الأول) آثارها في أم الاسلام ﴾

ثم الله عز وجل الأخبار والرهبان، وخطب للمسلمين بذلك . خاطبهم ليكونوا سببا في تمزيق شمل رجال الدين في الأمم . إن رجال الدين في كل أمة من الأمم الفسدية كانوا يستبدون بالناس كالبراهمة الذين جعلوا الناس أربعة أقسام فهم أنفسهم كالرأس . ومن دونهم من الجند كالقلب . ومن دون هؤلاء كالعدة والأشياء . وأدنى منهم كالرجلين وهكذا دين المصريين القدماء كان لأكبر السلطان الأعظم على الشعب فهم والفرعنة لهم السلطان الأعظم في الدنيا والآخرة وكل مجد وكل شرف في الدنيا والآخرة راجعان الى الملك

والى رجال الدين

جاء الاسلام بهذه الآية وقال الله فيها للمسلمين أيها المسلمون أتم خلفائي في أرضي فلا تتجملوا لأحد سلطانا على أحد وأهل الأرض كلهم عيالي وأنا ربهم وأنا كافلهم والأحبار والرهبان استبدوا عبادي وأوهموهم أنهم يغفرون لهم وسنوا لهم القوانين فالتجبدوا عبادي وأخرجوهم من هذا الدل

﴿ آثار هذه الآيات في صدر الاسلام ﴾

الأتعجب مع أيها الذكي • أنظر الى أبي بكر رضى الله عنه انه صاحب رسول الله ﷺ وهو أقرب الناس اليه في الدين قد عرف مقصود القرآن بمحاضرة النبي ﷺ فانظر ما قال لعائشة رضى الله عنها وهوني سكرات الموت ﴿ أما لما منذ وليا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكننا قد أكلنا من جريش طعامهم ولبسنا من خشن ثيابهم وليس عندنا من فيه المسلمين إلا هذا العبر وهذا العبر وهذه القطيفة فاذا مت فاعني بالجميع الى عمر • فلما مات بعثته الى عمر فلما رآه بكى حتى سالت دموعه الى الأرض رجعل يقول رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده وبكر ذلك وأمر برفعه)

وأمر أبو بكر أيضا أن يرد جميع ما أخذ من بيت المال لنفقتة بعد وفاته • وروى أن زوجته اشتت حلوا فقال لس لنا ما شترى به فقالت أنا أستفضل من نفقتنا في عتة أيام ما شترى به قال افعلی ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك لشترى به حلوا أخذه فردّه الى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط من نفقتة بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه لبيت المال من ملك كان له • قال ابن الأثير بعد ما نقل هذا (والله هذا هو التقوى التي لا مزيد عليها وبحقّ قمته الناس الخ)

﴿ زهد سيدنا عمر رضى الله عنه ﴾

قال الحسن خلب عمر الناس وعليه ازار فيه اثنا عشرة رقعة منها آدم • وقال أبو عثمان النهدي رأيت عمر يرى الجرة وعليه ازار مرقع بقطعة جراب • وقال علي رأيت عمر يطوف بالكعبة وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة فيها آدم • ومن قوله رضى الله عنه ﴿ أيها الناس اني ما أرسل اليكم عمالا ليضربوا بأشاركم ولا ليأخذوا أموالكم وإنما أرسلهم اليكم ليعلموكم دينكم ويستكم من فعل به شيء سوى ذلك فليرفه الى فوالذي نفس عمر بيده إذن لأقصه منه ﴾ الى أن قال ﴿ وكيف لا أقصه منه وقد رأيت النبي ﷺ يقص من نفسه ألا لاتضربوا المسلمين فتدلوهم ولا تحمدوهم فتفتنهم ولا معصوهم حقوقهم فتكفرهم ﴾ اه

ومثل هذا روى عن سيدنا عليّ وسيدنا عثمان رضى الله عنهم أجمعين

مضى الصدر الأوّل وأكثرت القوم على هذا فانظر للأئم الاسلامة بعد ذلك ما كادت القرون الأولى تنتهي حتى أظلمت آفاق الأمم الاسلامية وتدعوا من قلمهم شبرا بشبر وذراعا بذراع واحتبد صغار العلماء بالعقول وأفهموا الناس أن كثيرا من العلوم لاتنفع في الدنيا والآخرة لأجل أن يتولوا هم القضاء والوصايا ويتصدروا في المجالس واستمرأوا عميقا محزنا وشرة للوكة على نظام الدنيا • وأنا أذكرك بمأهله في المجلد الثالث في سورة المائة من هذا التفسير فقد ذكرت هناك نص ما جاء في الاسباء عند قوله تعالى - فبعت الله غرابا يبعث في الأرض - وهذا نص بعضه

﴿ وأخبرنا من الغراب تلك बात علما - السوء فان ذرهم على الدين أعظم من الشيطان ﴾ وهناك نجد بيان سبب ذلك إذ هم ذر ينوا لباس بأفسالهم وأفواهم الافتصار في زمانهم على علم الفقه وذلك ليمستروا في المجالس ويتولوا القضاء والوصايا فالعلم إذن مصدرة لهم يصيدون به المال فرجع القوم إذ ذاك الى أخلاق الأحبار والرهبان الذين كان الله فيهم - أهم يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله - فاذن يكون هذا يشبه أكل أموال الناس بالباطل وإن لم يكن باطلا من كل وجه • رأينا اذا صدوا عن العلم كما

يقول الغزالي فقد أشبهوا من يصدون عن سبيل الله بعض الشبه فاذن تكون هذه الأمة قد تبعت من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع وأصبحت كما قال الله تعالى - ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست فلوهم وكثير منهم فاسقون - وهكذا صار لبعض علماء الاسلام في كثير من الأزمان من الأعمال ما اتفق للأخبار والرهبان المذكورين في هذه الآية ولله هو الولي الجيد ومنه التوفيق والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المقام الأول لهذه الآيات في الأمم الاسلامية قديما وحديثا

﴿ المقام الثاني آثار هذه الآيات في الانقلاب الأوروبي ﴾

اعلم أن أكبر مظهر لهذه الآيات قد ظهر ظهورا واضحا في أوروبا . ألا تعجب معي كيف كان مظهر هذه الآيات واضحا في أوروبا ظهور الشمس . ألا تتأمل في حال المسيحيين كيف كان (الكاثوليكية) الذين هم يسمون (ملاكانيه) أيضا لهم رئيس ديني وهو الأسقف العظيم والخبير الكبير والقديس الأنظم . من هو هذا . هو للمسي (البابا) ومقره وسكنه (روما) بدولة (إيطاليا) فهو رئيس أهل هذا المذهب وهو كاتلب عند المسلمين . ومن جهة أخرى هو ملك سياسي وأهل إيطاليا كلهم على مذهبه وقد جعلوا للبابا السلطان الأعظم عليهم سنة ٧٢٦ م الموافق سنة ١٠٨ هجرية . وصار البابا يترقى حتى صارت له مقاليد الدين والدنيا فكانت للبابوات ممالك واسعة في الأرض . وكان لهم حق كبير في تولية ملك أوروبا وعزلهم كما يشاؤون . وكان لغيرهم من الملوك مانح واحد وأما هم فكان لهم ثلاثة تبجنان واحد فوق الآخر دلالة على كمال السلطة ويدهم الحرب والسلام . وكانوا يحرقون من خالفهم بالنار وهو حي . وقد أزم البابا مرة أبراطور ألمانيا أن يقف حافيا ثلاثة أيام في فصل الشتاء أمام باب قصره ليطلب منه الغفران . ورفض البابا مرة برجله ناع ملك (جرمانيا) حيث كان جاتيا أمامه يطلب الغفران . ولما استفحل أمرهم انحطوا شيئا فشيئا إلى سنة ١٨٧١ م الموافقة سنة ١٢٨٨ هجرية إذ ذاك سقط أمرهم بالكلية ودخل الايطاليون إلى عاصمة مملكة البابا وأخذوها منه وأبقوه رئيسا على الكاثوليكية فقط ومقره في الكنيسة الرومانية وليس له من الرئاسة غير ذلك

هذا هو ملك رجال الدين الذين أشار لهم القرآن هنا . يقول الله للمسلمين أيها المسلمون انسروا العلم في الأمم وهدبوا نفوسكم وكونوا للناس آباء رحاء ولا تكونوا كرجال الدين في الأمم للمسيحية واليهودية الذين جعلوا الدين مصيدة لجمع المال . يا أهل الأرض إياكم أن تأكلوا أموال الناس باسعى ولا تجعلوا ديني سبيلا لظلم عبادي فمن كان خليفتي في الأرض فليكن نوراً مبينا للناس كالشمس لا يريد جزاء ولا شكورا كما اتفق ليعو أي بكر وعمر وعلي وأمناهم . أما المتأخرون من علماء الاسلام فأكثرهم يجهلون مقصد القرآن وهكذا أهل أوروبا اتسل ملك البابا فيهم فوق ألف علم وهم خاضعون لسطوة رجال الدين فأخروا لك الأمم ولم يستيقظوا إلا بعد أن خنلوا رجال الدين . أنظروا أيها المسلمون آثار الأمم وآثار الاسلام فيها

(١) قال المؤرخ (كرنوس اغريبا) عند وصفه ابتياع - ل - الخطايا في عصره بلال مائه ﴿ ليس من ذنب فظيح إلا أمكن حله بالله ينار حتى القتل وسفا كوالدهاء . كانوا يشربون الخمر والعضو بالأموال الطائلة ﴾ انتهى . أنس هذا هونص الآية إذ يقول هنا - ان كثير من الأخبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل - رأى باطل أشد من هذا ويقول تعالى هنا أيضا - نخشوا أمبارهم ورهبانهم أرأيت ما من بين الله - وأي ربوبية أعظم من غفران الخطايا فهذه ربوبية جسعة بالأموال

(٢) ومن اطلع في مدينة (أنترس) نجد في قبر (كرنوس فان لاند شردت) مانعهم ﴿ تنسكب الساء بالاجتهاد أو لتسرى بلال ﴾

(٣) ليس من سي مقدس الا جعله رجال المسيحية متجرا فيتاجرون بالبسائر والإيمان وضعف النفوس

وقد جعلوا دفن الموتى بابا للفرقة فيقرعون للفضى الأجواس ويشعلون له الشموع ويحملون له البيارق والصلبان ويكسون الكنيسة برباط الحداد ويسعون أمام جسده بالترتيل وهكذا . ومن أعمال البابا (أوربانس) الثاني انه لمن (أنريكس الرابع أمبراطور ألمانيا) مع أعوانه . وهذا بعض هذه اللعنة ﴿ انا نفصلهم عن حضن الكنيسة ولنعلمهم أبدا ليكونوا ملعونين في الملئ والساكن في كل أركانهم الخ وهي طويلة جدا ملأ كلها لعنات

(٤) ومن أعمال نصارى الاسكندرية سنة ٤١٥ بايعاز أسقفهم وكنسهم انهم اختطفوا العالمة (هيبتيا) ابنة (تيون الاسكندري) الرأضى الشهير في عصره ومزقوا جسدها إربا لأنها كانت تعلم الفلسفة ونحبة العلم والفنسية ونحبت عليها

(٥) وفي سنة ٧٨٢ قضى (شربلن الكبير) بايعاز الحبر الرومانى على أربعة آلاف ساكنون ونيف من مدينة (واردن) وضرب أعناقهم في يوم واحد لأنهم أبوا قبول العاد

(٦) وفي سنة ١٠٠٧ أحرق أقولما في مدينة (أورليان) وهم أحياء . وفي سنة ١١٣٤ أحرق حيا (بطرس برويس) في مدينة (لأجودوك) لأنه انكسر محبة معمودية الأطفال ونحو ذلك

وفي سنة ١١٥٥ قتل خنقا (ارنالدوى بريشا) لأنه نشر تطليا أرائكيا ماله وجوب عيشه الاكلبروس من عطايا المؤمنين الاختيارية فقط . وفي سنة ١١٦٠ قام الكاثوليك على جماعة من (الفريين) عصوا أمر البابا فأحرقوا منهم عددا كبيرا وقتلوا منهم في فرنسا ثلاثة آلاف من جلتهم كثير من الصبيان . وفي سنة ١٢٠٩ اضطهد الكاثوليك أيضا (الألبيجيين) في مدينة (بزيه) فذبحوا منهم ثلاثين ألفا وأحرقوا منهم في مدينة (لاقور) أربعةائة انسان دفعة واحدة وخنقوا أمير (أرائكيا) بعد أن أحرقوا امرأته وبنته وأخته معا ثم شقوا أميرا آخر مع ثمانين شخصا من آل بيته ثم غزوا مدينة (لأجودوك) ومنح البابا (اينوشفسوس) الثالث غفرانا كاملا لكل الذين اشتركوا في هذه المذابح والغزوات . وفي سنة ١١٨٤ تأسس ديوان التفتيش في مجمع (قبرونا) وصادق عليه البابا (اينوشفسوس) الثالث سنة ١٢٠٤ وبنته نهائيا البابا (غرفوريوس) التاسع براءة خصوصية . ويقدر المؤرخون بالملايين عدد الذين قتلوا بحكم هذا الديوان . قال المؤرخ (مبشله) ان عذاب النار كان متنوعا فيضون نارة المحكوم عليه داخل (آتون مضطرم) فيموت حالا . وأحيانا يلقيه على نار ضعيفة ويقبلونه عليها بكلاليب من حديد ممرارا عديدة الى أن يجل- به الموت ببطء فينقذه من عذابه المهل

ونارة ينزلون بالمحكوم عليه في دهليز تحت الأرض ويضعونه في حفرة بقدر قامته ثم يستون ذلك عليه الى عتقه . وهذا هو معنى دفنه حيا ولا يبقى الامسح صغيرا أمام رأسه يأتيه منها السجان بالطعام الى أن يوافيه الموت بعد عذاب شديد . ونارة يأتون بالأسياخ الحديدية فيدخلونها تحت أظافر اليدنين والرجلين وهكذا الحال من الحديد المنطبقة على باطن القدم المحماة في النار . وكذلك الرصاص الذائب يسكبونه على الجراح الدامية . وهكذا خفاف جهنمية تشد على الأرجل الى أن يقطر منها الدم وتنفث اللحم وتطير العظام . وهكذا مسامر محمومة تصب في الأحشاء زبنا غالبا . وهكذا كلاب حامية بها يقطع التديان . وهكذا من أنواع العذاب الشديدة المجهمة . ذبح النصارى كثيرا من اليهود في انكثرا أيام (ركلادس الأول) ومن بعده وعذبوهم ونهبوا أموالهم الى أن طردوا نغاما من البلاد سنة ١٢٩٠ م

وأحرق لويس الحادى عشر ملك فرنسا منهم في مكس ١٨٣ شخصا مع راعهم . وفي عام ١٢٤٩ أحرق منهم غمانون انسانا في بلدة (آجين) . وفي سنة ١٣٦٧ حكوا على الراهب (روجر باكون) بالسجن (١٤) سنة لأنه أبرم عهدا مع الشيطان في أبحاثه العلمية . وفي سنة ١٣٩٠ ذبح النصارى في

مدينة (سيفلا) أربعة آلاف شخص من اليهود بإيعاز كاهن اسمه (هرماندومارتش) ولأزال باقي اليهود يعاونون العذاب حتى طردوا منها بتاتا أيام الملكة (إيزابلا)

وحكم في أنكلترا بنش قبر (ويكلف) لأنه ترجم الكتاب المقدس وذلك الحكم بأمر مجمع قد طانس سنة ١٤١٥ وطرحت رفاته في النهر • ويقتر للورخون المحكوم عليهم في محكمة التفتيش باسبانيا ٥١٠٠ شخص أيام (نوركويغادا) التي دامت ١٨ سنة وعدد الذين أحرقوا مابين ثمانية وعشر آلاف • وقتل في الأندلس في سنة واحدة ألفا يهودي وعذب منهم ١٧ ألفا وأحرق منهم عدد عظيم في مدينة (باسلونا) في فرصة زواج أمير البلد • والأحراق غالبا كانوا يتخبرون له فرصة زواج للواك فيجلس الملك والملكة على دكة عالية ويؤتى بالمحكوم عليهم بين تصفيق الجمهور وعلى رؤسهم أكاليل من ورق تفتت عليها رسوم الشياطين وتصدح الموسيقى بالأناغم ورئيس التفتيس حامل في يده كتاب الانجيل • وفي سنة ١٥٦٨ أصدر ديوان التفتيش الروماني حكما بإهلاك كل سكان (هولاندا) لاتباعهم الهرطقة وعدد الذين قتلوا في (اسبانيا) أيام (كارلس الخامس) وابنه (فيلبس الثاني) خسون ألفا • وفي سنة ١٦١١ طرد المسلمون من (اسبانيا) وعددهم ألف ألف • وقتل منهم مائة ألف بإيعاز رئيس أساقفة (فالاندا) الذي أمر بقتلهم كما قتل لدود الفلسطينيين وشاول العاقلة • وفي سنة ١٥٧٢ حدثت مذبحة (سان باتلي) الشهيرة فذبح تلك الليلة في باريس وحدها عشرة آلاف ونيف من البروتستانت من شبان وشيوخ وأطفال ونساء وحوامل وفي الأقاليم نحو أربعين ألفا • ثم ان (البروتستانت) فعلوا أكثر مما فعل (الكاثوليك) فارتكبوا فظائع مريعة في ألمانيا وهولاندا وأنكلترا خصوصا أيام (أريكس الثامن) والملكة (الصباط)

وقد قتل في أنكلترا وإيكوسيا لسوء دينية في مدة مئتي سنة مليوني نفس • وفي سنة ١٦٠٠ حكم ديوان التفتيش الروماني على (جورداتورنو) العلامة الشهير بالأحراق حيا لأنه رأى مآربه (كوبريك) و (غاليوس) في دورة الأرض وقوله إن النفوس ترتقي في العوالم التي لا تنتهي منتشرة في الفضاء • وفي سنة ١٦٩٩ حكم على (قانيين) بالأحراق حيا في مدينة طولون لأنه ألف كتابا ونشره يسمى (محاورات في مسائل الطبيعة) • وفي سنة ١٦٨٥ قضى لويس الرابع عشر بإيعاز (الأكابروس) معاهدة (نانت) مع البروتستانت فسبب عن ذلك مذابح شتى وامتلات سجون فرنسا من أهل الإصلاح • ويقتر عدد القتلى بأكثر من ثمانمائة ألف أي من الذين قتلوا وسجنوا ونفوا • وقتل في مدينة (لأنجولدك) وحدها مائة ألف إنسان حرقا وشقا وتعذيبا في القرن الثامن عشر وحكموا بإيعاز أسقف (اميانس) سنة ١٧٦٦ على الفتى المسمى (دى لابر) بقطع يده وقلع لسانه وإحراقه حيا لكونه لم يؤد الأكرام الواجب (لايقوة العفراء) وقت طوافها الاحتفالي وله من العمر ١٩ سنة • انتهى

هذه بعض أعمال رجال الدين في أوروبا وأممي الآن مئات الخوادم في كتب مختلفة ضرب بنا عنها صفحا اكتفاء بالليل للمفيد عن الكثير • وانما الذي يهمني الآن أن هذا الضلال لم يزل عن أوروبا إلا الاسلام فان القوم نازعوا المسلمين في الحروب الصليبية وعرفوا الحقائق فأثأروا رجال الدين وصاروا أحرارا • ولاكتشف لك أيها الذكر بإيراد مناجاة أيام طبع هذا الكتاب من رسالة بقلم سيدة أوروبية أسلمت وكتبت مذكريات ونسرتها في بلادنا المصرية فهناك نصها لتعلم كيف كان قوله تعالى - اغضوا أجنابهم وربانهم أربابا من دون الله الخ - ونداء الله للمسلمين بقوله - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والزهاد الخ - قد ظهر آثارهما في أوروبا بأجمعها في العصور المتأخرة كما ظهرت آثاره في الاسلام في العصور الأولى هناك نص ماقالته تلك السيدة الأوروبية بالحرف تحت عنوان في الحضارة الاسلامية والحضارة الأوروبية - رجال الدين - وهما ذه

﴿ مذكرات سيدة أوروية أسلمت ﴾

(الحضارة الاسلامية . والحضارة الأوروبية)

﴿ رجال الدين ﴾

لا أستطيع في هذه الأسطر القليلة أن أتعمق في بحث السور الهائل الذي لعبه رجال الدين في سياسة أوروبا جمعاء فيما بين القرنين السادس والسابع عشر وما جره اسرافهم في الأمر من حروب وقثم فاته يحتاج الى مجلدات . وأن كل من قرأ شيئاً من تاريخ أوروبا يعلم كيف استفحل أمر رجال الكنيسة في ذلك العهد . وكيف سلبوا أموال الأئمة واستحوذوا على أملاكها . واستبدوا بالوظائف الحكومية والمكانات العالية . وكيف كانوا يعيشون في مثل بنخ الملوك . لهم ما ليس للناس . ولا يجري عليهم ما يسرى على باقي أفراد الشعب حتى ضاقت للملك ذرعا بما كانوا عليه من اسراف وظلم وتسلط على العقول والقلوب باسم الدين والكنيسة . وظلوا على تلك الحال الى أن أردوا أوروبا بأسرها في هوة الخراب بتلك المجزرة الهائلة التي أطلق عليها التاريخ اسم (حرب الثلاثين) وما أعقبها من مطاردة (لويس الرابع عشر) ملك فرنسا لطائفة (المجنون) مطاردة قصت على مائتي ألف منهم بالقرية والتنشيت في أنحاء العالم

والحقيقة أن رجال الدين في ذلك العهد أسلوا استعمال سلطتهم الروحية واتخذوا من الدين ذريعة لنيل مآربهم السافلة من سلب الأموال والعتب بالملكوت والوظائف وسائر مرافق الحياة

ولقد عاشت أوروبا تحت تأثير هذه الطائفة وتضليلاتها في ظلم وجهالة الى أن نبت فيها أمثال (فولتير) و(روسو) فخرروا العقول من الأوهام التي كانت لاززال عالقة بها وحطموا تلك القيود البالية التي غلغل بها رجال الكنيسة رقاب الشعب للسكين . وأخذت أوروبا في دور النهوض والتقدم وكانت كلما أضرعت عن رجال الدين وأهملت تعاليمهم المسممة ازدادت رقباً وفتحاً الى أن بلغت بفضل اهتمامها التام لهذه الطائفة مبلغها الحالي من الرقي والعمران

ولقد حدا في كل ذلك الى الظن في بادئ نشأته أن كل الأديان في هذا سواء الا أني تحققت بعد أن اعتنقت الدين الاسلامي أنه خير الأديان وأمتها أساساً وبقينا . وانه دين الاجماع . دين الحكمة والفلسفة دين العلم . دين الحرية والانحاء والمساواة

واني لعلى يقين الآن أن أمثال (فولتير) و (روسو) وغيرهم من قادة الفكر في أوروبا لم يتوانوا بنظر انهم الفلسفة وآراءهم في الحرية والديموقراطية الا بعد أن تشبعوا بفلسفة الاسلام واستقوا تلك المبادئ من روحه السامية مما عثروا عليه في بطون الكتب المنهوبة من الاندلس ومصر وغيرها . واني لأنبأ بأنه سيأتي يوم قريب تنلج فيه أنوار هذا الدين وأسراره العالية فتكون أوروبا وأمريكا أول من يبادر الى اعتناقها شين باشين . وهم يزعمون أنه دين الجود . ويساعدكم على ذلك نهر من بيه . ولكن أسائهم . هل دين الجود يأمر بالحرية والمساواة . ويقرر مبدأ المسؤولية الحكومية والمنشورة وينسر الديموقراطية . أوليس عمر أول حاكم ديموقراطي أسس ملكه على العدالة ونادى بالحرية والمساواة أوليس هو القائل (ان الناس ولدتهم أمهم أحراراً فم استبدتوهم) . أوليس هو أول من قرر مبدأ مسؤولية الحاكم أمام الأئمة حين وقف قائلاً (من رأى في أعوجاجاً فليقومه (فيحييه العربي) لورأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بحمد السيف)

أوليس القرآن أول نظام قرر المنشورة قال تعالى (وشاورهم في الأمر) وعدم استئثار الزعيم وأول حاكم بالرأى . أوليس الاسلام أول من قرر حتى انتخاب الأمير وأول حاكم للأئمة . ذلك بان سيدنا محمداً ﷺ

مات ولم يوص بالخلافة من بعده لأحد من أصحابه

أوليس القانون المدني صورة محورة من نظم السريعة الإسلامية وفلسفة ابن رشد . والأدلة على ذلك كثيرة ليس هذا الموضوع محل لذكرها . والآن وقد أثبت في هذه النبة التاريخية على ما كان رجال الدين من أثر في سياسة أوروبا وأخلاقها . فاق أعود بالقارئ إلى الشرق في أيام عزه وسلطانه مستعرضة ما كان عليه رجال الدين في عهد شروق أنوار الاسلام وكيف كانت أخلاقهم وصفاتهم وما تركوه من الأثر في نفوس الأمم التي تفنت بلبان تعاليمهم وارتشفت من كؤس علمهم وحكمتهم

نعم لقد كان للشرق عز وسلطان أيام كان للدين رجال يحمونه ويحافظونه ويحفظون على تعاليمه ويمشون على سنته . ترخص أرواحهم وتغلو في سوق الفضيلة ذمهم وضأثرهم . استلنا ما استخشن للترفون وأنسا بما استوحش منه الجاهلون . لم يقتنوا بحس المال والجاه ولم يركنوا للقوى العز والسلطان

نعم يمثل هؤلاء عز الاسلام وخفق على العالم لواء العدل وعمت الحرية وتأخى الناس على اختلاف طبقاتهم في ظلال الامن والسلام . من ذلك ترى أن الشرق وإن أخذت منه الحلافت المذهبية التي لا تزال حية حتى اليوم كالشيعة والسنية والروافض وغيرهم قد اقترن تاريخ مجده وريقه بأيام تمسكه بالدين على يد رجاله العاملين . فالشرق والغرب عندى في هذا الموضوع ككفتي الميزان . تركت أوروبا الدين وتخلصت من رجاله الظلمة المستبدين فرقت وعزت وتحجرت العقول وضجعت الأفكار وأهمل الشرق أمر دينه واحقر تعاليمه واستهان بتسريته ورماء خطأ بأنه دين الجود فتقلص ظله وزال سلطانه واتحدت دولته . وهنا أقف وقفة المحزون أناجي الشرق وأسأله . هل أنت حقا ذلك الشرق صاحب المدنية القديمة والتاريخ المجيد مهبط الوحي ومبعث العدالة ومخرج تلك العقول التي حيرت بديع صنعها ورافع عمرتها أفكار أهل أوروبا وأمريكا الذين كانوا يرتعون في ذلك العهد في مجاهل الظلم والجهالة

ان كنت أنت ذلك الشرق فلم أظلمت بعد ساطعة الأنوار ولم اكفره جوك وأظلم أفتك وزالت سطوتك وأعجمت مقهورا بعد أن كنت قاهرا ومستعبدا بعد أن كنت سلطانا عادلا . هل تغيرت الأرض والسماء أم جفت الأنهار وتعطل الليل والنهار . لا إن شيئا من كل ذلك لم يكن . إنما هو خراب القلوب من الإيمان بعد عمارها وبيع الدم والضائر رخيصة في سوق الدنيا ونبت الدين وتعاليمه واقفار أهل العلم من صفات العلماء واستكانة الملوك والأمراء . وإن شر ما أتعبه على الشرق اليوم وأكبر ما آخذاه عليه من أسباب انتدهور والانحطاط هو تغير أخلاق العلماء ومحل قلوبهم من العلم والعدل

أنظر الى ما فعله علماء بنى غازى . ألم ينادوا باسم عثمانويل ملك إيطاليا على المنابر بعد خلع الحليفة والله يقول - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين - الآية

ألم يبايع علماء الحجاز والسودان الحسين بن علي المؤيد من قبل الانجليز بالخلافة . ألم يقيم سعيد الكردي باسم الدين في وجه الكمالين أصحاب السلطة السريعة على البلاد ارضاء لشهوته من الانجليز . ألم ترالى أعمال سادتنا العلماء في مصر . وقد ظنوا أن الدين إنما هو ارباء المحي وبوسج الأكمام ولبس الفرجيات وإن أقفرت بيوت الله وأظلمت وعمرت للواخير وبيوت العذرة وازدهت . وهل تراهم مشغولين بغير عمارة الجيوب وإن خربت الدم والقلوب . وهل تراهم الا صاحبين ليل نهار بتضخم المرتبات وزيادة الجرايات وإن فتكت بأهل البلاد حي الجر والمسر والحقرات

أين سطوة العلم وعز الايمان . وقد حلت أقلم هؤلاء السادة من السعى الى القصور والعمارات والجري وراء كل ذي لقب من أصحاب للراتب والمرتبات . أين تكلفهم النافعة . أين دعايتهم ضد هجمات للبشرين واحتجاجاتهم ضد كيد المستعمرين . أين مبعضهم التي كانت تزلزل العروس وتمزق القلوب

أين العلماء الذين كان يقصدهم الملاك والعظماء ولا يقصدون • ويسألهم الكبير والصغير ولا يسألون
 أين من قيل فيهم أنهم ورثة الأنبياء • وإن قطرات أفلامهم ترجع بدم الشهداء • قضت دولة أولئك
 العلماء وأصبحت لا ترى الاكل حقيق لبعض قسوس من الشريعة وأصول الفقه يستمرها ابتغاء قصص الفلوس
 لا في سبيل اصلاح النفوس • متهافت على الأسماء والعظماء • لا يرى منفعة دينية • أوحظا عاجلا عند كبير
 الاطراف اليه كالتلاب لا يقوى على رؤية العسل دون أن يهوى عليه
 أما الدين • أما الضائر والدم • وعلو النفس واللحم • فذلك ما ليس يعنيههم ما دلم لا يند الباهوم
 ولا يهوى أسباب العيش الرضى الهنى • وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر يحببها السادة العلماء في دار
 المندوب السامى وتظلم الجوامع وتقف بعد ذلك بيوت الله

أراح الله الشرق من شر المناقنين • وقض له علماء عاملين يأخذون بيده وينهضون به فيعود الى
 ماضيه القديم ويسترد مجده التليد فأتى لأطراف الأرض تخلو من هذا للثل الأعلى للعلماء • بل إن هذا الظن
 قد تحول منى الى تحقيق بعد أن تبين لى فى نفسى صدق على بن أبى طالب حيث قال ﴿ اللهم لا تخلى الأرض
 من قائم لك بحجة اما ظاهرا مشهورا أو خافيا مقهورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته ﴾ وليس بضائر الشمس
 أن تعجبها عن الأبخار السحب السوداء أو أن لا ترى نورها أعين الخفاش فانها بالرغم من كل هذا موجودة
 وهى قضى وهى تنفع • أما أنا فاعتبر نفسى سعيدة السعادة كلها حيث قد من الله على باخترق هذه
 السحب السوداء بنور البصيرة فعرفت من أنكره الناس وعثرت بمصباح (دياجونيس) على مالم يعثر عليه
 (دياجونيس) نفسه ذلك هو الرجل • واتى لست بالساذجة ولا بالجاهلة فان قلت انى عثرت وعرفت فعلى
 علم ونور وبصيرة • انتهى
 ملهم رثيفه كامل

وبهذا تم الكلام على المقام الثانى من المظهر الأول لهذه الآيات

﴿ للمظهر الثانى ماجاء عن علماء الأرواح حديثا ييلاد أوروبا ﴾

(معجزات القرآن فى هذا الزمان وظهور الكشف الحديث مصداقا لهذه الآيات من قوله تعالى
 - الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله - الى قوله تعالى - فنوقوا ما كنتم تكذبون -)
 ولنفضل الكلام فى هذا على ثلاث جواهر ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ ملخص هذه الآيات اجمالا بنى عليه
 ما بعده ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ فى مبحث علم فى النفس الانسانية وقواها وملكانتها وأخلاقتها لأنها هى أس
 جميع الأعمال ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ فيما أعلنه بعض الدين خاطبوا الأرواح من علماء المسيحيين الكبار
 وحكامهم وأنهم شاهدوا فى الجنة قصورا وفى النار ظلمات وسعيرا وأن بعض رؤساء الدين المسيحي من آباء
 الكنيسة الرومانيين فى أسفل جهنم الخ • وأن الدين الاسلامى قد ظهر له أحسن أثر فى الأموات الذين
 اعتنقوه الخ وهذا المقال من أعجب ما فى هذا التفسير

﴿ الجوهرة الأولى بمجل هذه الآيات هو ﴾

- (١) ان من قدم النفس والمال لله فهو فى الجنة
 - (٢) ان الذى يقدم حب المال والأهل وغيرها على حب الله فهو فى جهنم
 - (٣) ان النصر يريد الله لأن العالم فى قبضته
 - (٤) معاداة الكفار
 - (٥) ذم النصارى واليهود الذين جعلوا لله شريكا واتبعوا الأحبار والرهبان الذين يحلون ويحرمون
 - (٦) الأحبار والرهبان لشهرهم على المال وجهم للرئاسة يعذبون فى جهنم
- هذه الأصناف الستة ترجع لأصل واحد وهو أن النره على المال أو الرئاسة أوجب أمى من الامور يست

النفس عن حب الله تعالى وهذا يوجب عذاب جهنم . فهذه الآيات جمعت ما بين مؤمن متناقل عن الجهاد لأجل مسكنه أمواله وأهله وبين رئيس ديني مغرم بلال والرئاسة الخ . وبهذا تمت الجوهرة الأولى
 ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في تحليل النفس الانسانية ومعرفة قواها وملكانها حتى تنفصل عن سرها المسكون المخزون الذي به ندرتك بعض سر هذه الآيات . ثم تقف في ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ بمصادقها من العلم الحديث اللهم انك أنت الذي تحيي القلوب وتخرج الحي من الميت . أنت الذي شرحت صدرى لهذا التفسير وأنعمت علي بالتوفيق وأريئني بدائع الغرائب ومشاهد الحوادث حتى يظهر سر كتابك في هذا الزمان الذي التبس فيه الحق بالباطل . اللهم انك أنت الذي خلقت نفوسنا وأضأتها بنورك وأودعت فيها جواهر وأبدعت وزوّقت وصوّرت وأحكمت فكانت نفوسنا (١) قابلة لمعرفة جميع الموجودات (٢) مشاركة لكل حق في صفات عامة فهذا تودّ لوشملت جميع الأحياء بالرحمة والاحسان (٣) وحياتها متوقفة على العوالم العلوية والسفلية بوجه عمومي (٤) وهي من جهة أخرى تودّ لو تبطل كل موجود اطاعة لشهواتها وأهملك كل حق اطاعة لغضبها وسطوتها . ويبان هذه الأربعة أن نقول

هلم أيها الذي أحدثك دقائق واعتزل عالم الأجساد وادخل معي عالم روحك وتفكر فيها فما أذا أصف نفسي وهذا الوصف ينطبق على نفسك وقد أمرني الله وأمرك أن تنظر في نفوسنا فقال - وفي أنفسكم أفلاتنبصون - وهذا فيه توبيخ لنا وانكار علينا لعدم نظرنا لنفوسنا فامتثالاً لأمره تعالى أنظر في نفسي وأنت تنظر في نفسك فأقول

قل لي أأستعجب انك تحب أن تعرف جسمك ومنزلك وقرنك وأنتك والكرة الأرضية والمجموعة الشمسية وعالم المجرة الذي يحتوي على نحو (٢٤٥) ألف ألف من النجوم التي هي أكبر من شمسنا وأضوأ جداً . فنها ما هو أضوأ منها (١٠٠) مرة . ومنها ما هو أضوأ ألف مرة . ومنها ما هو أضوأ ثمانية آلاف مرة وأكثر كما تقام كثيراً في هذا التفسير . ثم وراء هذه المجرة مجرات أخرى قد وصلت إلى ما يزيد على ألف ألف مجرة وكل واحدة من هذه فيها شمس كشمس مجرتنا . اللهم أفأستعجب . أنت العالم . أفأستعجب . أنت الكريم . فمن كرمك أن أبدعت نفسي وأبدعت نفس قارئ هذا الكتاب وجعلتهما تواقين إلى هذه العجائب التي ذكرتها سابقاً في سورة الأنعام وسأذكر بعضها في سورة يونس وغيرها . بل ان هذه النفس نراها ندرتك أن هناك مالاتهاية له في الزمان والمكان والعوالم ولكنها حين تريد أن تصوّر ذلك تبهر وتنكمش وتنهقر وتقول لا قدرة لبصيرتي على تصوّر هذا واذن ترجع القهقري وتقول ان مالاتهاية له يعلمه من وجوده لانهاية له وهو الذي دبر هذا الوجود فمن أنا حتى أقف على سر الوجود فمن هذا يتبين أن نفسي ونفسيك معا عاشقتان مغرمتان بالاطلاع على كل موجود . ومعنى هذا أنهما قابلتان لذلك كما قبلتا الطعام والشراب ويظهر لي أن كل ما تميل اليه النفس هو من جبلتها وطبيعتها والافلاذا كان ميلها للطعام سبباً لحياتها وميلها لاقتراب الرجل والمرأة سبباً لبقاء الولد وهكذا فليكن ميلها لمعرفة العوالم وجها سبباً لسهادة كبرى مناسبة لهذا الليل كما سعدت مسعادات صغرى لليل للطعام وللزواج . هذا هو ما قصصت من شرح ﴿ الأمر الأول ﴾ وهو قبول النفس لمعرفة جميع الموجودات ﴿ الأمر الثاني ﴾ ان الانسان لمشاركة لأبناء نوعه في عواطفه يحب حياة كل انسان متى خلى وطبعه . والبرهان على ذلك أنك ترى الانسان اذا شاهد قطاراً دهم رجلاً وقتله في مصر أو بغداد أو لاسان أو كولكونا أو باريس أو برلين فانه في الحال يفرغ ويجزع وهذا دليل على أنه يفرق بين حالي هذا للمقتول ويفضل حال الحياة على حال الموت ﴿ الأمر الثالث ﴾ ان نفسي التي تحب معرفة كل شئ وحياة كل انسان (اذا وصلت لليقين) تعرف انها متوقفة على جميع العوالم العلوية والسفلية . وهذا واضح في ثنايا هذا التفسير أفلا تعجب من هذا . أفلا تعجب من

أن جهازة العوالم وعطفا العام بناسان احتياجا العام . اللهم ان قسى لاتميش في هذه الدنيا لايجسم تحفظه قرية تحميا دولة يحيط بها هواء وأضواء مشرقا من العوالم العالوية والأمم جميعها والدول مشتركات في الامور العامة كالأسلاك البرقية (التلغراف) وكالسرة (التلفون) وكالقطرات في البر والسفن في البحر وهكذا . فالأهم على هذه الأرض كلها متعاونات وان ككن متعديات وهذا هو الحب . حب عام واحتياج عام واشتراك عام . وان كان هذا الاشتراك سوريا والقلاب مقفلة على الطمع والشره والعداوة والبغضاء لنقص أهل الأرض أجمعين إلا قليلا منهم - وقيل من عبادى الشكور -

﴿ الأمر الرابع ﴾ اسما مع هذا الحب وعذا الغرام بالعلم والاشتراك العام كنت فيها قوتان ﴿ احدهما ﴾ جاذبة ﴿ والاخرى ﴾ دافعة . أما القوة الجاذبة فهي الشهوات التى أعنت لبقاء الحياة في الدنيا . فهذه الشهوات زناها قوية هائلة فكأ رأينا عقولنا تود معرفة كل كوكب وكل شمس وكل أرض كما هو معروف من أخبار علماء أهل أوروبا الذين يودون أن يسافروا للقمر أو يخاطبوا أهل المريخ الخ . ونحن نشوق لذلك شوقا كبيرا . هكذا زانا اذا ملكنا لائق عدد حد فنحن تكفينا الأطعمة الحاضرة والملابس الساترة . لكن هذه النفس تندفع في شهواتها كاندفاعها في عالمها يود الانسان لو يملك قرية أو أمة أو أهل الأرض جميعا . والدليل على ذلك مانفره عن نابوليون وبختصر وغليوم امبراطور الألمان وغيرهم . وهكذا كل أحد منا يعرف في نفسه انها لاتقف عند حد في أمر الملك وحوز الدم الأرضية . واذا عارض أحد من الناس هذه القوة فينا غضنا عليه وكرهنا حياته ونسينا أن كل حق على الأرض رجة لنا فالأهم وأفراد الأمم يساعد بعضهم بعضا . فكل عنده من العلم والسلع ما ليس عند الآخر فكل لكل مكمل ومصرق ولكن الناس لنقص أكثر نفوس أهل هذه الأرض بعضهم لبعض عدو . وهذه هي القوة الدافعة فنحن أهل الأرض بين قوتين . قوة جالبة لما به الحياة . وقوة دافعة لما يصادها . وهاتان القوتان هما اللتان تظهران في الجاذبية العامة . فالشمس مثلا تجذب الأرض ولكنها تدفعها عنها إلى بعد مخصوص بالقوة الطاردة فالأرض كعاشقة للشمس لأنها مجنونة اليها ولكنها مطرودة عنها إلى بعد مخصوص . هذه هي القوى الأربعة التى في نفوسنا فهي عجة لكل علم متوقفة على كل العوالم (وهذا لا يعرفه إلا من درس جميع علوم الكائنات أو قرأ أكثر هذا التفسير)

ريد أن نعرف كل شئ . ونملك كل شئ . ونحسن لكل حق . ولكن يعارض هذا شهواتها وأضعافها (وان سكنت في حاجة لأبناء نوعها) . إن رغبة العلم العام والمحبة العامة طبيعتان أصليتان في النفس . أما كونها تود البطش بأبناء نوعها ويود هلاكهم فهذا عارض من حيث حاجتها إلى سد شهواتها ونتيجة هذه الجوهره انانية أن الانسان لاتصلح حياته إلا على مقتضى أصول فطرته وأصول فطرته أهمها العلم والحب والتعاون . إذن حياة الفرد في أمة بتوقف كمالها على حياة الأمة وكل ما توقفت عليه حياتنا أحببناه وهكذا في الأمم على هذه الأرض

اللهم ان كمال الأفراد في حب بعضهم من أمتهم . وكمال الأمم في حب بعضهم بعضا . ولقد حصل هذا صلا في أرضا ولكن حصوله ناقص فاننا نرى أهل المنزل يتشاركون وهم كثيرا ما يتعادون . ونرى أهل القرية يتشاركون في أمورهم العامة وهم يتساجرون . ونرى الأمم تتعاون في التجارة والبريد والقطرات وهم جميعا متعادون . لله أكبر ظهر الحق واستبان السبيل وظهر جالك في العالم الذى عشنا فيه اللهم انك قد أبدعت هذا الوجود وأرجعته لظلماتنا . أنت شققتنا في المعرفة وجعلت حياتنا متوقفة على أبناء نوعنا فتشاركوا وتعاونوا ولكن هذا امتشاك وهذه المعاونة ظاهريان لا باطنيان . اللهم ان فطرنا صادقة لصدقها تحزن لوانا في هذه الحياة وهى لاتدري ما سبب هذا الألم ولانعلم أن سببه أن هذا العالم

نافس لا يطابق فطرتهما تمام المطابقة بل المطابقة لفطرتهما لفظية ظاهرة . ولذلك حكمت بموتنا لندخل في عالم آخر تتوافر فيه معدات الحياة الحقّة فيكون التعاون بالقلب والقلب وتصبح النفوس متجاذبة متجاذبة صادقاً لا عوج فيه ولا خداع . إن حياة الأرواح في أجسامها يجب أن يكون بالحب العالم الخالص كما أحببت الشمس الأرض والأرض القمر وأفاض الأعلى على الأدنى بلا من ولا أذى كما يفيض الأبوان على الولد . وهذه الصفة مفقودة في أرضنا التي حياة الأمم وحياة الأفراد فيها مصحوبة بالخداع . اللهم أنك سترت في الدنيا بواطننا رجة منك . أنت أردت أن تكون ظواهرنا متشاكسة متوازية متجاذبة . وقد أقفلت على قلوبنا أقفالاً حتى لا تظهر ولظهرت لكان التنافر ولم تتم الحياة . وهذا النقص يتبعه عالم أكمل من علمنا هذا تكون البواطن فيه ظاهرة واضحة وهو عالم الأرواح لأن الليل يعقبه النهار فحياتنا ليل مظلم لا تظهر فيه البواطن . أما حياة الأرواح فهي نهار مضي تظهر فيه الأشكال . وههنا يظهر معنى هذه الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها . فإذا رأينا الإنسان يقدم نفسه وماله في للنفعة العامة بإخلاص فهذا مطابق لفطرته الأصلية . وإذا رأينا الأبحار والرهبان يزجون في جهنم لأنهم يجمعون أموال الناس لأنفسهم . فمضى هذا انهم سخرها المجموع لأنفسهم فحببتهم إذن لأنفسهم لا للمجموع وهذا مناقض لفطرنا . هذا هو الذي أردت تبينه بطريق عقلي قسّي

(الجوهرة الثالثة)

(معجزات القرآن التي ظهرت مطابقة لما تقدم عند بعض علماء النصارى الذين حدثوا الأرواح)
 بين يدي الآن كتاب مؤلفه عالم مسيحي (عمانوئيل سودنبرج) عاش في القرن الثامن عشر وقبوله في مدينة (ستوكهلم) وأبوه كان (أسقفاً) على وستروغوثيا له شهرة طويلة في حياته وكان عضواً في الجمعية الانجليكانية لنشر تعاليم الانجيل وأقامه الملك كارلس الثاني عشر أسقفاً على الكنائس الاسوجية في (بلسفانيا ولندن) أما عمانوئيل سودنبرج الذي نحن بصدد الكلام عليه فإنه زلزلنا أكثر سنة ١٧١٠ وهو لندونفرلسا وألمانيا وعاد إلى وطنه سنة ١٧١٤ وجعله الملك كارلس الثاني عشر في رتبة مقدّر في مدرسة المعادن وبقي في هذه الوظيفة إلى سنة ١٧٤٧ وقال انه استقال منها لأنه دعاه داع إلى نشر الحقيقة العلمية في العالم فعرض عليه الملك رتبة أعلى فرفضها خوفاً من أنه يتيه غروراً وتكبّراً وتعاطفاً . ثم أنعمت الملكة عليه بترقيته إلى منزلة الأشراف ولقب بلبق (سودنبرج) جلس في مجلس الأشراف وحضر الجلسات الثلاث التي تعقد كل ستة وصار عضواً في الجمعية العلمية في (أستوكهلم) ولكنه يقول هذه الجمعية مجتهداً لا يناسبه لأنها تتعلق بهذا العالم المادّي ولذلك لم يبحث معهم وإن كان عضواً منهم بالاسم . وقد تناول الطعام على سفرة الملك والملكة (وهو شرف لا يناله غير أشراف المملكة) وقد قال ان هذه النعم ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة لما دعاني إليه الله وألهمني أن أحدث الناس بالحقائق التي شاهدتها في عالم الأرواح لأظهر الحق للمسيحيين ليصرفوا الحقيقة . وقال اني تنقلت في البلاد لهذه الغاية وابرز هذا العلم للناس خلاصاً ومخلصاً

هذا ملخص ما ذكره المؤلف في خطابه لأحد أصحابه سنة ١٧٧٩ وقال ان تشجيع الناس على وشهرهم في واستهزاهم لا يهمني مادمت قائماً بالحق . ولما قال له أحد أصحابه اني أصبحك أن تعزل تلك الكتابات التي نكتبها عما يرى وتسع في عالم الأرواح فأما نعرضك لسهام ذوي الجهالة . وقد أصبحت هزواً وسخرية . قال قد بلغت من العمر إلى درجة لا يجسر فيها على الهرؤ بالأمور الروحية وأن منتهى جهدي السعي وراء خلاص غير ملتفت إلى ما يرى الناس في . ثم قال أقسم بخلاص نفسي أن ما كتبت لم يكن مصدره التخيل بل حقيقة ما سمعت وما رأيت . وقد مات سنة ١٧٧٣ ودفن في لندن بعد ما أصيب بالفالج وقد فاه قبل موته كاهن يسمى (أرفيدفريوس) وقال له لقد نلت مرادك من الشهرة والناس يزعمون

امك بهذه التعاليم أردت الشهرة فإذا كان زعمهم صادقا فمن الواجب عليك في هذه الحال حبا في العدل والصدق أن تكذب كل ما كتبه أو يصفه مادام لم يبق لك مأرب في عالم عما قريب تقارفه فلما سمع ذلك منه اتصّب في فراشه جهد طاقته ورفع يده الصحيحة الى صدره وقال بلهفة ﴿ إن صدق ما كتبت حقيقي حقيقي فحقنوا بكت إياي أمام عبيك ولوسم لي لكتبت كل ما رأيت وقلت أكثر مما فعلت حتى الآن وستري كل شيء بعينك يوم ندخل العالم الأبدى حيث أجمع بك الكلام في أمور كثيرة ﴾ انتهى ملخصا

﴿ ماذا يحدثنا عمانوئيل الذي ذكرنا ملخص تاريخه • يحدثنا ﴾

(١) يقول في صفحة (١٧٩) مانسه في الترجمة أن الإفريقيين من بين جميع الأمم هم المحبوبون أكثر من الجميع في السماء (أي الجنة) لأنهم يقدون خبرات وحقائق السماء بأوفر سهولة من الآخرين وهم يرغبون خصوصا أن يدعوا مطيعين • ويقول في صفحة (١٨٠) انه رأى عباد الأستام من الأمم بعد الطوفان وشاهد أرواحهم فركأ في مكان مظلم وفي حال نعسة وقد حرموا من الفكر وقالوا له اهم أقاموا في ذلك المكان قرونا كثيرة وانهم يخرجون منها بعض الأحيان ليقوموا بحاجات دنيتة للآخرين • قال فن هذا جلت على التفكير في كثير من المسيحيين الذين ليسوا في الخارج عبدة أوثان ولكنهم في الداخل كذلك إذ يعبدون ذواتهم والعالم ويرفضون الله • قال وأخذت أفكر في نوع النصيب الذي ينتظرهم في الحياة الأخرى • وقال في موضع آخر ان المسيحيين يعبدون عبثة شريفة ولهم ولوع بالزنا والبغض والطمع والسكر وذنوب متشابهة تأبأها الأمم الوثنية

(٢) وهو يقول أيضا انه حدث الأرواح فقالت له ﴿ اننا في السماء لانقول ان الله ثلاثة وانما نحن نعلم ونبصر أن الله واحد • ويقول انهم قالوا له إن الذين يعتقدون بالله ثلاثة لا يمكن ادخالهم الى الجنة لأن أفكارهم يحصل لها عجز فلا تدري أين الثاني والثالث • والمعار في عالم الأرواح على الفكر • فالفكر اذا تصور ثلاثة آلهة يقول اللسان انه واحد فناق لا يفيد بل يظهر الباطن ويكون وبالا على صاحبه وذلك في صفحة (٣) من الكتاب المذكور

(٣) ويقول في صفحة (٨١) يعتقد البعض أن الأطفال الذين ولدوا تبع الكنيسة بسبب انهم متعمدون بماء المعمودية يدخلون في الإيمان • وأما الذين ليسوا تبع الكنيسة ولم ينلهم ماء المعمودية لا يدخلون في الإيمان • قال وهذا باطل لأن المعمودية نذكر • ثم قال فليعلموا أن كل طفل في أي مكان ولد من والدين تقيين أو من والدين غير تقيين حتى مات يقبله الله ويعلم في السماء (أي الجنة) وهنا أخذ ينسج العناية بالأطفال شرحا مستقيضا على ما يقول انه رأيهم كذلك

(٤) ويقول في صفحة (٩٢) رايت قصورا سبوية ذات اتقان لا يمكن وصفه أشرقت من فوق كالذهب النقي ومن تحت كالحجارة الكريمة يزيد بعضها عن البعض رونقا والغرف مزودة زينة يستحيل أن يصفها الكلام وفي بعض الأماكن نرى الأوراق كالفضة والبخار كالذهب والأزهار في ألوانها أظهرت قوس قزح • ويقول ان الأرواح قالت له ان هناك أشياء كهذه لا يحصى وهي أعظم كالا يعرضها الله أمامهم ومع ذلك هم يهبجون عقولهم أكثر مما يهبجون أعينهم وذلك لانهم يرون مطابقة في كل شيء إلى • ويقول ان هذه المظاهر نطاق بواطنهم فانها لم تهازتها ظهرت لهم المحوسات وتعموا بها كما تنعم بواطنهم بالكمال

(٥) ويقول في صفحة (٩٦) إن داخلات الانسان تعرف بالنظر لوجهه بحيث لا يخفى منها شيء فأهل الجنة يحبون أن يظهر والآن بواطنهم جميلة • أما المجر من أسمل النار فان أحدهم يظهر للآخر كما يرى الناس بعضهم بعضا • أما أهل الجنة والملائكة فانهم يرونهم كالمحوسات في وجوه وأشكال مخيفة في نفس شكل شئهم الثاني فكأن الانسان يظهر شكله على هيئة باطنه فانما جيل على قدر خبره واتا قبيح على قدر

قبر شره • ويصف في صفحة ٣٧٥ و ٣٧٦ جهنم يقول

إن مداخل جهنم تكون تحت الجبال والتلال والصخور وجيعها تظهر مظلمة ومغبرة • ولها نوع من النور كالنفث المشتعل • وأن الذين عاشوا في الدنيا في البغض والانتقام من الذين لم يعتبروهم ولم يتدسّسوا ولم يعبدوهم فهؤلاء يضعون في أقصى جهنم ومن هؤلاء طائفة (الساكنة في الرومانية) وكذلك الذين جعلوا أنفسهم آلهة تعبد فهؤلاء اضطرموا بنار البغض والحقد ضد كل من لم يعترف بقوتهم على نفوس العالم ولا يزالون في جهنم يعلون الأمانى التي عاشوا بها على الأرض فقلوبهم مملأت غيظا وحقدًا وضغًا على من لا يوافقونهم في زعمهم فأصيحوا في جهنم وقارب كل منهم متجهة نحو ذوى صيته

وقال في صفحة (٣٧٧) في بعض جهات جهنم ترى خرابات ومنازل ومدن بعد شبوب نيران وفيها تسكن الأرواح الجهنمية في خفية وفي النواحي المعسلة من جهنم ترى أكواخ سيفة البناء بهيئة مدينة بالأزقة والشوارع وفي داخل هذه البيوت الأرواح الجهنمية دائما في مشاجرة وعداوة ومضاربة وقتال • وفي الشوارع والأزقة لا ترى إلا النهب والسلب • وقال إن أبواب جهنم حين تفتح لمخول أرواح شريرة جديدة يخرج منها بخاريكون إثمًا مثل بخار النار مع الدخان كما يظهر في الهواء من أبنية محترقة أو منسل هيب بدون دخان أو نظير سخام كالذي يخرج من للدخان المشتعلة أو نظير ضباب أو سحب كثيف • قال وهذه الأشياء مناسبة لأخلاقهم ولكنها تظهر بهذا الشكل لغيرهم أمهم فلا يمكنهم أن تعيشوا خارجها

وصرح في صفحة (٣٥٩) أن بعض الناس إذا سمع في جهنم ذكر الله ازداد غيظه جدًا حتى التهب رغبًا بقله وهولو أطلق العنان لنفسه لأحب أن يكون إبليس حتى يزعم أنه يلحق الأذى بالله تعالى كما يتناه بعض أصحاب السيادة البابوية عند ما يدركون في الحياة الأخرى أن الرب كل القوة وليس لهم شيء منها على الإطلاق

(٥) ويقول في صفحة (٥٨) إن الله يرى في السماء (الجنة) كالشمس ويرى لكل أحد بمقدار ما يقبله تعالى ومن رأوه لأفاضتهم الخير على الناس ظهر لهم كالشمس لما عندهم من المحبة والخير للناس • أما الذين يرونه لأجل الإيمان فانهم يرونه كالقمر

(٦) ويقول أيضا إن نصيب الأغنياء والفقراء في الآخرة تابع لسرائرهم • فكمن غنى كان محسنا طاهر القلب فرأته سكن القصور الجليلة • وكمن فقير كان ساخطا على الزمان غير راض بالقدر فهذا يعذب عذابا شديدا انتهى فاعجب من معجزات القرآن • أليست هذه المسائل التي نخصتها لك من كتابه هي عين تفسير هذه الآيات بل هي من آيات الله وهي بعض آيات ربك التي أظهرها للناس • فيألت شعري • أليست الجنة والنار اللتين ذكرهما هما المذكورتان في القرآن بالنص • أفليس الرجل أنكر التثليث • أوليس كلامه في أهل إفريقيا وانهم يسبقون الناس إلى الجنة وأن الأمم الوثنية من نفس تلك البلاد قديما معذبون في جهنم • أقول أليس هذا مجرة القرآن في هذا العصر لأن أهل إفريقيا مسلمون وأسلافهم عباد أئمن • وانظركيف صرح بما نصت عليه الآية وهو أن رؤساء دينهم لحيم لاجلال الناس إياهم في أسفل جهنم كنص هذه الآية • أوليس قوله إن أطفال جيع الامم يدخلون الجنة موافقا للأحاديث والآراء أجل علماء الاسلام • أوليس تفضيله للغي الشاكر هو عين ما أوضحه الامام الغزالي في الاحياء (أن الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر)

(نتيجة هذا المقام)

ألست ترى بعد هذا أن ما قلناه من هذا الكتاب إنما هو بيان لسر هذه الآيات إذ ذكر أن التثليث يعذب عليه المسيحيون وأن عظمة رجال الكنيسة تطرحهم في أسفل سافلين الخ

هذا هو سر هذه الآيات ولاسيا قوله تعالى - ليظهره على الدين كله - انتهى ليلة الاثنين ١٦ مايو سنة ١٩٢٧ . هذا ومن أعجب العجائب أن يقع هذا الكتاب في يدى وهذه السورة مقدّمة للطبعة وأخر طبعها لأسباب عارضة حتى تمكنت من تلخيص ما تقدّم والحمد لله الذى بنعمته تمّ الصالحات اهـ

﴿إيضاح﴾

بعد أن كتبت ما تقدّم بأسرع ما يمكن عليه أحد أهل الفضل من الاخوان فقال . أ بهذا القول تتفق وهل مثل هذه الأحوال التى لاحظها من التحقيق يفسر القرآن . القرآن وحى وهذا الرجل يدعى أنه خاطب الأرواح

هول النائمة كالشكلى • فاين الثريا وأين الثرى • وأين معاوية من على

أوكلنا لنعى ناعق أثبت قوله في تفسير كلام الله . قلت أنا لم أقل اننى موقن أنه حادث الأرواح . كلا . قال ولم إذن نقلت كلامه . قلت نقلت لثلاثة أمور ﴿ الأمر الأول ﴾ اننى وجدت هذه الآراء فى خواها وفى مقصودها تشبه كلام الأرواح كما فى كتابى المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ فان تلك العوالم لما خاطبها القوم فى أوروبا كان ذلك أشبه بما جاء فى هذا الكتاب . فاذا كان هذا العالم من رجال القرن الثامن عشر موافق لمن جاء فى القرن التاسع عشر والقرن العشرين فهو جدير بالبحث والتحري ﴿ الأمر الثانى ﴾ أن هذه الآراء كما تقدّم أيضا قد ذكرها خواص علماء الاسلام فى أسرار الدين الاسلامى وينحون نحوها الايمان الغزالي وعبي الدين بن عربى وكتاب (اخوان الصفاء) ونحوهم ﴿ الأمر الثالث ﴾ اننى أنا نظرت فى هذه الدنيا بعقلى فوجدتها كما تقدّم قد لازمها الوحدة جملة وتفصيلا ولازمها الاحاد . فالشمس والسيارات والتوابع كالأرض والقمر وهكذا بقية الشمس ككهن متجاذبات متعاونات . وكل هذه ومما فيها فى الجرة وهكذا المجرات الأخرى . هذه زاهاء فى نفوسنا عالما واحدا فهى فى نفوسنا واحدة والأعلى منها بمد الأسفل . فالشمس تمتد الأرض وباقى السيارات بالضوء وهن مجنوبات لها كما تقدّم

ثم إنى وجدت هذا النوع الانسانى جعلت هيئة كهيئة هذه العوالم أى ان وضعه فى الوجود هو والحيوانات كلها كوضع اشتقاق هذه العوالم . فاذا رأينا الأرض (كما هو رأى العام فى العالم الآن) مشتقة من الشمس دائرة حوتها ملازمة لها والقمر مشتق من الأرض ملازم لها دائر حوتها . هكذا نرى الناس جميعا قسمين أبوين وابنا وبتنا والأولان يصفان على الأخيرين والأخيران مشتقان من الأولين تابعان لهما ثم نراهم من جهة أخرى (قسمين) قسم هم ذكور وقسم هم أنات وهما متعاشقان متحابان . ونرى عالما وحكما ونبيا يعلمون تلاميذ وأما . وهذه أيضا ولادة أخرى معنوية . يعجبني هذا النظام . نظام يراد به التعارف والمحبة بحسب أصله وهو قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - وهذا هو الأصل الذى بنيت عليه كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ الذى سأذكر ملخصه الذى استخلصه منه الاستاذ (ستلانه) التليانى فى (حجة العلوم الشرقيه) فى سورة الحجرات عند تفسير الآية المتضمنة بها هناك . فان العالم الانسانى خلق أولا وبالذات للتعارف وللمحبة كما خلقت هذه العوالم للتجاذب وللإعداد فاذا لم يوفق الانسان لذلك فى هذه الحياة فما أسوأه أن يتأسكأ فى سيرة ويوضع (الذين لم يصلوا الى هذه النتيجة) فى عوالم منقطعة ليدركوا بعد حين أنهم فى ضلال مبين ويعلموا أنهم فى السجن الجهنمى بقبائلهم كما قال تعالى - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير • فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير - وهذا الأصل هو الذى بينى عليه جميع هذه الآيات فمن فضل ماله وأهله على المجموع ومن أخذ المال وكان رئيسا لديننا وهو عليه حريص فقد أخطأ المرمى وغشّ المجموع هصار نجسا يحبس فى مكان عزّز هوجهم . فهذا هو رأى فى هذه الدنيا فلذلك نقلت كلام الرجل لملايمته لذلك أشدّ الملازمة . فاذا لم يكن

ما فهمته حقاً فلماذا لم يخلق الإنسان بصفة أخرى . ولماذا لم يخلق كالنبات يعيش ويموت ولا يصب ولا تنب ولا ألم وكان في الامكان أن يخلق الناس كما يخلق الشجر الى حين ثم يموتون . الشجر لا يحتاج بعضه الى بعض كثيراً ولكن هم في أشد الحاجة بعضهم لبعضهم . لعمر الله لم يكن ذلك إلا لأجل ما ذكرناه وبيناه وفتح الله به . اللهم إن الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يفتقون ولا يدركون هذا الوجود . لذلك أنزلت عليهم الديانات وخلقت الحكومات ليتفطنوا . هذا هو سرّ ذمّ الله للأخبار والرهبان الذين يحرصون على المال ويستعبدون الناس مع أن هؤلاء العلماء انما نصبوا لخدمة المجموع . هكذا علماء الاسلام ان لم يكونوا رجة للمسلمين فهم ملحوقون بالأخبار والرهبان لحرصهم على الدرهم والدينار . هذا هو الذي أفهمه في هذه الدنيا التي هي أكبر مدرسة لنا معاشر بني آدم . فلما سمع صاحي ذلك قال هذا يان يسلم أن يكون أساتني عليه الحكمة والفلسفة والحياة . فقلت ونحن اذا فسرنا كتاب الله فهو أولى بالاصول الثابتة والعلوم الحقّة وأن لهذه الآراء شأناً في الأمم بعد معادرتنا هذه الدنيا . ويشير لما قلته الآن قوله تعالى - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين - وقوله - والله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدق والآصال - استوى الله الى السماء ودعا السموات والأرض فأتتا طائعتين . ولما سجده من في السموات والأرض انقسموا فريقين . فريق سجد طامعا وآخر مكرها وهذا يشهد لما ذكرته لك الآن . تجاذبت الموالم كلها فظمت بحساب جرت الشمس حول كوكب مجهول لنا وجرت الأرض حول الشمس وجرى القمر حول الأرض وجرت السيارات كذلك . وهكذا توابعها وجيع الكواكب كلها جرت جريا منظما لم يجد فيه العلماء خطأ وهذا فيه معنى الحب ويسمى الجاذبية * إن الحب لمن يحب مطيع * اما ابو آدم فليسوا جميعا راضين بحبين بل سيأتون الى ربهم قوم طامعون محبون . وقوم عاصون مجرمون . والطاعة هنا ترجع الى الحب والشوق والفرار عن أدرك جبال هذا العالم أحبّ صانه فرضي بما يجريه عليه لعله أنه حكمة . ومن عاش غافلا ساهيا لاهيا لا يحب الله ولا يرضى عن فعله ويعترض في قلبه عليه وبآتيه كرها لا محبا . ولن يكمل هذا النوع الانساني إلا اذا كانت الأرواح متجاذبة متحابّة كتجاذب ومحاب الكواكب والشمس والأقمار . فاذا ذمّ الله الأخبار والرهبان لأكلهم أموال الناس بالباطل فذلك لأنهم لم يوفقوا للنظام الأمم . نظام الجبال والكمال بأن يكونوا للناس آباء لا أن يكونوا غافلين بجعلون الدين وسيلة للتخبز والملبس فعكسوا الآية وطمسوا الحقيقة فرجمت محبتهم لانفسهم لا للناس وطاش سهمهم فلم ينظروا الى الشمس والقمر والكواكب إذ يقبض النور بلا أجر ولا الى الآباء والامهات إذ يقبضون السم وأتواع البر على الابناء بلا أجر . هكذا الله يقبض الخير على الناس بلا أجر . ضرب الله الامثال للناس بالكواكب والآباء والانباء فقلّ الناس تائبين غافلين حيارى سكارى في شهواتهم وزهد الأخبار والرهبان في الجبال العام وعكفوا على الشهوات البهيمية وبعيمهم في ذلك بعض رجال الصوفية في الاثم الاسلامية فاقد رأيهم يجويون بلادنا المصرية ويطوفون على القرى والكفور ويتظاهرون بالصلاح والتقوى يأخذون أموال الناس بالباطل وماهم بعلماء ولا برعاط ولكن ساروا شوطا وراء الدرهم والدينار كما سار الذين من قلمهم من الأخبار والرهبان الذين أطلق الله أوروبا من قبضتهم بسبب اطلاع القوم على دين الاسلام كما قدمنا عن السيدة الاوربية التي أسلمت فهم أطلقوا من وثاق رجال الدين بسبب ديننا والمسلمون في بلاد العرب من طرابلس وتونس والجزائر وعراق مصر والشام والعراق وبلاد الهند وحاره قد وقعوا في شبكة هؤلاء الصيادين بمن انسموا بسبات الصوفية ظاهرا وهم عنها غافلون . لا لا يا معاشر المسلمين . كلا . كلا والله انما رجال الدين هم الذين يسبون على سنن أبي بكر وخلفائه من بعده هم الذين يقتفون آثار الانبياء ويكون مقصدهم المثل الاعلى كما أوضحه أفلاطون في

جمهوريته إذ قل عن أستاذة سقراط أن الذين يقومون بحكم الجمهور يجب أن يكونوا أعلم الناس وأذكاهم وأقاهم وأزهدهم في حطام هذه الدنيا وأقربهم من الله زلني وقال ان علمهم هو الذي يجعلهم أعفاء عما في أيدي النساء فهم وإن كان لهم السلطان على الناس ممنوعون بورعهم وأدبهم عن مجاوزة السكاف من المأكول واللباس . وهذه بعينها سيرة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى . ان الناس بعد الموت تجتمع أرواح الأخيار منهم في عالم واحد وأرواح الأشرار في عالم آخر . وكما أن الشمس تزداد اشراقا بازدياد سحيمها هكذا الأرواح الفاضلة تلتئم التمام ذرات الشمس وتتمدد وتزداد سعادة بازدياد الواصلين اليها من عالمنا . وهكذا يزداد المجرمون عذابا بوصول القبحار اليهم إذ يشعرون بالآلام تزداد بازدياد من يصلون اليهم من الأشتياء كما يزداد الفجار عذابا في الدنيا بتكاثرهم وازدياد فتنهم وشروعهم . لاسعادة لهذا الانسان ولراحة إلا بالعطف العام فلامدنية براقية مادام أهل الأرض لا يتحدون على منافعها العامة كما أوغضها في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ وللاسعادة في الآخرة إلا لنفوس صار بلطنها جبالا وكالا وحبا للعلم وللانسانية وخيرها والله هو الولي الجيد

فلما سمع ذلك صاحي قال لي يتبين من كل مذكورته هنا أن أهل كل دين في الأرض طغوا وبغوا . فهذه الأمم النصرانية قد طغت في المال وقد قال لها المسيح ماضيه ﴿ لا تكتزوا لكم كنوزا على الأرض ﴾ وذلك في انجيل متى (٩) ولما أرسل رسوله أمرهم ألا يحملوا عصا ولا حذاء ولا يأخذوا مالا لأنهم مجانا أخذوا فليطولوا مجانا . وهكذا جاء في القرآن - قل ما أسألكم عليه من أجر - ومع ذلك نرى الأمم الاسلامية تسارع في خطاها الى اقتفاء آثار المسيحيين لاسيما بعض الشيوخ من رجال الصوفية الذين أشبهوا القيسيين في أخذ أموال الناس بالباطل . فأجته قاتلا . نعم لقد صدقت ان أهل كل دين في الأرض طغوا وبغوا وسأحدثك عن سبب ذلك . اعلم أن كل دين في الأرض ينزل على أهله صافيا نقيا لا تشوبه شائبة . الله أكبر الله أكبر ظهر السرر واستنارت السبل في هذا التفسير وسيكون في الشرق رجال يتنازون بعقولهم وبحكمهم وبتعاليمهم . أنظر أنظر . تجد أن كل دين ينزل الى الأرض يضيء كما تضيء الشمس والكواكب ويحيى كما يحيى الماء . أنظر في دين الصينيين القدماء نجد في صدقه وحسنه وجماله وجلاله يشبه الانجيل ويشبه القرآن في حسن جماله وصدقه . لقد كان أقدم نبي عند الصينيين يسمى (يو الكبير) ظهر قبل المسيح بألفي سنة ثم جاء بعده بقرون الفيلسوف (ليوتسو) وهذا قبل الميلاد بمدة ٥٩٠ سنة وهو القائل ﴿ أسعف الناس في حاجاتهم أقدم من كان موجودا في خطر ﴾ هذا الفيلسوف عتوه لها متجسدا كما اعتقد النصارى في المسيح . وكان (ليوتسو) معاصرا (لفيثاغورس) وستة ٥٥٠ قبل التاريخ المسيحي ظهر (كوفيسوس) وهم أعظم فلاسفة الصين وعاش (٧٣) سنة ونحلى من الرذيلة ونحى بالفضيلة مثل (بوذا) وكان يقول لتلاميذه ﴿ ان الحبة النقية التي أوصيك بها هي انطاف ثابت في النفس ويميل يوافق عليه الصواب يجرنا من الأغراض الدنائة ويضمننا الى الناس بأسرهم فنخاطهم جسما واحدا معنا فنفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم ولا مانع يمنع من ملكته هذه المحبة أن يسعى في رقيه الثاني وطلب العالي إنما تكون غايته في ذلك بذل النصع والمساعدة لانهاض من دائرت عليه ربحي الزمان وكان ضعه وخوله حائلا دون نهضته وإن من اطلع على حقائق الأشياء لا يتحتمل أن يبقى غيره متسكعين في ظلام الجهل والحيرة متكسرين لمصاعب الحياة وهو مأا بل يتجدهم ويعضدهم ويمهد لهم سبيل الخروج من ظلمات الجهل ويدخلهم مقدس العالم ومنى ملكت هذه المحبة القلوب جميعا يصبح العالم بأسره أسرة واحدة والناس أجمعون كائنات واحد وبهذا الرابط العظيم السائد بين العظام والضعفاء تصبح الانسانية كلها جسما واحدا ﴾ هذا هو كلام نبي الصينيين قبل المسيح وقبل سيدنا محمد ﷺ ولذلك نجد الأمة الصينية لها جميعات من كل طبقة وبينهم جميعا تلك الروابط التي أشار لها دينهم . فهذا القول وما يشابهه من الانجيل والقرآن يدلنا أن البيانات تنزل من السماء منسوبة

ولكن هناك سرا محبوا يراه الناس بعيونهم ولكنهم لا يفهمونه . ذلك السر هو السبب في طغيان النصارى وجهل المسلمين . ويياته أن الله أنزل النور وأنزل الماء في الأرض قبل الأنبياء وقبل خلق الإنسان فهذا النور يخلط بالنبات فيكون مساعدا للتفاح واللتمر والعنب على حلاتها ويكون مساعدا للحفظ على مزارته . ومساعدا للسا المسكى على شفاؤه لبعض الأمراض . ومساعدا للواد السامة النابتة في الأرض على حصد الأرواح . الضوء ينزل من السماء بهجة وجالا ولكن الخلوقات الأرضية حينما تلتقط وتشتعل عليه وتضمسه لأنفسها تحوله الى طباعها وأحوالها . هكذا الماء ينزل من السماء . فلماذا يكون . نراه يسلك ينابيع في الأرض فيكون على حسب الأمطار التي يمر بها هناك فيكون ماء كبريتيا وماء جيريا وماء ملحيا . وهكذا من أنواع المياه التي لا تصلح للشرب وإنما تصلح للأدوية ونحوها (بناء عليه) تقول ان الامور اللطيفة اذا اجتمعت بالكثيفة حوت الى طباعها . هكذا النباتات لما نزلت من السماء نزلت صافية ولكن عقول أهل الأرض حوت تلك النباتات الى طباعها وقلبت الى أهوائها فهناك النباتات المسحية التي أخص خواصها المحبة العامة كيف صار رجال دينها كما قتم هم أسرع الناس الى قتل آلاف الآلاف لأي ذنب صغير أو كبير . وهذا دين الاسلام . أنظر كيف نبغ أوائل رجاله في الزهد والورع كما قرأته ههنا قريبا عن أبي بكر وعمر . ثم جاء بعد الصدر الأول قوم لا يريدون إلا السرهم والهنار والفخر والرئاسة وأخذ أموال الناس بالباطل . اللهم ان أكثر أهل الأرض يقعون أهواءهم كما قال تعالى - وإن قطع أكثر من في الأرض يضلوك هن سبيل الله -

اللهم انك أنزلت آية الأحبار والزهبان وأكلهم أموال الناس بالباطل في سورة التوبة النازلة أيام ظهور الاسلام وغلته وارقاته لنهتد السبيل للقائمين بالأمر ألا يعملوا الرئاسة سبيلا لال بل يكونون للأمر آباء ولكن أم الاسلام المتأخرة نامت نوما عميقا . اللهم اني ألفت هذا التفسير واني أمل أن يكون سببا في ظهور جيل جديد يصلح لتلقي تعاليم القرآن التي قام بها أقطاب الصدر الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ولا يكونوا كرجال النصارى المذكورين في هذا المقام وأن يقطعوا دابر الرجال الذين يأخذون المال من المسلمين مثل ما يأخذ رجال الدين المسيحي . واني أمل أن يكون هذا التفسير عمدا للزرعة اسلامية صالحة تصلح لتعاليم هذا الدين والله هو الولي الحيد . انتهى يوم الجمعة محمى ٢٧ مايو سنة ١٩٢٧ وإلى هنا انتهى القسم الأول من سورة التوبة

(القسم الثاني)

إِلَّا تَتُوبُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَتُوبُوا شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . إِلَّا تَتُوبُوا فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَيْنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِفْرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

(التفسير اللفظي)

(الانتمروا) أى الى الحرب (يعذبكم عذابا أليما) وجعا (ويستبدل قوما غيركم) خيرا منكم وأطوع (ولا تنصروه شيئا) ولا ينصر الله جلاوسكم (الانصروه) أى ان لم تنصروا محمدا ﷺ بالخروج معه الى غزوة

تبوك (قد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا) كفار مكة (ثاني اثنين) يعني رسول الله وأبا بكر (إذ هما في العار) ثقب عظيم يكون في الجبل * هذا الغار في جبل ثور يقرب من مكة مسير ساعة (إذ يقول) رسول الله ﷺ (لصاحبه) أبي بكر (لا تحزن) يا أبا بكر (إن الله معنا) معينا (فأنزل الله سكينته) طمأننته (عليه) على النبي ﷺ (وأبده بجمود لم تروها) هم الملائكة صرخوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه . وهكذا يوم بدر والأحزاب وحين أبده بالملائكة (وجعل كل الذين كفروا) أي دعوتهم إلى الكفر (السفلى وكله الله) دعوه إلى الاسلام (هي العليا والله عزيز) يعز بنصره أهل كلته (حكيم) يذل أهل الشرك بحكمته (افقروا) اخرجوا مع نبيكم إلى غزوة تبوك (خفافا وثقالا) ركبا وامتشاة محضا ومراضا شبانا وشيوخا لاسلح معكم أو معكم سلاح قلت عيالكم أو معكم عيال مهازيل وسبانا (وجاهدوا بأموالكم وأنفُسكم) معا ان أمكن أو بأحدهما على مقتضى الامكان (في سبيل الله ذلكم) الجهاد (خير لكم) من تركه (إن كنتم تعلمون) كون ذلك خيرا فادروا إليه . انتهى التفسير اللفظي للقسم الثاني من سورة التوبة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا خُرُوجًا مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَلَمْ الْكَاذِبِينَ * لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ * لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمُ لَحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ * إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيتَوَلَّوْا وَهُمْ قَرِحُونَ * قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَتَحْنُنُ تَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِمَذَاقٍ مِنْ عَذَابِهِ أَوْ يَأْذِنَنَا فَبَرْبِّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنْتَقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْهُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ تَفَقَّاهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا

وَمَنْ كَسَىٰ وَلَا يُقِفُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهِنُونَ * فَلَا تُغْنِيكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ
 اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَخْلِفُونَ بِاللهِ إِنْتِهَم
 لِنَفْسِكُمْ وَمَا مِنْكُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأَ أَوْ مَكَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا
 لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ
 يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَحْطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ
 سَيُوفِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
 وَالْمَعْمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفَارِسِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً
 مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ
 عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ
 الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ
 مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوْضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ
 مِنْكُمْ يُغْنِي عَنْهُمْ كَانُوا يُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
 بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ
 الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ
 وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
 أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
 بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ * أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ
 مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ

يُظَلِّمُونَ * وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ
 اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمَطْلُوبُ *
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ *
 يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتُوبُوا
 إِلَى اللَّهِ عَذَابَ آلِيَاءٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ
 اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ
 وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِقَالًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ
 وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * الَّذِينَ
 يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ
 سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ
 مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * فَرِحَ
 الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَبُيِّنُوا
 كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ
 فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ يُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
 مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ * وَلَا تُنِيعْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ
 بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَإِذَا أَثْرَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ
 رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ * رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا

مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا
 بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَغْرَابِ
 لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *
 لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ
 وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ
 قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أُحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِيبْتُمْ تَقِضُ مِنَ النَّعْمِ حَرَضًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ
 * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَستَازِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ
 عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَتَذَكَّرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ
 لَكُمْ قَدْ بَيَّأْنَا اللَّهُ مِنْ أَنْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلَاقِ النَّيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَخْلِفُونُ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِيُغَرِّبُوا
 عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَخْلِفُونُ
 لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * الْأَغْرَابُ
 أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *
 وَمِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَارَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ
 اللَّهِ وَصَلَاتِ الرُّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
 وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *
 وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَغْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ لَا يَعْلَمُهُمْ نَحْنُ
 نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَآخَرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
 خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * خُذْ مِنْ

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةٌ تُطَهِّرُهُمْ وَيُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
 عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ
 التَّوَابُ الرَّحِيمُ * وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ هَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسِرَدُونَ إِلَى
 حَالِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لِرَأْيِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ
 وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَاجًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ
 يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَأَتَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ
 تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحْيُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطْهَرِينَ * أَفَنْ أَسَّسَ بُيْنَانَهُ عَلَى تَقْوَى
 مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيْنَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ
 لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لَا يَزَالُ بُيَاثُيَهُمُ الَّذِينَ بَنَوُا رِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
 وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *

(التفسير اللفظي)

نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك (لو كان عرضا) وهو ما عرض لك من منافع الدنيا أى لو كان ما
 دعوا اليه مفعلا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا والقاصد والقصد المعتدل (لا تبعوك)
 لواقوك في الخروج (ولكن بعث عليهم الشقة) المسافة الشاقة (وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا
 معكم) وهذا من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد القول فقالوا كما أخبر أى سيحلف المتخلفون بالله
 عند رجوعك معتذرين يقولون - لو استطعنا خرجنا معكم - (يهلكون أنفسهم) أى حال كونهم مهلكين
 أنفسهم (وأنه يعلم أنهم لكاذبون) فيما يقولون . وإعلم أن هؤلاء المتخلفين قد استأذنوا رسول الله ﷺ
 في التخلف فعفا الله وقال (عفا الله عنك) كناية عن الزلة فإن العفو من نوابها . يقول عفا الله عنك
 يا محمد ما كان منك في أذنك لهؤلاء المتخلفين الذين استأذنوك في ترك الخروج معك إلى تبوك . فهذا أحد
 الأمرين اللذين عوتب عليهما . والثاني أخذه القدية من الأسارى وهو مجتهد في ذلك وهذا العتاب لانه ترك
 الأفضل والأنبياء يعاتبون على ترك الأفضل (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا)
 ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا (بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين) وعدمهم يجزى
 الثواب (إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) يعنى للمتخلفين وهم تسعة وثلاثون رجلا
 (وارأيت قلوبهم) واضطربوا في عقيدتهم (فهم في ريبهم يترددون) يتحيزون فالتحيز من شأنه أن يتردد
 والمستبصر يدب فيه البتات (ولو أرادوا الخروج) معك إلى غزوة تبوك (لأعطوا له عدة) أهبة لأنهم كانوا أغنياء
 (ولكن كره الله أن يعاتبهم) فهوهم للخروج فاذنهم ما خرجوا (فتبطلهم) فكسلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث
 * ويقال تطويع عن الأمر بالترهيد فيه (وقبل ائذوا) أى قال بعضهم لبعض . أو قال الرسول ﷺ
 غضبا عليهم أى تخلفوا (مع القاعدن) مع المتخلفين بغير عذر . ثم بين حكمة عدم خروجهم فقال

(لو خرجوا فيكم مازادكم إلا حبالاً) إلا فسادوا وشرا أى مازادكم شيئاً إلا خبالاً (ولاً وضعوا خلالكم) أى
ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء الخيمة والاحاديث الكاذبة فيكم (يقونكم الفتنة) يطلبون لكم ما تفتنون
به كأن يقولوا للمؤمنين لاطاعة لكم بعدكم وستهمون منهم وسيظهرون عليكم (وفيكم ساعون لهم) أى
مطيعون لهم قابلون لكلامهم (وأفلة علم بالظلمين) وعيد لهم وزجر (قد ابتغوا الفتنة) تشتيت أمرك
وتفريق أصحابك (من قبل) يوم أحد فإن ابن أبي وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول
ﷺ بالقرب من نية الوداع انصرفوا يوم أحد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكائد والحيل ودبروا
الآراء في ابطال أمرك (حتى جاء الحق) النصر والتأييد (وظهر أمر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) على
رغم منهم . وهذا القول نسليه لرسول الله ﷺ والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما نبطهم الله لاجله وكره
انبعاثهم له (ومن المنافقين) (من يقول إئذنى لى ولا تفتنى) كالجد بن قيس المناق قال له رسول الله
ﷺ لما تجهز الى غزوة تبوك يا أبا وهب هل لك في جلد بني الأسفريعى الروم تتخذ منهم سرلوى ووصفاء
قال الجدل يا رسول الله قد عرف قومى انى رجل مفرج بحب النساء واتى أخشى ان رأيت بنات الاصفر ألا
أصبر عنهن إئذنى لى في القعود ولا تفتنى بهن وأعينك بمالى فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت
لك (ألا في الفتنة سقطوا) يعنى وقفوا في الفتنة العظيمة وهى النفاق (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يوم
القيامة تحيط بهم وتجمعهم (إن نصيبك حسنة نسؤهم) من نصر وغنيمة تحزن المنافقين (وان نصيبك مصيبة)
القتل والهزيمة مثل يوم أحد (يقولوا) أى المنافقون (قد أخذنا أمرنا من قبل) تبهجوا بانصرافهم عنك
واستحسبوا آراءهم في التخلف عنك (ويتولوا) عن مقام التحتت بذلك الى أهلهم (وهم فرحون)
مسرورون (قل لن يصيبنا) من خير أو شر (إلا ما كتب الله لنا) قضى الله لنا (هو مولانا) الذى يتولانا
وتتولاه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق على المؤمنين ألا يتوكلوا على غير الله (قل هل تربصون)
تنتظرون بنا (إلا احدى الحسينين) وهما الفتح والغنيمة أو القتل والشهادة (ونحن نربص بكم) احدى
السوءين لما (أن يصيبكم الله بعدا من عنده) هلاككم (أو بأبدنا) بسوفنا لقتلكم (فتربصوا) بنا
ما ذكرنا (إننا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم (قل أنفقوا) فى وجوه البر (طوعاً أو كرها) طائعين أو
مكرهين أى غير ملزمين وملزمين (لن يتقبل منكم) ما أنفقتم طوعاً أو كرها ونحو هذا قوله تعالى - استغفر
لهم أولاً تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم - . وقول الشاعر

أسبى بنا أو أحسنى لاملومة * لدينا ولا مقولة ان قلت

ثم علله فقال (انكم كنتم قوما فاسقين) متمردين عافين (وامنعهم أن تقبل منهم ففانهم إلا أنهم
كفروا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى وامنعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم (بأنه) ورسوله ولا
يأبون الصلاة إلا وهم كسالى) جع كسلان (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لأنهم اعتقدوا أن الاتفاق فى سبيل
الله معرم (فلانجبك أموالهم ولا أولادهم) إنما يريد الله ليذهبهم بها فى الحياة الدنيا) الإعجاب بالشئ
أن تسره سرور راض به متعجب من حسنة أى لانتسحس ما أوتوا من زينة الدنيا فأنما أعطاهم ذلك
ليعنيهم بالمصائب فيها (وترضى أنفسهم) والزهوق الخروج بصوبه أى ويخرج أرواحهم (وهم كافرون *
ويحلفون بالله أنهم لنسكن) لمن جلة المسلمين (وامامهم منكم ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل وما يفعل
بالشركين فيقتلهون بالاسلام تقبة (لويجحدون ملجأ) مكانا يلجئون اليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة
أو جزيرة (أو مغارات) أى غيرانا فى الجبال جمع معارة وهو الموضع الذى يعمر فيه الانسان أى يستتر (أو
متحلاً) أوفناً يندسون فيه وهو مفتعل من النحول (ولوا اليه) لأقبلوا نحوه (وهم يمحجون) أى
يسرعون الى ذلك المكان . يقول ان للمنافقين لسنة بضمهم لرسول الله ﷺ والمؤمنين لو قدروا أن يهربوا

منكم إلى أحد هذه الأمكنة لصاروا إليه لشته بفضهم أياكم (ومنهم) من المنافقين (من يترك في الصدقات) يعيبك في قسمها ويطعن عليك (فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يظفوا منها إذا هم يسخطون) إذا لفافأة أي وإن لم يظفوا منها فاجؤا السخط مشل ذي الخويصرة التميمي المسمى حرقوس بن زهير أسل الخوارج إذ قال يارسول الله اعدل فقال عمر أئذن لي فأضرب عنقه فقال عليه السلام دعه . الحديث في البخارى (ولو أنهم رضوا ما آفاهم الله ورسوله) ما أعطاهم من الغنمة وذكر للدلالة على أن فعل النبي عليه السلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كافينا الله (سيؤتينا الله من فضله ورسوله) صدقة أو غنمة أخرى فننال أكثر مما نلنا (إنا إلى الله راغبون) أن يغنيننا من فضله . وهذه الآية كلها شرط لو والجواب مخوف أي لكان خيرا لهم * ثم أخذ سبحانه يبين مصارف الصدقات فقال (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الفقير هو من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب بقراره . والمساكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كأن الجز أسكنه . وكان عليه السلام يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر والسفينة كانت لساكين (والعاملين عليها) هم الساعة الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من أهلها ووضعها في جهتها فيعطون من مال الصدقات بقدر أجور أعمالهم (والمؤلفة قلوبهم) قوم أسلموا ونبتهم ضعيفة فيه فتسألف قلوبهم وأشرف يترقب باعطائهم اسلام نظرائهم وأشرف يستألفون على أن يسلموا كمينية بن حسن وعدي بن حاتم وصفوان بن أمية . فالأول لتقوية إيمانه . والثاني نيته قوية في الاسلام ولكن يرجى أن يرغب في الاسلام نظرائه . والثالث كان يميل للإسلام فأعطى ليسل . وهناك قسم رابع وهو أن أن يكون قوم من المسلمين بزاء قوم من الكفار لا يبلغهم جيش الاسلام ليعدهم فيعطون من سهم المؤلفة قلوبهم أي يعطى المسلمون ذلك إذا ضعفت نيته في القتال أضعفت حالهم (وفي الرقاب) للمساكين (والغارمين) الذين ركبهم الدين بأن استدانوا لأنفسهم في غير معصية ولا اسراف وليس لديهم وفاء أو اصلاح ذات الدين وإن كانوا أغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة لغاز في سبيل الله وألغارم الخ ﴾ وذكر من هؤلاء الخمسة العامل عليها (وفي سبيل الله) وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة أو ابتاع الكراع والسلاح وبناء القناطر والمصانع وجميع وجوه البر كرهارة للمساجد (وابن السبيل) يعني المسافرين من بلد إلى بلد والسبيل الطريق * سعى للمسافرين السبيل ملازمته الطريق فرض (فريضة من الله) أي قسمة من الله لهؤلاء (والله عليم) بالصلحة (حكيم) فيما حكم لهؤلاء * ولما فرغ من الكلام على من يلزمون في الصدقات شرع يتكلم على فريق آخر من المنافقين فقال (ومنهم) الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن) يسمع كل ما يقال ويصدق * جعل هونفس الأذن كما يقال للجاسوس هو عين * روى أنهم كانوا يقولون محمد أذن سامعة تقول ما شئنا ثم تأتيه فيصدقنا بما قول (قل هو أذن خير لكم) لأنه يسمع الخبر ويقبله وفسر ذلك فقال (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الأدلة (ويؤمن بالمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم (ورحمة للذين آمنوا منكم) أي هو رحمة لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكتشف سره فاذن ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفا بكم وترجا عليكم (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) بإذائه * وجاء رهاط من المنافقين للتخلفين عن غزوة تبوك بعد أن رجع النبي عليه السلام يعتنرون إلى المؤمنين ويحلفون فتزل (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أي يرضوه أي الله وكذلك رسوله وذلك بالتوبة والاخلاص (إن كانوا مؤمنين) أي إن كان هؤلاء المنافقون ممتدقين بوعده الله ووعيده في الآخرة (ألم يعلموا أنه) أي إن الأمر والسأن (من يحاد الله ورسوله) يجاوز الحد بإخلاف . وهي مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (ف) حق (أن له تارجهم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم) الهلاك الدائم (بحجر المنافقون أن تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبههم بما في قلوبهم) أي بما في قلوب المنافقين من الحسد والعداوة

للمؤمنين ولقد سميت السورة الفاحشة والمبعثرة يقول ابن عباس أنزل الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين بأسماهم وأسماء آبائهم ثم نسخ ذكر الأسماء رحمة منه على المؤمنين ثلاثا يعبر بعضهم بضما لأن أولادهم كانوا مؤمنين (قل استهزؤا) أمر تهديد (إن الله يخرج ماتخذرون) مظهر ما كنتم تحذرون اظهاره من فقاكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفي استهزائهم بالاسلام وأهله حتى قال بعضهم (وددت أنى قدمت بقللت مائة وأنه لا ينزل شئ فينا يفضحنا) ثم إنه بينا رسول الله ﷺ يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيئات هيئات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأناهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا يابى الله والله ما كنا فى شئ من أمره ولا من أمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقتصر بعضنا على بعض السفر فنزل (والئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لكنهم واعتبروا أنهم معترفون بالاستهزاء فويحوا بسبب انهم أخطأوا مواضع الاستهزاء (لا تمنعوا) أى لا تشتغلوا باعتذاركم وكيف تنفعكم بعد أن اقتضح سرهم (قد كفرتم) قد أظهرتم كفركم باستهزائكم (بعد إيمانكم) بعد اظهاركم الإيمان (ان نف عن طائفة منكم) جهين بن حبر لأنه لم يستزى معهم ولكن تحك معهم أوكل من يتوب ويخلص الإيمان بعد النفاق (نعذب طائفة) ودية بن جذام وجد بن قيس أوكل من يصرون على النفاق غير تائبين منه (بأنهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق أو مقدمين على الإيذاء والاستهزاء الرجال (المنافقون و) النساء (المنافقات بعضهم من بعض) أى كأنهم نفس واحدة فهم متشابهون فى النفاق والبعد عن الإيمان . وكان عدد الرجال منهم ثمانمائة والنساء مائة وسبعين (يأمرسون بالسكر) بالكفر والعصيان (وينهون عن المعروف) عن الطاعة والإيمان (ويقبضون أيديهم) شحا بالمال أن ينفق فى البرز وأنواع الخير (نساء الله) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فليسهم) فتركهم من رحته وفضله (إن للمنافقين هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق وهو هنا التردد فى الكفر والانسلخ عن كل خير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقترين الخلود فيها (هى) أى النار (حسبهم) كافيتهم فى التعذيب فلا حاجة لغيرها فى تعذيبهم (ولعنهم الله) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين يلعنون كما تلعن الشياطين (ولهم عذاب مقيم) دائم بخوف الفضيحة بكشف سرهم اذا نزل الوحى به وما يقاسونه من تعب النفاق . ثم خاطبهم الله بعد الغيبة فقال فعلتم (ك) أفعال (الذين من قبلكم) من الكفار فى الأمر بالسكر والنهى عن المعروف الخ ثم وصف هؤلاء الكفار بأنهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر مالا وولدا فقال تعالى (كانوا أشد منكم قوة) بطنا ومنعة (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) أى تمتعوا بنصيبهم من الدنيا بإتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الآخرة فالخلق الصب وهو ما خلقه الله للانسان وقدر له من خير (فاستمتع بخلاقكم) أيها المنافقون (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) وهذا كما قول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل . فالتكرير هنا للتأكيد وتوبيخ فعلهم (وخضتم كالذى خاضوا) أى وخضتم خوضا كالخوض الذى خاضوا به والخوض السخول فى الباطل واللاهو (وأولئك حظت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) أى بطلت فى الدارين (وأولئك هم الخاسرون) أى كما بطلت أعمال الكفار الماضين وخسروا قتل أعمالكم أيها المنافقون وخسروا . ثم رجع الى الغيبة بعد الخطاب لينشط السامع وليتوقع الأسلوب فقال (ألم بأنهم) أى ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أى قد أناهم (نبأ) خبر (الذين من قبلهم) يعنى الأمم الماضية الذين خلو من قبلهم كيف أهلكتناهم حين خالفوا أمرنا وهصوا رسلنا (قوم نوح) بدل من الذين قد أهلكتناهم بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح العقيم (وثمود) أهلكوا بالريفة (وقوم إبراهيم) أهلكوا بالهديم . وكان هلاك ثمود

ببعوضة (وأصحاب مدين) أى وأهل مدين وهم قوم شيعب هلكوا بعذاب يوم الظلة أى بنار كانت فيها (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط اتفكت بهم أى انقلب بهم فصار عليها ساقطها وأمطروا حجارة من سجيل أوقريات المكذبين واتفكهن أحوالهن من الخير إلى الشر وأما ذكر الله هذه الأمم لأن آثارهم ظاهرة بالشام والعراق واليمن . وكل ذلك قريب من أرض العرب (أتتهم رسالهم بالبينات) بالأمر والنهي والعلامات فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفر وتكذيب الأنبياء وذلك لاستعدادهم النفسى الذى سبق به القضاء على مقتضى الفطر (والمؤمنون) المصدقون من الرجال (والمؤمنات) المصدقات من المؤمنات (بعضهم أولياء بعض) على دين بعض فى السر والعلانية يوالى بعضهم بعضا فى الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة (بأمرؤس بالمعروف) بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره واجتناب نهيه (ويهنون عن المنكر) يعنى عن الشرك والمعاصي . والمنكر كل ما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا فى مقابلة وصف المنافقين (ويقومون الصلاة) المفروضة ويمون أركانها وحدودها وخشوعها (ويؤتون الزكاة) الواجبة عليهم وهو فى مقابلة - ويقبضون أيديهم - (ويطيعون الله ورسوله) فى السر والعلانية (أولئك سيرهم الله) لاجالة لأن السين مؤكدة للوقوع (لأن الله عزيز) غالب على كل شئ (حكيم) واضح كلاً فى موضعه (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة) يطيب فيها العيش * وعن الحسن رحمه الله عن قصور من اللؤلؤ والياقوت والأحجار الزبرجد (فى جنات (١) عدن) أى فى سباتين خلد وأقامة * يقال عدن بالمكان أقام به (ورضوان من الله) أى وشئ من رضوان الله (أكبر) من ذلك كله لأن الجنة وهى النعم الملقب تصفر فى جانب خالقها كما يصفر قصر الملك وحدياه وتحفه فى جانب تربيته لزاره وأقباله عليه وتلطفه معه وإكرامه له وهذا أمر يعرفه العقلاء فى الدنيا مع المخلوق فكيف ذلك مع الخالق (ذلك) للرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما عاده . ولذلك جاء فى آية أخرى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وفى آية أخرى أيضاً - بإيها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي فى عبادى وادخلي جنتى - (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) باللسان (واغلظ عليهم) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن (ومأواهم جهنم وبئس المصير) جهنم ولقد أقام رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمع من معه منهم الجلاس ابن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لآخونا الذين خلفناهم وهم ساداتنا فنحن شر من الجبر . فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس أجل والله ان محمداً صادق وأنت شر من الجبر . وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر خفاف بالله ما قال فرفع عامر يده وقال اللهم أنزل على عبدك ونيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فزل (بحلفون بالله ما قالوا وأعد قالوا كلمة الكفر) وبى ان كان ما يقول محمد حقاً فنحن شر من الجبر فقال الجلاس يا رسول الله والله لقد قتلته وصديق عامر قتله الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا كفرهم بعد اظهارهم الإيمان (وهو ما لم يبالوا) وذلك أن الجلاس هم بقتل الذى سمع مقاتله خشية أن يقتله عليه (وما تقيموا) وما أنكروا وما عابوا (إلا أن أغنهم الله ورسوله من فضله) وذلك أنهم كانوا حين قدم إلى المدينة فى ضحك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنائم فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس . وولى فأمر رسول الله ﷺ بدبته اثني عشر ألفاً فاستغنى (فان يتوبوا) عن النفاق (يك) التوب (خبراً لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (ومالهم فى الأرض من ولى ولا نصير) ينصحبهم من العذاب . وقد تقدم أن الجلاس تاب (ومنهم) أى ومن المنافقين (من عاهد الله) حلف بالله كعقبة بن حاطب بن أبى بلتعنة (لئن آتانا) أى أعطانا (من فضله)

المال الذي له بالشام (النصدق) في سبيل الله ولنؤذين منه حق الله ولنصلق به الرمح (ولنكروني من
الصالحين) باخراج الصدقة (فلما آتاهم من فضله) أعطاهم الله المال ونالوا منهاهم (بخلاوا به) منعوا حق الله
ولم يفوا بالعهد (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) مصرون على الاعراض (فأعقبهم نفاقا في قلوبهم)
فأورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لأنه كان سببا فيه (الى يوم يلقونه) أى الله سبحانه وتعالى وهو يوم
القيامة (بما أخلقوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) أى بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من الصدقة والاتفاق
في سبيله وبسبب كذبهم في قولهم - لنصدق ولنكون من الصالحين - * وعن أبي هريرة رضى الله عنه
أن رسول الله ﷺ قال (آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اتفق خان) وقال
أيضا ﷺ لا أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى
يدعها اذا حدث كذب . واذا عاهد غدر . واذا وعد أخلف . واذا خاصم فجر . ولا جرم أن هذه الخصال
ما عمت في أمة إلا حل بها البوار . وأصبح رجالها غير مصدقين فلا تكون لهم شركات ولا تجارات وراحة
ولا ودة صادقة . وهذا هو نغراب العاجل للأثم . فأين الذين إذن . فليجتهد المسلم ألا يخاف الوعد
وأن لا يكذب وأن لا يفجر في خصامه وأن لا يخلف العهد (ألم يعلموا) أى المنافقون (أن الله يعلم سرهم) أى ما
أسروه من النفاق بالعزم على اخلاف ما وعدوه (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين
(وأن الله علام الغيوب) فليخفي عليه شئ (الذين) عجله النصب أو الرفع على القوم (يلمزون للطوعيين) يعيبون
للمطوعيين المتبرعين (من المؤمنين في الصدقات) متعلق يلمزون * روى أن رسول الله ﷺ حث على
الصدقة فجاءه عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فأقرضتني أربعة وأمسكت
أربعة لعالي فقال عليه الصلاة والسلام بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولت تماضر
امرأته عن ربيع الثمن على ثمانين ألفا . وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق * وجاء أبو عقيل الأنصاري
بصاع تمر فقال بت لي ثي أجرب الجرب (الحبل) على صاعين فتركت صاعا لعالي وجئت بصاع فلهزم المنافقون
وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء . وأما صاع أبي عقيل فالثغ غنى عنه فنزلت (والذين لا يجدون
إلا جهدهم) إلا طاقهم على الضم وهو على الفتح مصدر جهد في الأمر بالغ فيه (فيسخرون منهم) فيمزقون
(سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى - الله يستهزئ بهم - (ولهم عذاب أليم) مؤلم
* روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول وكان من المخلفين سأل رسول الله ﷺ في مرض
أبيه أن يستغفر له ففعل ﷺ فنزل قوله تعالى (استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم) فقال ﷺ لأزريدن على السبعين فنزل - سواء عليهم أاستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن
يغفر الله لهم - فكانه ﷺ فهم أولا أن المراد بالسبعين العدد المخصص وجاء البيان أن المراد التكثير
والعرب تستعمل السبعة والسبعين والسبعائة في التكثير . ذلك لأن السبعة فيها ثلاثة أوتار وثلاثة أشفاغ .
ومعلوم أن الواحد ليس من العدد لأنه أصله فالسبعة أوّل الكثرة من التسع والوتر . والسبعون أبلغ من
السبعة فقد ضربت في العشرة (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) المتمردين
في كفرهم كعبد الله المذكور لأنه يخفى الكفر ويظهر الإيمان . وبهذا تبين أنه ممن لا يرجى إيمانهم
والاستغفار إنما يكون لمن يرجى إيمانهم فهو كالنبيه على عذر النبي ﷺ في الاستغفار والمغفرة استغفار
بعد العلم أنهم مطبوعون على الضلالة كما تعالى - ما كان لاني والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو
كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم - (فرح المخلفون) المنافقون الذين استأذوا النبي
ﷺ فأذن لهم وخلفهم بالمدنية في غزوة تبوك كما تنتم في آيات كثيرة (وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في سبيل الله) فلم يفعلوا ما فعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم (وقالوا لا تدمروا في الحر) أى قال

بعضهم لبعض ذلك (قل تارجهم أشد حرا لو كانوا يفتقهن) فكيف اختاروها بأثارت الكسل والترف والتنعم (فلضحكوا قليلا وليكروا كثيرا جزء بما كانوا يكسبون) من التفاق وهذا كناية عن السرور والتم وبرد باقاة العدم (فإن رجعت الله إلى طامئة منهم) أي ردتك الله إلى المدينة وفيها طامئة من المتخلفين يعني منافقهم (فاستأذنوك للخروج) إلى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) خبر معناه الهى (إنكم رضيت بالقعود أول مرة) فصار اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم (فاقصوا مع الخالفين) أي المتخلفين الذين لا يليقون للحرب كالنساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم) أي من المنافقين صلاة الجنائزة (مات) صفة لأحد (أبدا) ظرف (ولا تقم على قبره) إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون (تمليل للنهي) أي إنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم • وسببا أن عبدالله بن عبدالله بن أبي الملتقدم ذكره طلب أن يكفن النبي ﷺ أباه في قبصه ويصلى عليه قبل فاعترض عمر رضي الله عنه في ذلك فقال ﷺ ذلك لا ينفعه وكنت أرجو أن يؤمن به ألق من قومه • وروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بنوب النبي ﷺ وقوله - ولا تقم على قبره - أي لا تقف عند قبره للدفن أو الزيار (ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) تخايريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وترحق أنفسهم وهم كافرون (هذه الآية كورت للبائسة ولتذكير الناس بأن ما على الأرض زينة الدنيا لا غير وبه العذاب فيها • وأيضا الآيتان نزلتا في فرقتين (وإذا أنزلت سورة) بنماها أو بعضها (إن آمنوا) أي بأن آمنوا ويصح أن تكون أن مفسرة (بأنه) متعلق بآمنوا (وجاهدوا مع رسوله) استأذنتك أولو الطول منهم (ذو الفضل والسعة) (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين) الذين قعدوا امنر (رضوا بأن يكونوا مع الخوالب) مع النساء جمع خامة والخالفة أيضا الذي لاخير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ماقى الجهاد وامتنال أمر الرسول ﷺ من السعادة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأ أنفسهم) كأنه يقول ان تخلف هؤلاء فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالطلب (أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم) وهذا بيان لما لهم من الخيرات في الآخرة • واستأذن رهط هامر من الطفيل وأسد وغطفان في التخلف عن الجهاد بغزوة تبوك التي نحن بصدد الكلام عليها وقالوا إن لنا عيالا وأن بناجهدا فأذن لنا في التخلف فقال لهم ﷺ - قد بناأنا الله من أخباركم - وسيغنى الله عنكم وهناك قوم آخرون قعدوا ولم يستأذنوا فهذا قوله تعالى (وجاء المصدرون) من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتواني فهو بوجه أن له عذرا ولا عذره (من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) وهم منافقوا الأعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتدوا فافهم بذلك كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان (سيصيب الدين كفروا منهم عذاب أليم) وإنما لم يقل سيصيبهم لأن منهم من سيخلص في إيمانه في علم الله وهؤلاء جميعا لا يقبل اعتذارهم • ثم أخذ يبين للذين أعذارهم صادقة فقال (ليس على الضعفاء أي الأصحاء في أقدامهم العاجز بن عن الغزو مثل الشيوخ والصبيان والنساء (ولا على المرضى) ويدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة • وبالجملة كل من كان موصوفا بمرض يمنع من الجهاد (ولا على الذين لا يجندون ما ينفقون حرج) لم وضيق في التخلف فلا يجدون الراد والإحالة والسلاح ومؤنة السفر لأن العاجز بن عن نفقة الغزو معنونه كفقره من مزينه وجهته وبنى عذرة (إذا نصحوا الله ورسوله) بأن آمنوا في السر والعلن وأطاعوا ولم ينشوا للأراجيف ولم يشيروا الفتن وقاموا بساطع المجاعدين في غيبتهم لأهلهم في بومتهم (معلى المحسنين) المذوريين الناصحين انقائين بشؤون المجاهدين في بيوتهم (من سبيل) لاجتاج عليهم ولا طريق لعتابهم (والله غفور) يغفر لهم تخلفهم (رحم) بهم (ولا على الذين) يعني ولا حرج ولا إثم في التخلف عذب على الذين إذا ما أتوك لتحميلهم) لنعطهم الحولة لينلوا إلى غزو العدو وهم سبعة ضر من بني عمرو بن عوف (قلت لا أجد ما أؤكلكم عليه) أضربت قد قبله

أى قد قلت أى إذا ما أتوك حال كونك قائلاً - لا أجد ما أحلّكم عليه - (تولوا) وهذا جواب الشرط (وأعينهم قفيض من السم) تسيل كقولك قفيض دمعاً وهو أبلغ من يفيض دمعها . فالعين هنا جعلت كأنها كلها دمع فاقض (حزناً) مفعول لأجله (ألا يجدوا) أى بأن لا يجدوا (ما ينفقون) فى الجهاد (أما السبيل) الحرج والاثم (على الذين يستأذنونك) فى التحلف (وهم أغنياء) ثم استأف ليان حاكم فقال (رضوا بأن يكونوا مع الخولاف) أى بالانتظام فى جملة الخولاف وذلك إشارة للدعة والترفع والتنعم (وطيع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون) أمر الله ولا يصتقون (يعتذرون اليك) يقيمون لأنفسهم عذراً باطلاً (إذا رجعت إليه) من هذه الغزوة (قل لا تعتذروا) بالباطل (لن تؤمن لكم) لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لا تتفاء تصديقهم (وسرى الله علمكم ورسوله والمؤمنون) أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه (ثم يردون إلى عالم الغيب) ما غاب عن العباد (والشهادة) ما عمله العباد (فينبشكم) يخبركم (بما كنتم تعملون) وتقولون من الخسر (وعن حولكم من الأعراب) وهم أعراب مزينة وجهينة وأشجع وغفار وأسلم كانت منازلهم حول المدينة أى ومن هؤلاء الأعراب منافقون (ومن أهل المدينة) وهم جماعة من الأوس والخزرج عطف على خبر المبتدأ الذى هو - عن حولكم - والمبتدأ (منافقون) وقوله (مردوا على النفاق) تمهروا فيه . فيه تقديم وتأخير وتقديره - وعن حولكم من الأعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق - (لاتعلمهم) فانهم بالقوا فى النفاق بحيث انك لاتعلمهم (نحن نعلمهم) يعنى لكن نحن نعلمهم إذ لا تخفى علينا خافية (سنعذبهم مرتين) مرة فى الدنيا بأن يعذبوا بأموالهم وأولادهم وتحيط بهم المصائب ويخرج لبعضهم مرض الديلة وهى جروح نارية تظهر فى أكتافهم حتى يخرج من صدورهم بأن يغطوا بدخولهم الاسلام كرها للغلبة والقوة وبأن يهانوا بالفضيحة فان النبى ﷺ قام خطيباً فى يوم جعة فقال اخرج يا فلان . اخرج يا فلان فانك منافق فأخرج من المسجد أنا ما فضحهم . فهذا هو العذاب الأول . وهذه الفضيحة لهم بعد أن أعلمه الله بهم وصاهم له . وأما العذاب الثانى فهو عذاب القبر . وأما الثالث فهو عذاب النار وهو قوله (ثم يردون إلى عذاب عظيم * و) قوم (آخرون) سوى المذكورين (اعترفوا بذنوبهم) لم يعتذروا من تخلفهم بالأعداء الكاذبة كغيرهم وكانوا عشرة فسبعة أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين فأراهم موثقين فسأل عنهم فقيل له انهم أقسموا ألا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم ألا أحلهم حتى أمر فيهم فنزلت فإطلقهم فسألوه ﷺ أن يصدق بأموالهم فيطهرهم فقال ما أمرت فنزل - خذ من أموالهم صدقة تطهرهم إلخ - (خلطوا عملاً صالحاً) وهو اظهار النعم (وأخو سبثاً) وهو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو جمع الباء (عسى الله أن يتوب عليهم) يقول المفسرون عسى من الله واجب ويتوب عليهم أى يقبل توبتهم وقوله (إن الله غفور رحيم) أى يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه وقوله (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم) من الذنوب أوجب للمال المؤذى بهم إلى المصالح كالتمخلف المتكتم (وزكركم بها) ونفى حسانتهم وزفرهم إلى منازل المخلصين (وصل عليهم) وأعطى عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (إن صلاتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم - (والله سميع) باعترافهم (عليهم) بندايمهم (ألم يعلموا) أى المتوب عليهم وغيرهم ليتمكن فى قلوب الأولين قبول توبتهم وليحرص الآخرون عليها (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) إذا صحت والقبول هنا مضمّن معنى التجاوز (وبأخذ الصدقات) قبلها قبول من يثب عليها ويخلف بدلها (وأن الله هو التواب الرحيم) كثير قبول التوبة والتفضل عليهم (وقل اعلموا) ما شئتم (فسبرى الله عملكم) فانه لا يخفى عليه خيراً كان أوشراً (ورسوله والمؤمنون) لأنهم يظلمهم الله على أعمالكم إما بالوحى فى زمن النبوة كما رأيتم . وإما بالعلم الناس ماخى فى نفوسكم كما قيل

﴿ ألسنة الخلق أقلام الحق ﴾ ثم قال ﴿ وستعدون الى عالم الغيب والشهادة ﴾ يوم القيامة ﴿ فيبشركم ﴾ فيبشركم ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ يعنى فى الدنيا . وإعلم أن المتخلفين فى هذه الآيات على ثلاثة أقسام ﴿ أولهم ﴾ المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق ﴿ وثانيهم ﴾ الثابتون المسارعون الى التوبة بعد ما اعتروا بذنوبهم وهم أبو لابة بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وغيرهم وهم مختلفون فى عددهم من ٣ الى ٧ الى ٨ الى ١٠ ولايهم معرفة ذلك ﴿ والثالث ﴾ موقوفون ومؤخرون الى أن يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله ﴿ وآخرون مرجئون ﴾ مؤخرون من أرجائه أى موقوفون وقرئ - مرجون - بفتح الميم وسكون الواو وهما لغتان (لأمر الله) فى شأنهم (إما يعذبهم) ان أصروا على النفاق (وأما يتوب عليهم) ان تابوا (والله عليم) بأحوالهم (حكيم) بما يفعل بهم وإما للسك وهو راجع الى العباد . وهؤلاء ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرة بن الربيع وقصصهم ستأتى فى قوله تعالى - وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت - فهؤلاء تخلفوا عن غزوة تبوك الخ ماسيا في وروى أن بنى عمرو ابن عوف لما بنوا مسجد قباء بشوا الى رسول الله ﷺ أن يأتهم فأتاهم فصل فى غدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نننى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب الذى ترهب فى الجاهلية وليس المسوح ونصير . فلما قدم الى ﷺ المدينة قال له أبو عامر ما هذا الدين الذى جئت به فأجابته ﷺ جئت بالحنيفة دين ابراهيم . فقال أبو عامر فأنا عليها فكذبته البى ﷺ و بعد جدال قال أبو عامر أمان الله الكاذب منا طريدا وحيدا غريبا فقال ﷺ آمين . وسمى أبو عامر الفاسق فقال أبو عامر الفاسق لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك حتى كان يوم حنين فلما انهزمت هوازن فرّ هو الى الشام وأرسل الى المنافقين أن استعملوا ما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر ملك الروم فاتى بجند من الروم فأخرج محمدا وأصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله تعالى (و) فيمن وصفا (الذين اتخذوا مسجدا ضاررا) مضارة للمؤمنين (وكفرا) وتقوية للكفر انتهى يضمونه (وقريبا بين المؤمنين) أى الذين كانوا يجتمعون للصلاة فى مسجد قباء فأرادوا أن يفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (ولارصادا) رقبيا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) وهو أبو عامر الفاسق وقد قالوا لئنى ﷺ نبينا مسجدا لدى العلة والحاجة واليلة المطيرة واليلة الشانية ونحن نحب أن تصلى لنا فيه وتدعو بالبركة فقال انى على جناح سفر واذا قدما من تبوك ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سأله اتيان المسجد فنزلت عليه فقال لوحشى قاتل حرة ومعين بن عدى وغيرها انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه فانطلقوا ففعلوا وأمروا أن يتخذوا مكانه كناسة تلقى فيه الحيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام غريبا وحيدا وقوله - من قبل - أى من قبل بناء هذا المسجد . ألا ترى أنه آلى على نفسه أن يحارب النى ﷺ حتى كان يوم هوارن (ولبحلفق) يعنى الذين بنوا المسجد (ان أردنا) يعنى ما أردنا بينائه (إلا الحسنى) أى إلا القعلة الحسنى وهى الرقى بالمسلمين الخ ما تقدم (والله يسهل اهم لكاذبون) يعنى فى قولهم (لاقم فيما أبدا) أى لا تفصل - فه أبدا (لمسجد أسس على التقوى) وهو مسجد قباء وقد أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء من يوم الاثنين الى يوم الخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة (أحق أن تقوم فيه) مصليا (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من المعاصى والكرم والنفاق واضرار المسلمين والتفريق بينهم ومن الحذب والحب والجاسة والطهارات الباطنة وما يتقدمها من الظاهرة هى التى تقرب العبد من الله ومحبة فى الداس . ولا يقرب العبد من الله إلا صفاء الباطن وكلما صفا قرب وبقدر القرب يكون حب الله (والله يحب للمتطهرين) * أفن أسس بيانه بيان دينه (على تقوى من الله ورضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله (أم من أسس بيانه على شارب

هار) أى أم من أسسه على قاعدة ضبيعة وهو الباطل والنفاق الذى يشبه - شفا جرف هار - أى حوف مكان أكل للماء ملتحته فهو الى السقوط أقرب • فالشفا الحرف والشقير • وقوله - هار - من هارهور اذا تداعى بعضه فى أثر بعض كما يهور الرمل (فأهله فى نار جهنم) فطاح به الباطل فى نار جهنم (ولله لايهدى القوم الظالمين) لايوقتهم للتجور عقوبة لهم على نفاقهم (لايزال بنيتهم الذى بنوا ريبية فى قلوبهم) أى لايزال هدم بنيتهم الذى بنوا حرارة وغيطا فى قلوبهم والحرارة والغيط من رسول الله ﷺ يورثهم ريبية فى قلوبهم وهذه الريبية باقية فى قلوبهم (إلا أن قطع قلوبهم) أى تجعل قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاءها إما بالسيف وإما بملوت أى فهى باقية الى أن يموتوا (ولله عليم) بنيتهم (حكيم) فيها حكم به عليهم • انتهى التفسير اللفظى • وفى هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) فى قوله تعالى - الاتنفروا يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم -

(اللطيفة الثانية) فى قوله تعالى - الاتنفروا فقد نصره الله - الآية

(اللطيفة الثالثة) فى قوله تعالى - اتفروا خفاً وثقالاً -

(اللطيفة الرابعة) فى قوله تعالى - فلاتجيبك أموالهم ولا أولادهم - الآية

(اللطيفة الخامسة) فى قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء والمساكين -

(اللطيفة السادسة) فى قوله تعالى - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الخ -

(اللطيفة السابعة) فى قوله تعالى - ألم يأتهم نبال الذين من قبلهم قوم نوح و عاد وثمود وقوم ابراهيم -

قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -

(اللطيفة الثامنة) فى قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم -

(اللطيفة التاسعة) فى قوله تعالى - وهووا بما لم يبالوا الخ -

(اللطيفة العاشرة) فى قوله تعالى - قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون -

(اللطيفة الحادية عشر) فى قوله تعالى - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون -

(اللطيفة الثانية عشر) فى قوله تعالى - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون -

(اللطيفة الثالثة عشر) فى قوله تعالى - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -

(اللطيفة الرابعة عشر) فى قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله -

(اللطيفة الأولى - الاتنفروا يعذبكم الله عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم -)

حكم الله فى هذه الآية على الأمم الاسلامية أن تصبح فى عداد الأموات اذا هى نامت وادعة ساكنة ولم تسع سعى الأحياء • وأن تكون فى خبر كان • وأن يستبدل بها أئمة أخرى تحمل فى أمانتها • تهديد شديد وعيد عظيم أنزه الله بمن يتركون الجهاد فى خفض من العيش ودعة • ولقد أطال فى ذلك أرسد اطاليس فيما كتبه الى اسكندر يحذره من تركه للمالك الفارسية وادعة وعمل ذلك بزوال السولة وحاول الأثرة وأن الناس يتحملون النقم والشدائد ولا يصبرون على التمس والبعة فان الناس أيام الحروب يكون عندهم من النشاط والحركة وظهور العرائز والقوى الكامنة ما يحرمون منه أيام سلمهم وفى وقت أمنهم ودعتهم وضرب الأمثال على ذلك بأهم خلت ودول مضت وأنهم بدعتهم وسكونهم وخفض عيشهم ذهبت ريحهم • ولقد تبين ذلك فى كل الأمم جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن • هكذا هنا يقول الله - وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم - لأن الوجود فى ارتقاء وتنازع • وكل أمة أطاحت بها السائمة وحلت بها صفات الأمن والبعة والكسل والبطر سالت القيادة لغيرها عن هم أقدر على الحياة وأصبر على الجهاد وأولى بالقيادة ووكلا اليهم أمرهم لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يعيروا ما بأنفسهم والعالم فى صعود فن وقف وأرجع القهقري حل محله من هو أحق منه بالحياة

ذلك هو النظام المستقيم والصراف السوى كما غلبت أمة الترك والفرس الأمم العربية في القرون الأولى من الاسلام ثم غلب التتر عليهم أجمعين . ثم جاء الفريجة فخلوا في ساحة الاسلام . ثم جاء دور الأمم الشرقية وهما ذه تريد أن تلعب دورها وتأخذ من الحياة حظها - ذلك تقدير العزيز العليم - وهذه هي الرحمة الالهية والنعمة الربانية أن يكون العالم في ارتقاء وأن يولى زمامه الأكفأ وأن يظلب بخيلهم ورجلهم الأشداء ليقوموا بأمرهم ويحفظوا نظام ملكهم فليس لله في الأرض من ولد ولوالده ولا صاحب ولا صاحب وانما هو عدل في أحكامه لا يبالى بأهل دين أولفة أو عيى بل حكمه قاهر على الجميع . خنس اليهود فأجلاهم وكسلت طوائف من المسلمين فأصاهم . وخنعت أمم ضالة غيرهما فأرداهم . - ذلك تقدير العزيز العليم - وهذه هي الرحمة في الوجود . يمت من لافعه في حياته . ويحيى من يسى في الوجود لدرس آياته . - إن ربك عزيز حكيم -

﴿ الطيفة الثانية - الانتصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الدين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار الآيات - ﴾
 روى أن رسول الله ﷺ قال للمسلمين يوما لما اشتد بهم الكرب من ظلم المشركين بمكة ﴿ إلى أريت دار هجرتمكم سبعة ذات نخل بين لابتي (وهما الحزان) فهاجوا من هاجوا إلى المدينة ورجع من كان بالحشبة إلى أرض المدينة ﴾ ولقد حبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصعبه وعلف راحلتي كانتا عنده من ورق السمرا ربعة أشهر ثم جاء الأمر بالمهجرة فأخبر أبا بكر فأخذ رسول الله ﷺ إحدى الراحلتين باليمن وقطعت أسنانه بنت أبي بكر قطعة من نطاقتها فربطت به فم الجراب فذلك سميت ذات النطاقيين م توجه ﷺ هو وصاحبه إلى جبل نور فكنا فيه ثلاث ليال وكان يأتيهما خبر للقوم عبد الله بن أبي بكر * واستأجرا رجلا من بني الدليل هاديا خوينا . وانخرت الماهر بالمهداية وواعده غارنور بعد ثلاث ليال * وروى أن المشركين طلموا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله عنه على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعصاهم الله عن الغار فجعلوا ينزدون حوله * وقيل لما دخل الغار بعث الله حامين فباستنا في أسفله والعنكبوت نسجت عليه ثم أن الدليل الذي عاد اليهما بعد ثلاث فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة والدليل المذكور فأخذ بهم طريق الساحل ثم أن سراق بن مالك بن جشم طمع فبا أعلنه كفار مكة من الجعل العظيم لمن قتل النبي ﷺ وأبا بكر وهو ديتهما فتصهما يركض فرسه حتى سمع قراءة رسول الله ﷺ غير ملتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخنت يدا فرسه في الأرض حتى بلغت الركبتين وارقع من ذلك الأثر دخان ساطع في السماء فنادى الأمان وأخبرهما بما يريد قومهما من قتلهما وعرض الزاد والمتاع عليهما فلم يقبلأ وسأل النبي ﷺ أن يكتب له كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتبه في رقعة وكان أهل المدينة ينتظرونه حتى نزل يوم الاثنين من شهر ربيع الأول في بني عمرو بن عوف وبقى عندهم بصع عشرة ليلة وأسس للمسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه ثم ركب راحلته حتى بركت عند مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته هذا ان شاء الله المنزل ثم ابتاع المكان من صاحبيه العلامين وباه مسجدا اه

﴿ الطيفة الثالثة قوله تعالى - اتقوا خفافا وتقالا - ﴾

قد تقدم معنى الخفاف والتقال (وملتخص للعاني التعميم) . فعلى هذا يجب الجهاد على كل امرئ وهما الأمر منسوخ بقوله - لس على الضعفاء ولا على المرضى الآيات - كما سيأتى وبقوله - وما كان المؤمنون لينفروا كافة - ومن العلماء من حل الآية على أن الأمر للندب * وروى أن أبا أيوب الأنصاري لم يخلف عن غزوة غزاها المسلمون مع أنه شهد بدرا ف قيل له في ذلك فقال يقول الله تعالى - اتقوا خفافا وتقالا - ولا أجدني إلا خفيفا أو قبيلا وكذلك سعيد بن المسيب ذهب إحدى عينيه ولم يترك الجهاد وقال ان لم يكنى

الحرب كثرت السواد . وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حصن فلقبت شيخا قد سقط حاجبه على
 صفيه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم أنت معذور عند الله فرفع حاجبه وقال يا ابن أخي
 استغفرنا الله خلفا وتقالا إلا أنه من يحبه يتلبه . هذا ملخص ما يقوله العلماء . واعلم أن التحقيق في
 هذا المقام أن الأمم كلها يجب عليها العمل العام . فأصحاب القوة للنفع . وأصحاب الصناعات لاحتضار العدة
 وكل امرئ في الآية مكلف بعمل لأنه لا بدافع بالرجال أقوىاء ولا دفاع للأقوياء . بلا سلاح ولا وقوف لهم في وجه
 العدو إلا بالعداء واللباس والطرق المنتظمة . ولا طرق ولا غناء ولا لباس إلا بأعمال هامة ومدارس منظمة
 وحكومة فادرة وأمة مستيقظة وإدارة تامة . وهذا ملخص دين الاسلام إذ يقول علماءنا أن الصناعات كلها
 فرض كفاية . فنقول الآن أيها المسلمون أين الكفاية ولا كفاية لديكم ولا صناعة ولا علم ولا حكمة فالجهاد
 واجب على الأمة كلها . وعلى قادة الأمة أن يجعلوا كل امرئ فيما استعد له من عمل نافع لافرق بين كنس
 الشوارع وتنظيف المساكن وتسميد الأرض وبين صنع للدافع والطيارات والكهرباء وما أشبه ذلك . كل
 هذا واجب على الأمة كلها يجب أن تكون عاملة فان لم يفعلوا ذلك أئمتنا أجمعين وعذبوا في الدارين وذاقوا
 العذاب المون اه

﴿ الطبقة الرابعة - فلانجيك أموالهم ولا أولادهم - ﴾

اعلم أن هذه الآية ذكرت في هذه السورة مرتين فيقول هنا - فلانجيك أموالهم ولا أولادهم -
 ويقول بعد آيات ولانجيك أموالهم ولا أولادهم الخ . وقد جاء في أوائل هذه السورة - قل إن كان آباؤكم
 وأبنائكم الخ - فذكر هناك ثمانية أشياء الآباء والأبناء والاخوان والأزواج والعسيرة والأموال والتجارة
 والمساكن وحكم على من يقدم حب هذه على الجهاد بالهلاك والمار والعذاب . ويقول أيضا في هذه
 السورة - قل هل تر بصون بنا إلا إحدى الحسينين - فجعل القتل حسنى معادلا للتصبر وجعل هلاك الأعداء
 بالقتل ثم موتهم وهلاكهم الأخرى عذابا . فقلخص ما نرى اليه هذه السورة بل كل دين صادق . بل
 كل حكمة وفلسفة احتقار الذات والحياة وجعل ذلك كله مقدمة لولوج باب السكال والسعادة . وعلى ذلك
 انقلب الأمر فأصبح ما يفرح به الناس في هذه الدنيا عذابا

﴿ إيضاح هذا المقام ﴾

اعلم أن الانسان في الدنيا يظن أن سعادته فيها بما يناله من لداه الحسية كالطعم والملبس والسكن والأبناء
 والآباء والأزواج والعشيرة . وبما ينفي عنه من الآلام والمصائب فيبقى حيا سليما مدى الحياة طويلا العمر .
 ثم هو أبدا معذب بهذه الأتقال والأحجال فهو أبدا في نصب بما يصب الأهل والمال والولد وجيع ما حوله
 وبما يصيبه في جسمه وهذا عذاب دائم . فدنيا يظن نفسه في سعادة إذ هو أبدا في شقاء بما ظن أنه سعادة
 ولقد تعذب عنه هذه الأحوال والأوصاب ساعة النوم والاعظام والسكر القوي والتنويم المغناطيسي فالتائم
 لا يحسن بما يناله من النعم بارتكاب الديون . وكذا المعنى عليه والسكران وهكذا النوم تنويم المغناطيسيا
 يخيل اليه وقت النوم ما يريده من النوم فيقال له أنت ملك كريم أو ملك عظيم أو بهيمة أو غنى أو فقير فينشكل
 كما يوحى اليه المتنوم بالسكر . ولقد شاهدت ذلك بنفسى في مصر على مرأى ومسمع من العلماء والأطباء
 الذين شهدوا هذه الحقائق وأقرروها . فها أنت ذا ترى أن ما يحمله من الأتقال قد زال عنا في بعض الأوقات
 لعارض كما يزول عنا الألم إذا شاهدنا رجلا يقتل قصاصا أو مصرا يشرب شرابا أو أفا لا تألم لاعتالم لعلمنا باستحقاق
 الأول ومنفعة الثاني . ونرى الطبيب يقطع عضو المريض لغرض الشفاء فساعدته ونشكره . ومحارب
 أئمة سلت علينا وقتل رجالها ونحن فرحون . فهذه أحوال عرضت لنا غرت أفتكارنا فجعلت المكروه
 محبوبا وصيرت المؤلم لذيذا . ولطالما غرت البشاة أحكامنا فجعلنا الضعة شرقا والنرق ضعة فيقول الفرنسي

لابد من أن يرقص رجل مع امرأتى والا كان ذلك عارا على . ويقول الشرقي ان حصل ذلك فهو عار على كل ذلك فعل البيضة . فتعجب كيف انقلبت اللذات آلاما والآلام لذات بأحوال عارضة . فانظر كيف جاء القرآن بما هو أهم وأعم . وجعل كل ما ملكه وما يلدنا قمة علينا ان أمسكناه لذاته ونعمه اذا جعلناه للنسفة العاتية وأفادنا أن ذلك في كتاب . وأن ذلك على الله يسير . وقال - لا تعجزوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم - أنا وقت النوم أرحتكم من تعب المصاب ووقت الانغماء والضعف العظيم المفسد للقوى العقلية كحالة الهرم التام . وهكذا أجعل العاشق لا يبالي إلا بأن يصل الى ما تنى من محبوبه ولا يبالي بغيره في الدنيا . وربما عشق الانسان وطنه أو علماء من العالم فذهل عما سواه . فبالنوم أرحتكم وبالانغماء وبالعشق العادى والوطنى والعلمى غيبت أحوالكم القلبية

فها ما ذا أوجهكم بالدين الى الاجتهاد . واذا كان بعض عبادى يعشقون انسانا عشقا مفرطا فيغيبون عن كل ماسواه سواء أكان المحبوب ذاتا أو وطنًا أو علماء . فها أنا ذا فتحت لكم باب العشق العام فلجوه وطريق الحب الحقيقى فاقصدوه فلتكنوا آباء كراما لأمتكم ولتكن أموالكم وأبنائكم وأخوانكم وعشيرتكم وهكذا علومكم وقوتكم وجبلتكم وقفا على الجهاد فى سبيلى فاذا نصرتم فالنصر منى واذا قتلتم فالى ترجعون

(ظاهر هذه السورة العذاب وباطنها الرحمة)

ان هذه السورة نزلت لسيف وقد تركت البسملة فى أولها لأن التسمية للرحمة وللازمة هنا . هنا ما قاله العلماء كما تقدم . ولكنك اذا تأملت سورة القاتعة وأن الانسان يقرأ صباحا ومساء . الرحمن الرحيم - ويحمد الله رب العالمين . اذا تأملت ذلك أيقنت أن الرحمة غالبية . وها أنت ذا تراها ظاهرة فى هذه السورة فانه وان طلب ضرب السيف فقد زال أغلال الحياة عن الأعناق ووجه القلوب الى وجهة واحدة . ويقول علماء هذا العصر ان الأمة وقت الحرب نحس بنشاط وفرح لاتحمل بهما وقت السلم فانظر كيف انقلب الأمر وأصبح الحرب الذى يكرهه الناس نعمة والسلم والدعة والنعمة التى لاحركة فيها قمة . وهذا هو سر هذه السورة . فالساكن والملابس والأولاد والمال كل ذلك معائب عاجلة بالتواتى والكسل والنوم وهى نعمة باستعمالها فيما خلقت له . وان أردت تحقيق المقام فاقرأه فى سورة البقرة فى الصف الأول منها فافهم

السعادة لا تشتري بمال

(رجل يشترونى بجيوبه ٦٠٠٠ جنيه)

جاء فى بعض مجلاتنا المصرية فى ١٠ ابريل سنة ١٩٣٦ ما يأتى
يرى زائر شواطئ بحيرة كومو الجبلية فى ايطاليا قصرا أنيقا يقع وسط حديقة زاهية منرامية الأطراف وله
لير البصر فيه طويلا ثم يسأل لمن هذا القصر الباذخ والروض الناضر فى هذا الجوار الخلدلى والبقعة
المسروقة من الجنان ويتمنى لو قدر له ان يضى بقية حياته فى ذلك النعم الشامل . ثم يسأل أحد المارة من
الوطنيين عن اسم صاحبه السعيد ولكن ما أعظم دهشته عند ما يرفع هذا أكتافه ويحجبه بأن صاحبه كان
(جوز بوجينى) الذى كان يعيش فيه وحده مع خدمه العبيدين وكلابه التى كان يحبها . وكان أهل
البقعة لا يعامون من أمره كثيرا ولكن كانت تسمى الاشاعة بأنه كان شبيها نعتا لا يعرف السعادة رغم
ثروته الطائلة

كان (بوجينى) وحيدا وحلة قاسية . وكان يمكنه أن يشتري الأصحاب بماله الكثير وبذخه الوافر .
ولكنه ما كان يأبه لذلك فلم يكن له أصحاب حقيقون وكان يندر أن يزوره زائر ولم يكن له أقارب ولم
يتزوج وكانت حياته حياة عزلة ونسك . كان (بوجينى) فى وقت من الأوقات عاملا بسيطا فى نيويورك

حيث تمنحس بالجنسية الأمريكية . وبمرور الزمن جمع ثروة تقدر بالملايين ثم رجع الى موطنه الأصلي ليستمتع
بثمرة ما جمعت حياة الكد والاجتهاد . وظهرت له بحيرة كورمو بعد غيبته الطويلة جنة خالدة لا ينقص كمالها
أى ترف أورغد يشتريه للمال فآمن بالسعادة هناك . ولكن جاءت بعد حين ساعة الخيبة التى تنهار فيها
صروح الآمال والأحلام فقد اشترى بماله القصر والروض وكل أسباب الراحة والكمال ولكنها لم تستر له راحة
الفكر والرضا بكل ذلك فغلّ كل ذلك وشتمه وحنّت نفسه الى تلك الأيام التى كان يكسب فيها ويكدح طول
نهاره من أجل بضعة الدراهم القليلة التى كان يكسبها فى يومه . والآن قد أنهى (بوجينى) حياته القلقة
النائرة حيث وجده خدسه فى صبيحة يوم مشنوقا فى شجرة من أشجار روضه الزاهر . وبجانبه هذه الرسالة
الوجيزة (لقد كشفت أثناء حياتى الطويلة أن أكوام المال لا تشتري السعادة الحقيقية وإنى أذهب من
هذه الحياة لأنى لا أقوى على احتال وحدتها وما أشعر فيها من سأم عند ما كنت عاملا بسيطا فى نيويورك
كنت سعيدا جنلا . ولكن الآن مع هذه الملايين أشعر بحزن دأب وأفضل للموت)
ووجد فى جيبه ستة آلاف جنيه كتب عليها (الى الجحيم) ثم أخذ البوليس يبحث عن ورثته اه

(جمال هذه الآيات)

كثرت ذرية أدنى الحيوان وأغذيت ولم يحشم نصاب ولا ألما . والانسان ناله الألم بذريته مع قتلها وبما
ملك من الأموال ليعلم أنه فى دار ليست بدار قرار وإنه سائر الى ربه يعيش بجوارحه كما قال تعالى - ومن كل
شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرزوا الى الله أنى لكم منه نذير مبين - جمال هذه الآية - فلان نجيبك
أموالهم ولا أولادهم الخ - هو الظاهر فى هذا الوجود المنجوه عن القلوب لأن أكثر الناس لا يعلمون
الهمم لك أنت الظاهر بجمالك . العظيم بحكمتك . الجليل الجيب الصنع البديع الاحسان . اللهم انك
أنت الذى ملأت السهل والجبل والنهر والحقل بذرية الدباب والجراد وحشرة أبى دقيق ولم تحشمها نصبا
ولا ألما فى تلك الثرىة وملكت بعض تلك الحشرات عيوننا وأجسامنا وأمتعتنا والذئذ من أغذيتنا وسلطتنا
علينا بالعذاب فتلقى فى أغذيتنا وفى أجسامنا بنور الأمراض والحيات والمهلكات - إن رقى لطيف لما يشاء -
أنت الذى جعلت الحيوان على ثلاثة أقسام . قسم يترك بيضه فى العراء كالجراد والدباب الخ ولكن هذا
القسم أنت أعطيت له لما يحبب لبيضه فى أما كن تناسبه كأغذية الانسان وروثه وبعوض صفار والقانزورات
وذلك فى الدباب وفى حقول مناسبة على بعد مخصوص فى الأرض وذلك فى الجراد وهكذا . ثم إن الدبابة
والجرادة ونحوهما تموت . وأنت الذى تتولى شؤون ذريتها فتعلم السهل والجبل والناس يحاربونها ولكن
تلك الحشرات وأمنائها غالبات قاهرات على طول الزمان . وقسم أمرته بأن يحضن بيضه الى أمد معلوم
وذلك لأنه أرقى فأهلمت للحاجة والحماة والانات من أنواع الدراج والبط أن تحضن بيضها فاذا فقس أمرتها
أن تلاحظها الى أمد قليل ثم تستقل القرية وتضل مافعل الآباء . ومع هذه العناية كانت الذرية أقل من
ذرية تلك الحشرات كحشرة الفز وحشرة أبى دقيق والدباب الخ . والقسم الثالث ما حكمت عليه . بالجل
والارضاع وهى ذوات الأربع . وكلما ازداد هذا القسم كالا زده عذابا فى ذريته كالثعلب والفيلة والقردة
والانسان وهو أكثر تلك الحيوانات عذابا بذريته وماله . وكلما ارتقى فى سلم المدنية ازداد عذابا بالثرىة
فيعيش الانسان مجدا كادحا لثرىة بفيه وبناته الذين قل عددهم ولا تقتصر على الارضاع والكسوة والتغذية
بل يدخلهم المدارس ويضج حياه بهم . وهو كلما كثرت آماله وأمواله وذريته ازدادت همومه . فاعجب
لهذا الوجود . ذبابة تكون الأجيال الناشئة من ذريتها فى السنة يزيد عن مليون ذبابة وهى كلها تلك
أجسامنا وأغذيتنا ولا نصب يغشاها ولا تعب . وانسان بلد عدة أصابع اليد الواحدة وأقل فيعيش فى
نصب وتعب وهو مكذوب وموقليل للمال كبر النصب والتعب لا يتسنى له أن يدخل منزل جاره إلا بأذن ولا

ياكل الانصب وتعب . وهذه أبيحت لها الدنيا وغلبتنا وقتلتنا وأسكت زرعنا . هذه صورة الحيوان
والانسان . فاجب أيها اللذي هي وتأمل كيف تلد النباية مئات الالوف بالتناسل في الأجيال كل سنة ويلد
الانسان قليلا وهي لاتعذب وهو في العذاب مغمور . وكيف يشاهد الناس ذلك صباحا ومساء وهم لا يعقلون
اللهم ان العلم مشاهد محسوس وأكثر الناس لا يعقلون . أنت يا الله بسطت العلم أمام أعيننا وأمرت
النباب فباض في أفئتنا وأمرته أن يلقي علينا دروسا من الأمراض في أغذبتنا وقتل له نبيه هذا الانسان
ياذباب وقل له هاأنا ذا منم بمالك كثير الثرية وأنت تشقى بمالك وولدهك قليل الثرية . سلطنى الله عليك
لتبفض عالم المادّة وتحقّق الى عالم الأرواح وتبحث بعقلك عن حياة أسعد وهي التي بعد موتك بلقاء ربك
والعالم الروحي . فهاأنا ذا أريك أيها الانسان اننى أسعد منك حالا ومالا وثرية لأوظفك للخروج من حياة
المادّة . ولما جهل الناس منطق الطير ولم يعقلوا ما حوّلهم من الضرّ والشرّ أقامه على ألسنتهم في محافلهم
ومحاوراتهم بطريق الالهام

(ألسنة الخلق أقلام الحق)

لما حكم الله على الناس بعذابهم في أمواهم وأولادهم ولم يهملوا منطق الطير كما قدّمنا ولم يدركوا سرّ
هذا الوجود ولم يفقهوا أنه بذلك يريد إخراجهم حتى يحنوا الى عالم أرق خاطبهم بما يلقيه على ألسنة الرجال
والنساء في كل زمان ومكان فتراهم يتبدمون ويتأفّفون من هموم المال وهموم الثرية . ويقولون للراة ماذا
أصنع يا بنى وقد قلّ لبنى وقلّ مالى . ويقول الرجل ماذا أصنع انى لا أجد مالا لتعليم ابنى . وإذا أصابه ألم
ونصب بكى وبكت امرأته . وهكذا تراهم مغتمين اذا اجتاحت للمال جامحة أو أصابته ملة . كل هذا وهم
يشاهدون الحشرات طافقات فرحات سعيدات كثيرة الثرية فكل ماتسمعه من تألم الرجال والنساء لأموالهم
وأولادهم هو نفسه ما يشاهدونه في الطبيعة فالسنة الخلق في ذلك ناطقات بما خطه الله في هذا الوجود وكتبه
بحروف كبيرة مجسمة منظورة يشاهدونها ولكنهم لا يعقلون وقرّبها اليهم بألسنة صباحا ومساء . فإذا قال
الرجال والنساء ما أتقص هذه الحياة الخ فهو نفسه الذى ألقته النباية والحشرة عليهم وهم لا يعقلون
(ظهور هذا السر على ألسنة الشعراء) ولما كان الشعراء هم أضح هذا النوع الانساني وهم الناطقون بماله
من وجدان . أبرز الله هذا السر على ألسنتهم وزاه كثيرا في الشعر العربى فترى المتنبي يقول
كل من فى الكون يشكو دهره * ليت شعرى هذه الدنيا لمن

وترى الشاعر الانجليزى (ترنن) يقول ماملخصه (ان الناس قسمان) قسم صف الدنيا لهم فأقل ألم
يرجعهم فهم دائما فى نصب وألم . وقوم عاشوا فى شظف العيش فأحسوا بأقل نعم وانشرحوا صدورا .
وهذا نص ما ترجمته من شعره الى لغتنا العربيه اجابة لطلاب التلاميذ بالمدارس الثانوية فى كتابى المسعى
(جوهره الشعر والتعريب)

* أيدوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء *

(من شعر ترنن الشاعر الانجليزى)

قوم صف الدنيا لهم * وسأؤهم محو عجب
فيها شمس وبها مر * لم يحجبهم عنها حجب
فإذا ما عبرت بأقبحهم * مقدر الظفر له غضبوا
وفريق عاس وحدهم * ليل فيه السود النوب
فإذا نحوا من بارقة * فرحوا جذا وبهم طرب

هذا مثل فيه عظة * لقوى التوفيق اذ انصرفوا
فانظر زمر اسكنوا مصرا * وبنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نم فيها نم * فاذا راحت فلها لجب
يشكون الدهر وما نصبوا * ان شاكم وبرصنصوا
فكأن الفضل بما طلبوا * عما من عليهم حوب (١)
وكان المال جهنمهم * وثرأ المال لهم عطب
وترى رهط اسكنوا الأكوا * خ فذا شعر هذا قصب
وحياتهم في مخمصة * ومعيشتهم أبدا وصب
جدوا الرجن على نم * وبه فرحوا وله انتسبوا
فكأنهم لما سلبوا * ما أعطاهم منه كسبوا
فالجب كساهم من حلل * وبكأس سعادته شربوا

وهاك موازنة بين أبي العلاء * وبين شارل وكذا شكسبير منقولاً مما فظمته ترجمة في ذلك الكتاب
قال أبو العلاء *

للحال بالقدر اللطيف تغير * فلينا عنك قفاول وتغير
من أحسن الاحداث وصفك غابرا * في التراب يا كله تراب أغبر
ما قيل في عظم الملوكة وعزهم * فأنه أعظم في القياس وأكبر
وكأنما دنياءك رؤيا نائم * بالعكس في عقي الزمان تفسر
فاذا بكيت بها فتلك مسرة * واذا تمحكت فذلك عين تعب
فالعين تبكي في المنام وتحتل * فرحا وتمحكت في الرقاد وتعب
والنفس ليس لها على ما نالها * صبر ولكن بالكراهة تعب
يفعلو للمدحج بازيا أو أجسدا * فيروح محتكا عليه القبر

وقال أيضا

أليت لا ينفك جسمي في أذى * حتى يعود الى قديم النضر
واذا رجعت اليه صارت أعظمى * ترابا تهافت في طوال الأعصر
هون عليك أنلت نصرا في الوغى * أم طال جدتك صادقا لم تنصر
كسرى أصاب الكسر حارب ملكه * والقصر كثر على تطول قبصر

وقال شارل

لاتفخرن بما أوتيت من نم * ماذا التكاثر بالأوهام والعدم
لا يدفع القدر المقدر ساقية (٢) * من الدروع ولا حسن على علم (٣)
بل يتنقى الموت أسياف الفتاة على * هام الملوكة ذوى التجان والأثم
والفأس والمنجل للعوج صفحته * كالصولجان ونابح الملك في الرغم (٤)
كم فارس بطل بالسيف مشتمل * يسطو على أجل في الحل والحرم
وحاصد هام قوم من منابها * فأثبت أرضها زهرا بسفح دم
فصار اكيله في يوم زينه * قد أبسوا للنايا فاقدى النسم

(١) سلب للمال (٢) الدرع الساقية الصافية (٣) العلم الجبل (٤) جمع وغام التراب

إما على عجل للموت أو مهمل * خروا جثيا (١) ونال الرغم كل فم
حتى قضوا نحبهم صفرا وجوههم * عبدان ذل غما يشكون من ألم
وزهر اكليهم ذوا ومتثر * ولم يكن قبل إلا عقد منتظم
لا يصحبنك ما أوتيت من شرف * أولت من ذهب أو بطش منتقم
وانظر إلى القاهرة المتهور كيف قضى * وهاطل السم في الأنصاب كالديم
وأودعوا حفرا يا بئسا نزلوا * عليهم سحف من دجية الظلم
لكن على جث الصدقي قد سبقا * ريحان والندمن عدل ومن كرم
وقال شكسبير - كل من عليها فان -

إن الحياة وإن غرّت مظاهرها * فاعلم هي وهم ذائب الصور
قد مثلت في خيال الوهم بارزة * في ساحة العلم للمتد في الفكر
كما ترى في خيال الظل من صور * حتى إذا كملت بادت على الأثر
وكل قصر رفيع شاده ملك * فيه الخنايل تخشا ما قوى العصر
كذا البوج مشيدات على صعد (٢) * مكلمات بما في السحب من أطر (٣)
وكل ما أورثته الأرض من عرض * تبسدها عدما يوما يد القدر
وانما عنصر الأجسام من سدم * مكونات من الأحلام والعصر (٤)
ضاع من المؤلف كتابه فيه تطبيق فقال قبل أن يعثر عليه

يقولون إن العلم لهم دافع * فكيف رأيت العلم يدني من المهم
ألم ترى ضاع مني مؤلف * نفيس فلم أصبر على ذلك الغرم
لأنني قد نظمت بين عقوده * فرائد حتى لا يشذ عن الفهم
قضاء قضاء الله في عالم الدنا * فلما من الآساد ففرق في اليم

هذه أقوال المشهورين من شعراء الغرب والشرق * اتحد للمتنى وأبو العلاء من الشرق مع (نرش
وشكسبير وشارل من الغرب * بماذا نطقوا * نطقوا بما نطقت به هذه المخالقات حولنا * نطقوا بما
نطقت به الطير والحشرات القاتلات بلسان حالها أتم أيها الناس مسجونون في أموالكم وأولادكم أما نحن
فأنا في محبوبة النعيم * نلد الآلوف ولا نحزن ولا نجنح ولا نصب في الترية والله تولاها عنا * هذا كلام
حشرة أبي دقيق والجراد والنياب وحشرة دود القطن * إن العالم الذي حولنا كله ناطق ونطقه أفصح من
نطق اللسان * إن العوالم التي خلقنا فيها جبلية وناطقة ولكن أكثر الناس لا يعقلون ولا يفهمون * وبهذا
فهم قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فنحن خلقنا العوالم حولكم أنوارا
فتولدت وكثرت ولم نمان ماتانوم مع قتلكم * نريد بذلك أن تتذكروا وتعلموا وتفهموا أن حياتكم
الحقة لاتكون هنا على الأرض ولا في عالم المادة التي تزونها بل في عالم أجل * ولذلك رب عليه قوله تعالى
- ففروا إلى الله - والآية هنا موضحة لتلك الرار إذ أبانت أن الناس في عذاب بأموالهم وأولادهم * فهذا
هو سبب الفرار وطلبه * ويقول الله في آية أخرى - وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفي إلا
من آمن وعمل صالحا - فالمال والولد بعثبان وهما لا يقربان إلى الله لأنهما وسيلة والوسيلة لاتكون مقصدا
فاذا جعلت مقصدا ساءت الحال وكانت سجننا وكفرا كما قال تعالى هنا - وترحق أنفسهم وهم كافرون -

(١) جالوسا على الركب (٢) الصعد جمع صعود وصد هبوط (٣) أطر جمع إطار ما أحاط بالشيء (٤) البصر الفساد

(إيضاح)

لما وصلت الى هذا المقام حضر أحد الفضلاء من أهل العلم . ولما اطلع عليه سألتني قائلا . أين النطق الذي في الخفوقات حولنا والناس لا يفهمونه كما تقول . فقلت نطق الطير ونطق الخفوقات كلها . فقال ما معنى هذا القول الذي يشبه قول الصوفية والرموز التي لاتعبد . فقلت نحن الآن في مقام الحكمة والعلم والبرهان . ان الطير ناطقات بما ذكرناه الآن . ولكن العامة والجهلاء يظنون أن النطق هو ما تفتنى به أو تناغى به أمثاله . كلا بل نفس الطير والحشرات وجميع الدواب عبارة عن كتاب كتبه الله بيده . كتبه لنا وأكثرت الناس لا يعلمون . ألم ترالى ما ذكرته من حكم الحشرات وتبيان حياتها وموازنتها بحياة الانسان . ألم يكن هذا أفصح من نطق اللسان . أليس نظام دريتها وتديرته الله في حفظها وجسده لنا في أموالنا وأبنائنا كافيات في فهمنا أن حياتنا عذاب فلما أن جهل الناس هذا الكتاب الذي كتبه بيده أنطق الله بهذا المعنى الرجال والنساء ويتم بالشراء من العرب والجم كما تقسم وأنزل في القرآن ما تقدم من الآيات يقول - وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو - ويقول - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعل - كما تقدم ويقول هنا - ولاتنجبك أمواهم وأولادهم - . أليس هذا هو الذى يقوله الطير في جوف السماء . فقال مامعنى هذا . فقلت الطير مخلوق ترفع في الهواء وتعالى عن الهوام في التراب والسماك في البحر والبهائم في الأرض . نظر الطير اليها نظر احتقار وفارقتها وساح في الهواء والحرية . الناس يرون هذا وكأن الطير يقول أيها الناس اعبروا البحر وسيروا في الأرض وطيروا في الحق . فهذا كله لايعينكم شيئا فأتم محبوسون في الكرة الأرضية وفطركم تحمى الى عالم أرقى فاخرجوا الى عالم أعلى بالعمل كما خرجت أنا من عالم الماء والتراب وظاهر الأرض الى الهواء . هذا هو بعض النطق الذى نطقه الطير لسلبان عليه السلام في قوله تعالى على لسانه - يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا هو الفضل المبين - فهل ترى أن إيتاء كل شيء وإيتاء الفضل المبين لعمان ضلالت تخطر بفرأى الطيور في جوف السماء . أم هي هذه المعاني وأمثاله التى نطق بها كل شيء قبل نزول القرآن كما قال تعالى - قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء - فنطق الناس بالتدريج من الحياة . ونطق الشعراء كذلك . ونطق الطير في الهواء . ونطق كل شيء هو الذى نزل به القرآن فقال لنا ما قالته الطيور والحشرات والهوام والشعراء . وذنم لنا المال والولد الذين هما وسيلتان لا مقصدان . لماذا . لأن الاسلام دين الفطرة . فيها أنت ذا رأيت الفطرة في هذا المقال واطلعت عليها . وهذه الفطرة التى أبرزها الله بتنويره لحلقه في طير وحشرات وغيرها وفي كلام الناس والشعراء أبرزها في القرآن . هذا معنى كون القرآن - ذكرى للعالمين - أى يذكرهم بما حولهم وما تحس به نفوسهم وهم عنه غافلون

(غفلة الناس عن الجبال وعن الفهم وعن النعم عامة)

قاعدة . قد يكون الناس أشد غفلة عن أعظم النعم وأوضح النطق وأبهر الجبال . ألا ترى أنهم لا يعتبرون الهواء نعمة مع أنه أهم من الحبز والماء ذلك لأنه مبنول لهم وهم لا يشعرون النعمة حتى قدرها إلا إذا منعت وعلى قدر المنع يكون حفظ الجبل . لذلك يفرحون بالحلى من الذهب والفضة أكثر من الحر والبلحيز أكثر من الماء . فاما الهواء فلا يذكرونه . إذن معرفة النعمة معكوسة مقالوبة . ثم انهم يخطئون لسان أفصح من المقال في أنفسهم وفيما يتعلق بهم واللسان الذى يخطبون به أفصح من اللسان المتداد جثا فالجوع والبرد والمرض والعطش وآلام الأم لبيك الرضيع . كل هذه ألسنة ناطقة تحتهم على الأكل والشرب واللبس والتدليوى وارضاع الولد فقد بمتلون ولكنهم لا يمتثلون أن هذا افهام وتفهم بل يساقون لها كما تساق الأنعام . وإذا ساقهم تلك الآلام التى جعلناها أفصح من الألسنة فاهم كثيرا ما يألمون ولا يعاقون مثل ما يألمون من عموم الحياة فلا يعاقون ما المخرج . ومثل ما يحصل للساكنين الآن من الذلة بسبب جهلهم وقلة اتحادهم

وتخاذلهم فأذلهم الأمم . كل ذلك حاصل وهم لا يعلمون أن ذلك كله أفصح من اللسان وأوضح بل هو أفصح من منطق الجوع والمرض . لذلك أنزل الله في كتابه - ففرّوا إلى الله - وأنزل - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - وأنزل ما هنا وهو أن الأموال والأولاد عذاب . وكما غفلوا عما ينزل بهم من العذاب غفلوا عما حولهم من الجبال الذي يطالبهم بارتقاء نفوسهم . فبينما أموالهم وأولادهم تعذبهم يرون النجوم الجيلة الرائقة تنظر إليهم باسمه وتشرق حولهم ضاحكة وتشير إليهم مسلمة وهي باهرة الجبال حسنت الأشكال تناديهن أن اتهنزوا الفرصة اليوم واجعلوا أموالكم وأولادكم معينين على إسماعل للجموع الانساني حتى لا تنسجنا فيها لجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل للمنافع العامة حتى تحفظوا بالجبال الذي تجهلونه اليوم . إن من الناس من يدرك جبال النجوم وهو في الدنيا فيعشق العلوم عشقا فيكون عنده المال والولد ولكنه مغرم القلب بالعلوم فلا يصدّه مال ولا ولد عن ذلك الجبال ويجهاد بنفسه وبماله في سبيل المصالح العامة التي سقت لها هذه الآية حثا لأصحاب النبي ﷺ على الجهاد والخروج من سجن للمال والولد إلى إسماعل للجموع

﴿ ظهور بعض سرّ هذه الآية في هذا الزمان ﴾

لا تظن أن النوع الانساني غافل عما ذكرناه . فاعلم أن الحرب الكبرى إنما جاءت من أجل المال والاستعمار والاستئثار بالسلطان . ظهرت الاشتراكية فانظر الكلام عليها في سورة القرة عند آية الربا . هناك تعلم أن القوم يريدون أن يكون كل امرئ مساعدا للجموع أي أن يكون الناس كأعضاء جسد واحد وتكون للمنافع أكل . وهناك ذكرت لك أن الاسلام لم يقتصر على الزكاة بل جعل مال المسلم للجموع طوعا لا كرها . ومن عجب أن هذه الفكرة منتشرة بين مئات آلاف الآلاف من الناس . فقد جاء في الأخبار أيام كتابة هذا الموضوع في أواخر شهر ابريل سنة ١٩٣٧ أن شابا فقيرا اشترا كيا لا يجد قوت يومه قد وقفه الله إلى كشف حديث في التصوير التمسى أكثر اسرعا في إبراز الصور بأعمال قليلة فباعه بنحو مائتي ألف جنيه فزل عنه جمعه فبضه إلى المعوزين من المصورين وبضه من غيرهم . إذن هذه التعامل في أصلها موافقة لفطرة لأنها تجعل الناس ينفع بعضهم بعضا ويخرجون من ذل المال بالمساعدة العامة . إذن القرآن نطق بما في الفطرة . والفطرة أبرزت هذا المذهب . وإياك أن تظن أني أبيع الاشتراكية كذا وإنما أقول معنى هذا أن الناس لما رأوا الشح المطاع والهوى المتبع خرجوا يعقوبهم من ذلك بما يقولون ولنا ندرى ماذا يصنعون . وإنما المهم أن القرآن طلب أن يكون الانسان مساعدا للجميع فرفاه . فإذا كان عملهم موافقا له كل الموافقة أقرناه وإن انحرف عنه نبذناه أو هذبناه فليس المقام في الاتباع وإنما المقام في الحكمة والعلم وموافقة القرآن لفطرة الانسان وهذا هو معنى كونه دين الفطرة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل اهـ

﴿ اللطيفة الحاسنة - إنما الصدقات للفقراء والآيات - ﴾

- (١) لا يجوز صرفها إلى بعض الأصناف مع وجود الباقي وهو قول عكرمة والشافعي . وقد سقط سهم العامل وسهم المؤلفة قلوبهم إذا قسم للمرء زكاته بنفسه ويعطى ثلاثة من كل صنف
- (٢) لو صرف الكل إلى صنف واحد أو إلى شخص واحد جاز من هذه الأصناف كلها وهو قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وسفيان الثوري وأصحاب الرأي وأحمد بن حنبل
- (٣) إن كان المال كثيرا يحتمل الأجزاء فرقه على الأصناف كلها وإن كان قليلا وضعه في صنف واحد
- (٤) بقدّم الأولى فالأولى من أهل الحاجة . فإذا رأى الفقراء حاجتهم أولى فقدمهم وهكذا وهو قول مالك ومتى أعطى أحدا صدقة وجب أن لا يزيد المعطى عن أقلّ مقدار يسمى به غنيا فأقلّ المعنى لا يجوز الإزالة عليه . وللازمة هنا مجال في المقدار الذي يعطى وكل يرى بحسب اجتهاده . فالشافعي يقول بوجوب دفع

الحاجة من غير حد • وأبو حنيفة يكره أن يعطى رجل واحد مائتي درهم • وأحمد بن حنبل كره أن يعطى أكثر من خمسين درهما

واعلم أن الحق يؤخذ من مجموع هذه الأقوال • فقل رجال الحمل والقد في الأم الإسلامية أن يؤلفوا لجنا تنظر في أحوال الأمة • وهناك توزيع الصدقات توزيعا شريفا • وأهمها أن تصرف لأرباب الحرف الشريفة النافعة للأمة فيكسبون من كد أيديهم • ويجب أن يمنعوا عن الكسالى ويأمرهم بالشغل يعطوهم من الزكاة على مقدار ما يساعدهم في اجتهدهم ولا يعطوهم جزافا • فالحق في هذه المسألة قد تضمنه أقوال الأئمة رضوان الله عليهم وعلى الأمة الإسلامية الجهد والاجتهاد • وهام أولاد قد رأوا بأعينهم كيف أدت الفعلة إلى ضياع بلادهم وجهالتهم العمياء وإلى الله عاقبة الأمور

﴿ الطبقة السادسة قوله تعالى - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب الخ - ﴾

اعلم أن هذه السورة قد خالت أكثر القرآن • ألا ترى أن الله مارك معيرة ولا كبيرة في غزوة تبوك إلا أحصاها • فيعجبها محكة يصحكها الأصدقاء فينزل الوحي بالمؤاخذة عليها • إن هذا الأمر عظيم وقد عهدنا النبوة لاتبالي بشئ هذه والنبي ﷺ عفو فكيف رأينا الله في هذه السورة يحصى على الناس محكمهم في أوقات خلواتهم فإذا سئلوا قالوا - إنما كنا نخوض ونلعب - ثم لنهم يهتدون بالهلاك العاجل والعقوبات العظيمة وانظر كيف يقال لهم - كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - وذكر قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتسكات • كل ذلك تهديد للمنافقين الذين يمد عليهم تلك الهبات والضحكات فيأبى شرى كيف انقلب الأمر في هذه السورة حتى أصبح المسلم يؤاخذ على محكة يصحكها ويهدد بانه أصبح كالأم السابقة

﴿ الجواب ﴾

اعلم أهلك الله الرشد أن هذا هو النظام الذى يجب اتباعه فإن الأمة إذا تركت بعض أفراد منها خارجين عن نظامها يحترقون دينها وعقائدها ويخرجون عليها كان هؤلاء جرثومة فساد يسرى في غيرهم ومثل هذا الداء إذا انتشر في الأمة ضاعت قوتها وزهبت ريحها • فالاتحاد لا يكون إلا بفكرة جامعة • ولا جامعة في هذا المقام إلا الإسلام • فإذا سخروا منه فلا دولة ولا نظام ولا حرب • إنما يحاربون باسم الدين • فإذا سخروا منه فقد دل على كرههم له فاذن لا حرب ولا نظام ولا غلبة على الأعداء • واعلم أن الأمة الإسلامية اليوم لم يضعها إلا جهلها • فلاهى بالدين اتحدت ولا بعيره اتفقت • وسيكون لها بعد اليوم شأن ورفعة ومجد - والله هو الولي الجيد -

﴿ جوهره في الكلام على قوله تعالى - قل أباؤه وآبائه ورسوله كنتم تستهزئون - ﴾

الكلام عليها ينحصر (١) في الاستهزاء بالنبي ﷺ (٢) وفي الاستهزاء ببعض اللذسين للدين (٣) وسبب ذلك الاستهزاء (٤) ونتيجته من ازدياد الجهل في المستهزئ وازدياد العلم والسعادة في الدنيا والدين للمستهزأ به

(١) أما الاستهزاء بالنبي ﷺ فقد علمت • وذلك أن بعض المنافقين أخذوا يخوضون في الحديث في غزوة تبوك • ويقولون انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام الخ ما تقدم • ولانهم رأوا ذلك الاستهزاء راجع لقصر النظر وضعف البصيرة

(٢) أما الاستهزاء بالمستدين فذلك مستفيض في الأم الإسلامية المتأخرة • وبيانه أن المسلمين بعد العصور الأولى خرب عزائمهم وضل كثير منهم طريق التعليم بسبب الأحاديث التى وضعها الراضعون كما في كتاب (الاقنان في علوم القرآن) للسيوطي وغيره رحمهم الله تعالى فقد تطوع قوم ووضعوا أحاديث في

فضائل السور وقراءتها ترغيباً في القرآن ونحيباً في تلاوته لرحمهم أن الأئمة رضوان الله عليهم مثل أبي حنيفة والشافعي قد صرفوا الناس عن القرآن إلى مذاهبهم وقد أقرؤا بذلك وأنهم يرغبون الثواب من الله بهذه الأحاديث فاقسمت الأئمة إلى {طائفتين} طائفة تحفظ القرآن عن ظهر غيب لعمد أو ملاباً للكسب أو للهرب من الجندية . وطائفة تحفظ كالأولين ولكنها تعرف العلوم العربية والفقه وأصوله وفق التوحيد وللنطق وما أشبه ذلك . وهذه الطائفة بقسميها ينظر لها بعض الأئمة نظرة الاستهزاء . يقولون إن حفاظ القرآن ليسوا بمتعلمين فيعدونهم في مصاف الجهلاء . وعلماء الدين غالباً يجهلون نظام هذه الدنيا ويظنون الفقه والاصول والتوحيد هي كل ما يطلبه الدين . فهنا يكون {استهزاء} استهزاء من هؤلاء العلماء بجميع العلوم وتكبر عليها غالباً . واستهزاء من بعض الناس بهم لما يرون فيهم من قصور الباع في نظام هذه الدنيا وعوام الفلك والطبيعة وما أشبه ذلك . ومن أسباب الاستهزاء بحفاظ القرآن وبعض علماء الدين كما قرره ابن خلدون أن المتعلم على الطريقة القديمة كان يلقي إليه العلم ويضرب ويهان فيمرن من صعره على اللثة والاستكانة والضعف فتتو في غريزة الشرف والنخوة والشمم والعزيمة ونحوه قواه فلا يصلح للدفاع عن البلاد . ولذلك ينظر له الناس نظرة المستضعف المستكين الجبان . ذلك لما اعتاد من صعره على اللثة وانكسار القلب والضرب والخضوع الأعمى . هذا ملخص ما يقوله العلامة ابن خلدون في المقدمة . أما سبب استهزاء العالم الديني نفسه بالعلوم الأخرى فذلك لنقص التعليم فنسب ويشب معتقداً أن ما عدا فقه الشافعي والحنفي مثلاً وما وراء الكتب الموضوعة في التوحيد والاصول إنما هو هراء لا يحصل له

وأضرب لذلك ثلاثة أمثال {الثلث الأول} أنه جاء إلى مصر منذ نحو ٢٠ سنة أمير هندي يسمى جمال الدين وهو من مدراس بالهند ومعه مترجوه وقد مر على الاستانة وأخذ فتوى من شيخ الاسلام هناك ولما جاء إلى مصر أخذ فتوى من شيخ الاسلام . ثم جاء إلى ليأخذ مني كتابة عما يأتي . قال قد فتحت مدرسة في مدراس على تفقهي الخاصة فخرم علماء الدين التاريخ والجغرافيا . فكتبت أقول {إن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية للمسلمون جميعاً بتركها}

{الثلث الثاني} جاء إلى مصر سري من سرّة الهند . وقد أدخل ابناً له في المدرسة التحضيرية بدرب الجاميز واتفق أني كنت هناك فعرفوه بي . فقال لي ما يأتي . أن أشرتاً كبيرة جداً فيها في كل مدينة طائفة وهم جميعاً يرون أن ادخال أبنائهم في المدارس عار وعيب ووجار للشرف فأنما لم أقدر أن أدخل ابني في مدارس الهند فأثبت به إلى ها بعيداً عنهم حتى لا يسبقوني بألسنة حداد

{الثلث الثالث} جاء إلى بلادنا منذ ثلاث سنين عالم صيني يسمى (وان وين كين) وقد قال لي ما يأتي أني أرسلت من قبل أربعة قواد من قواد المسلمين في الصين لهم أمر مطاع . ولما فتحوا أعيينهم إلى بلادهم وجدوا أن المسلمين أجهل الخلق في الصين على الإطلاق وكل علمهم راجع إلى الطلاق والبيع والخيف والنفاس وما أشبه ذلك . أما الوثنيون فقد ضربوا في كل علم يسهم . قال فما أنا ذا مررت على بلاد جاوه والهند لأعرف كما طلبوا مني هل ديننا مجرد من العلوم وقاصر على الفقه والعلم محرم على المسلم ولا ينم به إلا كل كافر بدنيا . قال فلما مررت في تلك البلاد لم أجد أثر العلم فوق ما هو معلوم بديارنا ولكن في مصر وجدت حركة أخرى . وها أنا ذا ترجمت كتابك {القرآن والعلوم العصرية} وترجمت أيضاً {تفسير الفاتحة} وأسأرجع إلى بلادى بذلك وبغيره من كتب العلماء بمصر . هذه أمثال ثلاثة تعرف بها كيف كان استهزاء علماء الدين في أئمة الاسلام بالعلوم في زماننا وذلك بالمران والعفة والسماح من الشيوخ الجاهلين والجاهل تكون تلميذه مثله

﴿ نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ وفي زماننا ﴾

أما نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ فهي واضحة فقد سباهم الله منافقين . ومعلوم أن المنافقين في البرك الأسفل من النار . أما عواقب الاستهزاء في زماننا الحاضر . فاعلم أن عاقبة الاستهزاء بالشئ الانصراف عنه احتقارا واستكبارا . وإذا كان الله يقول في الكفار - أصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرش لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الحق يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين -

وإذا كان سبحانه يقول - وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم - فهذا وإن كان في الكفار فليس معناه أن يكون للسلم للنصر من العلم تكبرا واستهزاء واحتقارا قد انصرف عنه التمس والتقرع بل هو مالم مذموم داخل في العذاب الهون الذي ليس بمخلد ويلحقه شؤم عمله وذلك بطريق الاعتبار . وإذا كان الله يقول في الكافر - إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء إلخ - فهكذا المسلم القادر على العلم المحقر له يلحقه التمس والتقرع بطريق الاعتبار وإن كان موقنا مسلما . ولكن هذا رجل ناقص أو فاسق لأنه ترك فرض الكفاية أو فرض العين . فهو لا من أي دين ومن أي نخلة لا تفتح له طرق العلم التي لا تفتح أبواب السماء لهم إلا بفاتيحه

﴿ قاعدة ﴾

لما زاد المستهزأ به كمالا يزيد المستهزئ وبالا . فإذا استهزأ عالم الدين الذي جهل علم الفلك وعلم النبات وغيرها بمن يتعلم ذلك فإنه لا محالة يقف في موقفه ولا يتخطاه فيرى غيره سبقه إلى تلك العلوم وأدركها فكما زاد غيره علما من العلوم زاد هو له احتقارا فيكون هو أكثر جهلا والذي كان موضع احتقاره أكثر علما . ولهذا الإشارة بقوله تعالى - الله يستهزئ بهم ويمتعهم في طغيانهم يعمهون - فكما كان الصحابة يزدادون هدى بالآيات القرآنية كان الكفار يزدادون طغيانا بالكفر بها وبحجودا . هكذا هؤلاء الناقصون في العلم في الاسلام كلما زاد غيرهم علما بجمال الله وآياته ومعجائب سمواته وأرضه ازدادوا هم ونما وجهلا . ويرى بعض المسلمين بل السواد الأعظم منهم أن أهل أمريكا والصين واليابان وأوروبا والأمم الوثنية قد اغترفت من موارد رجة ربهم وإن كانوا منحرفين عن التعاليم الإسلامية وهم لا يزالون مستهزئين بتلك العلوم محقرين لها ولما ظنوا أنهم أن الإيمان بكميهم والنسبة إلى الرسول ﷺ وجده تشفيهم بلا علم وفاتهم أن يقرؤا قوله تعالى - قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا إلخ - فالكفار ظنوا أنهم يحسنون صنعا فهم أخسرون أعمالا بكفرهم . هكذا المسلم إذا ترك أكثر الدين وظن أنه كامل فهو من الأخسرين أعمالا وإن كان لا يتخذ في النار لأنه يحسب أنه يحسن صنعا وهو غافل عن آيات ربه

الاستهزاء بالآيات المذكورة في هذه السورة ونهت في سورة - يس - والقرآن يفسر بعضه بعضا وغير هناك بما هو أشد للاستهزاء وهو الحسرة إذ قال تعالى - يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون - ثم عندما يعتبرون به فذكر هلاك القرون الماضية . وذكر أن الأرض من آيات الله . وهكذا الحب والجنات من النخيل والأعناب والابل والنهار والشمس والقمر . وكذلك الحل في بطون الأثمت أو حلهم في سفن البحار وهكذا . فهذه مجامع الآيات المستهزأ بها وهي تشمل أكثر العلوم فهي عبارة عن العلوم الأرضية والعلوم السماوية . هذا هو الذي أخرجه الله في معرض التحسر على عباده وهو آيات الله المذكورة هنا . فالمسلم وإن كان لم يستهزئ بالرسول فقد أتى بأهمه وهو الجهل بهذه العلوم فالحسرة عليه كالحسرة على الكافر . وإن كانت الحسرة على المؤمن لنفسه بالجهل إذا كان قد أدرك على العلم بجمال الله

وآياته ونرك ذلك احتقارا له والحسرة على الكافر لأنه ترك الإيمان والإيمان رأس العلوم كلها

﴿ قاعدة ﴾

أكثر الناس تعرضا للاستهزاء أكبرهم . فما من رسول ولا نبي ولا عالم نافع إلا كان في أول أمره موضع السخرية من عارفيه احتقارا لعلمه واستصغارا لشأنه ثم يظهر أمره ويعلو شأنه والمستهزئون في غمرة ساهون ثم يموتون فلا تسمع لهم وكرا . وأكثر الناس استهزاء أقلهم علما وأحطهم شأنا . ولعل لذلك الإشارة بقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء عسى أن يكن خيرا منهق - وبقوله تعالى في نوح - وصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخركم كما تسخرون . فسوف تعلمون الخ -

ومن أكبر العار والشنار على الأمم الإسلامية أنها تركت الصناعات التي ملأت الشرق والغرب استهزاء واحتقارا لشأنها . فأصحاب هذه الصناعات قد أحاطوا بنا من كل جانب . ولقد نشأت بلاد الشرقية في بلاد زراعية فلم أجد لأحد شرفا في نظرهم في قرينتنا إلا أصحاب المزارع الواسعة . أما التجار والحطاد وغيرهما فليس لهم احترام . مع ان أمريكا بلغ عدد الصناعات فيها (٧٠٠٠) صنعة

كل ذلك للعادة والالف والجهل والاستهزاء - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - . وملخص ما تقدم أن الاستهزاء لا يصدرا إلا من قوس ناقصة . وأن كثيرا من المسلمين يستهزئون بالعلم والصناعات وذلك كان من أهم أسباب الضعف والاحتلال الذي عم الأمة . وليس يخرجها من مأزقها إلا تعميم التعليم وجعل التعليم الديني بهيمة مشوقة فيها جمال العالم كله بحيث يحبها الأطفال فيرغبوا في العلم شوقا ولا يرهبون ويضربون وليأخذوا التعليم من كل فن طرفا ولتنوزع العلوم على مجموع الأمة وليكن رجال الدين جميعهم قادرين على حمل السلاح ليكون عندهم الشم والاباء ويتعلموا علم الجندية . بل ليكن المسلمون جميعهم شجعانا مدربين وهم في قراهم على الكفاح والجلاد . فهذا مجامع ما يمنع الاستهزاء ويصرف الحسرة عليهم الى اعتدائهم لهم والجد للفرع العالمين

﴿ آثار الاستهزاء في بلاد الاسلام ﴾

مر في بلاد الاسلام وسل عن الصناعات وقل لهم ان العالم قد ارتقى بالصناعات فلا تسمع إلا احتقارا

﴿ ايضا أم للاستهزاء بآيات الله ﴾

(ضرب مثل للاستهزاء بآيات الله . مواكب الله ومواكب الملوك والدول في عصرنا)

(١) مواكب الملوك والدول هي الجيوش والسلاح تعرض على الجمهور

(٢) مواكب الله ﴿ ثلاثة صفوف ﴾

(١) الشمس والقمر والنجوم (ب) الجبال والشجر والنبات (ج) للنطاد والطيارة والبريد البرق

(التلغراف الذي له سلك والذي لا سلك له)

﴿ شرح هذه المواكب وكيف يكون الاستهزاء بها والاعراض عنها وما نتيجة ذلك ﴾

(الكلام على مواكب الملوك والدول والاستهزاء بها وكيف يكون ذلك)

ان لله عز وجل أنزل القرآن وضرب الأمثال على أننا في الأرض لانقل المعاني الإلهية بالاضرب الأمثال من أنفسنا كما قال تعالى - ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ - أى ان الانسان اذا كان له عبيد فانه يأبى أن يشاركه في ملكه . هكذا ضرب مثلا لنوره بالمشكاة التي فيها المصباح الذي في زجاجة الخ فهنا نحن أولاء نريد أن نعرف معنى الاستهزاء بضرب مثل مما نشاهد في الدول الحاضرة لنعقل معنى الاستهزاء ونعمل بما فهمه كما ضرب هو الأمثال فنشرح أولا كيف يكون الاستهزاء بالمواكب الدولية

لتقيس عليه الاستهزاء بالمواكب الالهية ليظهر لعلماء الاسلام في الأرض أننا وقفنا في هذا الاستهزاء وان كنا به غير عاقلين . لقد جرت عادة الأمم الحاضرة أن تظهر عظمته أمام الأمم المحكومة فتبث الجيوش مدججة بالأسلحة وتأمّر بمروها في الشوارع وفي الميادين العاتية في عواصم البلاد التي حكمتها أو احتلتها أو ملكتها فتوقع الرعب والهيبه والإجلال والاعظام في قلوب الرعايا فتحصل النتيجة وهي الخضوع للامّة الحاكمة . ولكن في عصرنا الحاضر لما تنوّرت العقول وأضاءت البصائر فكرت بعض الأمم في ذلك فقابلت تلك المواكب بالاعراض والاستهزاء . فانظر لما حصل في الهند في عصرنا الحاضر إذ أرسل الانجليز وليّ العهد إلى بلادهم فأعرضوا في بعض العواصم وتولوا مدبرين وأقفوا الحوائت والبيوت كأنهم يقولون نحن لأنابه بوليّ عهدكم ولا يجبوشكم . وهكذا في اولاده كانوا إذا أرسلوا فرقة وعرضوها بسلحها أقتل القوم منازلهم وحوادثهم وتركوا المرور في ذلك الشارع الذي تمرّ فيه الجيوش . هكذا أتت المصرية سنة ١٩١٩ م لما نارت تأثرتها على الامّة الانجليزية فانهم أرسلوا لجنة يرأسها عظيم منهم يسمى (ملتر) وهو من لوردهم الفخام فقاطعه جميع أهل البلاد . وانما فصل ذلك أبناء بلادى ذلك ابتداء لما يسمعون عن الأمم الأخرى العاقلة إذ يفعلون ذلك وهذه الأفعال تنتج نتائج . اتما تخفيف العبء عن الحكوميين . ولما أرسل المدافع لهم وإذا لهم . وإذا عرفنا المثل الأوّل الذي يختص بأهل الأرض فلنشرع فيما هو المقصود وهو اللوبك الالهى والاعراض عنه فنقول

عرفت في المثل الأوّل الذي ضربناه مثلا للاعراض عن مواكب الله تعالى وأن الاعراض والاستهزاء ليسا باللفظ وانما هو بالعمل . هذا هو الاستهزاء العملي وهو أقوى وأشدّ وأسرع وأمضى من الاستهزاء اللفظي . فانظر ما يقول الله في الاستهزاء بمواكبه . يقول الله في سورة الباقية - أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم - إلى أن قال - وقيل اليوم نسّاكم كما نسيت لقاء يومكم هذا - إلى قوله - ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرّتمكم الحياة الدنيا - إلى قوله - فقله الخدوب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - وقال في سورة أخرى - وقد زلزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها فلأتخذوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره - وقال في آية أخرى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون -

علم الله أن المسلمين سيففلون عن آياته ويظنون أن النطق بالشهادتين والاعتقاد بالله وأتقيائه كافيان لحفظ أمة الاسلام في الدنيا والدين . فهاذا فعل الله . فهاذا أبرز لنا الصفيين المذكورين في مواكبه . صف الشمس والقمر والنجوم . وصف الجبال والشجر والنباب . هذان الصفتان معروضان لأنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . عرضها لله علينا جميعا وخلق لنا الأسباع والأبصار ورأيناها بأعيننا ففعلنا مع هذه المواكب ما فعله أهل اولاده مع الجيوش الانجليزية وما فعله المصريون أهل بلادى معهم . وهكذا بعض أهل الهند . أرانا الله هذه المواكب وهي (ستة أنواع) أربعة منها نهارا وهي الشمس والجبال والشجر والنباب . واثنان منها ليلا وهي القمر والنجوم وقال لنا - ومن آياته الشمس والقمر - وقال - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم - وهكذا فأفادنا أن هذه آياته كلها فالشمس آية والقمر آية والنجوم آية وهكذا . فهاهوذا عرضها علينا فرأيناها بأبصارنا وأسعنا بالآيات القرآنية أن هذه آياته . لماذا قال ذلك . لسجل علينا أن الاستهزاء بها والاعراض عنها استهزاء بآياته فانطبق على أكثرنا قوله تعالى - وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستنهزأ بها إلخ - وقوله - ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا إلخ - فهذه آيات الله بنص القرآن وهي مواكبه التي عرضها علينا . علم الله أن بعض الأمم ستقابل حكامها بالاعراض فيكون ذلك علامة على الضياع فأزل

قوله تعالى - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون - نجعل مجرد الاعراض كافيا لقاب الكفار . وهاموذا الاعراض عرفناه بأقننا في الأرض من الأمم المحكومة وترتب عليه ما عرفه الناس أعرض المحكوم عن الحاكم وموكله فأوجب الاعراض أثره . هكذا أعرض المسلم عن مواكب ربه فحصل أثره اعراضه في أحوال الحياة . قد عرفت آية الحجابة إذ يقول - ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا - ثم أتبعها بذكر أنه له الجد وأنه رب الملئق وأن كبرياءه في السموات والأرض . فإذا استهزأ الناس بآياته فهو متصف بوصفين . وصف الكبرياء والتعالى . ووصف الترية . هو للربى وهو المتكبر . فإذا فعل الربى التكبر المتعالى بمن يستهزئ به بمن رباهم على موائد كرمه واحسانه وعرفت أنه حفظ السماء التي أعرضنا عنها وانما حفظها من (أحرين) ادراك أسرارها والعروج من أهل الأرض اليها . فأما ادراك أسرارها فلم يعرف الناس منه الا التز اليسير وأما العروج اليها فان الطيارات في وقتنا الحاضر ترتفع الى حد معين وأعظمها وأقواها لاتتجاوز حداً محدودا ثم لاتعد أن تتجاوزه . إذن السماء حفظت من صعودنا اليها ومن ادراكنا لأسرارها ولم يكن لنا منها الا أنها مواكب قد عرضت علينا فكننا عنها معرضين

حفظت السماء وحسب بالشهب وحرم على الناس أن يعرفوا الا ما وصل اليهم . تكبر الله وتعالى وتعظم وعلم أننا أعرضنا عن آياته فأرسل لنا الصف الثالث من مواكبه وهو الطيارة والمنطاد والتلغراف . هذه مواكب غير طبيعية بل هي صناعية أنقأها الى العقل الانسانى من وراء الحجب والأستار التي أسدلها على علوم السموات والأرض وأزلهما البناء مع كبريائه . فالكبرياء هي الصفة التي اقتضت حجب العلوم عنا ولا ينزل علمنا منها الا بالحد والتعب والتشهير إذ لم يعلم الناس الطيارة والمنطاد والبريد بالبرق بة سيمه الا بعد الجهد والنصب والتعب . انه متكبر وانه مرب . فلكبريائه حرس السموات وعلومها فنعها . ولتريته أعطانا منها ما اجتهدنا في البحث عنه . وسترى الكلام على الطيارة والمنطاد الخ في سورة النحل عند قوله - ويخلق ما لاتعلمون - والكلام على الشمس والنجوم والشجر قد مر في سورة الأنعام وغيرها . وسيأتى الكلام على الجبال في سور كنزة كسورة الغاشية وكسورة الرعد وغيرها

ها أما إذا قد أومضت لك بفضل الله كبرياءه بأن حرس السماء وجعلها سقفا محفوظا ونريته فانه يعطينا بعد التعب وكيفية الاستهزاء الفعلي الذي ظهر نظيره في الأرض . اذا علمت هذا فاعلم أن الله لما عرض الصفين الأولين من اللواكب وهي الشمس وما بعدها والجبال وما بعدها ونحن لانسيقظ بهما أردفهما بصف ثالث وهو الطيارة والمنطاد والبريد البرق فأصبحنا نرى ثلاثة صفوف لا صفين . فأنه عامل المسلم الآن معاملة السولة القوية المتكبرة القاهرة إذ ترسل للدافع للمعرضين عن مواكبها . انا نبجملنا بما في السموات والأرض من شمس وفرو ونجوم وجبال وشجر ودواب قد عصينا ربنا بالاعراض عن معرفة كماله وجهاله وحكمه . وهذا نوع من الاستهزاء العملى بالاعراض وكفى به ذنبا ولا ينفع المسلم ما يتعلم به من أن الإيمان كاف فان هذه حيلة العاجزين . ألم تسمع قول الله تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون - فالإيمان وحده ليس يكفي الأمة الاسلامية ان الله فتنا وامتحاننا بعرض السموات والأرض والجبال فأعرضنا ففرض علينا الطيارات فقررت منا بخلاف النجوم والشمس والقمر التي هي بعيدة عنا . يقول الله لنا أيها المسلمون ان آياتي العظيمة الكونية أعرضتم عنها فهلا تفهمون آياتي الصنعية التي قربت منكم فتلقون رصاصها وقنابل منافعها وآثار ضربها . وأنا أقول . أيها المسلمون كفى استهزاء بآيات الله . بقرأ المسلم القرآن وهو عن العلم معرض . وينظر في مواكب الله وهو لا يعقل . ويرى أم الأرض اغترفت من أنهار أنعمه فلا يبالي كأننا لم نخلق في هذه الأرض أو كأننا ميتون . هاأنا أقول لكم (أخاطب قراء هذا التفسير لأنهم هم أصحاب الدين عليهم أعول في ايقاظ المسلمين . بهم تشرق شمسها ويصمى مهارها ويطغ جهورها)

إن الفقيه والأديب والعالم المسلم الذي يعيش ويموت وهو لا يفرح ولا يفتقر إذا ذكرناه كالمستهزئ وهو معرض عن آيات ربه بل هو ليس بعالم البتة هو جاهل وإنما هو صاحب صناعة يعيش منها كالقضاء وكالتدريس . هل يرضى المؤمن أو العالم أن يصف بأنه مستهزئ ؟ آيات ربه . أيها المسلمون اقرأوا هذه العلوم ولتكن عامة في الأمة كل بقدره والا فقد صدق علينا قوله تعالى - ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من الجاهلين منتهون - وصدق علينا قوله تعالى - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - ولا معنى للاعراض من أهل سب إلا أنهم تركوا سد العرم ولم يصلحوه ولم يحافظوا على نظام البلاد وقوله - فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون - هذا هو الذي فهمه في معنى قوله تعالى هنا فيا نحن بصدده من هذه السورة - قل أبا لله وآبائه ورسوله كنتم تستهزئون - اهـ

﴿ اللطيفة السابعة - كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - إلى قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون - ﴾
تقدم الكلام عليها في اللطيفة قبلها . وأزيد عليه . ان الله في هذه السورة يقول للمسلمين ماملخصه أني أهلكم الأمم السابقة بظلمها وأزنت عليها المهائب واخزى فيها فلانظنوا أنكم باسم الاسلام ناجون ولا يتابعوني بحسب الظاهر من العذاب خارجون . وكيف ينفعكم اسم الاسلام اذا غاب سماء . ألم أقل لكم في أول سورة الأعراف - كتاب أنزل اليك لتنبه به وذكرى للمؤمنين - فذكرت في السورة هناك هلاك الأمم وخواب الدول من قوم نوح وعاد وثمود وفرعون وقوم لوط وقوم شعيب . فكما ذكرت تلك الأمم هناك مخاطبا للكفار ذكرتها هنا مع زيادة وقص فليكن الخطاب مع المسلمين الذين ناقضوا ايمانهم بأن اسم الاسلام لا يمنع العذاب . وهاهوذا قد حقت كلمة العذاب اليوم على كثير من المسلمين لاعراضهم عن فضائل دينهم وهم ناعمون فحقت عليهم كلمة العذاب

فتعجب كيف قتم في سورة الأعراف أنه أنذر الكفار بعذاب كهذاب هذه الأمم ثم جاء في سورة التوبة وأوعد المسلمين أنفسهم أي المنافقين منهم بنفس ما أوعده الكفار وقال هناك - وذكرى للمؤمنين - ولم يقل للمسلمين . إن المسلمين ﴿ قسبا ﴾ منافقون أنفروا في سورة التوبة . ومؤمنون ذكروا في سورة الأعراف بما أصاب الكفار قلوبهم . فالكفار منفرون . والمنافقون منفرون . والمؤمنون يذكرون . وكل بني آدم في الدنيا حوادث الأيام متعرضون

﴿ اللطيفة الثامنة - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم - ﴾

قوله - ذلك - راجع لرضوان من الله . اعلم أن أحوال الانسان كلها ترجع الى مافي نفسه فلاحقة ولا نار ولالذات والانعم ولاحور ولاولدان ولاغيرها في الدنيا ولا في الآخرة لا ألم لها ولالذة إلا اذا استعدت نفسه لقبول ذلك فالنفس مركز الآلام ومهبط الازدباب ومنع العيم ومقام الجحيم فمن وضع في الجحيم أوألجنة وفقد الاحساس بما حوله بل هو في غفلة عنه فلانعم له ولايجيم وكل نعم وكل حجييم وكل لذة وكل ألم صادرة بإرادة خالق العالم . فاذا أيقنت النفس أن لها ربها صلة وأنه راض عنها كان ذلك عايه الأمانى ونهاية السعادة لأن القلب محل السعادة والشقاوة . وهاهوذا قد أبقن بالرضا وأنه مقبول وأن العناية الالهية راقته فهو ذوصلة قلبية . وهناك يحسن بلدة لا تتصورها نحن في الدنيا لا يصبر مثل كأن نظرا الى من يقر بكون من الملوكة ويرضون عنهم كيف يحسون بسعادة . وكأن تظن الى العاشق اذا علم أن مشغوفه راض عنه لاصدود ولاهجر كيف يحسن بلدة وسعادة لا يشعر بها بقية الناس . فأما مقام الرضا من الله فهذه درجة يعرفها من صرفوا أعمالهم في الاخلاص والذكر والفكر والعبادة مع العضائل النفسية - واسلك درجات مما عملوا - وهؤلاء لا يبالون بجنة ولا يخافون من نار لأن رب البيت أشرف من البيت والنظر الى خالق الجنة أشرف وألذ من النظر الى الجنة . كما أن عبادة الملوكة وبجالتهم ألذ وأشرف من التمتع طعامهم وشرابهم عند ذوى النفوس

الشريفة والعقول النيفة . هذا ما يشير اليه قوله تعالى - ذلك هو الفوز العظيم -
 { اللطيفة التاسعة قوله تعالى - وهو بما لم يتلوا - }

قد تقدم تفسيره * ويقال أيضا ان اثني عشر رجلا من المنافقين هموا بقتل رسول الله ﷺ فوقروا
 على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل اليهم من يضرب
 وجوه رواحلهم فإرسل حذيفة لذلك * ويقال ان حذيفة لما سمع وقع أخفاف الابل وقصعة السلاح قال
 اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا * ويقال أيضا ان المنافقين قالوا اذا رجعنا الى المدينة عقدنا على رأس عبد الله
 ابن أبي بن سؤل قبا فلم ينلوا * أقول وكل ذلك محتمل والآية لا تمنع
 { اللطيفة العاشرة - قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون - }

يألت شعري أين الفقه وأين كون نار جهنم أشد حرا من حر الشمس على المسافر الى تبوك . فما للفقه
 وما للدلك . الانسان يتأذى من حر الشمس وهو مسافر ولا سيما اذا كانت الشقة بميدة . فأين نار جهنم
 حتى ننظرها ونقول انها أشد حرا من هذه الحرارة الشمسية . هذا هو السؤال الذي يتخيل في العقول
 وان لم تنطق به الألسن

{ الجواب }

اعلم أن الفقه لا يذكر الا في الامور الدنيوية وهذا المقام دقيق لا يعقله الا المفكرون فان التواني والتكاسل
 والتباطؤ عن الحرب دأب الى اجتاع الأمم التي حول الكسالى عليها فيطؤون أرضها ويذيقونها العذاب الهون
 وأيضا قدما في هذا التفسير في مواضع كثيرة أن الأمم التي لم تحركها عواصف الدهر ولم تهجها مصاب
 الزمان ولم تهذبها الحروب يحق بها الهلاك . فاذا شئت أن نوقظ أمة فخر كفيها حركة الحرب والجهاد فانها
 تنشط من عقابها وتقوم من سباتها وتستيقظ من غفلتها . واذا رأيت أمة هادئة ساكنة عاكفة على تقاليد
 عتيقة نائمة فاعلم أنها صائرة الى الزوال ولا تترك ظواهر الأحوال . وقد قدما خلاصة رسالة أرسطاطاليس
 الى الاسكندر في هذا المعنى فلا نعيداها . فاذا كان ترك الحرب في الدنيا هكذا شأنه فما بالك بالآخرة وقد قال
 تعالى - ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا - ومن أصابهم الجهل والكسل في
 الدنيا فانه يكون طبعهم الملازم في الآخرة فيرسلون الى دار تليق بهم . وهذا هو عذاب النار . فهل هذه
 المعاني التي لا تعرف إلا بمزاولة العلوم يعرفها إلا كل فطن ليق فهم . هذا هو المراد بقوله - لو كانوا يفقهون -
 { اللطيفة الحادية عشر . والثانية عشر . والثالثة عشر }

(في قوله - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون - وفي قوله - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون -)
 (وفي قوله - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم)

يقول في المخلفين تارة - وطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون - وتارة - وطبع الله على قلوبهم فهم
 لا يعلمون - نفى عنهم الفقه مرة والعلم أخرى وحكم عليهم بأن قلوبهم منعت الحكمة بما طبع عليها فهي
 لاهي ما يرد لها من معقول ولا منقول . وهذا يكون الكلام فيه كاللحام في الذي قبله سواء بسواء فان
 الكسالى عن الحرب تأخذهم صاعقة العذاب الهون ولعذاب الآخرة أشد (راجع اللطيفة المتقدمة) وأما قوله
 تعالى - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم - ولقد تقدم أن العذاب { عذابان } عذاب الدنيا
 بالمصاب الكثيرة وعذاب القبر . والعذاب العظيم عذاب جهنم . واعلم أن الظلمة والقتلة والفتاك وجميع
 أرباب النفوس السريزة لهم أنفوس تطالبهم بالكمال وتهذبهم ونذيقهم ألوان العذاب كما نص عليه سقراط في
 جمهوريته إذ قال { ان أولئك الملوك الظالمين والناس من حولهم بثنون يحسون بألم في نفوسهم على مقدار
 ما أجرموا جزاء وفاحا وسياهم سقاء ووال . هذا معنى ما قاله سقراط . وأقول زد على ذلك في هذا المقام

أن هؤلاء ظلموا بترك الجهاد فيحسبون يوحس في ضلالتهم وإنهم عالة على غيرهم ولا أحد في الدنيا إلا وهو معذب بما فيها من المصائب في الأموال والأولاد والصالحون والطالحون سواء . ولكن إذا كان للنفس مشرب ديني ومنهج أخلاقي احتسبت ثواب ما فيها من أهل أموال عند ربها وأقلب الحزن بالرضوان وسعادة وأصبحت هموم الدنيا لا قيمة لها ويصبح الإنسان كأنه ملك عند ربه وكأنه رضى عنه . فانه إذا رأى المال والولد والرزق والذكر الحسن والصلت وكل ما يناله من خير وكل ما يصيبه من شر من عند ربه وما فاته من الخير يعتقد أن له عوضا في الآخرة وما أصابه من الشر يعتقد أنه تكميل لنفسه في الدنيا وثواب له في الآخرة . فهذه الاعتقادات هي سبيل للرضا . وقد تقدم أن الرضوان هو الفوز العظيم . وهذه الدرجة قد حرم منها المنافق فهو أبدا مضطرب لفقد مال أولاده وأوصدق ولا يؤمن بالآخرة . فانظر كيف كان الفرق بين النعم والعذاب فكرة المنكرين . فالجاهل معذب بالنعم والعالم الحكيم سعيد على كل حال

﴿ اللطيفة الرابعة عشرة ﴾

وقد أخرج طول الكلام عليها . اعلم أن الله ذكر أصنافا من المنافقين ففهم (١) المستأذنون في التخلف ليكونوا مع القواعد وهم أغنياء (٢) ومنهم من يقول أئذني لي (٣) ومنهم من يترك في الصدقات (٤) ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن (٥) ومنهم من عاهد الله الخ (٦) ومنهم الذين يملكون المطوعين من المؤمنين الخ (٧) ومن أذعرب من يتخذ ما ينفع معرا (٨) والذين اتخذوا مسجدا ضارا (٩) وعن حولكم من الأعرب منافقون (١٠) ومن أهل المدينة الخ

فهذه عشرة أصناف أهم من ذكر من أهل التفاف في هذه السورة والمهم في هذا للقام قوله تعالى - ومنهم من عاهد الله - * روى أكثر المفسرين قصة ثعلبة بن حاطب الأنصاري على غير الوجه الذي ذكرناه أنه سأل رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالا فقال له رسول الله ﷺ يا ثعلبة قليل تؤذى شكره خير من كثير لا تطيقه ولما كرر ذلك قال له أمالك في رسول الله أسوء حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبيا فضة لمارت فلم يثن عن الطلب وعاهد الله أن يعطي كل ذي حق حقه فدعا الله رسوله فأنخذ غنما فندت كما يغو السود فبعد أن كان يصلى الظهر والعصر مع النبي ﷺ تباعد عن المدينة لكثرة غنمه حتى صار لا يصلى إلا الجمعة ثم صار لا يشهد جمعة ولا جماعة ثم سأل عنه فأخبروه فقال يا وبع ثعلبة . ولما نزلت آية الصدقة أرسل له النبي ﷺ عاملين للصدقة فقال ماهذه إلا جزية ماهذه إلا أخت الجزية ثم قال اذهبوا حتى أرى رأيي فلما رأهما رسول الله ﷺ أخبرهما بالذي صنع ثعلبة بطريق الوحي فزلت الآية - ومنهم من عاهد الله - الى قوله - بما كانوا يكذبون - فأخبر ثعلبة بذلك فجاء ومعه صدقته فلم يقبلها النبي ﷺ فجعل يحثو للراب على رأسه . ولما تولى أبو بكر لم يقبلها كذلك وكذلك عمر

ثم اعلم أن المقصود من هذه الآية أن نقض العهد ونحوه من اخلاف الوعود أنه عند الله عظيم جدا حتى أنه ورد في الحديث ﴿ آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب . وإذا وعد أخلف . وإذا اتفق خان ﴾ وعدها في حديث آخر أربعة ﴿ إذا حدث كذب . وإذا عاهد غر . وإذا وعد أخلف . وإذا خاصم فجر ﴾ واعلم أن علماء المسلمين لم ينهوا الأمة لئلا هذه الأمور وركوا الأمة تكذب ونحون وتخلف العهد ولم يشعروا بأنها هذه الانذارات والعظات كما أساعوا نواقض الوضوء وشروط البيع وتمدد الطلاق مع ان هذه المسائل أهم وأولى وأقرب الى أصول الدين من غيرها ويجب على العلماء أولا أن يتخلقوا بها ثم يلبسوها بين الشعب ومن كان في شك مما قالت فليتاأمل حال الأمة الإسلامية اليوم أولا يرى أن تجارتهم باثرة وجعاعتهم متافرة وأمرهم خاسرة . أليس اخلاء الوعد وكذب القول والسنن في البيع كل ذلك نقر بعضهم ببعض فصاعت الأمانة وصدق الفرجة فصاروا هم العالمين بالأعمال ولم يزلوا هكذا حالا بعد حال حتى احتلوا البلاد

واستولوا على العباد واستعبدوا الناس في عقر دورهم • ما هكذا يكون المؤمنون
إن اخلاف الوعد والكذب والخيانة جعلت الناس أشبه بالمنافقين حتى أصبحنا في مصر نرى أن العاقبة
لا يمتدحون الصادق ذكيا بل يقولون انه غبي جهول • اللهم اصلح أحوال العلماء والأمة الاسلامية بالصدق
والأمانة - إنك أنت السميع العليم -

ولتلم أرشدك الله أن هذه الأخلاق التي فشت في المسلمين اليوم وأوقعتهم في يران الفرجة جاءت مصداقا
لهذه السورة • ألا ترى أنه تعالى قد أوعد المنافقين بتذكريهم بقوم نوح وعاد وثمود الخ وهذه الأمم عذبت
بألوان من العذاب وما ذلك الوعيد للمسلمين إلا على النفاق كما أوعد الكفار في السور الأخرى • وهما هذا
يقول في الحديث ان الكذب والخيانة ونقض العهود وما أشبه ذلك نفاق وأنت تعلم من الآية أن النفاق
يضيع سلطان الأمم فيجعلها في قبضة أخرى ويهلكها • وهذا هو عذاب المؤمنين أي المنقبات وهذا
انقلاب للأمم من حال الى حال فتصبح في ملك أعدائها وتستخدم كالنواب فبعد أن كانوا سادة أصبحوا
عبيدا • فانظر كيف نص الحديث على أن الكاذبين الخائنين الفادرين منافقون • وانظر كيف أوعد الله
المنافقين في الآية بعذابهم وضياع دولهم وتزريق شملهم ولم يعين نوع العذاب • وانظر كيف حصل الأمران
في أمة الاسلام نفاق كما في الحديث وتزريق الشمل كما في الآية • وهذا هو القول الحق • ولهذا جاء القرآن
وهذا وأمثلة فليفهم المسلمون الذين فلتروا الفرائص ولتتمزق الأئدة ولتعض العلماء وليصدقوا هم وأولادهم
كلامهم ولا يخلعوا وعدهم ولا يخونوا أحدا ولا يفجروا في المحاصمة ثم ليحملوا الأمة على ذلك وليبلغوها أمثال هذه
المعاني التي هي حقائق ثابتة ومعجزات للقرآن وانصحه حتى تلم الأمة شعنها وترجع بمجدها وزوج تجارها ويكون
تجارها من الصادقين كما قال تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - ولما ترك بعض
المسلمين الصدق بارت تجارتهم وذعبت ربحهم وقد أذن الله اليوم باسترداد مجدهم وعكس أمرهم وصدقهم
وسيكون في هذه الأمة عاجلا من يرشدونها والله هو الولي الحميد • انتهى الكلام على القسم الثالث

(القسم الرابع)

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ
فَأَسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم • الثابتون المايدون الحامدون
السائحون الراكون الساجدون الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظون لحدود
الله وبشر المؤمنين • ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم • وما كان استغفار إبراهيم لإبيه إلا عن
موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حكيم • وما
كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم •
إن الله له ملك السموات والأرض يخفي ويغيث وما لكم من دون الله من ولي ولا

نَصِيرٌ * لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُجْرِمِينَ وَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ أَتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُنْهَرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَكَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا ضَاغَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا قَرَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْسَرُنَا زَادَتْهُ هِذِهِ آيَاتًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَوْهُمْ يُسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ * أَوْ لَا يَرْوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ * وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَأَوْهُمُ بَرَاءَةً مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ *

(التفسير الانطلي)

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) تمثيل لآية الله لهم الجنة على بذل ذموسهم وأموالهم * ومرة اعرابي رسول الله ﷺ وهو يقرؤها فقال بيع والله مريح لائقه ولا نستقبله فخرج الى الغزو واستشهد ثم استأف ليان مالا لجه الشراء فقال (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) ثم أكده فقال (وعدا عليه) فهو مصدر مؤكدا دل عليه الشراء (حقا) واجبا (في التوراة والانجيل والقرآن) أي ان وعد الله للجامدين بالجنة مذكور في الكتب السابقة من التوراة والانجيل كما هو مذكور في القرآن

وقد علمت فيما تقدم أن الجهاد هو المرق للأنسانية كلها فهو معها يوم أن وجدت على الأرض (ومن أوفى بعده من الله) تقرير لكونه حقاً (فاستبشروا ببيعكم للنبي يا عثم به) أى افرحوا به غاية الفرح فإنه أوجب لكم النعيم المقيم (وذلك هو الفوز العظيم) من أهل الجنة (التائبون) عن الكفر وعن المعاصي فتحرز قلوبهم على المعاصي ويندمون ويعزمون على الترك ويكون لهم على ذلك رضوان الله لامدح الناس وذمهم فهذه شروط أربعة ثبوت العاصي (العابدون) الذين عبدوا محضين (الحامدون) لنعمة الله ولما نالهم من السراء والضراء (السائحون) (١) السائحون لأن الصيام عائق عن الشهوات وأيضاً من الصائمين من وصلوا في رياضتهم إلى الاطلاع على خفايا الحقائق (٢) والسائحون للجهاد (٣) والسائحون لطلب العلم . وأعلامهم الثالث وأوسطهم الثاني وأقلهم الأول فهؤلاء كلهم سائحون (الراكون الساجدون) في الصلاة (الأمرون بالمعروف) بالإيمان والطاعة وحفظ الأئمة ونشر العلم (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي (والحافظون لحمود الله) أوامره ونواهيه وهذا مجمل الفضائل والسبعة قبله مفصل . ثم إن عادة العرب أنهم بعد السعة يأتون بولوا ويقولون انها واو الثمانية ولذلك قال - والحافظون - ولم يقل الحافظون (وبشر المؤمنين) المتصفين بهذه الصفات * يروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لأبي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه الصلاة والسلام لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه فقل - إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء - وكان ذلك في مكة ولازال يستغفر لأبي طالب حتى زلت هذه الآية في المدينة مع السورة وهي (ما كان للنبي والذين آمنوا) معه (أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما بين لهم أنهم أصحاب الجحيم) أى ماجاز لمحمد والذين آمنوا به أن يدعوا للمشركين ولو كانوا ذوى رحمة من بعد ما ظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك . أما الأحياء فالاستغفار لهم جائز لطلب به توفيقهم للإيمان * وروى أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ قال له ﷺ ان من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل الأرحام ويفك العاني ويوفى بالدم أفلا تستغفر لهم فقال النبي ﷺ بلى والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله هذه الآية - ما كان للنبي والذين آمنوا إلح - ثم عسر الله إبراهيم فقال تعالى (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه) وعدها إبراهيم أباه بقوله - لأستغفرن لك - أى لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان (فلما تبين له أنه عدو لله) بأن مات على الكفر أو أوحى إليه بأنه لا يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (لأن إبراهيم لأواه) لكثير التأوه وهذا كناية عن كثرة ترجمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الأذى وهذه الجلة لبيان ماحله على الاستغفار . وقد خاف جماعة من المؤمنين أن يكون استغفارهم قبل المنع معصية فأنزل الله (وما كان الله ليعذب قوماً بعد إذ هداهم) للإسلام يسميهم ضلالاً ويؤاخذهم مؤاخذه الضالين (حتى يبين لهم ما يتقون) أى حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه سواء كان ذلك في الاستغفار للمشركين قبل المنع أم في شرب الخمر قبل العلم بتحريمها من قوم بعدت ديارهم عن النبي ﷺ أم في التوجه لبيت المقدس وقد حوّل إلى الكعبة والقوم لا يملكون بعد الديار فكل ذلك قد ذكر في سبب هذه الآية . فلما راد كما قال الضحاك وما كان الله ليعذب قوماً حتى يبين لهم ما يأتون وما يدرون (إن الله بكل شئ عليم) من المنسوخ والناسخ وما خاف نفوسكم من الخوف عند ملهاكم عن الاستغفار للمشركين وما بين لكم من الأوامر والنواهي (إن الله له ملك السموات والأرض) ملك السموات كالشمس والقمر والنجوم . وملك الأرض كالشجر والنبات والجبال والبحار (يحيى) ليعبث (ويميت) في الدنيا (ومالكم من دون الله) من دون عذاب الله (من ولى) قريب ينفعكم (ولا نصير) مانع . ولما كان ما تقدم يقتضى البراءة من ذوى القرى إذا كانوا مشركين بين الله بهذه الآية أن الله هو مالك الخزان كلها فلتسوجوها إليه وهو الناصر وحده (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) وهذا كقوله - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون - يأمر الله جميع الناس

أن يسعوا للارتقاء في السرجات فكما ينظم حالهم من صبا إلى شباب إلى كهولة إلى هرم إلى موت هكذا يجب أن يترقوا في أحوالهم المعنوية من كمال إلى أكمل منه • وكل من كان في درجة من درجات الكمال يشرب إلى ما هو أعلى منها • ومادم في الدرجة الدنيا فله مطالب بالرقى إلى ما هو أعلى فيكون الارتقاء عن المرتبة الدنيا إلى العليا توبة من التقيصة واعتناق للكمال • وهذه هي التوبة للذكورة في هذه الآية وهي المرادة بقوله - ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر - وهذا معنى توبة الله على النبي والمهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) أي في وقت الشدة فهم جميعا يتفقدون من حال إلى حال أكمل وهذه الشدة والعسرة كانت من الزاد ومن الحر ومن العذر ومن بعد الطريق فكان ذلك كله ضيقا وشدة وغزوة نبوك كانت تسمى غزوة العسرة والجيش الذي سار فيها كان يسمى جيش العسرة فكان منهم هجرة يخرجون على بعير واحد يعقبونه بينهم وكان زادهم القرمسوس والشعر المتغير وكان النفر منهم يخرجون وماعهم إلا القرات البسيرة بينهم فإذا بلغ الجوع من أحدهم لآك القرة حتى يجد طعامه ثم يشرب عليها جوعة ماء وهكذا صاحبه حتى تأتي على آخرهم ولا يبقى من القرة إلا النواة (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي - كاد - ضمير الشأن والجملة بعده في موضع النسب • وقرأ حزة وحفص - يزيغ - (ثم تاب عليهم) كرهه للتأكيد (إنه بهم رؤوف رحيم) وعلى الثلاثة) أي وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية وصرارة بن الريع وأوائل أسائهم مضبوطة بلفظ (مكة) وآخوها بلفظ (عكة) ثم قال (الذين خلفوا) تخلفوا عن غزوة نبوك وهم المذكورون في قوله تعالى - وآخرون مرجون لأمر الله - فبا تقدم (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت) أي رحبها أي مع سعتها كأنهم لشدة حيرتهم وفرط قلقهم لا يجدون ملجأ يلجئون إليه فخل ذلك بأن الأرض الواسعة الأرجاء البعيدة الأطراف لاتسعهم • وللنايعة فبا يقرب من هذا فانك كالليل الذي هو مدركي • وإن خلت أن للتأسي عنك واسع

(وضاقت عليهم أنفسهم) أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور من فرط الوحشة والنم (وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره • وقد كان النبي ﷺ منع أصحابه أن يكلموا هؤلاء الثلاثة ولبثوا على ذلك خسين ليلة • ولقد زادت الشدة عليهم أن أمروا أن يعتزلوا نساءهم بعد أن مضى أربعون يوما من الحسين • وكان أحدهم يطوف السوق والمساجد فلا يكلمه أحد • قال كعب بن مالك أذن رسول الله ﷺ بتوبة لله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يشربوننا • ومن حديث كعب بن مالك أيضا أنه قال جاء المخالفون فطفقوا يستنزلون إلى رسول الله ﷺ ويعلمون له وكانوا ضعة وثمانين رجلا قبل منهم على نيتهم وبإيعامهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى حتى جثت فسلمت فقبسم تبسم للغضب وصدقت رسول الله ﷺ وقلت والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقامت • وفي الحديث طول قد ذكرت ما بهم منه وقوله تعالى (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (البشروا) ليكونوا من جملة التوابين (إن الله هو التواب) لمن تاب وإن عاد في اليوم مائة مرة (الرحيم) للتفضل عليه بالنعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فبالإرضاء (وكونوا مع الصادقين) في إيمانهم وعهودهم وفي دين الله نية وقولا وعملا والمراد بالصادقين هؤلاء الثلاثة وأمثالهم ممن صدقوا في نياتهم واستقامت قلوبهم ولم يعتدوا بالأعذار الساطلة الكاذبة • ومن أظف ما يكون أن أبا بكر يوم السقيفة إذ قال الأنصار منا أمير ومنكم أمير قال يامعشر الأنصار يقول الله - للفقراء المهاجرين - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - من هم قالت الأنصار أتم فقال أبو بكر إن الله تعالى يقول - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين - فأمركم أن تكونوا

معنا ولم يأمرنا أن نكون معهم نحن الأمراء وأتم الوزراء (ما كان لأهل المدينة) أى لساكني المدينة من المهاجرين والأنصار (ومن حولهم من الأعراب) أى سكان البوادي من مزينة وجهينة وأسلم وأشجع وغفار وغيرهم (أن يتخلفوا عن رسول الله) يعنى إذا غزا أى ليس لهم ذلك (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى ولا يرغبوا بأنفسهم أن تصيبهم الشدائد فيختاروا الخفض والسعة ورسول الله في مشقة السفر ومقاساة التعب • وبعبارة أخرى لا يكونوا على أنفسهم أشق من قمص النبي ﷺ • ويقال ولا يرغبوا بمسحة أنفسهم عن محبة النبي ﷺ في الجهاد • روى أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسنة فرشت له في الظل • وبسطت له الحسير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظلٌ ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسنة ورسول الله ﷺ في الضحى والريح مالهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومركبته فأتى رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق فإذا براكب يزهاه السراب فقال كن أبا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له (ذلك) الخروج ووجوب المتابعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا تمخض) جماعة (في سبيل الله ولا يطؤون موثلاً) ولا يدوسون مكاناً (يفض الكفار) يفضهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نبلا) كالقتل والأسر والنهب (إلا كتب لهم به عمل صالح) إلا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المتابعة (إن الله لا يضيع أجر المحسنين) على إحسانهم تنبيه على أن الجهاد إحسان لأنه تكميل للكفار وصيانة للمسلمين عن إسبيلاء الكفار وهذه الجملة تعليل لقوله - كتب - (ولا ينفقون) في سبيل الله (نفقة صغيرة ولا كبيرة) أى ثمرة لها دونها أو أكثر منها (ولا يقطعون وادياً) أى ولا يجاوزون في سيرهم وادياً (إلا كتب لهم به) إلا أثبت لهم ذلك (ليجزئهم الله) بذلك (أحسن ما كانوا يعملون) أى يجزئهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق مادونه به أكثر الأجرهم وتوفيرا ثوابهم وإسعادا لهم • واعلم أن هذه الآية قد حتمت على جميع الناس أن ينفروا للقتال ويتركوا الأعمال الأخرى فإذا جعت الجوع ورفعت البؤود واصطفى المسكر للجهاد وجب على جميع المسلمين السفر معهم وهذا أمر يوجب ضياع المدن لأن الناس إذا غزوا جميعاً فن لمدارسهم وطرقهم وزرعهم وتجاراتهم إنك أعقب بما يفيد أن أعمال الأمة يجب أن توزع على الأمة وعلى كل ما يناسبه • فالعلماء يعلمون • والخطباء يعظون • والحكام يؤلفون • والزرايع يزرعون • والسوايس يفكرون • وهكذا كما قدمناه مراراً في التفسير وكما أوفعته في أوخر سورة البقرة • وقد قلنا مراراً إن الجهاد أمر دائم فالناس إذا رجعوا من الفوز فالحياة كلها جهاد • بل إن الجهاد بالحق أبلغ من الجهاد بالسيف • والتفقه في الدين هو الجهاد الأكبر فإذا سمعت الله في هذه الآيات يقول ولا يعملون كذا وكذا إلا كتب لهم كذا وكذا فاعلم أنك الآن • وأنت تقرأ هذا التفسير وفي غد وأنت تنظر في أمر الأمة وتنظم شؤونها وتربي أبناءها وتنصح جماعاتها • في عمل من هذه الأعمال بل هو الجهاد الأكبر • وكيف لا يكون أكبر وهو اللب • ومن عجب أن الجماعات المسيحية تعتمد في نشر دينها على التعليم وفتح المدارس فكانتهم عمالوا بما قاله علماءنا من أن تعليم العلم هو الجهاد الأكبر وهو المقصود الأعظم • أنظر كيف يقول الله تعالى (وما كان للمؤمنين لينفروا كافة) أى وما استقام لهم أن ينفروا جميعاً لنحو غزوة أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يقدوا جميعاً فإن ذلك يحل بأمر الناس وتوزيع الأعمال عليهم كما أوفعناه في قوله تعالى - لا يكلف الله نفساً إلا وسعها - (فالولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل ممر أو قرية جماعة قليلة (ليتفقهوا في الدين) ليتكافوا ويتجشمو • شافى تحصيل الفقه (ولينفروا قومهم إذا رجعوا إليهم) أى وليجعلوا غاية سبيلهم ومعظم قصدهم من تحصيل الفقه أن يرشدوا قومهم ينشروهم لأنهم يتفقهون على الناس ويتسبطون في البلاد (لعلهم يحذرون) إرادة أن يحذروا عما ينتدرون • وإنما خص الفقهاء بالذكر لأنه أهم • وهناك

وجه آخر وهو أن الآية من بقية أحكام الجهاد . وذلك أن هذه الآيات لما فُضح المنافقون فيها وبث رسول الله ﷺ السرايا فخر الناس كلهم للغزو ولم يتخلّف أحد فزلت هذه الآية وهي تقتضي أن ينقسم المسلمون (قسمين) قسم يكون مع النبي ﷺ يسع ما يتجدد من الوسى . وقسم يسافر للجهاد فاذا رجع الغزاة أخبرت الطائفة القاعدة من رجوعا بما سمعوا من الحديث والقرآن والأحكام الشرعية ويسير معنى الآية فهنا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد أى وقصدت طائفة ليتفقهوا أى القاعسون فى الدين ولينذروا قومهم المجاهدين إذا رجعوا اليهم أى الى القاعدة لهم أى لعل أولئك الرجاعين يحذرون مخالفة أمر الله . وهذا واضح وليس فى مرجع هذه الضائر منافاة للقصاص لأن المقام يفهم المقصود منها . ولعلم أن التفسيرين يرجعان لفرض واحد فالقصد توزيع الأعمال بين الناس . وقد كان أهم عمل بعد الغزو تلقى العلم عن النبي ﷺ فأما اليوم فالأمر جدير بالعناية بجميع العلوم واجبة وقراءتها وفهمها من فروض الكفايات سواء أكان ذلك العلم قهراً أم حديثاً أم تفسيراً أم هندسة أم طباً أم علم المعادن أم الطبيعة أم الفلك أم صناعة الحرب أم بناء السفن أم الكهربية أم علم للرأى . كل ذلك لا بدّ منه لقيام أمر الأمة . وهذه الآية واضحة ذكرت بعد الجهاد ليعرف المسلمون أمر دينهم . فكل المسلمين يجب أن يكونوا فى جهاد ليلاً ونهاراً بل النوم نفسه جهاد لأننا به تقوى أجسامنا على العمل والطعام والشراب والرياضة البدنية . كل ذلك متى قصدنا أنه مقوم لاحتنا نافع فى قيامنا بأعمالنا كان جهاداً . فعلى المسلمين جميعاً أن تكون أوقاتهم كلها عملاً وعلماً وسلام عليهم أن يتكروا فناً أو علماً أو صناعة وكل ذلك جهاد فقد اتضح أن توجيهه للدفع والبندية والديناميت لصفوف العدو ليس هو كل جهاد بل أفضل من هذا إقامة الحجج وإبانة السبل وإيضاح الحقائق ولقد سمى ذلك علماً أو جهاداً الأكبر كما قال رسول الله ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر الى الجهاد الأكبر جهاد النفس) فتأمل وتجب كيف نام العلماء فى سائر الأقطار عن مثل هذه الآيات ولم يوجهوها للعامة والخاصة ولم يفهموا الأمة أن الأعمال العلمية والعملية جهاد . وإذا كان المسلمون فى القرون الأخيرة لا يستقون إلا بكلام العلماء السابقين فأنا أقول لقد أقاموا الحجة وبنوا فى كتبهم ذلك فليس للتأخرين عذر . ولقد قال القدماى بصريح العبارة ان تعلم العلم والتفقه فى الدين هو الجهاد الأكبر . وقالوا أيضاً انه فرض كفاية وهكذا بقية العلوم والصناعات . فكيف نام الوعاظ والعلماء عن إيقاظ الأمة وإشاعة هذه الأقوال وتنبيه النفوس وإثارة الحماسة فى القلوب وإبلاغ الناس وعد الله وثوابه وتفهمهم أن الحياة كلها جهاد حتى اذا مات الانسان أحس براحة ونعمة بعد ما قاسى من المشاق . واتى أطلب منك أيها القارىء لهذا الكتاب أن تدل الأمة على هذه المقاصد وتوصى الناس بها وأقسم لك بالفجر والشمس والضحى - والعصر - ان الانسان لى خسر - لأنه يظن أنه يعيش كالحیوان يطلب أكله ويلد ثم يموت - الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات - فارتقوا عن تلك الطبقات وعرفوا أن الانسانية لها مطالب سامية وسعوا فى الأعمال النظامية العامة - وتواصوا بالحق - ولم يبالوا بما يصيبهم فى سبيله - وتواصوا بالصبر - على الأذى . فكن أنت من هؤلاء فالأمر عظيم ثم قال (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار) اعلم أنه كما أمر رسول الله ﷺ أن ينشر عشرته الأقربين أمر أن يغزو الأقرب فالأقرب من الأمم فقاتل ﷺ أولاً قومه فسار العرب فأهل الكتاب من بنى قريظة والنضير وخيبر وفدك . وغزا الروم فى الشام ثم فتح الصحابة الشام فالعراق ثم سائر الأمصار (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وقوة وشجاعة وصبرا على الجهاد (واعلموا أن الله مع المتقين) بالعلن والنصر ثم ذكر المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة منهم من يقول أياكم زادته هذه إيماناً) أى تصديقاً وبقينا وقرية من الله أى اذا أنزلت سورة من سور القرآن يقول بعض المنافقين لبعض ذلك القول استهزاء فأجابهم الله بأن الذين آمنوا تزيدهم هذه السورة المنزلة إيماناً لأن الآيات للمتجددة تزيد المؤمنين إيماناً . وأما الكافر

فانه بها يزيد كفره لأن عدد ما كفر به قد زاد كما زاد عدد ما آمن به المؤمن وهذا قوله تعالى (فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً) تصديقاً (وهم يستبشرون) يفرحون بنزول القرآن شيئاً فشيئاً (وأما الذين في قلوبهم مرض) أى شك وفاق (فزادتهم) سورة من القرآن (رجسا إلى رجسهم) شكاً وكفراً إلى شكهم وكفرهم لأن الحباث يتبع بعضها بعضاً والشك يستتبع الشك . والقلوب اذا خلت من الحكمة والتبليت بالجهالة وأحاط بها سوء الفطن وأقلق مضاجعها جهل الحقائق والوساوس فأصبحت في شك من الليل مظلم زادها ما يرد عليها من المسائل جهالة وظلمة فلك ليلاً وأظلمت سبلها . وما مثل الشك والخيرة والاضطراب إلا كمثل المرض يزداد سواء بتناول الزمن ويتشعب ويقوى ويخو كما يخو النبات والحيوان . فهذا تفسير قوله تعالى - فزادتهم رجساً إلى رجسهم - كما في قوله في سورة البقرة - في قلوبهم مرض - أى شك وفاق - فزادهم الله مرضاً - على قاعدة النقص والتشعب واستفحال الداء وفاقاً للأمر . فالشك والخيرة يكونان في أول الأمر بذراً ثم يثبت في القلب ثم يفر كفرهما عظيماً فاستحكم (وبما ناولهم كافرين) ثم أبان ذلك وأوقعه بأنهم في كل عام يفرزون مع النبي ﷺ ويعاينون ما يظهر عليه من الآيات ومع ذلك لا يتوبون لأن النفاق استحكم في قلوبهم والمرض غشى على أفئدتهم فلا تصلح قلوبهم للإيمان وهذا كالليل على ما قبله وهذا قوله تعالى (أولايرون أنهم) أى للمنافقين (يفتنون) يتلون ويختبرون بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيعابنون ما يظهر عليه من الآيات (في كل عام مرة أو مرتين) ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) لا يتوبون من نفاقهم ولا يستبشرون (واذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض) تعاظروا بالعيون انكاراً لها وسخرية (هل يراكم من أحد) أن تقوم من حضرة الرسول فإن لم يره أحد قاموا وإن رآهم أحد أقاموا (ثم انصرفوا) عن الإيمان بذلك السورة لما تقدم من المرض الذي نفا فأنهم هذا الانكار فزادهم الانزال كفرهم وهذا كله إصباح وقضيل زيادة المرض في قلوبهم ثم دعا عليهم فقال (صرف الله قلوبهم) أى أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم (بأنهم) أى بسبب أنهم (قوم لا يفقهون) أى لسوء فهمهم وعدم تدبرهم . ثم أخذ يبين عدم تفقههم وبلادتهم فقال كيف تعرضون عن رسول منكم أيها العرب جاء هدايتكم وسعادتكم وسعى لجمع كنزكم وهو رجم بالمؤمنين . وإن من أعرض عن هدية قد أعرض عن سعادة نفسه . ومن أعرض عن سعادة نفسه فقد كره نفسه وجمع في نفسه (خصلتين) يحبب نفسه طبعاً وهو قد كرهها بالبرهان فهو كاره بحب في آن واحد وهذا أعظم البلاده فأين الفقه فهذا هو تقرير - أنهم قوم لا يفقهون - ولو فقهوا لأدركوا أن اجتماع كلمة العرب تخيف الأمم حولهم فيحصل لهم عز الدنيا الذي هم به مغرمون وهو كظلم لعز الإيمان والدين فهو وإن جاء للإيمان بالله والتقوى أصالة فقد جاء بمن الدنيا تبعاً كما ظهر حالاً في تلك الأيام وهذا قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) من جنسكم عربى مثلكم (عز بزعلمه ما علمتم) أى شديد شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه وذلك المكروه انما يكون بترك الجهاد والأعمال النافعة والعلوم والفقهاء فلذلك طلب منكم الجهاد (حريص عليكم) على إيمانكم وإصالح الخير لكم وهدايتكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) والرافة وإن كانت أشد من الرحمة قنمت محافضة على القاسية (فإن تولوا) عن الإيمان بك (قتل حسبي الله) فانه يكفيك شرهم ويعينك عليهم ثم استدلى عليه بقوله (إلا اله إلا هو عليه توكلت) فلا أرجوا الا هو ولا أخاف إلا منه (وهو رب العرش العظيم) لللك العظيم * وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن آخر ما نزل هاتان الآيات

(لطيفة)

قد كنت كتبت عدة مقالات خطايا المسلمين في الجرائد وفيها ما يناسب قوله تعالى - فلولوا قمر من كل فرقة منهم طائفة - فهذه المقالة السابعة

قد ثبت في المقالة السابقة أن فرض الكفاية ظاهر واضح من قوله تعالى - فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الخ - ونحن بحمد الله ذاكرون في هذا المقام كيف كانت درجات العلماء السابقين في البحث وانحطاط العلماء للتأخرين في ديار الاسلام . وكيف قصرت عقول كثير منهم فهم لا يعلمون . أقول لما وصلت الى هذا المقام . قال لي ذلك العالم صديقي . ان علماء الاسلام لم ينكروا فرض الكفاية وعمومه في كل شيء . قلت لم ينكروه علما اجماليا ولكن عند العمل يستكون عنه وقد كان للمتقدمون مدققين باحثين مفكرين فأما الآخرون فاتهم ناموا وعكفوا على القليل من العلوم كأنهم لا يعلمون . قال فاذكري مسألة واحدة لتبين بها قصير التأخرين . قلت ألم تقرأ مذهب الامام الشافعي : قال بلى . قلت ألم تقرأ في كلام الأئمة السابقين منهم وتبعهم اللاحقون فقد قالوا ان الانسان يجب عليه أن يفصل جزءاً من العبد اذا غسل للدواع مع المرفق وعلوا ذلك بقوله ملأني الواجب إلا به فهو واجب فاذا كان المتقدمون عنوا أخذ العناية بالدين . ولما سمعوا قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وأرجلكم الى الكعبين - أقول لما سمعوا ذلك قالوا علينا أن نحتاط ونفصل جزءاً من الساق وراء الكعبين وجزءاً من العبد وراء المرفقين فانه لا يتحقق تمام غسل المرفقين وغسل الكعبين إلا بفصل جزء مما فوقهما لأن ملائيم الواجب إلا به فهو واجب هذه مسألة يعرفها صغار الطلبة في الأزهر والمعاهد الدينية . فبالت شعري كيف يعرفون هذا ولا يفكرون في أمر الجهاد . يا سبحان الله . أفليس الجهاد واجباً كما وجب الوضوء . فلماذا لم يتابع للتأخرون هذه المباحث بعناية أشد ويقولوا ان الجهاد لا يتم إلا بالطرق الحيدية وبإزالة الثامات والصناعات والأمانات والأخلاق وبنظام البلاد حتى تصارع وتفوق أهل أوروبا . فقال العالم الديني صديقي . ان هذه الآراء مذكورة في ثنانيا الكتب . فقلت وهل هي أقل وجوباً من وجوب الوضوء . ان الوضوء فرض عين ووجوب هذه العلوم كالفرض كفاية وفرض الكفاية اذا لم يتم به جماعة عذبت الأمة كلها في الدنيا والآخرة وفرض العين يمتدب عليه تاركه وحده . ان فرض الكفاية هو القلعة والسياج الذي لا يكون فرض العين إلا بعد وجوده والافكيف يصل الناس أو يتوضؤون أو يحجون أو يزكرون أو يصومون وبلادهم مخجلة عتلة وحكوماتهم معتلة . ففروض الكفائات بتركها تخرب الأمم وتذل لغيرها ولا تستطيع القيام بالفرض العيني فاذا عرف كل طالب في بلاد الاسلام أن غسل جزء من العبد وجزء من الساق وراء المرفقين ووراء الكعبين واجب . فلماذا لا يعرف كل طالب أن العلوم التي في أوروبا وفي أمريكا وفي اليابان وفي الصين يجب على المسلمين جميعاً أن يعرف كل طائفة منهم قسماً منها حتى يكون للمسلمون كأهل أوروبا في علومهم ومعارفهم ونظمهم . ولعمري اذا عرف كل طالب وجوب غسل جزء من العبد وجزء من الساق احتياطاً لدينه قبل الأولى يجب عليه قبل كل شيء أن يعرف أن البلاد لأحياء لها والدين لبقاء له إلا بدراسة جميع العلوم وتعميق القراءة والكتابة في بلاد الاسلام . أقول وقد أنذرت أمة الاسلام بالقرآن وحدرتها وأوضعت لها طرق الواجبات . واتى أطالب كل مطلع على قولى هذا أن يفكر فيه وأن يقوم بنشره عند من يفقهون ان الأمة الاسلامية لما تركت هذه العلوم لم تبشر بالنصر ولم تكن مهتدية الى أقوم طريق ولم يكن كثير من هدايتها رجالاً من أولى الأبواب . يقول الله تعالى - فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الأبواب - فاستمع القول واتبع أحسنه عام شامل لجميع العلوم والصناعات والأحوال . فقال انك اذا عممت هذه الآية همت الدين وخالفت المتقدمين والتأخرين وكأنك بهذا تقول للمسلمين اذا استحسنتم أمراً فاتبعوه وانزكوا دين الاسلام من الكتاب والسنة فأت بهمكم هذا همت جميع الدين ولا يرضى بهذا المسلمون . قلت ان أحسن القول المذكور لا يصادم الدين ولا يخالفه

بل هو ما يجب فيه لأن أحسن الأحوال هي التي يطلبها الدين . فقال لو استحسن رجل أن لا يصلي اذن يكون من أولى الألباب . فقلت له ليس هذا قولاً حسناً وإنما هو هوى وشهوة وغرض فكل صناعة أو زراعة أو علم وجدنا فيه خيراً في حياتنا فلتتخذ أسهل الطرق لحوزة نستخلص أجليه وقرأه ولتعمل به . فقال وكيف السبيل الى معرفة هذا القول الأحسن . فقلت (لتشكل لجنة في مكة وليأسسها عظيم من عظماء الاسلام) فكم أن لهول أوروبا جمعيتهم فليكن لأهم الاسلام جمعية علم . وليكن في هذه الجمعية من كل طائفة من المسلمين من الترك والهند والأفغان ومصر وسوريا الخ . وليكن في هؤلاء متضلعون في علوم فهذا في الطب . وهذا في العلوم الرياضية . وهذا في العلوم الطبيعية . وهذا في التاريخ الخ . وليكن فيهم عارفون بأهم اللغات . ثم ليدرسوا نظم الأمم الأوروبية والأمريكية ثم ليبحثوا عما عندهم من العلوم وليأخذوا منها لأجل ما فيها ومن الصناعات ثم لتنتشر في بلاد الاسلام . فهؤلاء هم الذين قال الله فيهم - فبشر عبادي الذين يستمعون القول - فانهم استمعوا القول بلغات مختلفة - فيجبون أحسنه - فلذلك وصفهم بأنه هداهم ووصفهم بأنهم أولو الألباب وإنما كانوا أولى ألباب لأنهم استخلصوا لب الأشياء . ولا جرم أن اللب أحسن من القشر فانه هو المقصود . فالب اذن أحسن من غيره فلذلك وصفهم بأنهم أولو الألباب فهؤلاء بشرهم الله بالنصر والجنة والنعمة في الدنيا والآخرة . فقال ذلك العالم صديق لم يبق الا شيء واحد وهو هل عندك من دليل يؤيد أن المسلم يستخلص من كلام الكافرين ويتبع أحسن ما يقولون . ان المفسرين لم يقولوا ذلك فان أوسع قول عندهم يرجع الى أقوال علماء الاسلام . فأما أخذ الأحسن من قول الترجمة وعلماء اليابان فهذا لا يقبله المسلمون . قلت له قال الله تعالى - فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون - . فقال فهل أهل الذكر هم أهل أوروبا . فقلت له الذكر في كل شيء بحسبه . فعمل الفقه عن الفقهاء . وعلم الحساب عن العلماء به ولو كانوا كافرين . وعلم الزراعة عن العلماء بها وهكذا . فقال لا يزال المقال يحتاج الى دليل . قلت أيفيك عمل رسول الله ﷺ قال وماذا يكفيني اذن . قلت ألم تعلم أنه ﷺ والمدينة قد حاصرها الأحزاب من كفار مكة وغيرهم جاءه سلمان الفارسي وأخبره بأن القرس كانوا يحفرون الخنادق حول منبهم اذا هاجهم العدو فلما سمع النبي ﷺ ذلك أمر بحفر الخندق ولم تكن العرب يوماً ما تعرف الخندق ولا حفره . فهذا القول قاله سلمان الفارسي وهو مسلم ولكنه نقله عن أم مجوسية يعبدون النار فلو كان الأخذ عن أوروبا وأمريكا غير حسن ولو كان اتباع الأحسن مما يوافق ديننا غير مغرب فيه لكان ﷺ يهوى سلمان الفارسي عن هذا وقال له ان هؤلاء كفارون فلانسمع قولهم ولا نتبع طريقهم . ان رسول الله ﷺ استمع القول عن عباد النار وعن غيرهم فاتبع أحسنه فهناك طريقتان (الأولى) أن يقف الرجال حول المدينة ويدافعون عنها وهي طريقة العرب الجاهلة (الثانية) أن يحفروا خنادق وهي طريقة عباد النار فاتبع الأخيرة وهي أحسن القول فبشره الله وبشر أصحابه ونصرهم وأعزهم وهداهم وهؤلاء هم أولو الألباب . أفلا يسمع المسلمين ماوسع رسول الله ﷺ . أمّا الآن الأولان أن يتذكروا ويعتبروا . لقد شئت أيها الاستاذ في قولك وسرني منك ذلك التشديد تريد بذلك أن لا يبق لأحد من المسلمين مطعن في القول ولا شبهة وإنى أجد الله عز وجل أن وفق لهذه الرسالة وأرشد الى ما يجب على المسلمين في مستقبل الأيام لحفظ كيانتهم إذ لم يبق عنر لعتنر . وسوام وائم عظيم على من قرأ هذه الآراء وأمثالها فلم يتناقش فيها ولم يفكر ولم ينشتر ما يعاثلها ان كان قادراً بين جماعة المسلمين في الأمم الاسلامية لاسيما الأمم العربية والله هو الولي الجيد

فصده هي المقالة التي اخترتها من تلك المقالات في هذا المقام . وهناك مقالات نشرتها في الجرائد أيضاً بمناسبة ما جاء في الأخبار أن دولة (هولانده) قد حثمت على المسلمين من رعائها أن لا يصلوا إلا برخصة في

بعض الأوقات • وأيضا راقبت للتعليم مراقبة شديدة فكتبت هذه للقاتلات الستة الآتية في جرائدنا المصرية قبل أن يلقوا هذا الأمر • وبعد كتابتها جاءت الأخبار أنهم قد أُرَادوا محاسبة للمسلمين • وهذه القاتلات توبيخ للمسلمين على ترك العلوم التي أورث الله للذكور • وهذا المقام هو المناسب لهذه الآية التي أوجبت فروض الكفايات

﴿ الاسلام والاستعمار وسبب تأخر المسلمين ﴾

(المقالة الأولى)

في شهر يونيو سنة ١٩٢٥ أصدرت الحكومة الهولندية قانونا فيه اثنا عشر فصلا تتضمن الشروط التي بمقتضاها يجوز مباشرة التعليم الاسلامي أهمها ما يأتي

(١) من أراد أن يباشر التعليم في العلوم الاسلامية فعليه أن يرفع ذلك الى أمير البلد أو الوزير ويشرح له مقاصد التعليم

(٢) وأن يتخذ دفترا مخصوصا للتلاميذ وشرح أحوالهم ولا يلقى عليهم شيئا إلا بعد مصادقة الحكومة عليه

(٣) ورجال الحكومة لهم أن يفتقدوا ذلك في كل وقت لينظروا هل قال لهم شيئا غير مصادقت عليه الحكومة للذكورة

(٤) ورجال الحكومة أن يحضروا مجلس التعليم ويسألوا عما يشاؤون من الامور المتعلقة بمهمة التعليم ولهم أن يدخلوا متى شاؤا المدارس والأقسام الداخلية • ولذا رأت الحكومة أن التعليم يخالف لما تقدم فلها أن توقف التعليم الى مدة ستين

(٥) تسجن الحكومة ثمانية أيام على الأكثر أو تغرم ٢٥ روية على الأكثر كل من ارتكب الأعمال الآتية (١) من يعلم العلوم الاسلامية بغير إذن من الحكومة (ب) من يقدم للحكومة تعريفات كاذبة بشأن تعليمه (ج) من يتهاون في إملاء الدفتر للذكور

(٦) تسجن الحكومة شهرا على الأكثر أو تغرم ١٠٠ روية كل من ارتكب الأعمال الآتية

(١) من يلقى التعاليم في مدة إيقاف الحكومة أياها (ب) من يرتكب الأعمال المتقدمة أعلاه

هذا هو أهم ما في هذا القانون لخمس

هذه هي أحكام (هولانده) التي لا تبلغ عد الأصابع من الملايين في أربعين مليوناً من المسلمين • بماذا تعاملهم • لا يصلون في الصحراء إلا برخصة • لا يصلون فروض الوضوء إلا إذا سمعها الحاكم العام وأقرها لا ينطقون في منازلهم وفي مزارعهم إلا بما يقر عليه الحاكم العام لأنه إذا حرم عليهم نفس الدين إلا باذن فبالأسرى لا يتمتعون بعم البتة مادام فيه حياة للمجموع

ألا قاتل الله الجهالة العمياء • جهالة المسلمين • أيها المسلمون • اسمعوا • أتنبرون لماذا حل بنا ما ذكرناه • ذلك لغرور الأمراء والعلماء في الأعصر الفائرة ورؤساء الدين جميعا • ان رؤساء الدين سواء أكانوا صوفية أم علماء فقه أم أمراء في الأعصر الفائرة • كانوا يفهمون المسلمين أن ليس عليهم سوى ما يقره لهم من العلوم وما يدرسون لهم من مقدماتها خوفا من أن ينفخ الشبان ويظهر العلم فيمقتوا الجاهلين من رؤسائهم • وظلت الحال على هذا للنوال آمادا وآمادا حتى أصبح ذلك خلقا راسخا وسجية ثابتة وعادة متبعة • ومن خالف تلك العادة عد فاسقا أو مبتدعا الخ

ولمقام في المسلمين قبلنا من دعاة الإصلاح أي تعميم العلوم كالعلامة ابن رشد بالغرب حكّموا عليه بالاحاد غات شريدا وحيدا وقتل تلاميذه من اليهود علمه الى أوروبا فأيقظها من رقدتها فارتقت وأخرجت

من الأندلس المسلمين الذين كانوا لهم معلمين . ولقد فعل قبل ذلك أهل الشرق بتعاليم الغزالي فأصبحوا بها جاهلين . لم يكن هذان العلمان وأمثالهما مارقين من الدين . كلا بل كانا يأمران بتعليم جميع العلوم الطبيعية والفلكية فأبى الرؤساء خيفة على رئاستهم فظفوا جاهلين

ذلك تاريخ اسلافنا في العصور للتأخرة . جهل عميم . وغرور كبير . وذلل مهين
أيها المسلمون . لم يكن الله ليعطيكم أرضه وأتم بها جاهلون . ولا ليهيكم الأعضاء والحواس وأتم عنها غافلون . إن الله لا يعطي إلا لمن يشكر النعمة ولا شكر لمن غفل عن استعمالها
أيها المسلمون . أنظنون أن الله يلهم الأمم التعليم العام في (هوالانده وسويسرا وأمريكا واليابان) ثم يبق للمسلمون جامدين عاكفين على الغرور . أيها المسلمون ليعم التعليم أبناءكم في الحجاز . في العراق . في الشام . في مصر . في بلاد شمال أفريقيا . في بلاد جلوه

ليعم التعليم . أقول هذا واجب شرعا وجوبا كوجوب أركان الصلاة . وأقول فوق ذلك يجب تعليم الصناعات والعلوم التي أبرزها الله في الأرض وألهمها للأمم . أقول يجب ذلك وجوبا شرعيا
سيقول قائل إن هذا الوجوب لم يرد في كتاب ولا سنة . فأقول . كلا لقد أجمع علماء المذاهب أن الصناعات واجبة وجوبا كفايا . ومعنى هذا أن كل صناعة يجب على المسلمين أن يقوم بها جماعة دون الباقي وتكون أعمالهم كافية للمسلمين هذه الكتابة والقراءة إحدى الصناعات . ولقد ظهر في عصرنا الحاضر أن الأمم التي هم التعليم بها جميع الأفراد أرقى من غيرها . وأما الأمم الجاهلة فهي ذليلة حقيرة غيبة جامدة . فاذن إن لم تعلم القراءة والكتابة في أمم الاسلام فهي في خطر . فاذن لا كفاية للأمم الاسلام إلا بتعميم القراءة والكتابة . وهكذا يجب أن تخصص جماعة في كل أمة كمصر لكل علم ولكل صناعة بحيث يكون أطباء الأسنان يكفون البلاد وأطباء العيون وأطباء الأجسام وهكذا الزراعة والتجارة والحداثة والكهرباء وما أشبه ذلك (وبعبارة أخرى) يجب أن يجتهد المسلمون في جميع الصناعات والعلوم والا فالأمم عام على كل فرد . وأبى أرفع صوتي لأمة الاسلام مينا لهم الحقيقة فلا فرق بين التبصر في علم الفقه وعلم الطب وعلم الهندسة وجميع العلوم وجميع الصناعات فان لم يعم في الأمة من يغنيها عن الأجانب فيها فالأمة كلها مذبذبة . ففي ترك أي صناعة يكون العقاب على المجموع . أما من ترك الصلاة فالعقاب عليه وحده وأعلى من رضى بتركه . هذا وسأوضح هذا المقام في المقال التالي

(المقالة الثانية)

(خطاب إلى أسراء الاسلام المستقلين . ومن تحت سيادة الأجانب . وإلى جميع زعماء الاسلام وعظماؤه)
إن الله أوجب علينا النصيحة لله ولرسوله ولكافة المسلمين . اننا معاشر المسلمين مقصرون جدا في أمور ديننا . إن العاكف على علم واحد أو عبادة واحدة أو ورد واحد أو ما أشبه ذلك وظن أن هذا وحده فيه رضا لله فهو مغرور جهول

إن الله أنعم عليكم بأنعمكم وبأرضكم . وخلقكم وصوّركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات . فهل أعطاكم هذه المواهب لتنيموها . أو تمنحكم هذه الأرض لتعطوها . كلا . ألم يقل الله - هو الذي خلق لكم مافي الأرض جيعا - ألم يقل - وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين * وسخر لكم الليل والنهار - فهل خص الله هذه للنسج بأعم غيرنا . أم نحن داخلون في الخطاب . فوالله عار على أمة الاسلام أن تكون أول الجاهلين بهذا الدين

ربما كان يعتفر بعض الجهل إذا كان المتقدمون ساكتين عن هذا الموضوع مغفلين له ولكنهم أوجبوا جميع الصناعات . وأقل - الثغاة تعرفنا قيمة الصناعات والعلوم اليوم . فبالت شعري من هذا الذي أفهم للمسلمين

أن علوم الدين خاصة بالفقه ومقدماته . من ذا الذي قال به . أن من يقول إن الفقه وحده هو الواجب وبقية العلوم غير واجبة غير موجود في أمة الاسلام إلا إذا كان لاقية لقوله . أيحبل في دين الاسلام أن يكون المسلمون وحدهم هم للتقاعدون عن العلم . أيحوز هذا . أين دعة الإصلاح . فوالله ليسأل الله كل عالم بقولي هذا ولا يرفع صوته . وليسأل الله كل من عرفه . نعم إن كثيراً من الناس عن هذا غافلون وغفلتهم ناشئة من العادة والتقليد والا فالعلوم كلها والصناعات واجبة وجوبا كفاييا . اللهم لا كفاية إلا بتعميم القراءة والكتابة جميع أفراد الأمة بقدر الامكان . اللهم لا كفاية إلا بنشر جميع العلوم من رياضية وطبيعية وفلسفية وسياسية وصناعية . اللهم إن هذا صار معروفا عند الخاص والعلم

فياحبها لأمة الاسلام . تلك الأمة التي تخطت البحر الأبيض الى عبوة الأندلس وعلت أوروبا ووجعت بخني حنين خائبة إذ قدر لها قادة جهلاء في تلك القرون وعلماء غافلون فاقصدوهم وأناموهم حتى ذهبوا طحين الرعي ممزق الاشلاء وهم خامنون . أيحبل هذا أيها المسلمون

أيها العلماء . أيها القادة لا عطر بعد عروس . ولا عجباً بعد بوس . قد حتم الأمر واقرب الوعد الحق والأبصار شاحسة . وهل يحبل ذلكم بكم أيها المتعلمون . اني أذكر علماء الاسلام يقول الله تعالى - ان الدين يكتمون ما أنزلنا من الينان والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون - فهل لكم أن يبينوا للناس أن العلوم كلها واجبة وأن أرض الله يجب أن يعمرها عباده ويستخرجوا منافعها والا سلبها منهم وهم صاغرون . أيها الأمراء . أيها العلماء . أما أن لكم أن تذكروا . أومارأيتم كيف أذل لله الأمم الجاهلة وحفظ العلة

يا أمراء العرب . يا أبناء الأبطال . ألا أذكركم بمجدهم القديم . أنظروا في التاريخ تجدوه ناطقا بأن آباءكم هم الذين قلبوا الكرة الأرضية فامتلات علما بعد أن كانوا بالجهل قانعين وقد غفلنا عليهم ملاسنا العلمية وأصبحنا منها مجردين . لعمرى لئن اختلف الشئى والسنى والوهاب في أمور فرعية فهل يختلفون في التوحيد . وهل يختلفون في العلم . وهل يختلفون في وجوب ما يلزم الأمة من العلوم والصناعات على الله الجاهلة الحرقاء . لحي الله الجاهلة التي أسدلت الحجاب على وجوه العلم ومعاهده الباسيات وسحبت ذلك الشماع الباهر والحسن الناضر والجلال الساسر عن عيون العاقلين . لحي الله أيما قصت على بناء المجد أن يرزحوا تحت أهوال الرؤساء الجاهلين . أما والله لئن لم ينته الأمراء عن التقاعد وأهل الفطنة عن التنافل لتنزلق الصواعق على الغافلين ولتقطع رؤس أبنت إذ حان قطوفها وليحقق الله وعيده في المسلمين إذ قال - وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم -

من الآن فصاعدا يجب أن يكون قواد هذه الأمة وأمرادها من المطلعين على سائر العلوم ومن المفكرين فالرئيس الصوفي أو الدينى أو الأمير إذا لم يكن ملما بالعلوم فان أتباعه غالبا على شاكته - وليسرق الله من ينصره ان الله لقوى عزيز - اه

﴿ المصلحون في الاسلام اليوم ﴾

(المقالة الثالثة)

أكثر المصلحين من الأمم الاسلامية اليوم انما يوجهون وجوههم الى مقصد واحد وهو خلوص العقائد من الزيف وطهارتها من الضلال . وتراهم يقصرون على ذلك همهم ويصرفون اليه وكدهم قرونا وقرونا وما مثلهم في ذلك إلا كتل من الأخذ يقول لابنه ﴿ اباك والسرفه والكذب والصوفى ثم عطله من بيع المكاسب ﴾ واعلم أن أحوال العقول الانسانية ﴿ ثلاث ﴾ اما أن تكون ملوثة بالعقائد الزائفة كأرض الزراعة السبعة لا تنبت إلا ما لانفع فيه من النبات . ولما أن تكون طاهرة خالصة من الزيف ولكنها معطلة كأرض

صالحة للزراعة وأهلها لا يزرعون . وإنا أن تكون غنية بالعلوم مزدانة بالحكمة كأرض تبت كل نبات وفاكهة ونخل ورمان

فإذا دأب المصلحون في الاسلام على قولهم دعوا للزينة والاحلاد وطهروا العقائد ثم تركوا العقول خالية من العلم . بعيدة عن الحكمة . غافلة عما أبدعه الله في الأرض والسماوات . غير عالة بما أحاط بها في الشرق والغرب من الأحوال ضرب بينها وبين العلم بسور عظيم فاعلموا مثل الفلاح الذي نقي أرضه وأصلحها وجعلها أهلا للزراعة ثم أخذ يفتخر بما صنع فهو لا محالة حاسد بعد ذلك زرع الندامة والحزى والتقهقر الممين هكذا دعاة الاسلام للمصلحون إذا كان هذا دأبهم فليعلموا أن الأمر يخرج من أيديهم . وليعلموا أن وقت حساب الأمم قد آن وأن الله سبحانه قد أنزل القصاص في الأرض ليطهرها من المفسرين

أيها الرؤساء والعلماء ورجال الصوفية اتقوا ربكم وحضوا الأمة على التعلم واعلموا أن عز الانسان بمن أمته وذله بذله . فكلم من عقول دفت . وكلم من مواهب ذهبت فحسب الجهالة . وكلم من قوى قيمة عظيمة أبدعها الله في أبناء الفلاحين في القرى والكفور ثم طاحت وضاعت وسال دماها على مذبح الجهالة والغفلة والتقصير . الله قسم القوى والقدر على عدد الناس ولم يفرقوة صناعية أو قوة علمية الا خلق لها في كل أمة من هم أهل للبراعة فيها . وهل يستخرج تلك الكنوز الا بالتعليم

أيها المسلمون . أيها الأمراء في الاسلام . أيها القادة أقول لكم قولاً حقاً مادام المسلمون يحتاجون الى ابرة أو مفتاح أو مدفع أو محرث أو أى شئ من الخارج وهم مقصورون في صنعه فهم معدون يوم القيامة جميعاً . والعذاب اليوم ظاهر في الدنيا فان اذلال الأمم انما نزل بها هم سائر أفرادها - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى -

أيها المصلحون في الاسلام بلغ السيل الزبى وجاوز الخزام الطيبين ولم يبق في القوس مزنة وحسب الأمر فهاذا أتم فاعلمون . أسركم أن يكون فريق من المسلمين كالأمة العربية متجاوزة السلاسل متحدة اللغة والدين لا فاصل بينها الا الحدود الطبيعية تسرى متنافرة جاهلة لا يعرف المراكشي منها السوري ولا العراق منها المصري بل هم مشتتو المشارب . مقطعو الأوصال . فلماذا هذا . أقول انهم لم يتعلموا والمتعلمون منهم تعليمهم غالباً أتر وناقص . والا فبالله خبروني كيف يكون بمالك تعدد العشرات تدخل في مملكة واحدة وهي الممالك المتحدة بأمريكا وبينهم من سائر الأجناس والأمم والأديان فيهم اليهودى والمسيحي والمسلم فيهم الألمانى والسورى والهندي واليابانى فيهم من كل أمة وهم متحدون . أما أبناء الاسلام المتجاورون فلجهلهم وقلة علمهم لم يعرف بعضهم بعضاً . ألا ساء ما يفعل الشرقيون . اجتمعت الممالك للتحدة بالعلم وافترقوا للمسلمون بالجهل سوا كانوا عرباً أم غير عرب

أيها المسلمون . عثموا التعليم واجعلوه على أساس متين . فليكن التعليم الأولي علماً . ولتكن جماعات تختص بكل علم أو صناعة وبغير ذلك لاحياة ولاشرف ولاحرية ولاسعادة . ألم تقرأ قول الله تعالى - اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم - فانظروا كيف قرن الله العلم والقلم بخلق الانسان في أول سورة نزلت . انظروا كيف يقول - هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - فقد ذكر العلم ولم يذكر المعلم ليكون التعليم على حسب ما يقتضيه الزمان ان الله يسأل العلماء والرؤساء والأغنياء في مصر وفى سوريا وفى العراق وفى أفغانستان والترك عن مجموع الأمة والله المستعان

(الاسلام والاستعمار . المقالة الرابعة)

(سهاة الآراء في بلاد الشرق واسبابها في بعض البلاد الاسلامية)

ان العلم الناقص يؤدى الى الاختلال والجهل ويصعب الأمم ويؤديها الى دار البوار . ان المعلم الناقص

أضرَّ على الأمة من الجهلاء الأغبياء . فالتعلم الديني والتعلم المدرسي كلاهما اذا كانا ناقصي العلم ألما أعدائهما وأقوى محاربيهما فان أعينهم في غطاء فهم - الأخسرون أعمالا - الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - يسؤون حيث يحسنون . ويهدمون حيث يبنون . ويخرقون حيث يرفعون . ويقطعون حيث يصلون . ألا أهدئك (حديثين) حديثا اتفق لي مع قاض عظيم ومؤلف كبير قد مضى الى ربه وذكره مشهور في أقطارنا المصرية وغيرها وهو للتعلم المدرسي بالعلم الصرى . ثم أتبعه بحديث الامام الغزالي عن علماء الدين في زمانه أيام عصر الدولة العباسية في الأيام الخالية والقرون الماضية تعلم الى أى حد يصل الجهل والضلال . وإلى أى مدى يصل القصور بالجهل

(حديثي مع ذلك القاضي الشهير)

منذ بضع عشرة سنة عهد الى من قبيل وزير المعارف أن أطالع كتاب (الرسالة القشيرية) في علم التصوف مع عظيم من عطاء الترجمة ليرجمه الى اللغة الفرنسية . والتي أسره بترجمة ذلك الكتاب أستاذه الألماني المسمى (ماركس) فلما أخذنا في فهم تلك الرسالة التي ألفها الاستاذ القشيري الصوفي سنة ٣٥٠ هـ تقريبا وجعلها رسالة منه الى الصوفية في بلاد الاسلام . قال لي ذلك الافرنججي يوما . اني أود أن أرى فلانا القاضي لشهرة اسمه في بلادنا فأرسلت اليه فخره وكلمة بالفرنسية . ثم ان ذلك الافرنججي أخذ في بعض أعماله فسألني ذلك القاضي قائلا . أنت من دار العلوم . فقلت نعم . فقال هي مدرسة حسنة وقد خرج منها عظماء . فقلت نعم ولقد أفادت البلاد بالمدرسين والمفتشين ولكن بقي شيء . قال وما هو قلت ان أستاذنا المرحوم علي مبارك باشا قال لنا انكم انتخبتم من الأزهر والأزهريون اذا قرؤا علوم أوروبا وطبقوها على الدين أزهرت بلاد الاسلام وأينمت وأخذت زخرفها وازينت . ومادام للعلم في ناحية والدين في ناحية فان بلاد الاسلام تبقى وحوشا يابا وقاعا صفصفا وصعيدا جزا تذرؤه الرياح . ذلك لأن هذه الأمة تعتقد بدينها وتمسك به وهذا التمسك يوجب الضيق ويحدث التقصيص فان عالم الدين ان كان جاهلا فهم له تابعون وان ارتقى في العلم كانوا عالمين . فالأمة الاسلامية اليوم لفة العلم بهذه الدنيا ونظامها وجهل القائمين بارشادها واقعة في براثن الاستعمار والاذلال . فاذا قام فريق من أهل العلم الديني وكانوا على نور من ربهم في العلوم المصرية اتبعتهم الأمة وأسرعوا الى الرقى أكثر من جميع الأمم لأن العقيدة الدينية يكون لها أثر في العلوم وتحصيلها عظيم . فقال القاضي وماذا تقصد بذلك . قلت أقصد اننا معاشر للتخرجين من مدرسة دار العلوم قد وضعت في أعناقنا هذه الأمانة وهي تطبيق العلم على الدين كما قاله أستاذنا المرحوم علي مبارك باشا وهذا فرض كفاية علينا لأننا قرأنا الدين وقرأنا قسطا من العلوم المعروفة اليوم . فقال (وكنت أنا أعلم أنه ينكر جميع البيانات) أما أنا فاني أقول العلم شيء والدين شيء آخر . فقلت له ليكن ذلك فسرأنت بعلمك وعقلك ولأسرأنا بديني فلم أنت الناس الامور المعقولة وأنا لفة علمي أعلمهم أشياء ليست من الدين وأدخلها عليهم وأنا الغالب لأن الناس يتبعوني وأقلهم هم الذين يعقلون . فأنا يتبعني . وأنت يتبعك واحد . ولانزال الأمة في ارتباك الى ماشاء الله . فقال ان الحرافات الملققة بالعقول تزيد بها العلوم الرياضية والطبيعية . فقلت نعم ولكني أقول اني لا أمكنهم من قراءتها وأقول لهم هذا كفر فينبغي الناس ويتركوك فسر بعقلك ولأسر بما عندي وأنا الغالب . فقال وما الذي في القرآن . أليس الذي فيه (الجوجيل) يريد بذلك أن الذي في القرآن انما هو التشويق للعلوم . فقلت نعم واذا ظهرت أمة وأريد رقيها وقيل لها أيها الأمة ان ربك يقول لك (الجوجيل) فهذه الجلة يكني أن تقود الأمة مي كان هناك قواد . قال وكيف ذلك . قلت هذه الجلة تجعل كأنها عصا يساق بها الناس الى العلم ويجب أن تصقل وتوضع بين السماء والأرض ويقال انظروا جمال الجوجيل بجمال النجوم وجمال الزهر ومن هنا يدور البحث

جميعاً فليعلم أن يكفوا طوائف منهم بإتقان تلك العلوم والصناعات المختلفة . ثم قال لي إن جميع علماء بلدي حرموا هذه العلوم . أقول وقد أخذني صديق لي من علماء تونس قائلاً إن بعض العلماء في بلادهم يقولون أنه لا يجب شئ غير علم الفقه . أما النظر للعالم العلوي والسفلي فيكني أن ينظر الإنسان بعينه . فالاسلام اليوم أضعف منه في كل زمان

وقد جاء في الجرائد منذ أيام (يولييه سنة ١٩٢٧) أن ملك الأفغان أقفل مدارس البنات لأن علماء الدين حرموا تعليمهن حتى استغنى علماء الأزهر وعلماء الهند فأقتوه بتعليمهن ففتح المدارس مرة أخرى كل ذلك قصور التعليم الديني في بلاد الاسلام وعكوفهم على علم خاص ومقتضاه

وإني أطالب كل من وقع هذا في يديه (هنا في كتاب التفسير للؤلؤ نداء العقلاء في الاسلام) أن يبحث في هذا الموضوع ويفكر بعقله ويستخرج العلوم الواجبة على المسلمين ويرفعها لولاة الامور فانه ظهر بهذا القول أن علم الدين ليس خاصاً بالفقه بل العلوم كلها والصناعات أصبحت فروعا لشجرة واحدة هي الحياة الانسانية . وكل ماعدنا الآن خطأ نشأ من عادات قديمة راسخة . فليقلب التعليم في المعاهد الدينية على حسب ماقلناه وكذلك في المدارس المصرية . ولتسكن للأمة حال جديدة فهذه الحال لا يجوز ابقاؤها وليدرس هذا الموضوع دراسة تامة . فالاسلام وأمة الاسلام اليوم في خطر ولا نجاه منه إلا بما ذكرنا واتباع قوله تعالى - لا يكلف الله نفساً إلا وسعها -

(الأوقاف الاسلامية والمعاهد الدينية في البلاد الاسلامية) اذا قرّر أن فروض الكفايات تشمل العلوم والصناعات وأن المعاهد الدينية يدرس فيها علم النحو والصرف والمعاني وأمثالها وعلوم أخرى من أصول الدين والفقه . وكذا الحساب والهندسة والنظر في الكون . أفلا ينبغي أن ينظر في أمر الشهادة النهائية ويقال ان هذه العلوم كلها فروض كفايات لافرق بين مايسمى علوم الدين ومايسمى علوم الدنيا إذ ظهر أن هذه التسمية غلط وخطأ من المسلمين

فاذا نظر رجال الحل والعقد في المجالس النيابية والوزراء والأمراء في أمر ما تحتاج اليه الأمة من العلوم والصناعات ثم قرروا أن يكون في تلك المعاهد شهادات عالية أيضاً للهندسة وأخرى للطب والصناعات الشريفة باعتبار أنها فروض كفايات وأن كثرة المتعلمين في البلاد من نوع واحد غير مفيدة كما قاله أسلافنا اذا حصل ذلك فإني أراه موافقاً للدين بل أقول فوق ذلك ان مخالفة هذا تناقض للدين كما قرّر الامام الغزالي من النداء بالويل والتبوء ومخالفة الدين بسبب كثرة الفقهاء وقلة الأطباء في زمانه

الله الله عباد الله اتقوا الله في دينكم وأمتكم وليكن لطلاب المعاهد الدينية حياة أسعد من هذه وأرق منها بتنوع شهادتهم مع انهم منسوبون للدين فمن أخذ الشهادة بالطب لا يكون أقل من أخذها بالفقه لأنها درساً معاً هذا القرن ولكن أحدهما اختص بالطب والآخر استمر بحسب استعداده في الفقه وكذا الهندسة وأمثالها ويكون تخصيصهم بحسب استعدادهم في الامتحان التحريري بالأكثر

ثم ينظر أهل الحل والعقد والأمراء في مختلف البلدان في الأوقاف الاسلامية وتنظم نظاماً تاماً فلا تبقى مبعثرة كما هي الآن . ويحرم الاتفاق على العاطلين القادرين على العمل بل توجه لما هو أصلي لرق الأمة واستخراج ما كمن من القوى والقصر في نفوس الناشئين

﴿ تبیان معنی التفقه فی الدین ﴾

ولما أتممتها كتاباً هذه المقالات في جريدة (كوكب الشرق) على الملأ من علماء الاسلام واطلع عليها الأخ المتقدم ذكره قال حسن ما كتبت ولكن هل هذه الآية تحتاج الى هذه المقالات كلها . يقول الله تعالى - وما كان المؤمنون ليفروا كافة - ثم أمرهم أن يكونوا ﴿ فريقين ﴾ فريق للجهاد . وفريق

للتفقه في الدين . فهل التفقه في الدين هو هذا الذي ذكرته كله . قلت اعلم أن تقسيم الأعمال على الناس مأخوذ من هذه الآية بطريق الاستنتاج والقياس وإن أبيت إلا أن يكون بطريق النص ففكر في معنى التفقه في الدين . فقال علم الفقه معروف . قلت إن القرآن نزل على نبينا العربي ﷺ بلسان عربي مبين فأما هذا المعنى الذي ذكرته أنت فهو اصطلاحى والاصطلاحى غير اللغوى فأقر أن لم ينزل على قلوب علماء الفقه الاصطلاحى بل أنزل قبل وجودهم فستحيل أن يكون الفقه المعروف هو المقصود . فقال ما معنى الفقه في اللغة بالتحديد . قلت قال في القاموس المحيط الفقه بالكسر العلم بالشئ والفهم له والفطنة . ثم قال وفقهه كعلمه كشفه وفقهه تفقها علمه كأفقهه وفقهه بإحسه في العلم اه

فأذن الفقه هو نفس العلم وقد يلاحظ فيه الفطنة فيكون من فقه الشئ أدق وأوفى علما من غيره فقوله تعالى - ليتفقهوا في الدين - إما المراد العلم به وإما المراد العلم الأتم مع القطة وهذا المعنى ليس خاصا بالأحكام الشرعية . فالعلم الذي يورث خشية الله والخوف منه فقه . والذي به الوعظ فقه . وتذكر القرآن فقه . وعند نعم الله فقه . والعلم الذى به الورع والعفة فقه والعلم بإفقه وأحكامه وأفعاله في عبادته فقه لأن العلم والفقه بمعنى واحد كما عرفت . قال إذن كل ما عليه للسلمون خطأ وأنت بهذا تخطئ أتمه بتمامها وهذا لا يترك عليه أحده قلت لم أقل هذا بل لا يحظر لجاهل . قال ألم تعلم أن علم الفقه خاص بهذا الشئ دون غيره ولم يقل منهم أحد بما ذكرته أنت . قلت هذا كما قلته لك اصطلاح والاصطلاح غير اللغة ولا مشاحة في الاصطلاح والا فالآية تعطى هذه المعاني التي ذكرتها لك . فقال لئن تخلصت بهذا القول فلن تفر عما بعده . قلت وما هو . قال وهل جميع العلماء السابقين كانوا في غفلة فلم يقولوا ما قلته أنت . إن هذا ليجب عجاب . قلت أنا لست عفترا لهذه المعاني بل هي نفس ما قاله الإمام النزالى في الاحياء . فقال أذكر ما قاله بالنص . قلت قال في الرابع الأول عاصمه

﴿ بيان ما يدل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم للمنومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسماء المحمودة وتبديلها وتقليلها للأغراض الفاسدة الى معان غير ما أرادها السلف وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة . فهذه أسماء محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها قلت الآن الى معان منومة فاصارت القلوب تفر عن منمة من يتصف بمعانيها لشيوع اطلاق هذه الأسماء عليهم

﴿ اللفظ الأول . الفقه ﴾

فقد نصر فوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع العربية في الفتاوى والوقوف على دقائق علما واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الأئمة . ولقد كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل - ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - وهي الآية التي نحن بصدد الكلام عليها . ثم قال ويحصل به الانذار والتحذير هو هذا الفقه دون تعريفات الطلاق والعناق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به انذار ولا تحذير بل التجرد له على العلوم يسمى القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من التجردين له وقال تعالى - لهم قلوب لا يفقهون بها وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى . ولمعنى ان الفقه والقهم في اللغة اسما بمعنى واحد وإنما نتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى - لأتم أشد رهبة في صدورهم من الله - الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم سطوة الخلق على قلة الفقه . فانظر أكان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتعريفات

الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم * وقال عليه السلام ﴿ علماء حكام فقهاء ﴾ للذين وفوا عليه * وسئل سعد بن إبراهيم الزهري رحمه الله أى أهل المدينة أفقه فقال أفعالهم لله تعالى . فساكنه أشار إلى ثمة العلم الباطنى دون الفتاوى والأقضيه * وقال عليه السلام ﴿ ألا أنبئكم بالفقير كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله . ولم يؤمنهم من مكر الله . ولم يؤيسهم من روح الله . ولم يدع القرآن رغبة عنه الى مساواه ﴾

ولما روى أنس بن مالك قوله عليه السلام ﴿ لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب . قال فالتفت الى زيد الرقاش وزيد الخمرى وقال لم تكن مجالس الفكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا وإنما كنا نقعد فنذكر الایمان وتندبر القرآن ونتفقه في الدين ولعدت نعم الله علينا تفقها ﴾ فسمى تدبر القرآن وعدت النعم تفقها * قال عليه السلام ﴿ لا يفقه العبد كل الفقه حتى يميت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ﴾ وروى أيضا موقوفا على أبى السرداء رضى الله عنه مع قوله ﴿ ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقنا ﴾ وقد سأل فرقد السبخى الحسن عن شئ فأجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله شكلتلك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا . الراغب في الآخرة . البصير بدينه . المداوم على عبادة ربه . الورع . الكفاف نفسه عن أعراض المسلمين . العفيف عن أموالهم . الناصح لجماعتهم ولم يقبل في جميع ذلك . الحافظ لفروع الفتاوى ﴾ ولست أقول أن اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستنباط فكان إطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تليس بئ الناس على التجرد له والأعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجهاد والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذى هو اسم محمود في الشرع . انتهى ما قاله الامام الغزالي

فأفهم هذا المعنى أن الفقه يشمل ﴿ أمرين ﴾ أحدهما تعداد نعم الله وهى العلوم كلها التى تدرس في مدارس أهل الأرض اليوم وعلوم تهذيب النفس التى سماه علم الباطن ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ علم النفس وعلوم الآفاق . هذا هو ما يطلق عليه الفقه . وفى هذا للتفسير الاهتمام أكثر بعلم الآفاق الذى هو تعداد النعم وبه خشية الله تعالى كما قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكر ألوان الجبال والثمار والناس والسواب والأنعام . فقال صاحبى قد ذكرت كلام الامام الغزالي في الفقه . فماذا قال في العلم . قلت قال انه يطلق على العلم بالله وبآياته . وبأفعاله في عباده وخلقه . وذكر أن هذا تسعة أعشار العلم التى كان يحملها عمر رضى الله عنه قال ثم خصصوه بالفقه ونحوه كسابقه وقال ان ذلك صاربها مهلكا خلق كثير من أهل الطلب للعلم . وجعل التوحيد أن يرى الانسان الامور كلها من الله تعالى فيترك الانسان شكاية الخلق ويرضى ويرتك الغضب ولا يتبع الهوى مثلا يكون تاركا للتوحيد . ويرجع التوحيد لظواهر القرآن التى تتسابق للأذهان فكان العلم بالقرآن هو العلم كله * وقال في الذكر والتذكير انهما يرجعان لمعركة عيوب النفس وحقارة الدنيا والتذكير بنعم الله تعالى وتقصير العبد في الشكر . وقال في الحكمة نحو ذلك . ثم قلت له فهل أدلك على ملخص ذلك كله . قال نعم . قلت هو مجمل في سورة الفاتحة مفصل في القرآن ان العلم والفقه والتذكير والتوحيد والحكمة يرجع أغلبها الى ﴿ أمرين ﴾ كما قدمنا وأولهما علم نعم الله وهى العلوم كلها من الطبيعيات والرياضيات وهى التى يعرف بها جلال الله تعالى ﴿ ثانيهما ﴾ معرفة جلال الباطن وسلوك النفس . فهما اختلفت العبارات فالمرجع لجلال أنفسنا بالصفاة وتهذيبها حتى تقبل معرفة العلوم التى ملأت

السكرة الأرضية اليوم وهذان الأمران المذكوران في الفاتحة ﴿ الأمر الأول ﴾ أن الفاتحة فيها ذكر الحمد على نعمة تربية هذا العالم كله والعلوم كلها هي معرفة هذه الدنيا ولا يتم الحمد إلا بمعرفة النعمة ولذلك صرح بها فقال - صراط الدين أنعمت عليهم - والانعام هنا يرجع إلى نعمة العلم والعمل لأن المنعم عليهم هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون . وهؤلاء نعمهم عليية عملية والأفاليهاهم والجهال والمعصاة منهم عليهم بلا علم ولا عمل . فآله لما ذكر الحمد أتبعه بذكر النعمة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن يدرك المرء هذه النعم ويعرفها وذلك بالعلوم كلها ﴿ الأمر الثاني ﴾ تهذيب الباطن وتطهير النفس وهو المقصود من هداية الصراط للمستقيم . هذا هو إجمال معنى التفقه في الدين في آيتنا التي نحن بصدد الكلام عليها

﴿ تفصيل هذين الأمرين في سور القرآن ﴾

ثم قلت أعلم أن هذا المجلد في سورة الفاتحة فصله الله في القرآن فأزل نحو ٧٥ آية في معرفة العوالم المحيطة بنا في السموات والأرض . وذكر بنحو عدها أيضا آيات لأجل تهذيب النفس وعلم السلوك ولتطهير وآيات القسمين المذكورتين بنصها في كتاب ﴿ جواهر القرآن ﴾ للإمام الغزالي . ثم أعلم أن هذا التفسير قد قام ببيان أهم ما ذكرناه الآن بفضل الله تعالى . ولقد ظهر فيه أن بقية آي القرآن تنحو هذا المنحى فانك إذا نظرت إلى القصص التي لم تدخل في تهذيب نفس ولا ترغيب في علم قد رجعت إلى هذين الأمرين كما تطلع عليه في هذا التفسير بإيضاح فآيات القرآن كلها ترجع لتهذيب النفس وتعليم العلوم الكونية وهما الأمران المذكوران في الفاتحة وهذا كله يسمى تفقها في الدين ويسمى علما ويسمى بعضه توحيدا ووعظا وتذكيرا وحكمة . ثم قلت له تبين لك أيها الفاضل أن لفظ التفقه في الدين تشمل العلوم التي بها نعرف الله والعلوم التي تهذب بها نفوسنا . فأما ما عدا ذلك من الصناعات المنتشرة في الأرض فلها تسمى فروع كفايات وهي تعين على الأمرين المذكورين . فلما سمع ذلك قال لقد استوفيت المعاني استيفاء ولكن تلك كلام الأمام الغزالي فيه اعتراض . فقلت قل ما بدا لك . فقال أكثر أحاديثه ضعيفة . فقلت إنما طلبت مني ما يأتي . هل قال هذه المعاني أحد . فقلت لك نعم وذكرت ذلك . أما ضعف الأحاديث فليس يضرنى لأنه يقول المعاني الشائعة عند الصدر الأول فضعت الحديث ليس ينقص موضوعنا . قال حسن . ثم قال لماذا لم تنشر هذا بين الأنام وتبين كيف يعلم المسلمون هذا في مدارسهم حتى يتفقهوا في الدين . فقلت أما النشر فإن هذا التفسير قد قام به على مقدار طاقتي وهذا هو الممكن لي . فقال فلنكتب في الجرائد . قلت قد كتبت بضع عشرة مقالة في جريدة ﴿ كوكب الشرق ﴾ في نحو هذا المعنى بعنوان ﴿ خطاب إلى الأمم الإسلامية ﴾ وقد أدرجت منها فيما تقدم المقالة السابعة . وسأذكر هنا المقالة الرابعة المنشورة يوم ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٥ م الموافق ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٤٤ هجرية وهذا نصها

﴿ من هم الأولى أن يسموا علماء الاسلام ﴾

قال الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور -

يخاطب الله كل عاقل مقرا له أنه أنزل من السماء ماء ومن هذا الماء خلق الله الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح . وذكر أن الجبال بها طرائق مختلفة الألوان باختلاف ألوان الأنهار . من طرائق بيض وأخرى حر وثالثة سود شديدة السواد . وهكذا الدواب من الخيل والبغال والخيول والأنعام من الإبل والبق والغنم . كل هذه مختلفات الألوان كالثمار والجبال - ثم قال بعدها - إنما يخشى الله من

عبادة العلماء - فقلبت شعري أى علماء يحشون لله . أعلماء الطهارة والنجاسة واليوسع والميراث . أم العلماء الناظرون في ملكوت السموات والأرض الذين آتاهم الله الحكمة . وتقشروا في خلق السموات والأرض تفكيراً مبيناً على براهين ثابتة في علم الحكمة

ألا قبح الله الجهل والغرور . ألا قاتل الله الكبرياء . لقد صرف الله المتكبرين عن آياته فقال - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الحق يتخفوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين - يقول الله في القرآن - إنما يخشى الله من عباده العلماء - بعد ذكره عجائب الأرض والسموات فيقول بعض الزعماء في الاسلام العلماء أى بالفقهاء ويكتفون من التوحيد بتلك الكتب التي وضعت للرد على قوم كانوا ضالين

أيها المسلمون اني أنصحكم أن علم التوحيد هو جميع العلوم من الفلك وعلم النبات والحيوان والانسان وطبقات الأرض وجميع ما خلق الله . يقول الله - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ - يوجه الناس على تقاسمهم ووقوفهم عن النظر فيما خلق الله في السموات والأرض . يسمى الله هذه الطاقة المفكرة في بديع صنعه علماء وانهم يحشون الله

ولعمري لا يخشى هؤلاء الناظرون الله إلا اذا كانوا ينظرون من طريق الدين . فالدين الاسلامي يعرض على النظر . ومن فكر في هذه العجائب التي خلقها الله فانه يحس في نفسه الله بالظمة التامة والحب العظيم وهناك ينبغ في الاسلام - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وآتوا الزكاة - هؤلاء هم العلماء الذين اذا كثروا في أمة الاسلام أضاءت بهم الأرض وزاينت وأشرقت بنورها

أيها المسلمون . أليس هذا كلام ربنا . أفليس هذا قول الله تعالى . يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات لعالمين - (بكسر اللام) فجعل في خلق السموات والأرض واختلاف اللغات والألوان دلالات للعلماء لا للجهلاء وأى علماء هؤلاء . أهم علماء الفقه أم علماء الجدل المسمى بالتوحيد . لا . لا هو العلم بالفلك وعلم المواليد الثلاثة من معدن ونبات وحيوان وعلم طبقات الأرض وفروعها

إن علم الفلك ليس يكون إلا بعد علم الحساب والهندسة والجبر فهذه العلوم لا يتم علم الفلك إلا بها وهكذا علوم عجائب الخلق في الحيوان والنبات والانسان لا تتم إلا بالعلوم الرياضية أيضاً والعلوم كلها شجرة واحدة أصلها ثابت في القرآن وفروعها في جميع أعمال الحياة وعنان السماء وأطراف هذه الدنيا

العلوم كلها متصلة متحدة متألقة فمن عطل بعضها حرم الجميع ولم ينل إلا غلواهرها . فبالت شعري أم يقرأ علماء الاسلام قوله تعالى - وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحا طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تتشكرون - ابتداء الآية ببجمل اسمية تفيد التأكيد وجعل تسخير البحر لنا وجعل مواخره (أربعة) أكل لحم السمك منه . واستخراج الدر والمرجان ليكونا حلية منه . وأن الفلك تجري فيه بين أوروبا وأفريقيا وآسيا وأمريكا واستراليا . يقول العلماء اننا نستفيد بذلك التجارة وتبادل المنافع في الأقطار المختلفة . هذه عناية الله بخلقه ورحته بهم وتكرمه لبني آدم . كرم الله بني آدم فجعلهم في البر بالبوواب والقطر . وفي البحر بالسفن ورزقهم من الطيبات وفضلهم على كثير من خلقه . فانه جعل من تكريم بني آدم جعلهم في البر والبحر للدكور في هذه الآية تسخير الحر فقد سخر ليجري السمن فيه بأمره وهي تحملها وتحمل بصالحنا . هذه بعض عناية الله بالأمر ولكن المسلم لما كرمه الله بهذه وأبلغ له استخراج الدر والمرجان من البحر ولما بجانها

وأعرض عن نعمة ربه وقال مالى وللدن والمرجان ومالى وللسمن في البحار فكتنع السفن المانيا وأمريكا
وفرنسا ولتحمطنا عليها اذا سافرنا . أما الدن والمرجان فهما لافائدة فيما فقول

أيها المسلم . أيها العاقل . أيها الفقيه . أنظر بعقلك أولا وانظر في الآية ألم يفتح الله لك خزائنه
البحرية . ألم يقل لك هاهو مرجأتى في البحر فك أن تستخرجه . فيقول قتيهم وهو متكبر محقر
أى فائدة من هذه . أليس للمرجان خزات تنظمها الساء يجعلهن زينة وأى فائدة في هذه . قول له
اقرأ علوم الأمم الحاضرة . اطلع على كتب الأمم العظيمة وانها دخلت في قوله تعالى - فرحوا بما عندهم
من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤن - فاذا استهزأت بهذا وأمثاله اتبعك الشبان وهم الذين يصيرون قادة
فتكون عقولهم كمقلد فيموت العرب وبقية أمة الاسلام وذلك من برك وعظمتك والله يقول - فبئس
مثنوى للتكبرين - ويقول - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه - ويقول - كذلك كذب الذين من قبلهم
حتى ذاقوا بأسنا - فالاستهزاء والتكبر سبب خراب بلاد الاسلام الآن

فربما يحيبك بعد هذه التكبرياء ويقول لك حدثني عن منافع هذا المرجان . اذا قال لك ذلك فقل
له ان المرجان عبارة عن هياكل حيوية ترسب في أبدان حيوانات دنيئة جدا شكلها كشكل الأزهار ذات
ألوان مختلفة كاختلاف أزهار الأرض نظاما وبهجة وهي أجل منها بما لا يقاس وهو يوجد حول جزائر بحر
الزرد في قاع البحر من ٣٠ قامة الى ١٣٠ قامة وهو أشبه بشجر قائم في البحر لا يزيد ارتفاعه عن قسم
وأهمه يكون أمام تونس والجزائر ومراكش وقرب نابولي وجنوى وسردينيا وكورسكا

أندرى من يفوس على هذا المرجان . يعوص عليه القرعجة وهو غوفى عشرينين وكل سنة يعوصون
على قسم منها ففي بعض السنين كانت الزوارق الايطالية ١٥٠٠ زورقا وفيها ٤٢٠٠ نوتى وكسبو في تلك
السنة أربعة ملايين ومائتى ألف فرنك والفرنسيون والاسبانيون في تلك السنة كسبوا مليوناً وخمسة مائة وخمسين
ألف فرنك . أليست تونس والجزائر ومراكش بلادا اسلامية . يأخذ الاوروبيون للمرجان من بحرهم
وهم لا يعملون شياً . ويألبت شعري أليس الله يقول في آخر الآية - ولعلكم تشكرون - وكيف يشكر
المسلم على نعمة لم يعرفها . نعمة فتحت لأهل أوروبا بسبب علمائهم وأقلعت على المسلمين بسبب جهل
بعض رجال دينهم ألا ساء مثلا القوم المتكبرون الغافلون

إن الله يسأل كل من يقرأ هذا المقال من العقلاء في الاسلام ولا يشكر فيه ولا يجد في السحت والتنقيب
لأن هذا فتح لباب العسكر في آيات القرآن كلها - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلا وإن الله لمع المحسنين -
فلما سمع ذلك صاحى قال عرفت نوع الكتابة للعموم في هذا المعنى فأرجو أن تقي بما وعدت به من
كيفية التعليم في مدارس الاسلام لبأوغ السعادة حتى يتفقه الناس في الدين . فقلت قد علمت فما سبق أن
الظفر في عجائب السموات والأرض هو العلم الواجب شرعا فأرى أن يتبدأ في القسم الابتدائى في المعاهد
الدينية في بلاد الاسلام بمجموعة من المعادن والنبات والحيوان ويذكر فيها نبذ من تلك العجائب والحكم
الغالية بحيث تكون سهلة التناول كأن يذكر الدن والمرجان وبين مثلا أن أنفس الزينة وهو الجوهر من
حيوان بحرى وهو الحمار . وأن ألد الطعومات من حسرة في الدن وهي النحلة الطائرة في الهواء . وأن أجل
ما يلبسه الناس من صنع دودة في الأرض وهو الحرير فيقول المعلم مثلا . أنظر كيف جعل الله عز وجل
أجل ريتنا وألد مطعوماً وأبهج ملبوساً مصوغات بدواب البحر والأرض والهوا . وهذه الصناعات
من أصعب الحيوانات في الممالك الثلاثة للماء والتراب والهوا ويكثر من أمثال هذا وتكون جميع الشروس
على هذا النمط ويسر على هذا اللوال ويذكر آية من القرآن ويترك الطالب يستنتج ويؤمن بالله ويضع به
بهذا وحده يربى الشعب الاسلامي وبهذا وأمثاله يعرج نابزون وهذا هو الذى جاء له القرآن ثم يسير مع

الطالب في كل المعادن من الحديد والنحاس والقصدير والذهب وغيرها مينا فوائدها معظمها خالقها مظهرها حكمته وبدائع صنعه فيذكر قوله تعالى مثلا في الحديد - وأنزلنا الحديد فيه ناس شديد ومنافع للناس - ولا يكتر من الاعراب ولاصناعة الكلام بل يقول انظر الى هذه القطعة من الحديد وهو المسمى بالزهر وهذه تسمى بالحديد المطاوع وهذه تسمى بالحديد الصلب وانظر الفرق بين الحديد الزهر والحديد الصلب الا ترى أن الصلب يقبل الطرق والسحب والزهر ليس كذلك . وترى الصلب يقبل القوة للمناطيسية أما الزهر فليس كذلك لأن الصلب نقي مما بداخله والأول مخلوط بأشياء غريبة عنه ثم يقول وهذا التنوع في الحديد لفوائده ويشرحها ويذكر أنه من الجبال وكيف خزن فيها وكيف كان بمقدار الحاجة وكيف هدى الله الناس لاستخراجها وكيف كانوا قبل ذلك لاعمس لهم إلا بالجحر أو نحوه . ثم ينتقل الى مجموعة من علم النبات ويشرح الزهر وجماله وكيف يكون الاقحاح في زهر الحدائق والمزارع . ويبين كيف كان لريح والحشرات مسخرات لتلك الاقحاح وأن ذلك من عجائب القرآن إذ قال تعالى - وأرسلنا الرياح لواقح ليج - وهكذا يريه عجائب الحيوان البري والبحري كالخوت المسمى (بالقطس) الذي يكون طوله عظيما ورأسه فيه الزيت المسمى (بزيت الحوت) وهو عشرات من البراميل فيسحب الطالب من حكمته ربه وغير ذلك من العجائب . وهذا العلم هو المسمى علم الأشياء كان يدرس في مدارس مصر قبل الاحتلال وفي أوائله ثم رفع بعد ذلك ورجع اليها الآن

هذا في القسم الأول في المعاهد الدينية . أما في الثانوي فيقرؤون نفس علم النبات وعلم المعدن وعلم الحيوان والنظام العام في علم الفلك حتى يشهد الطالب عجائب الابداع والتكوين ويتأمل كيف تطلع الشمس وتقرب بمواعيد محددة لا تحصى ثانية واحدة ليفهم قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - ويفهم أيضا قوله تعالى - الشمس والقمر بحسبان - ولا يعرف الطالب ذلك إلا اذا أخذ نموذجها سهلا جذا من الحساب وقرأ نظام الكواكب السيارة والثوابت وعددها وانها مئات للملايين وفهم أقدارها وأبعادها التي يعد بمئات الآلاف من السنين يسير الضوء . هنالك يظهر في الاسلام - رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - وكيف تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله وهم يشهدون صنعه وآثار جماله وحكمته وبدائع صنعه في النجم والقمر والشمس والزهر والبر والبحر . فلذا انتقل الطالب للقسم العالي في المعاهد الدينية فليخصص بعلم من العلوم العالية التي هي فرض كفاية كالعلوم العربية أو الفقه أو أصوله أو التفسير والحديث مثلا كالمهندسة أو علم النبات والحيوان أو علم الكيمياء والطبيعة أو علم الطب أو البيطرة . كل هذه يطلبها الدين بصفة انها فرض كفاية وعلى أولياء الامور أن يجعلوا القسم العالي للاختصاص ويجعلوا العلوم موزعة على قدر الحاجة فلا يظني الفقه على الهندسة ولا علم الطب على العلوم الرياضية . وكما يجب أن يعقد المرء في أحواله فبرني القوى التي في نفسه تربية متساوية فلا لناكرة تطفى على المفكرة ولا المفكرة على الفيلة . هكذا يجب أن يكون أفراد الأمة متعلمين بقدر الحاجة اليهم

هذا هو الصراط المستقيم - والله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب - اه

ولما أتممت هذا للقال قال صاحبي المتقدم من أهل العلم والصلاح لما اطلع عليه . لقد أجبت كل الاجادة وفتحت بابا واسعا لرقى الأمم الاسلامية في المستقبل . ولكنني أريد أن أسألك . هل كانت الأمم المحمدية ثالثة عما تذكره أنت الآن . فقلت كيف تقول عما أذكره أنا الآن . ألم تقرأ ما تقدم في سورة المائدة عند قوله تعالى - بعث الله عربا يبحث في الأرض - واتى ذكرت هناك كلام الامام العرلى في أن فروض الكفايات تشمل أعلى الامور الدينية كالسياسة وأوسطها كالحياكة وأدناها كالزينة والكساسة

فالخرف كلها والعلوم كلها فروض كفايات . إذن ليس هذا الرأي حديثا . وأذكر لك أيضا الآن ما جاء في كتاب (جمع الجوامع) للإمام ابن السبكي وشرحه الجلال الخطي فقد قال إن فرض الكفاية مهم بقصد حصوله من غير نظر بالذات إلى فاعله وزعمه الاستاذ أبو اسحق الأسفرايني ولما لم الحرمين والشيخ أبو محمد الجويني أفضل من فرض العين لأنه يسان بقيام البعض به الكفاية في الخروج عن عهده جميع المكلفين عن الاتم المرتب على تركهم له وفرض العين إنما يسان بالقيام به عن الاتم القائم به فقط

هذا نص كلام المتن والشارح . فاذن فرض الكفاية عند هؤلاء الأعلام وإن خالفوا غيرهم أفضل من فرض العين . فاذن يكون الملوك المنظمون للأثم أفضل من العلماء الذين قاموا بأمور العبادات . وعلى ذلك جاء في بعض كلام علمائنا (أيهما أفضل العالم أم الملك) فكان الجواب هكذا (من كان أثره للناس أكثر انتشارا فإنه أفضل) فلما سمع ذلك قال هذا كلام العلماء ولكني أريد العمل فهل قام للمسلمون قديما بفرض الكفايات . فقلت إن المسلمين هم الذين بعثهم الله نورا للناس كما بعث نبينا ﷺ نورا لنا فقال هذه عبارات شائعة على الألسنة وقد عودتنا أن يكون كلامك مبرهنا عليه . ومن ذا الذي يوافقك على أننا بشنا لرقى الناس مع اننا اليوم أقل الأمم علما وعملا . فقلت نحن اليوم كما تقول ولكن أسلافنا كانوا كذلك . فقال هذه دعوى لا دليل عليها . فقلت قال الله تعالى لرسوله ﷺ - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فلم يجعله رحمة للمسلمين وحدهم بل جعله - رحمة للعالمين - . وليس يمكن أن يرجم ﷺ الفريجة مثلا وأهل أمريكا واليابان والصين إلا بواسطة أمته . قال هذا اغراق منك في القول ورجوع عن طريق التحقيق إلى الخيال فلما أن تقول هذا كلام سبأى خصب ولما أن تأتي بقول يقتنع الناس قاطبة . فقلت له سأسمعك الساعة ما يقتنع الناس قاطبة وأقيم قبله مقامة فأقول

إن الله عز وجل يقول في آخر هذه السورة - لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عمتكم حريص عليكم الخ - فلحصره ﷺ أنذرهم بالقرآن وخوفهم العاقبة فقرأوا علوم الأمم وأفادوا أهل أوروبا وأهل أوروبا أفادوا العالم بعد ذلك . ثم قلت وهل يقتنع في ذلك شهادة علماء أوروبا . قال نعم . قلت هاك ما قاله العلامة (سيدبو) أحد مشاهير علماء فرنسا المولود بباريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٠٨ م الموافقة ١٢٢٣ هجرية فقد جمع في عشرين سنة تاريخا في سفر من مؤلفات من يوتي بهم من العرب والفرنج ونشره في أوروبا فتحول الناس هناك عما رسخ في أذهانهم وأخذوا يقدرون العربية وعلماء العرب حق قدرهم وظهر فضل العرب لدى الفرنج وأنشأوا في ممالكهم مدارس لتعلم اللغة العربية وأخذوا يسارعون إلى حيازة الكتب العربية ويبنون فيها النفيس . ولم يقتصروا على ذلك بل رغبوا في حوز صور ما بينهم وجميع ما كان لهم من الزينة ونحوها وآلات الملاهي وغير ذلك . ولذا أخذ السياحون بجوبون البلاد الدانية والقاصية ليعثروا على ذلك غير مباليين بما يلقون من المشاق الهائلة فحصلوا على ما في بيوت التحف والآثار من الأمثلة للتسوية بقدر تنوع الحرف والبضائع وعلى ما في خزائهم من الكتب التي هي في جميع ما كتبه الإنسان من هزل وجد . هذا هو نص ما قاله أستاذنا منشي مدرسة دار العلوم قبل اليوم بمخمسين سنة للرحوم علي مبارك باشا في مقدمة ترجمته لهذا الكتاب من الفرنسية إلى العربية . وهاك مقدمة الكتاب للمؤلف المذكور الذي هو المقصود الذي به تعرف أيها القاضل بأن العلوم والصناعات التي هي فروض كفايات لولا آباؤنا من الأمة المحمدية لكان العالم كله اليوم في ظلام

قال العلامة سيدبوللذكور (ما زالت منذ نصف وعشرين سنة أيين ما للعرب من توسيع نطاق العلوم والتقدم في القرون التي بين عصور يونان اسكندرية مصر وأعصر الملوك الحديثة الافرنجية ورأت أن أذكر مجمل أخبار هذه الأمة المحقرة لدى الفرنج من أمد بعيد وأن أضاهي ما جعته بما أداعه غيري لأكون أول

من دوتن تاريخا علما في أخبار العرب وهو ميدان عام واسع المجال ربما كان فوق طاقة الواحد من الرجال ثم أخذ يمدح الأمة العربية بحمائل أخلاقها واستقلالها إلى أن قال . ثم أتى النبي ﷺ فربط علائق اللوذة بين قبائل بحيث جزيرة العرب ووجه أفسكرها إلى مقصد واحد فعلا شأنها حتى امتدت سلطتها من نهر التاج المار بآسيا وبرغال إلى نهر (الكنج) أعظم أنهار الهندستان . وانتشر نور العلوم والتقدم بالشرق والغرب وأهل أوروبا إذ ذاك في ظلمة جهل القرون للتوسطة وكأنهم نسوا نسيانا كلياً ما وصل إليهم من أحاديث اليونان والرومان . واجتهد العباسية ببغداد والأموية بقرطبة والفاطمية بالقاهرة في تقديم الفنون ثم تمزقت عمالكتهم وقعدوا شوكتهم السياسية فاقصروا على السلطة الدينية التي استمرت لهم في سائر أرجاء ممالكهم . وكان لديهم من المعلومات والصنائع والاستكشافات ما استفاد منه نصارى إسبانيا حين طردوهم منها كما أن الأتراك وللغول بعد تغلبهم على ممالك آسيا استفادوا معارف من تغلبوا عليهم وأدوا إليهم مراتب ولما انحصرت العرب في (بحيث) جزيرتهم ومهارى أفريقيا عادوا إلى عيشتهم البدوية مستغلين عمن عداهم حتى ألزمتهم الدولة العثمانية الانقياد وأججفت بهم فانقادوا منتظرين فرصة أراد الوهاية امتيازها في غرة هذا القرن التاسع عشر من الميلاد لتلق رقاب الأمة العربية من تسلط الأجانب عليهم فلم ينجحوا ولبشوا مستعدين للصيان بإشارة من كبارهم ولأمانع من حصول ذلك في ممالك تونس ومراكش وكذا الجزائر التي حكمتها فرنسا فان جميعهم على غاية من الاستعداد لاجابة رؤسائهم . وهنا ذكر المؤرخين من الفرنجة قبله مثل (بروكوك) و (شولنس) وغيرها إلى أن قال . والمستندات الأصلية للمشتملة على سير العرب لم تزل إلى الآن كنوزا مغلفة فانا معشر الفرنج وان وقفنا على حقيقة تواريخ أبي الفداء وأبي الفرج وأبى السمين النصراني المعروف بين أهل المشرق بابن العبيد . لكن ليس عندنا الآن إلا تراجم قطع من تواريخ ابن خلدون والمقريزي وابن الأثير وتواريخ كثير من المؤرخين من العرب والفرس . ولعلنا نحوز جميعها مترجما باللغة الفرنسية ومع ذلك يكفي ما لدينا من تواريخ السلف في ضبط الحكايات الكاذبة وتحقيق الحق فيها بل نقدر بها على فهم ما كان عليه النبي ﷺ غير مغترين بما اعتاده المؤلفون من ستر خلقه الباطني كالقاتل إنه كان رجلا مجنونا محتالا طماعا يتعدى حصره واقفه . والقاتل انه كان ذا قريحة لانظير لها وانه من نوادر الوجود التي يحدها الله لأصلاح الدنيا فان هذين القولين لا يلتفت إليهما بل يجب رفضهما . وللغول عليه في وصفه ﷺ ما قاله العلامة (أولستر) فانه فهم حقيقة الرسول وحكم دين الاسلام على جميع الممالك التي انتشر فيها على ما قاله في تذكرته التي وقعت موقع القبول سنة ١٨٠٩ ميلادية لاشتمالها على للممول لدى أرباب مدرسة العلماء المشتغلين بالعناوين والكتابات على الآثار القديمة ثم بالعلوم الأدبية

وأما تواريخ الخلفاء الراشدين وكذا الأموية في دمشق وقرطبة والعباسية ببغداد والفاطمية بمصر ووصف تمزيق الممالك الاسلامية المشرقية التي أغار عليها الأتراك ثم للغول فدوتها الفرنج تدوينها حسنا وأضفنا إليها ما تركوه من أصولها وهو وصف التمدن العربي الذي تمكنت أصوله في آفاق الدنيا القديمة أقوى تمكن . ولا تزال إلى الآن ترى آثاره حين نبحث عن مستمد مبادئ ما نحن عليه من المعلومات الأوروبية فان العرب في غاية القرن الثامن بعد الميلاد قدموا الحياة الحربية وشغفوا بحوز المعارف حتى أخذت عما قليل مدائن قرطبة وطليطلة والقاهرة وفاس ومراكش والرقه وأصفهان وسمرقند قناخر بغداد في حيازة العلوم والمعارف وقرى ما ترجم إلى العربية من كتب اليونان في المدارس الاسلامية وبذل العرب همهم في الاشتغال بجميع ما ابتكرته الأذهان البشرية من المعلومات والفنون وشهروا في غالب البلاد خصوصا البلاد النصرانية من أوروبا ابتكارات تدل على أنهم أئمننا في المعارف . ولنا شاهدا صدق على دلو شأنهم الذي تجهله الفرنج من أزمان مديدة (الأول) ما أثر عنهم من تواريخ القرون المتوسطة وأخبار الزحل والأسفار وقواميس ما اشتهر

من الأمكنة والرجال والجامع الشاملة لكثير من الفنون الفاسخة (والثاني) ما كان لديهم من الصناعات الفاتحة والمباني الفاخرة والاستكشافات المهمة في الفنون وما أوسعوا دائرته من علوم الطب والتاريخ الطبي والكيمياء الصحيحة والفلاحة والعلوم الصحيحة التي مارسوها بفاة النشاط من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر من الميلاد (من سنة ٢٨٨ إلى سنة ٩٠٧ هجرية) وزعم المؤلف (شليجل) سنة ١٨٣٣ ميلادية الموافقة سنة ١٢٤٨ هجرية أن الهنود والصينيين أعلم من العرب وأخباره سيقف على كنوز معارف هاتين الأممين مع أنه لم يحصل بعد دعواه بعشرين سنة أجل الفوائد الفلسفية والرياضية والجغرافية إلا من الكتب العربية القديمة . نعم ألف الفرنج الباحثون عن الأمور الهندية كتباً كثيرة لكن لم يحصل منها أدنى قسم فيها هي بصدده كما أن الفرنج المستخرجين فوائد من توارخ المملكة الصينية التي هي أقدم الدول لم ينجعوا إلا في أشهرهم الصينيين بأنهم أجهل أهل الأرض كالترك كما قاله المؤرخ أبو الفرج وأما المدرسة البعدادية المدونة للعلوم القديمة في الفترة التي بين عصور يونان الاسكندرية والأعصر الأخيرة فكانت مساعدة على استيقاظ أهل أوروبا من رقدة الجهالة ونشر أنوار المعارف في جميع ممالك آسيا فقد انتشر علم العرب (الفلك) في الهندستان بواسطة العلامة البيروني للعمور بمكالم السلطان محمود الغزنوي حين انتقل إليها سنة ١٠١٦ ميلادية الموافقة لسنة ٤٠٧ هجرية كما نشره بين السلاجوقين العلامة عمر خيام سنة ١٠٧٦ ميلادية الموافقة لسنة ٤٦٩ هجرية وبين لقول العلامة نصير الدين الطوسي مؤسس الرصدخانه بمدينة المراغة سنة ١٢٦٠ ميلادية الموافقة لسنة ٦٥٩ هجرية وانتشرين العنانيين سنة ١٣٣٧ ميلادية الموافقة سنة ٧٣٨ هجرية ونشره بين الصينيين العلامة (كوشيوكنغ) تلميذ الاستاذ جمال الدين سنة ١٢٨٠ ميلادية الموافقة سنة ٦٧٩ هجرية في عهد السلطان كوبلاي خان كبير عائلة الملوك البوالية وشيخ (أولوغ بغي) لعلم الفلك رصدخانه بسمرقند سنة ١٤٣٧ ميلادية الموافقة سنة ٨٤١ هجرية وانتهى اشتغال المشرقيين بالعلوم والفنون عقب زمان (أولوغ بغي) ثم اطلع أهل الغرب من أوروبا على أسرار تلك العلوم فأخذوا يشتغلون بها حتى جندوا في البلاد الامريجية القديين واللغة العربية وفنونها الأدبية التي أخذت كل يوم في زيادة الانتشار بين الفرنج ومازلنا إلى الآن نستكشف أموراً مهمة من الكتب العربية القديمة وإن عزي ابتكارها زورا إلى بعض المتأخرين من الفرنج . ولاشك أن فتح أمنا القرنساية بإيلة الجزائر المغربية وكثرة علاقتها بمسلى افريقية (ممالك المغرب) يزيد فيها اهتم به الفرنج للولوعون بالغات والآثار الشرقية من البحث عن كتب المعلومات العربية التي لم يحسن سلف الفرنج مافها من جواهر المعارف الثمينة . وما أعظم اشتغالنا بتلخيص جيع تاريخ الأمة العربية التي ظهرت أخبارها أعجب مظهر وبهرت أنباؤها دون غيرها من التوارخ كل من قرأ وتبصر . ولقد تلفت أبناء أوروبا على عمر الزمان إلى تلك الآثار الجليلة التي خلفتها هذه الأمة هذا ما قاله المؤلف في المقدمة . ثم قال في صفحة ٢٣٥ عند الكلام على العلوم الطبيعية ما يأتي

﴿ باب في العلوم الطبيعية التي كانت عند العرب وفيه مقدمة وأربعة مباحث ﴾

﴿ المقدمة ﴾

قد اتسعت العلوم الطبيعية زمن اتساع العلوم الرياضية ولكن لانعرف عصر نشأتها لتسلسل التصورات في جميع الأشياء التي يحول العقل فيها . نعم الاشتغال بمعرفة حقائق الكائنات العلوية والسفلية وتفصيل ما يتعلق بها وضبط قياس الحركة والفضاء الذي تتم فيه بواسطة التأمل في الطبيعة حدث زمن أرسطاطاليس على أن ذلك البحث كان في الغالب متعلقاً بالأجسام العضوية وهي الحيوان والنبات ثم ارتقى ذلك زمن العرب إلى درجة البحث عن القوى الطبيعية والجواهر الأولية التي تحلل لادخالها في مركبات أخرى لأهم كانوا يسكنون بحيت جزيرة العرب ما بين مدينة مسكات ومكة التي به كثير من البهارات والصمغ والبسيت والجواهر

النافعة والضرارة بالإنسان فالتفتوا الى مزايها ما يارضهم من النباتات النافعة في الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور ومثلهم من في سواحل مالابار وسرنديب (سيلان) والسواحل الشرقية من قسم أفريقيا فتحصل كل على مزية لم يعلمها الآخر إلا بواسطة تجارات أتت من مخزن (جرها) الذي بين الخليج الفارسي واليمن وجاءت بحيث جزيرة العرب حتى بلغت كنعان والشام . وأما البحث عن الجواهر الطبية التي مدحه ديوسقوريدس لأهل مدرسة الاسكندرية . فمن مخترعات العرب أنهم للنشون للأجواغات الكيماوية والملوث عنهم مايسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية التي انتشر بعد من مدرسة (سارنه) في الممالك التي في جنوب أوروبا

﴿ البحث الأول في علم الكيمياء ﴾

قد أدي إنشاء الأجواغات والمادة الطبية اللتين هما أول مايلزم لفن الطب الى الاشتغال بعلم الكيمياء الذي كان ابتداء العرب في التعدين مبدأ للاشتغال به وهو عبارة عن مجرد التحليل والتركيب لا تركيب الذهب والفضة المسمى بالكيمياء السرية والاكسير والحجر المسكر وقد أوصلت العمليات الهرمسية وهي تركيب اللاغيم والمخالطات المعدنية التي عملت في المعادن المطروقة الى أبدع الاستكشافات المعدنية وعرف تركيب الكبريتيك والماء المشتر والماء للملكي وتحضير الزئبق وتحضير الجواهر الكؤلية وغير ذلك من مؤلفات أبي موسى جعفر الكوفي المشتهر في القرن الثامن من الميلاد والفخر الرازي المتوفى سنة ٩٢٣ من الميلاد

﴿ البحث الثاني في علم النباتات والمادة الطبية والاقتصاد الزراعي ﴾

لسة اطلاع العرب على مزايها النباتات أدخلوا في الأدوية نباتات جهل اليونانيون خواصها كلاروند وشعهم القمر الهندى وخيار شنبر وورق السنا الملكي والاهليلجيات والكافور وعرفوا أنواع الطب الزكية كجوز الطيب والقرنفل وغرسوا عدة أشجار من ذوات الزهور المذكورة والمؤتة وعرفوا ما يتعلق بنحسب آلات الكورة والانونة ورأوا استعمالهم السكر في الطب أفضل من استعمال القدماء الصل فأدخلوه في مركبات كثيرة كشراب الورد وأشربة جلالية (بضم فسند) ومعالجين كثيرة واعتقلوا بعلم الجيولوجية وهو معرفة تركيب طبقات الأرض . وتسكلم ابن سينا في المادة الطبية على شجرة الارز المسماة (ديودقارة) النابتة في جبال (هيباليه) وجعلها نوعا من الشجر المسمى (جونيبيريس) الداخلى في تركيب زيت الترمينيا . وقد أنشأ عبد الرحمن الأول خليفة قرطبة بستان نباتات بقر بها وبعث الى الشام وغيره من الممالك الشرقية سياحين لجمع البذور النادرة وكان قد غرس بقرق قصره في الرصافة أول نخلة في قرطبة . وبالجملة بذل العرب صادق الهمة والعزيمة في تعلم وتعليم جميع فروع العلوم المتعلقة بالمواد الطبيعية . ولذا أنصفهم المؤلف (ليليل) في كتابه الجديد بما حكا من اشتغالهم بعلم الجيولوجيا . ونقل (دساسى) عدة فصول من كتاب القزويني المشهور باسم (بلين المشاركة) واشتهر بحياة الحيوان للدميري الذي هو عند العرب بمنزلة (بوفون) عند الفرنج وبلغت العرب في علم الزراعة أقصى درج الكمال . وأحدثوا في اسبانيا السواقي ذات القواديس المعتادة الآن . وكان عندهم في الاقتصاد الزراعي معلومات شيت بأوهام فاسدة إلا أنهم كانوا يعرفون طرقا عملية تستحق التفات الفلاحين اليها

﴿ البحث الثالث في علم الطب والمدرسة اليونانية العربية والفخر الرازي وابن سينا ﴾

أحضر ملوك الفرس الأكاسرة من ابتداء القرن الثالث بعد الميلاد العيسوى أطباء اليونان فنفروا في البلاد الشرقية آراء أبقراط الطبية حتى سابت المدرسة التي بجنديسابور مدينة الاسكندرية أيام البطالسة ثم فتحت العرب البلاد فكان مركز التعليم (أنطاكية وحوان) وظهر منهما أطباء جامعون في الغالب بين العلوم الرياضية والفلسفية عارفون باللغة اليونانية كالعربية التي ترجموا اليها كتب أرسطو واقليدس وبطليموس

منهم يحيى بن ماسويه طبيب هارون الرشيد ألف في الطب كثيرا من المؤلفات المعتبرة عند المشرقيين . منها شرحه المشتمل على ثلاثين كتابا . وكتاب في تحضير الأدوية . ورسائل في أسناف الجلي والأغذية والزلات والجمامات وأنواع الصلداق والشقيقة وغير ذلك ترجم كثير من مؤلفاته الى العبرانية ويوجد بكتبة خانات أوروبا كثير منها بالعبرانية والعربية . مات سنة ٨٥٥ ميلادية وله ثمانون سنة خلفه تلميذه حسين . وأخذ من المأمون على كل كتاب ترجمه من اليونانية الى العربية زنتهذهاء ترجم كتابي جالينوس وأبقراط وغيرهما . وألف كتابا كثيرة في الطب والمنطق والفلسفي . واختبره المتوكل حيث سأله عن سم قاتل بمجرد تناوله فقال لا أعرف إلا الأدوية الحافظة للصحة فأتخذ طيبا وأغلق عليه . توفي سنة ٨٧٤ ميلادية . ومنهم جبرائيل المشتهر في علاج كثير من الأدوية . والفخر الرازي محمد بن زكريا قام بإدارة للمستشفيات في بغداد والري وجنديسابور وهو أول من أحدث المسهلات اللطيفة في الأغذية والتراكيب الكيماوية الطبية واستعمال الخزام وأول من ميز القصب الخنجري عن القصب الراجح الذي يكون أحيانا مضاعفا من جهة اليمين . وكان يرى أهمية التشريح في الطب الذي ألف فيه أكثر من مائة مؤلف منها كتاب ضخيم سماه (الخلاوي في علم التدوي) ورسالة في الجندري والحصبة استمد منها سائر الأطباء وأهدى الى الأمير المنصور حاكم خراسان في القرن العاشر من الميلاذ أحد أبناء العائلة السمانية عشرة كتب حسنة الترتيب والاسلوب طبعت في مدينة (ونديق البنادقة) سنة ١٥١٠ ميلادية وهي أول ما بحث فيه عن الجفرة عجي كيرا فنع أن يعالجه من الأطباء إلا من عرف عدد أغشية العين وساح في الشام ومصر واسبانيا . توفي سنة ٩٣٣ ميلادية واشتهر بعده بمخسرين سنة على بن عباس الفارسي المجوسي ألف في الطب كتابا عشرين مجلدا . عشرة في قواعد الطب . وعشرة في عملياته سماه (للملك) وأهداء الى السلطان عضد الدولة البويهى ترجمه الى اللاتينية اصطفاان الانطاكي سنة ١١٢٧ ميلادية وطبعه ميخائيل كابلان سنة ١٥٢٣ في مدينة ليون بفرنسا ولم يكن في حكماء العرب مثل الفخر الرازي وأبي علي الحسين بن سينا للمولود في (افشانه) من ضواحي شيراز سنة ٩٨٠ ميلادية كان والده حاكما على شيراز وتعلم هو الطب في بخارى وعالج وهو ابن ١٨ سنة الأمير نوح السبائي وشفي من مرض عظيم فتقدم عند الملوك السمانية ووعدده محمود الغزنوي الاغداق عليه ان أقام عنده فأبى ودام على التغرب في البلاد وأقام عند قابوس حاكم إقليم جرجان وجدد في ديوانه أعمال الطبيب اليوناني (ابراز ستراطس) وجدد له موثلا في مدينة الري حين كان سلطانها محمد الدولة ثم في مدينة همدان حين اختاره ملكها شمس الدولة أن يكون وزيرا وطيبا له ثم دعاه علاء الدولة للقيام بوظيفة الوزارة والطب بأصفهان ألف كتابا من أجل المؤلفات منها (القوانين) وهي خمسة كتب ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس بمدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا . مات سنة ١٥٣٧ ميلادية (المبحث الرابع في مدرسة اسبانيا وابن القاسم وابن زهر وابن رشد وغيرهم)

ظهر أيضا في مدرسة اسبانيا من الأطباء جمع منهم أبو القاسم خلف بن عباس المعروف عند الفرنج بالبورقاريس وضع علم الجراحة ووصف آلاتها وكيفية استعمالها وما يحصل في بعض الكيفيات من الأخطار وعين لاجزاج الحصى موضع البضع الذي عينه متأخرو الجراحين من الفرنج ولم تعرف مؤلفاته بين الفرنج إلا في القرن الخامس عشر من الميلاذ . مات سنة ١١٥٧ ميلادية . وأبو مروان بن عبد الملك بن زهر وله في بلدة (بنافلور) أدخل في المادة الطبية عدة أدوية وأحدث في علم الجراحة فتح شعبي التنفس ووصف أمراضا لم تكن موصوفة قبل مثل المرض المعروف بالتهاب الحجاب المنصف للثامور المحيط بالقلب وتعين لردة العظام المنتقلة الى مواضعها وجبر المنكسر منها ترجمت كتبه الكبيرة الى اللاتينية غير مستوفاة الترجمة استخدم عند الأمير يوسف بن تاشفين صاحب مراکش فأعدي عليه . ومن تلامذة ابن زهر أبو الوليد محمد بن

رشد اتع أصول الفلسفة الأرسطاليسية . وألف رسالة في الترياق وكتابا في السموم وأنواع الحى وشرعا على كتاب أرسطاطاليس . وشرحا على قوانين ابن سينا . وكتابا ضخما مشهورا (بالكليات) طبع في مدينتى ونديق وليون وغيرها . وكان عبد الله بن أحمد بن على اليطار أعلم الأطباء بعلم النباتات ساحق البلاد الشرقية زمنا طويلا وأكرمه السلطان يوسف صلاح الدين الأيوبي والكامل صاحب دمشق اشتمل مجموعه المسى (بالأدوية المفردة) المقسم أربعة أقسام على وصف جميع النباتات والأشجار والمعادن والحيوانات ذات الخواص الطبية . أصلح فيه غلطات ديوسقوريدس وجالينوس وأوريان . وبالجملة كان ملوك الشرق يدعون العلماء الى دولوينهم ويستقبلونهم بأنواع التشريف والأموال الجزيلة فكان منهم عدد لا يحصى حفظت أسماؤهم في التواريخ اشتهر منهم في الطب ثابت بن قرّة الطيب الفلكي سنة ٨٥٠ ميلادية وأبو جعفر أحمد بن محمد الطالب الذى ألف سنة ٩٧٠ ميلادية في داء البرسام والسرسام وغيرها وعلى بن رضوان سنة ١٠٩٠ ميلادية ويزلة بن جزلة سنة ١١٠٠ وعبد الرزاق سنة ١١٥٠ وهبة الله سنة ١١٥٥ والجلدكي الذى ألف سنة ١٢٥٢ كتابا في الحجر المكرم المسى أيضا (بالكيمياء السرية والصنعة الالهية) وأبو الفرج سنة ١٢٨٦ واسحق بن ابراهيم سنة ١٣٠٠

(باب فيما كان عند العرب من الفلسفة والالهيات والفقه والمعارف الأدبية ومخترعاتهم وفيه مباحث)
(البحث الأول في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة أرسطاطاليس)

زعم الفرينج أنه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك إلا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع المدارس بأوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية وكانت ترجمة حسين الطيب ويحيى النحوى كتب أرسطاطاليس مبدأ لاستغلال العرب بالعلوم الفلسفية التى كان من رجالها الكندى ومحمد بن مسعود وأبو تمام اليسابورى وأبو سهل البلخى والأسفرائينى والعميرى ثم ظهر الفارابى وابن سينا فكانا أشهر رجال الفلسفة لتدوينهما لها على الصورة للمذهبة التى قلها عنهما ابن باجه واثير الدين الأبهري وعلى الحونجى وابن رشد وأبو الصلت ونصير الدين الطوسى ثم جلاوا في مدارس المغرب . ولا تظن أن العرب اقتصرأ على تفسير كتب أرسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون لاسيا كتابه الأكبر للؤلؤ في الشرائع وعدة كتب منسوبة الى (فيثاغورس) وكانوا يذكرون من قدماء اليونان كثيرين أورفيه وأومبيروس المحتوية أشعاره على الفلسفة الدينية والفلاسفة السبعة وانكزا غورس وإيرا قليب وديمقراط والالاييه وسقراط وتلامذته واقليدس والفلاسفة الاسطوانية وكان عندهم في الجزء الثانى من تاريخ علم الفلسفة مسائل فيمن كمل فلسفة أرسطو ومن شرحها وفيما يخص مدرسة الاسكندرية . وكانوا يعتمدون أفوال (پلوتين) و (برقلاوس) ويلهجون كثيرا بالقضايا العلمية . وكانوا واسطه بين زمن الفلسفة القديمة والفلسفة المدروسة في أوروبا وكانت المجادلة بين أهل الظاهر منهم والباطن عدة قرون فصل فيها بعض أهل المدارس المشرقية على بعض وكان منهم معتزلة بصرية ومعتزلة بصادية وحكاؤهم الفلاسفة الذين ظهرت فلسفتهم على علماء الفرينج في القرون المتوسطة بل وعلى أرباب الأسرار الروحانية ومثل مارى بوتانطور . انتهى

فلما سمع صاحي ذلك قال يا عجبا كل العجب هذا القول لم أسمع له إلا الآن وكيف يكون أسلافا من الأمة المحمدية هم آباء العالم كله . وكيف يكون ذلك شأنهم ونحن اليوم على ما نحن عليه جهال غافلون . فقلت . ذلك ثلاثة أسباب (السبب الأول) أن ملوك الاسلام ان كانوا صالحين صلحت الأمة وان كانوا فاسقين ففسدت الأمة واستقامت الأمة وإذا فسدوا ففسدت لجهلهم وظلمهم فتضع العلوم والمهناعات التى هي فروص كفايات (مثال ذلك) من كلام المؤرخ المذكور أن محمدا الحارثى الأندلس بعد ما ظن

المسيحيون أنهم كادوا يطردون العرب من الأندلس أخذ يتراهمة والتنافس بين أهل الصنائع ويشوقهم إلى الاختراع ويعطي مكافآت لمن أتى بشئ من ذلك فنجحوا وبرعوا في نسج أقمشة الحرير وغيره . وكذا في النبات براعة أهل قرطبة وكفى بقصر السباع المعروف بالجره شاهدا على ما كان لأهل غرناطة من الفنى والمهارة في فن البناء مع ما لهم من الاجتهاد التام بعلم الفلك والطب والكيمياء والرياضة والنحو والمنطق وأخذ هذا الملك يعمل بفرناطة أعيادا لتمثيل الوقائع الحربية وأعيادا لمناضلة الفرسان ومواسم لمقاتلة الأتوار وأخرى للسباق ولعب أخذ الحام ويدعو أعيان الرعية إلى الأعياد والولائم العظيمة ولم يكن ذلك قتيبة جور به رفاهية المعيشة في سائر الرعية . ولما كانت مدينة غرناطة كرسى مملكته مأوى المسلمين للتشتيت لكثرة خبراتها الجاذبة جمع من لم يرد الإقامة تحت حكم نصارى اسبانيا وكثرت المهاجرة إليها حين أخذ الملك (جاك) يطرد المسلمين من مدينة (والنسة) سنة ١٢٤٩

ولم يزل ملوك غرناطة متولين الحكم بها من سنة ١٢٣٨ إلى سنة ١٤٥٢ ميلادية محسنين ترتيبهم السياسى فقد رتبوا في كل بلدة خفراء منها وأعطوا جميع سكانها سلاحا يستعملونه حالة هجوم العدو فرفعوه صرنا على ملوكهم للمتعتين من أداء واجباتهم الملوكية أو الذين لا يعبأون بمشاورة الأمة وجعلوا للسكاك المحافظين بالثغور اقطاعات من الأرض تكفيهم وعائلاتهم لتبصمهم على الوقاية من الأعداء وأزموا أنفسهم مثل ملوك الأقاليم المغربية بالقيام بما يلزم طوائف الفقراء من تحويل المأكول والمشرب وأكثروا في الأسواق المبيع الضرورى ورتبوا في غرناطة التي دائرها أكثر من ثلاثة فراسخ ضبطية وفي كل ثمن منها ضابطا ورتبوا عساكر تدور ليلا في الأماكن التي لم يكثر طرقها وعملا قوانين لئلا يغلق المحال العاتقة كالأسواق وخصصوا كل سرقه بطائفة وعاقب كثير منهم من أفرط في شرب الخمر وأمرأ اليهود أن يميزوا بصلامة من غير إساءة معاملتهم ومنعوا الربا في النقود وإسكروا في كتابة الحجج والصكوك طرائق وافضة تمنع للتنازعة وشغلوا العلماء بتأليف رسائل في الصنائع العملية وأقاد الأمة والعقهاء لقوانينهم النظامية بعد أن كانوا إلى زمن هذه السلطنة مطلقا التصرف يفعلون ماشاءوا . وأحدثوا لتأدية العبادة قوانين تنبئ عن كمال إيمانهم وعلو أفكارهم وشرف التأديب والتأديب الدينى منها أنزال النساء عن الرجال في المساجد وخروجهم قبل الرجال واكثر الطلعة في رمضان وتوزيع الزكاة والصدقات على الفقراء وأهلها وأبقاؤها لتتفق في عمارات عامة النفع . ومنع اجتماع الناس ليلا وإبطال النذب على الأموات عند دفنهم بقرأة أدعية على قبورهم ودفن الموتى عارين عن التحام وباقات الأزهار المعتادة قبل هؤلاء الملوك . وكان المستعمل في قوانين العقوبات على الجنح والجنائيات الضرب بالسوط والنفي عن الأوطان وأشهر للذنب بوضعه على خشبة فاستبدل هؤلاء الملوك ذلك بحبس المذنبين في مكان يشغلون فيه . وأبطلوا رجم المذنبين . وأمرأ بدين من يقتص منه بالقتل مثل دفين سائر المسلمين وبما سلفه يعلم أن مملكة (غرناطة) نظرا لما كانت عليه من الامور الجليلة تستحق أن تعتبر في التاريخ من الممالك الشريفة لكن ساء حفظها حيث لم يكن نوارث ساطعها مقررا على فواعد متينة فتولاها بعد الملوك الجديريين بتعجب الأجيال للمستقبلية من عدلهم وحسن سياستهم ملوك جبابرة ليسوا بكفء للسلطنة التي عجوا زوالها من بحيث جزيرة اسبانيا

فلما سمع ذلك صاحى قال قد عرفت السبب الأول وهو أن المسلمين لما جعلوا الملك ميرا^٢ تولاه ملوك جهلاء فأصاعوا ما أسسه الفصلاء . قال (السبب الثاني) أن هذه العلام التي بها حياة الامم حبيثة ما كان الناس يدروسونها باعتبار أنها دين بل كانوا يدروسونها بأمر الملوك وقربا اليهم كما قدم آتفا إذ كان للمأمون يعطى رنة الكتاب ذهبيا لمن يترجه وإليك كنت تجد أكثر المترجمين من المسيحيين كان المسلمين ظنوا أن هذا مخالف للدين مع أنه هو قول الدين (السبب الثالث) أن علماء الدين كانوا لا يتكلمون على فرض

الكفاية بتوسع بل ترى ذلك في كتاب **(جعب الجوامع)** المنشرف في بلاد الاسلام في علم الاصول لم يذكره إلا في الكلمات اليسيرة التي رأيتها حتى نسى المسلمون عماد ديننا فقدعوا عنه وذلك للجهل التام في العصر للتأخرة . قال صاحي زدي من هذا . فقلت أما الآن فلا وإن أردت للزيد فسترى هذا المقام جيل الحيا باهر الطاعة باسم الشرف شريف التوبة في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بمناسبة قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - فهناك ترى أن موسى عليه الصلاة والسلام أرسل ليخرج قومه من الظلمات الى النور ونبينا **(عليه السلام)** أرسل ليخرج قومه من الظلمات الى النور في نفس الآيات وأن موسى ذكر قومه بأيام الله كما أمره الله فذكرهم بمخروجهم من ذلك فرعون وللمصريين وما بعد ذلك وأن نبينا **(عليه السلام)** ذكر قومه كما تقدم في سورة الأنفال وفي كثير من العزوات مثل قوله - إذ يفضيكم العاص أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء - الى آخر ما ذكرناه من النعم التي هي (١٤) نعمة وإبه يجب علينا في هذا الزمان أن نذكر أمة الاسلام بالحوادث السابقة من عصر النبوة الى الآن وستره هناك مفصلا مع اليجاز وترى عصر النبوة وما بعده من العاصيين والأمويين وخزب بغداد والأندلس وانتشار العلوم وتخلصها واذلال العلماء كابن رشد وانتقال العلم الى أوروبا وضياح بلاد الاسلام بعد عزها ثم ذكر علماء أوروبا في القرن السادس عشر وما بعده الى نهاية التاسع عشر وانهم حاولوا العلم الذي أعطاه آباؤنا لهم واتا يجب علينا أن نسترجع المجد ونغصم الانسانية لأننا لهذا خلقنا فلنرجع الى سيرتنا الأولى . فلما سمع ذلك صاحي قال سأنتظر حتى أقرأ تفسير سورة ابراهيم ولكن بقي عندي سؤال وهو . لماذا نرى بعض للتعليمين من أبناء مصر وغيرها من المسلمين يعتقدون أن المسلمين الأولين ما عملوا شيئا . ما السبب في ذلك . فقلت السبب فيه أمران **(الأول)** أن بعضهم بذلك يظهر تفوقه وعظمته على أبناء بلاده . وهذه العظمة لا تظهر إلا بطمس معالم الأجداد ومجدد البيانات ليقول الناس انه فيلسوف عظيم **(الثاني)** أنهم لم يطالعوا على مثل ما نقلناه لك عن الترجمة حتى يعرفوا ما عرفته الآن من هذا المقام بل إن أكثر هؤلاء يجاهلون تلك العلوم فلا يعرفون إلا لغة من لغات الترجمة ويأخذون شهادات في تاريخ أو أدب أو نحو ذلك فيفرضون بما قالوا ويموتون شهداء الجهالة والغرور اه

(حديث جيل)

(في عجائب القرآن ومدعشاته إذ يشبه فيه الدين بشجرة ذات فروع)

قال صاحي قد فهمت ذلك ولكن أرجو أن تحدثني حديثا جيلا يكون فيه سر للبايد والحاضر أعرف به أن جميع العلوم يطلبها القرآن غير ما ذكرته سابقا حتى أزيد المحشانا وعلما ويثبت في قلبي أن مافعله آباؤنا من التقاعس عن العلوم العصرية خطأ وأن ديننا يطلبها جميعها لا فرق بين دنيوي وأخروي . فقلت اعلم أن جميع العلوم كشجرة أصلها ثابت في العقول وتستمد من النور الالهي وفرعها يسمو الى العلا ويمتد على طول الزمان . وإذا نمت الشجرة الى أعلى فان فروعها تكون **(قسمين)** قسم منها في القلب . وقسم منها في الأطراف . والقسم الذي في القلب عليه مدار الشجرة . والقسم الذي في الأطراف يحيط بالقلب وأنت اذا بحثت الشجر كله وجدته على هذا النمط . ولا جرم أن القلب في فروع الشجرة أهم من الأطراف أفتوافق على ذلك . قال نعم . قلت انظر . أليست العلوم في الدنيا كلها هي **(قسمين)** قسم به حياة الأهم وسعادتها وهي العلوم الطبيعية والفلكية والرياضية . وقسم به حفظ البلاد والعداد كالقوانين وكأهل وما أشبه ذلك . قال نعم . قلت فدين الاسلام له قلب كقلب الشجرة وأطراف كأطراف الشجرة . قال نعم . قلت والقلب هي علوم الفلك والطبيعة من معدن ونبات وحيوان وإنسان وعلم النفس . وهكذا علم طبقات الأرض . وكذلك علوم الحساب والهندسة والجبر التي لاتم حياة إلا بها ولا يعرف الفلك إلا بدرسها وعلم الملك لا بد منه لأمور كثيرة منها سير السفن في البحار وهكذا . قال نعم وهذه العلوم بها شكر الله

وبها التوحيد • وبها معرفة جمال الله • فيها حب الله • وبها عبادة الله • وبها شكر الله • وبها
توحيد الله • والزيادة في التوحيد والزيادة في الشكر واجبان عيذان على كل قادر • وقد أجمع العلماء
على أن شكر النعم واجب • ولا معنى للشكر إلا على نعمة • ولا شكر على نعمة لانعمها • ولا معرفة
لنعم الله حقا إلا بدراسة ماحولنا من السماء والأرض • وعلى مقدار دراسة ذلك يكون الشكر إذ لا شكر
على مجهول • ولا حب لله بغير سبب وأهم الأسباب الوقوف على دقة نعمه وجمال وضعه وبديع حكمته •
قال صاحب • إذن هذه العلوم واجبة على كل مكلف وهذا محال • قلت نعم محال • بل أنا أقول كل من
قدر على المزيد منها بحيث لا يحل ذلك بأحواله وجب عليه لقول الله تعالى - قل رب زدني علما - وقوله
- واشكروا لي - ولا شكر إلا بما علمت • فهذا هو قلب دين الاسلام • وهو نفس علم التوحيد •
وهو الذي به تحفظ الأمة نفسها وتنفع الأمم وتعالو • وهذا سر قوله تعالى - ومن يش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين - • فن كلف على علم الفقه وهو قادر أن ينظر في جمال التجوّم وبهجة
القمر والشمس وجمال الزرع والزهر وبهجة الأنهار والبحار فهو غير شاكر لله بل هو غافل نائم ساه •
وهذه حال أغلب المسلمين اليوم فلا علم بالله ولا سعادة في الحياة ولا ثروة ولا استقلال لأنهم أعرضوا عن هذه
العلوم • وهذا نفسه هو معنى قوله تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا • ونحشره يوم
القيامة أعمى • قال رب لم حشرني أعمى وقد كنت بصيرا • قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك
اليوم تنسى • وكذلك يحزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - فقال صاحب
وأها لك وأها لك وأها أتلو آيات سبقت في الكفر فتجعلها في المسلمين • فقلت له يا عجبا لك • أليس
يقول الله - ومن أعرض عن ذكرى - هو لم يقل كفري بل قال تعالى - ومن أعرض عن ذكرى -
والمسلم يجعل هذه العلوم أعرض عن ذكر الله الحقيقي • ألم تسمع قوله تعالى - الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه الخ -
فقال • إذن أغلب المسلمين يحشرون عيا • قلت لست أقول هذا بل أقول الإيمان بالله يورث دخول
الجنة ولكن عي البصيرة يؤخر الدخول فيها • فإذا كان شكر الله واجبا وزيادة التوحيد واجبة فإن
تركها حرام • وهذه معصية من الكبائر والباطر القلبية أعظم جرما من الكبائر الجسمية • وعليه
يكون الضنك الذي حل بالمسلمين اليوم هو الذي جاء في قوله تعالى - فإن له معيشة ضنكا • ونحشره يوم
القيامة أعمى -

إن الله عز وجل سيعذب المسلمين حقا بعد الموت ويوم القيامة كما عذبهم في الدنيا على ترك علوم تعذ
بالعشرات • وعلى ترك صناعات تعذ بالآلاف • أمرهم الله بها فناموا عنها وبعضها واجب علينا وأكثرها
واجب وجوبا كفايا وأهم المصائب على المسلمين ترك الواجب الكفائي • فالسلم الواحد منا يعذب الله يوم
القيامة وفي الدنيا بترك أمته ساعة واحدة أو علما واحدا • هذا هو ما قاله علماؤنا رحمهم الله تعالى • فإذا
مات أحدا وهو يحمل من الأوزار بسدد العلوم والصناعات • أليس يكون يوم القيامة • وكيف
يكون بصيرا والله يقول له - أتتكم آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى - فالمسلمون الذين يسمعون هذا القول
ولا يقومون بنشره يحشرون يوم القيامة عيا على مقدار قصيرهم وهامهم الآن يعدون في الدنيا بالذلال الأمم
لهم فإن تابوا وأقاموا بذلك خفف عنا عذاب الجزى في الدنيا بإزاحة الأمم الظالمة عنا وفي الآخرة بالخروج من
جهنم • فقال صاحب عرفت الكلام على قلب الشجرة الاسلامية فأحب أن أسمع الكلام عن القسم الثاني
وهو الأطراف • فقلت أما أطراف الشجرة الاسلامية فهي الفروع الفقهية والعلوم الالهية من النحو والصرف
وأشغالها • فهذه العلوم مكملات ومتممات للقسم الأول محيطات به كحاطة فروع الشجرة الجانبية بالفروع

القلبية • ولا سبيل للقضاء أن يحكموا بالشرعية إلا بسياج يحفظ البلاد والسياج الذى يحفظها هو الصناعات والعلوم الطبيعية والرياضية التى بها تنمو مصالح البلاد والا فهل يقضى القاضى بين خصوم لا يعيشون وإنما اختصاص لموجودين احياء • قال حسن ماقلت

﴿ بيان أن تشبيه الاسلام بالزرع والشجر سبأى فى سورة ابراهيم وسورة الفتح ﴾

فهل ورد فى القرآن ما يشير الى هذا التشبيه الذى ذكرته • فقلت نعم سترى فى سورة ابراهيم وفى سورة الفتح أن الله يقول - ألم تركب ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها - ويقول - ومثلهم فى الانجيل كزراع أنجى شطأ فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه إلخ -

إن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن أن للمسلمين سيقعون فى هذا الجهل والذل للشين فأزل هذين التشبيهين اللذين أبرزوا العلوم كلها كأنها فروع لشجرة واحدة فلا خلل بالقلب أهم من الاخلال بالاطراف وسعى هذا المقام واضحاً فى السورتين إن شاء الله تعالى

﴿ أحسن نظم القرآن فى هذا التمثيل ﴾

ومن عجب أن الله عند الامور المهمة يوقف النفوس لها بالتعبير فيها هو ذاقى سورة ابراهيم يقول - ألم تركب ضرب الله مثلاً كلمة طيبة إلخ - فانظر كيف قال - ألم تركب إلخ - كما قال فى سورة البقرة - ألم رأت الى الذى حاج ابراهيم فى ربه - فالانبيان بألم إيقاظ لنا نحن كأنه يوحىنا على عدم العناية بالعلوم المسكونة المخزونة فى التعبير بالشجرة الطيبة ذات الفروع المذكورة كما ويحنا على عدم التفكير فى عظام الجار كيف تكسى بالبحم أى على جهل علم التشريح ونحوه كما تقدم فى سورة البقرة موضعها هناك • فأنا أذكر للمسلمين أن ينظروا فى سائر العلوم كما أذكركم علم التشريح الذى هو أحدها

﴿ ذكر حديثين ﴾

(أحدهما بينى وبين عالم مسلم عظيم • والثانى بينى وبين الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى)
وها أنا ذا أيتها الأخ أحدثك حديثاً دارى بينى وبين أحد أفاضل علماء الشيعة من جهات حضرموت مشهور الاسم عظيم المقام • وأما لم أذكر اسمه لأنى لم أستاذن منه فى ذلك لأنه مسافر وقت كتابة هذا الموضوع فى يوم العيد الأكبر من سنة ١٣٤٤ هجرية زرت رجلاً عظيماً رداً زيارته بنزله بالعابسية ومزله محط رجال العلم والأدب من سائر الأقطار فما استقرت جلوسى حتى قدم ذلك العالم الحضرمى الكبير وكنت لم أره من قبل وقد بلغنى عنه قبل ذلك بأسبوع أنه يعترض على ما أكتبه فى هذا التفسير • فلما جلست أخذ يذكر المجلس بما لديه من علم جم وبراعة فى الحديث والعلم فأعجبت أنا وأعجب الحاضرون به • ثم دار الحديث بينى وبينه على ما يأتى

ماقول فى الوهابية الذين هم قد استولوا على الحجاز ورأيت من كلامه أنه يفيضهم وهكذا جزأ الحديث الى الشيعة وأهل السنة • فقلت له ان جميع هذه الأئمة على حق فلوهاية والشيعة وأهل السنة قوم مخلصون وليس عند أحدهم إلا ما اعتقده هو وعلم الفقه عند الجميع قد قام بما هو منوط به • إن علم الفقه به تحفظ العبادات والمقوق وتحفظ البلاد بالقضاء • ولا جرم أن هذه الطوائف كلها قد حافظت على بلادها وعلى عباداتها ولكنهم جميعاً مقصرون • قال جميعاً • قلت نعم جميعاً • ألا ترى أن الخلاف بين الشيعة وأهل السنة الذى جرى عليه المسلمون منذ ١٣ قرناً لا معنى لتكراره الآن • ومن اطلع على كتاب المواقب وغيره من كتب العقائد عرف كيف كان القادة يكيد بعضهم لبعض لأجل الملك • وهكذا ترى للملوك العباسيين قد فضلو مذاهب أهل السنة حتى لا ينبغ للناس آل البيت ويبنى الملك لهم • هذا الخلاف الآن

مضى زمانه . ومن الحزن أن يعيش المسلم في القرن الرابع عشر ويتخيل نفسه في القرن الأول الهجري
وها أنا ذا أقصّ عليكم قصصاً مع عالم انجليزي شهير جاء الى مصر في سنة من سني العشرة الاول من
القرن العشرين للمسيحي أي منذ نحو (٢٠) سنة يسمى (ادوارد براون) وقابلني وحادثني في أمور الاسلام
وكان يجيد العربية والتركية والقلاسية ولغات أخرى . فقال قد كفتني دولتنا الانجليزية أن أبحت في أهل
السنة والشيعه من المسلمين هل يتفقون فاسفرت الى تركيا وحلست بين ظهرانيهم مدة وهكذا الى بلاد فارس
وعاشرتهم فرأيت مدهشات . رأيتهم جميعاً يكرهون أهل السنة . يتخيلون أنهم هم الذين قتلا الحسين
رضي الله عنه مع أن الحسين مضى له (١٣) قرناً ولقد قال لي طالب من طلابهم انني قد سافرت مع الروس
ضد الترك . حاربتهم بسيفي هذا لأنني أفضل الكلب على التركي لأنه سني . قال الاستاذ وأنا موثق أن هذا
البيان ما ذبح دجاجة مدة حياته ولكن البغض ملا قلبه . ثم قال فعلت من هذا أن هذين الشيعين
لا يتحدثان . قال وعجبت كل العجب من هذه البلاءه الحقاء . كيف يرى هؤلاء أن قصر الروس يجوس
رجاله خلال ديارهم ويتفعلون في البلاد ويوشك أن يتلغوها ثم هم يرجعون الى (١٣) قرناً مضت فهل
الحوادث التي مضى عليها تلك القرون كلها تهمهم أكثر مما يصرونه داخل بيوتهم وما هو محيط بهم من كل
جانب . فقلت له ذلك لأن المسلمين أكثرهم تركوا عقولهم ومواهبهم التي وهبهم الله تعالى وركروا القرآن
الذي قال الله فيه في مثل هذا المقام - تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا
يصلون - . قال الاستاذ ادوارد وقمتت تقريراً لحكومتنا وسردت فيه هذه الوقائع وقلت هذان الشيعان
لا يتحدثان . انتهى

هذا رأيه إذ ذاك . ثم قلت بعد ذلك فهذه المحادثة تبين مصائب المسلمين المقصرين في العالم . فقال
بعض الحاضرين أي العالم نعى . قلت إن في القرآن (٧٥٠) آية كلها في معرفة الصوام المحيطة بنا في
الأرض وفي السماء وما إلى العلوم الرياضية والطبيعية . فلماذا تركوها وحسروا عقولهم في علوم جدلية وظنية
أليسوا جميعاً ملازمين بالتوحيد . قالوا بلى . قلت أليسوا جميعاً مأمورين بشكر الله . قالوا بلى . قلت
كيف ناموا عن هذه العلوم . نعم ناموا عنها لأنها صعبة عليهم تحتاج لزمان عظيم ومشقات فاستسهلوا الجدال
والطعن والتم والقبح والرجوع الى الوراء وتركوا علوم آبائنا الى أوروبا . علوم آبائنا التي لولاها ما كانت
أوروبا ولا أمريكا ولا اليابان الحديثة ولا الصين الحديثة كما رأيته في كتاب (سدبو) الفرسى (وقد تقدم
في هذا المقام) أمة تنلم عن الحقائق وتتنعج بالجدل والشقاق والحلاف جهالة فاشية وموت أدبي . الله الله
فليقرأ السني كالوهابي والشافعي والحنفي وليقرأ الزيدي والامامي . ليقروا كلهم هذه العلوم . ألم يقرأ
قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد
اقرب أجلهم - ألم يعلموا أن هذه العلوم هي حياة أمتهم . فقال بعض الحاضرين . أأنت تخشى أن يرد
عليك بعض المشهورين في الفقه الاسلامي . فقلت له اعلم أنه لن يقدر عالم أن يدفع ما قلته لأنني أقول قال
الله وأقول ان العقل قضى بكذا وأقول ان علماءنا السابقين نصوا عليهم في كتبهم فأنت حجة لقائل بعد ذلك هذا
العلوم شجرة متفرعة عن أصل ثابت وفرع في السماء ولم ينزل دين من السماء ولا حدث علم في الأرض
إلا كان أولاً أصلاً منتظماً ثم تفرع على مدى الزمان . وها هوذا الفقه أصله من العصر الأول ثم تفرع طرقاً
ومذاهب والفقه كله من مائة وخمسين آية فأين التفرع في سائر العلوم التي آلتها كثرة جداً تصد بالثبات .
فأقرت الحاضرون جميعاً ما قلته واستحسنوه بل فرحوا به بل صاروا من أنصار هذه الدعوة اه
ثم قلت لصاحبي هذا واني موثق أن هذا الذي أذكره سيعم أقطار الاسلام جميعها وسيكون لهذا القول أنصار
وأصار ورجال عظام يقومون به وينشر الله هذا في القريب العاجل - ولتعلن نبأه بعد حين -

﴿ خاتمة ﴾

ختمت هذه السورة بقوله تعالى - وهورب العرش العظيم - وقيل أيضا فوق ذلك انها خاتمة منازل على رأى . والحكمة فى ذلك أن هذه السورة جاءت للقتال والجهاد والبرأة من المشركين . وقد جاهد المسلمون بقبوك بعد غزوات أخرى . وهذا فيه ابتداء سقوط عروش الملوك العالم المعروف إذ ذلك وقد وعد النبي ﷺ المسلمين بفتح فارس والروم . ولم يفتحا فى زمانه . فهاهوذا يقول - عليه توكلت - ومن توكلت عليه له العرش العظيم . وهذه الأمم التى أحاربها لها عروش أقل من عرشه . فهو لاهالة غالبا وستسقط تلك العروش فى سلطان أمتى وتصبح فى عداد قوتها . وسياق فى سورة (النمل) حديث الهدهد وما فى قصته من ذكر العرش إذ جاء فيها - انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم - الى قوله - ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلمون . الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم - فنكر عرشها وعرف عرش الله إشارة الى أنه أعظم من عرشها . ولذلك قل عرش بلقيس فأصبح أمام سليمان الذى هو مرسل من عند رب العرش العظيم فالعرش الذى هو للمعاوق أصبح فى ملك من أرسل من عند رب العرش العظيم فى سورة النمل . فها هنا ذكر العرش العظيم فليل - لا إله إلا هو عليه توكلت وهورب العرش العظيم - ولم تذكر العروش الأخرى بل اكتفى فيها بالخص على الغزوات لاضير . ويفطن الأذكياء الى أن هذه العروش ساقطة لاهالة فى يد المسلمين كما أصبح عرش بلقيس بين يدى سليمان عليه السلام . وهذا من لطائف القرآن وبجائبه وهى الحكمة فى اختتام السورة بهذه الجوهرة الثمينة ومن المناسبات قوله - ثم استوى على العرش - بأول يونس

﴿ تدليل لتفسير سورة التوبة وأن الرجعة فيها من أسرار الصلاة ﴾

اعلم أن سورة التوبة فيها سر الرجعة للمتجلىة فى الصلاة . إن المسلم فى صلته يناجى ربه بالفاتحة والشهد وبعض الأدعية وكلها مرجعها الرجعة العاتية وارجاع الامور لله . فى الفاتحة يقول المسلم ان المحامد كلها لله على تريته للعالم العلوى والسفل الذى شملته الرحمة وعمه الاحسان والعدل فى الجزاء فله وحده الخضوع والتوجه . وبه وحده الاستغاثة . ومنه تكون الهداية للصلوات السوى . صراط المنعم عليهم الذين هم وسط بين طرفين . وفى تشهده يفوض كل شئ لله . فالثناء فى الفاتحة . والتعظيم فى الشهادتين بان الله تعالى . وهكذا سائر الامور . وكما أنه طلب الهداية من الله فى الفاتحة أقرنا هنا بأن السلام علم من الله على الأنبياء وجيع الصالحين . ثم هو يناجى ربه طالبا ازدياد الرحمت على النبي ﷺ وصالحى أمتيه والتحاقهم بالصالحين من الأمم السابقة . ثم يستعيد بالله من العقبات التى تعوقه عن القربى لربه . وترى المسلم فى الاعتدال من الركوع يقول نحو ذلك فيحمد الله حمدا يملأ السموات والأرض وغيرها ويبالغ فى التبرى من الحول والقوة فلا يعطاه لغيره ولا مانع لعطائه وهناك لا ينفع الاجتهاد بلاعانة وهكذا

فلنخص مايقول المؤمن فى صلته التبرى من الحول والقوة والاعتماد على الرحمة الواصلة من الله اليه وتقويض الامور له وتسليمها اليه . هذه هى المقصود من الصلاة وهى لاتصح ولايقاه لها ولا نواب إلا اذا حضر قلب المصلى فيها . ومتى حضر أشربت هذه المعانى فى قلبه ولا بد من العمل بها لأن الانسان يعمل بما يعتقد واعتقاد المسلم إذن أن الله هو الربى وهو المستعان وله الخضوع وله العبادة ومنه الهداية ولاعطاء لغيره ولاعمل للبعد . وهذا كله تقويض تام . هذه هى صلاة المسلم بكررها طول النهار وطول الليل وأعماله الدنيوية تتخلل هذه الصلوات واذا تخطتها أثرت فى أحواله وأعماله وأقواله مادام حاضر القلب فى الصلاة . وهما بيت القصيد . هنا بجلى ما أريد به فى هذه الخاتمة فلقد رأيت كيف تخلى المسلم عن الآباء

والأبناء والأخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن وقيل له إياك أن تكون هذه الثمانية أحب إليك من الله فانها منه واليه . وفيها يرى المسلم أنه إن قتل فالقتل مغنم وإن نصر فهو مغنم وإن عاش عدوه أومات فذلك كله مغنم للمسلم لأن صدره اشتقى من عدوه بعذاب جهنم أو عذاب القبر إن مات أو بموته قتلا بيد المسلم . فالخاتمة في نظر المسلم كلها سعادة . فلافوات المال بحزبه ولا ذهاب العمر يؤذيه وإن افتقر فالله سيغنيه إثمًا في الدنيا وأما في الآخرة فاذن يكون قلبه غنيا وهو مشرح الصدر . فانظر كيف أصبح هذا الوجود كله والأحوال جميعها في حق المسلم رحمة وسلاما بتحقيقا للرحمة المقررة في المآخض المتكررة في كل صلاة والسلام الذي يرفرف عليه في كل تشهد . فالمسلم إذن في رحمة وفي سلام دائمين وأصبحت الرحمة في العقيدة الراسخة التي تغذيها تلك التلاوات . فالحرب والفقر والموت والهزيمة والنصر والحياة والغنى كل هذه المتناقضات يصبحها الرحمة والسلام لغو من . وإذا أصابه النصب والتب والخمرة والفقر فهو في رحمة وسلام لأن المسألة حوت من الماديات إلى المعنويات ومن الظواهر إلى البواطن واذن سر القاعة وسر الصلاة قد تجلي تجليا أعظم في سورة التوبة

هنا ظهر سر الصلاة . وسر القاعة . وسر التشهد . وسر الصلاة على النبي ﷺ وعلى صالحى أمته . وسر القنوت وغيره . ولعمري إن هذا كله هو سر الحياة وسر السعادة . أمرى بها النبي ماذا قال الحكماء والفلاسفة في هذا المقام . أمرى ماذا صنف الفلاسفة للمتقنمين في هذه المسائل . أتى أحبك على ما تقدم في سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك أن فيلسوفا يسمى (قابس) قبل الميلاد بمئة سنة ألف كتابا يسمى (لفز قابس) لخصه لك هناك ويرجع الأمر فيه إلى أن السعادة ليست في المال وجعه ولا الجلال وبهجه ولا الولد وكثره ولا العلم وعزته ولا الصيت وشهرته ولكن في الصبر والثبات والرضى في مختلف الحالات فإن شئت فارجح إليه وإن شئت زدتك اليوم بيانا وأفدتك يقينا وحكمة وإيمانا تعجب كيف اتفق العلم والدين . وكيف صنف الفلاسفة بقولهم ما أنزل الوحي على نبيه . وكيف يرى بعض الناس أن هذه المواعيد الإيمانية والآيات القرآنية والشارات الأخوية انما حلت لترغيب الجاهلين والضحك على أذقان الغافلين (ذلك) لأنهم يظنون أنهم امتازوا بعلمهم عن بقية المسلمين إذا هم لافى العير ولا فى النفير فلا هم مع العامة للقلدين ولا هم وصاوا إلى رتبة الحكماء المحققين . فباجبا كيف يصل العلم أكثر المتعلمين . وكيف يكون العلم ضلالا والتشؤ به سرا

إن الذين يسعدون في الدنيا (رجال) جاهل له إيمان . وعالم تام الحكمة والعرفان . فأتا المتوسطون فهم الذين قتلهم الحيرة والشك في هذه الحياة فهم أبدا معذبون ويتلهون بالشهوات الجثمانية في هذه الحياة طائنين أنها هي السعادة إذ لا سعادة في سواها . وما الشهوات إلا - ظل - ذو ثلاث شعب * لا ظليل ولا يضي من الالهب - فهم يتقون الحر بالنار * كالاستجبر من الرضاء بالنار * فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها إذا هم يسخطون

(حكاية الكوخ الهندي)

ألف عالم من علماء أوروبا لا أذكر اسمه الآن كتابا يسمى (الكوخ الهندي) لجعله سياحة من الغرب إلى الشرق فطاف مصر وسوريا وسائر البلاد باحثا عن الحق أين هو فوجد للمسيحيين والمسلمين واليهود جميعا مختلفين فقال في نفسه أين السعادة إذن فوصل إلى الهند واتصل بالبراهمة فلم يبيحوا له الاتصال برئيسهم بل ألزموه أن يجلس في مؤخر المجلس بعد أن اغتسل فأخذ يلقي أسئلة على آخر رجل في المجلس وهذا باقية لمن يليه وهكذا حتى وصل إلى رئيسهم وصورة السؤال (أين الحق) فكان الجواب أنه عند البراهمة وسد أخذ وردة وجدال هزى الجمع بهذا القرعجي نفرج يتهثر في أذيال جيته . وبينما هو سائر إذ عثر بامرأة

تبكي حظها وتندب أيامها فسألها ماذا دهاك فقالت إن زوجي مات ولم أحرق معه وكل امرأة مات زوجها ولم تنزع نفسها معه في النار فتموت تعتبر نجسة فأنا نجسة فلا يكلمني أحد فقال لها وأنا مثلك لأنني رجل مسيحي يعتبروني نجسا فاصطلحا أن ينزجا وعاشا في القفر يشاهدان جمال الله في طلوع الشمس وغروبها وجمال النجوم والقمر وبدائع الطبيعة في النبات والأنهار والحيوان والهواء الطلق ثم رزقا ولدا

ومما اتفق لهذا الرجل أن مر به ساحل فأخذ يحثه وقال له أنت سعيد قال إني لم أحسن بالسعادة إلا في هذه الحياة فجمال الله مشرق على أطالعه في نجومه ونمسه وقره وزهره وشجره ونهره ومائه وهوائه وتفريد طيره وحسن صنعه فأنا في أنوار وجمال وبهاء وهذا ولدي قرّة عيني وعين أمّته وقد ابتعدنا عن ضوضاء المدن ودخانها وآلامها وكذبها وقضاياها ونفاقها الخ فقال له كيف نلت هذه السعادة قال له بعد أن كتلت نفسي بالمصائب وصبرت على النوائب فالمصائب هذبتني والنوائب صقلتني وحوادث الأيام كتلتني وقوارع الدهر شذبتني فأصبحت نسي كالجلد المدبوغ ذهب ننته ووصلح عمله . فأما الذين لم تهذبهم الأيام ولم تصهرهم المصائب فهم أبدا في حزن وألم فلا المال يعصم ولا الجلال وحده يرضيهم ولا الصيت يسعدهم ولا الولد يكفيهم فهم عرضة للهوان واللذلة في كل حال . فقال له أيها الأخ كيف تقول إن احتمال النوائب يسعد مع إن النوائب هي النقاء وهي المذلة وهي الهوان وهي العذاب وإذا لم تكن هي عذابا فأين العذاب إذن . لقد جعلت الجحيم نعيما والفرغني وقلت القضايا ولم تصب الحقيقة . فهل يكون الليل نهارا . أم يكون الظلام ضياء . أم الموت حياة . إن هذا هو الحب الجباب

فقال اسمع يا صاح . إن الجبل صعب المرتقى فإذا تحققت أن فوق هذا الجبل حديقة غناء وطيورا مفرقة وأهبار جارية فأنت لا محالة مرتقي إليه فما دمت في الارتقاء فأنت في غناء ولا يكون الغناء إلا حيث لم تصل إلى قمة ومنى وصلت إلى أعلى للرجات فهناك لا ألم ولا شقاء بل هناك مايسر القلوب ويشرح الصدور . هكذا يكون المرء في الحياة . فمادامت نفسه لم تصقل بالنوائب فإنه لا يزال في نصب وتعب ويهيم لها كثيرا فأما إذا استكملت نفسه بها فإنه لا يهيم أمرها ويعز عليه اللذات والآلام كما يعز الليل والنهار والصباح والمساء . فحمد صاحبه له هذا البيان وأدرك ما لم يعلم في المدارس من قبل

فاظفر بها الذي لدين الاسلام كيف رأيت في هذه السورة أصحاب نينا ﷺ بلاتعلم ولا فلسفة ولا حكمة عقلية قد نالوا هذه الأمية وأصبحوا لا يبالون بالأهل والاخوان والحياة حتى قال أبو خيثمة ﴿ ظلّ ظليل . وغريانه . وماء بارد . وامرأة حسناء . ورسول الله في الحرّ وشظف السفر والله لا يكون ثم ركب ناقته ﴾ وكيف رأيتهم يتنشقون التمرة ليشربوا الماء عليها . وكيف رأيتهم راضين فرحين متبهجين في قلوبهم . وكيف رأيتهم يتقدمون للموت . قائلال منول والعمر مبذول . كل هذا بشئ واحد وهو الإيمان . فاظفر كيف فعل الايمان مايجز عنه العلم والفلسفة والحكمة . وكيف جهل أكثر الناس أن السعادة راحة للوجدان والفلسفة شرحتها والقرآن أبررها . انظر كيف كان أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون طاهرا من الحياة الدنيا . وهم عن سعادة هذه الحياة نفسها معرضون . وبأسرارها جاهلون . وعن الحقائق غافلون . - والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - اه

﴿ ذكر المحاسبين سورة التوبة والسورة التي بعدها وهي سورة يونس ﴾

اعلم أن المحاسبين السورين من تلاه وجوه ﴿ الوجه الأول ﴾ أن سورة التوبة لاداب الجهاد وعدايب الكافرين وقسم العنانم وأكثر ذلك في السر . أما سورة يونس فانها لتعليم الناس وهم آمنون مطمئنون ﴿ الوجه الثاني ﴾ اعلم أن الله عروجل علم قبل أن ينزل القرآن أن الأمم الاسلامية ستندد العالم وبدائع آياته في سبائنه وأرضه ظهريا وبذلك ينزل كثير منهم للآثم المحيطة بهمهم فلذلك أخذ يقول في آخر التوبة

- وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلح - فأمرهم أن ينقسموا ﴿فريقين﴾ فريق للسفر والجهاد - وفريق للثقة في الدين • وعلم سبحانه أن هذه الكلمة سيصلح الناس قرونا متطاولة بعد الصحابة والتابعين على اختصاصها بفروع من المسائل ليست هي كل الثقة كما تقدم بأوضح عبارة • فلذلك جعل هذه الكلمة في أواسر هذه السورة وأعقبها بسورة يونس وشرح في أولها ما يفيد ذلك الثقة • شرحها شرحا مستوفيا • يقول الله هنا لتبني طائفة يتقوهون في الدين ولينفروا قومهم إلح وينكر على الناس تنجيهم من إرسال أحدهم لينفروهم ويشترهم • ثم أخذ يبين خلق السموات والأرض واستواء الله على العرش وتذير الأمر وأنه أضاء الشمس ونور القمر ومتره منازل ليعلم الناس الحساب وأبان اختلاف الليل والنهار وحسن من الياس من الآخرة والاكتفاء بالدنيا والاطمئنان إليها والعفلة عن هذه الآيات السبوية والأرضية وغيرها ومنح الصالحين المهنتين • وختم هذه الجبل بأن أهل الجنة يمتحون دعاءهم بتزكية الله ويحمده على تربيته للعالمين • لاجرم أن هذه هي مجامع الثقة في الدين • وهذا الشرح المذكور في أول سورة يونس هو عينه ما ذكرناه سابقا ونقلناه معناه من كتب اللغة ومن كلام الامام الغزالي • إن الله عز وجل ليس عن الخلق غافلا كما قال - وما كنا عن الخلق غافلين - وسرى إن شاء الله عند تفسير هذه الآية كيف عرف علماء العرب عجائب هذه الدنيا التي هي داخلية في هذه الآيات القرآنية • وعسى أن تقطع هالك على بدائع ألوان الحيوان وأشكاله التي عرفها القوم وعرفوا أن تلك الألوان وتلك الأشكال إنما خلقت لتكون وقاية لتلك المخلوقات الضعيفة من أعدائها القاتلات • فترى الحشرة تخلق على هيئة حصة من حجر الصوان مثلا ليجهلها الطائر الذي يعيش عليها فتبقى محفوظة إلى أمد • فهكذا هنا ألهم الله الامام الغزالي قبل نحو ٩٠٠ سنة أن يذكر العلماء بعده بأن الفقه الذي لم تعرفوا سواه إنما هو فقه اصطلاحى ولكن الثقة المذكورة هنا غير ذلك وقد عرفته وعرفت أيها الذي أنه يرجع في أكثره إلى ﴿أمرين اثنين﴾ تهذيب النفس وإشراقها بالعلم • وهذان الأمران هما المذكوران في سورة الفاتحة التي ابتدئت بهذه الجلة - الحمد لله رب العالمين - ولفظ - العالمين - يشمل العالم العلوى والسفلى • وهو ميسر في تفسير الفاتحة • لجميع العلوم التي عرفها أهل أوروبا وأمريكا وبلاد اليابان هي الفاتحة في قوله - الحمد لله رب العالمين - ألا تتعجب من كيف ذكرت الجلة بتمامها هنا في دعوى أهل الجنة ولم تذكر بهذه الهيئة بعد الفاتحة إلا هنا وفي أثناء سورة الأنعام التي ذكر فيها عجائب السموات والأرض • لانهمد الناس محسنا عليهم إلا إذا عرفوا نعمته وعلى مقدارها يكون اعظامهم له بقلوبهم وقيامهم بقضاء حوائجهم بجوارحهم وناؤهم عليه باللسان فهنا ﴿ثلاثة أمور﴾ اعظام بالقلب وحب وهذا بالنسبة لله مطلوب ولكن ليس هذا بالكشف وإنما هو نبيجة الشعور بالنعمة والقيام بقضاء الجوارح والأعمال بما في حق الله مستحيل يرجع ذلك إلى الاخلاص في خدمة الناس والعمل لاسعادهم • أما البناء باللسان فأنما هو وظيفة اللسان • فاللسان هو آخر أنواع الشكر الثلاثة • اذن الحمد نتيجتين نتائج الانعام المذكور في قوله تعالى - صراط الذين أنعمت عليهم - ولما أنعمت عليهم وعرفوا النعمة قاموا باعظامك بقلوبهم وخدموا أنفسهم ونطقوا بالثناء عليك فقالوا - الحمد لله رب العالمين - وهذه الجلة المذكورة هنا لتذكيرنا بنعم الله ﴿وبعبارة أخرى﴾ لتذكير المسلمين بقرائن عجائب السموات والأرض التي ذكر منها هنا الشمس والقمر والحساب وتقدير المازل إلح فبهذه كلها من ربيبة الله للعالمين • فسورة الفاتحة ساء ودعاء والثناء في أولها الحمد وفي قسم الدعاء سبب الحمد وهو النعمة في الفاتحة ذكر السبب بعد المسبب • ثم أقول هاهنا كما لم يفعل الله عن الحشرات وأنواع الحيوان تخلفها على أشكال وهيئات تكون سببا في بقائها إلى أمد • هكذا هو نظر للأمم الإسلامية الخالصة قبل أن يخلفها فيها لها الأسباب ونظم الكتب وألهم العلماء فشرحوا لفظ الثقة مثل ما رأته عن

الامام الغزالي وبقى ذلك في الكتب المذكورة والناس عنه غافلون وبقى الخلف يتبع السلف تسعة قرون والامم من حولهم يعلمون وهم ناظمون . وأول ضربة وقعت على عالم بعد موت الامام الغزالي تلك الضربة التي وجهت الى العلامة ابن رشد إذ كفروه لأنه مع ما بين وبين الغزالي من الخلاف وافقه في أن هذه العلوم كلها هي التوحيد وهي المطلوبة فآذاه المسلمون وأهانوه . ويقال انهم بصقوا في وجهه . ومرة طرده من المسجد . وأمر الملك بنفيه من العاصمة إذ ذلك بالأندلس . وبقى في بلدة لا يسكنها إلا اليهود استقاراً لشأنه ثم رضى عنه ومات بعد قليل فتناقص العلم من بلاد الاسلام وذلك للمسلمون في أطوار الأرض ذلاً عظيماً ذلك لأنهم جهلوا التفقه في الدين الذي أمر به أصحاب النبي ﷺ ولم يعرفوا كيف ينشرون قومهم وينشرونهم بل عكفوا على قشور من العلوم . يقولون لصبي اذا دخل المدارس الدينية إقرأ قروض الوضوء ويطالبون في ذلك اطالة ويجعلون كل حياته في ذلك ولا يظهرون له جلال الله وعجائبه وبدائع صنعه ولا يشرحون له شرما مستفيضا اخلاف الوعد والمقصد والحسد وما أشبه ذلك ولا يهذبون نفسه وصار ذلك خلقا في الأمة الاسلامية فذلوا ذلاً عظيماً وقضت الانسانية العلية هذه الأمة المسكينة فلم تنفع نفسها ولم تنفع الناس وصارت عالة على الأمم فآذوها كما فعلت النحل في قبيرها اذ ترى ملكتها القائمة بتدبير ملكها قد حمل لقاحها حملت وهناك في القفير ذكور النحل فتحمل سكان القفير من النحل المذكور على أولئك الذكور فتيدهم من الوجود لأن الله لا يبيح في خلقه ما لا عمل له . هكذا الأمم التي خلقها الله لما رأت الأمم الاسلامية غافلة جاهلة حلت عليها فأخذت بلادها وجعلتها تحت امرتها الا تلك الأمم التي استيقظت كاترك وكالفرس وكالأفغان فانها لما استيقظت هذه الأيام أخرج الله منها القريحة - وان عدتم عدنا -

أقول فعني التفقه الذي شرحه الامام الغزالي بقي في الاحياء وقد نام عنه المسلمون . ناموا عنه نوما عميقا لموت العلماء والمفكرين وبقى للمسلمون بعد تلك القرون مكثفين بعلوم الصوفية حتى انك ترى العلامة محيي الدين بن عربي قد أدخل جل الفلسفة والدين في كتابه (الفتوحات المكية) وخلطه بالتصوف حوصا على العلم ولم يد أن يعلمهم الفلسفة والعلوم الحسكية وبدائع السموات والأرض لأنها كفر عندهم وقد رأوه فوق طاقتهم فاتمط للمسلمون حتى جاء العصر الحاضر فأعان الله على هذا التفسير وأعان غيبي على تأليف كتب في ذلك وهذا أو ان مرقى المسلمين

فلن يقدر صغار العلماء على الطعن في عالم ولا مفكر لأن الأمم المتعلمة أحاطت بالمسلمين من كل جانب فليس يقدر أحد من جهلة المسلمين على مناوأة ما يكتب الآن لنشر العلوم والتفقه في الدين الذي شرحه أسلافنا وغفل عنه من بعدهم فنحن نستأنس بكلامهم ليعلم المسلمون أن هذه الآراء التي أذكرها في هذا التفسير ليست حديثة بل قاطبة آبائنا ونلم عنها من بعدهم وأن الله عز وجل أراد إيقاظ الأمة اليوم ولا راد لما أراد وستبقى هذه الأمة أمدا يعلمه الله وسيحفظها كما حفظ تلك الحيوانات الضعيفة فانه يقول - وما كنا عن الخلق غافلين -

واني أسأل الله عز وجل أن يوفقني عند تفسير هذه الآية برسم صور تلك الحيوانات التي حفظها الله بسبب أنه خلقها مشاكسة لما حولها من شجر أو حجر أو مدمر لتعلم أنه هكذا سيفعل بأمة الاسلام فيحفظها لأنها ستكون مشاكسة للأمم في علومها ومعارفها بل ستكون هي الأرقى

فتبين بهذا أن التفقه في الدين قد جاء ملخصه في أول سورة يونس ليعرف هذا المعنى المسلمون ويخرجوا من جوهرهم القديم الى مجدهم الحديث وقرأوا جميع العلوم ويعرفوا آيات ربهم ويفرحوا بجماله وتعبر بلادهم وهم متهجون . وسترى أيها النكي في سورة يونس من عجائب اتقان الصنعة الالهية ما يهيب الأبصار كالصور الكوكبية المرسومة بالصورة الشمسية وكذلك الصناعة البشرية التي وضعها قداما للمصريين في معابدهم وفوق

جثهم المنقطة . وكيف أبدع الله مئات آلاف من المجرمات التي كل منها تشتمل على مئات آلاف الآلاف من الكواكب وعرف الناس أبعادها اجالا . وكيف عرفت ذلك الأمم حولنا فرست بعض الصور السلوية بهيئة جيلة تسر الناظرين . وكيف حذر الله من الغفلة عن آياته سواء أكانت بصنع يديه كالصور السلوية أو بصنع عباده كنقطة فلك البروج التي سترها برسم قدماء المصريين . وهذا قوله تعالى في سورة يونس - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - . هذا تمام الكلام في الوجه الثاني من وجوه المناسبة بين السورتين ﴿الوجه الثالث﴾ ختم الله التوبة بأنه جاء الناس رسول من نوعهم تزعزعه مشقتهم حريص على إيمانهم رؤف رحيم بالمؤمنين منهم . ثم تلا ذلك في أول يونس بأن هذا الكتاب الذي جاء به كتاب ذو حكمة وقال - أكلن للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس - فهذه الآية تكملة وتقيم لآية آخر البسورة هنا . وليس في القرآن من سورة مبدؤها يوافق نهاية التوبة إلا سورة يونس فظهرت المناسبة بين السورتين . وهذه المناسبة كالتي بين سورتي الطور والنجم . ففي آخر الأولى - ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم - وفي الثانية - والنجم اذا هوى - وكآخر المائة وأول الأنعام إذ يقول في آخر الأولى - تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - إلى قوله - لله ملك السموات والأرض وما فيها من شيء وهو على كل شيء قدير - ويقول في أول الثانية - الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور - إلى قوله - يعلم سركم وجهركم الخ - خلق السموات والأرض راجع لقوله - لله ملك السموات والأرض - و - يعلم سركم وجهركم - راجع لقوله - تعلم ما في نفسي الخ - وهذا القرآن لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه والحمد لله رب العالمين اهـ

﴿ تكملة الكلام في مناسبة آخر سورة التوبة بأول سورة يونس ﴾

(الفقهاء في الاسلام في الماضي وفي الحال والاستقبال)

مرّة بك أيها الذكرى الكلام في هذه المناسبة وأنها من ثلاثة وجوه . ومن أهمها أن التفقه في الدين جاء في آخر التوبة . وجاء بعدها في الترتيب سورة يونس . وجاء في أوائلها ذكر ضوء الشمس ونور القمر إلى آخر ما مرّ . وأنبه الآن بذكر ماضى الفقهاء وحاضرهم ومستقبلهم اللهم إن الحكمة والعلم أتمن ما في هذه الدنيا وخير العلوم ما به يعرف الانسان قيمة نفسه وخبرها يكتبه المفكرون في الاسلام البحث في أحوال أمة الاسلام وعاداتها وأخلاقها . وها أنا ذا باحث في الفقهاء بما يناسب المقام

﴿ الفقهاء في عصر الصحابة ﴾

لقد كان أصحاب النبي ﷺ كما مرّ بك من كلام الامام الغزالي يعتقدون الفقهاء أنهم هم أولوا الألباب - الذين يذكرون لله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض - ويعتدون نعم الله عليهم - ويخشون ربه ويحافون سوء الحساب - وهم الذين - تتجاف جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا الخ -

﴿ الفقهاء بعد الصدر الأول ﴾

ذهب الصدر الأول فتضائل التفقه في الدين وانحاز الى ما هو معروف اليوم من الفروع العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية . فأما ما عدا ذلك من خشية الله وحبه والولوع به والتفكير في جماله فذلك قضى عليه القضاء الأكبر وصار نسيا منسيا . وهذا هو العصر الذي كان فيه الامام الغزالي في القرن الخامس الهجري وقبله وبعده للآن

﴿ الفقهاء في زماننا ﴾

قد قلت لك قبل هذا ان أكابر علماء الاسلام قاموا على تلك الطريقة العقيمة المنتشرة في انحاء الاسلام الى اليوم ودمقوها وشنعوا على القائلين بالدين ولكن رؤساء الدين في الاسلام لم ترعهم تلك الصيحات ولم توقظهم تلك المنبهات ولم يغيروا نهجهم بل اختلف يقع السلف - وكل حزب بما لديهم فرحون - فتبع السني السني والشيعي والشيعي فالحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي والزيدى والامامى . كل هؤلاء عاكفون على مدارسهم عن أشياخهم موقنون أنهم اهدى من غيرهم عملا وأشرف أملا تابذين ما عدا ذلك مما ليس لهم به علم حافظت الأمة على حصر أفكارها في واد ضيق فنام المسلمون نوما عميقا أدى الى اضمحلالهم إلا قليلا منهم فهم مستيقظون

ثم اتسع نطاق التسمية بالفتية فلم يقتصر الناس في التسمية به على من يحفظ أحكام الصلاة والزكاة والصيام والحج والبيع والرهن والسلم والاجارة والوديعة والهبة والميراث والدعوى والعق والحيف والنفس الخ بل صار هذا الاسم يطلق على كل من حفظ القرآن عن ظهر قلب وإن كان من أجهل الجاهلين . وهذه طريقة منتشرة في بلادنا المصرية يسمون من حفظ القرآن فقيها وإن لم يدرك من معانيه حرفا واحدا

والله يقول - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر - * وفى الحديث ﴿ إقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فليست تقرأه ﴾ وهذه التسمية لهذه الطائفة التى هى أعم من سابقها قد تكون مصعوبة باحتقار نوعا ما وباستهزاء لسببين (السبب الأول) أن هؤلاء غالبا كانوا قبل الآن يعملون بالصا والاذلال فتدل نفوسهم وتختف ﴿ والثانى ﴾ أن النفوس الانسانية فيها نور إلهى عام تخفق المحب وتعرف بعض الحقائق وإن لم تحسن التعبير عما تعقل فهنا يظن العامة أن هذا الفقيه لحفظه القرآن عنده علم وفى الوقت نفسه تعلم نفوسهم أن قيمته العلمية منعدمة ولكن لا يحسنون أن يعبروا عن ذلك

﴿ آثار ما تقدم في الاسلام ﴾

فانظر كيف كانت الأمم الاسلامية صورة مكبرة لفقهاها . فلما كان في الصدر الأول أمثال أبى بكر وعمر كانت الأمة شاعقة الرأس عزيزة الجانب . ولما صار الفقيه محصورا في الفروع في الأزمان للتأخرة وأحافظا للقرآن صارت الأمم الاسلامية كلها صورة مكبرة لفقهاها . فكما عكف الفقهاء على حفظ السور أو على حفظ الفروع وغفلوا عما سواها . هكذا الأمة غفلت ونامت ثم ذلت وخضعت . ذلك هو تاريخ الأمم الاسلامية وفتحها قديما وحديثا

﴿ الفقهاء في مستقبل الزمان ﴾

أما الفقهاء في مستقبل الزمان في أمم الاسلام فانهم سيكونون أشبه بالحكام في أمة اليونان فيكون الفقيه في دين الاسلام هو المتمكن من العلوم المطلع على حقائقها الباحث المدقق . فاذا قرأ سورة يونس بعد التوبة كما تقدم بحث في الشمس والقمر والمنازل المذكورات في أول السورة وأتبع ذلك بفهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين لهم البتري في الحياة الدنيا وفى الآخرة ويتبادى في فهم يونس الى أن يرى في آخرها أن الله نجى أجساد بعض الفراعنة لتكون تلك الأجساد البالية والعظام النخرة المحفوظة في الأبنية للشاهدة عبرة للأمم المتأخرة فينحش ما يرى في مصر (كما ستره مرفها في سورة يونس قريبا) من اقبال الأمم من أعيان أمريكا وانكلترا وفرنسا وألمانيا على الاعتبار بتلك الجثث المحنطة والتفكر في تلك الصناعات الهجينة والبروس الساقطة للنيقة وغرائب العلم ومحائب الحكمة والرسوم الفلكية المرسومة في محال عبادتهم وعلى الصناديق التى فيها أجسامهم (وستنظر هذا هناك قريبا) واذا ذلك يقول هذه من

معجزات القرآن لأن الله لم ينم للمرضين عن آيات الله إلا في موضعين في بونس ﴿الأول﴾ عند ذكر السموات والأرض في أول السورة ﴿والثاني﴾ عند ذكر الاعتبار بأجساد الفرائعة وانها من آيات الله . وهذه الآيات لم يفكر فيها الناس إلا في هذه الأيام . إذن هذه معجزة قرآنية . ثم ينتقل من ذلك إلى أن يحضر الأئمة على الاعتراف من مجبور على الأوائل من آي دين ونحلة وأمة حتى أنهم يدرسون خرافات الأمم وأساطيرها ليستخلصوا منها الأخلاق والآداب التي كانت عليها تلك الأمم فتزيد العقول حكمة والتفوس عظمة فبالأولى يدرسون رسوم مبانيها وهندستها وعلمها وحكمتها ويفعلون ما فعله ألمانيا اليوم وبقية أهل أوروبا فان لهم طوائف خصوصاً كلاً منهم لعمل أولهم أول تاريخ أمة كما نعلم علم اليقين أن أهل ألمانيا عندهم قوم مختصون بالبحث عن علماء الشرق الأدنى مثلاً وهكذا فللمسلمون أولى بهذا لأن الله يقول - وكذلك جعلناكم أئمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس الخ -

﴿نظر الفقيه في مستقبل الزمان في سور أخرى من القرآن﴾ ثم اذا قرأ سورة هود بعسورة يونس وجدها قد جاء في أوائلها شيء عجيب ﴿ذلك﴾ أن الله ضرب مثلاً لتدبيره في خلقه بالملك على عرشه . فاذا كان الملك يدير أمر الرعية ويحافظ على نفوسها وتجاراتها وزراعتها وسياساتها . فهنا قيل ذكر العرش يقول - وما من دابة في الأرض إلا على رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - فيضاهي الفقيه إذن بين عرش الملوك وعرس ملك الملوك . فعرض الملوك لتدبير الجيوش وحفظ الثغور والبلاد الخ وعرش ملك الملوك لنظام السموات والأرض واغداق الرزق على الحيوان والاحاطة به علماً والحفاظة على حياته والتكفل به في غدوه ورواحه ثم يرى هذا المعنى يدخل في قصص السورة كقول هود - إني نوكيت على الله ربى وربكم ما من دابة الا هو أخذ بناصيتها إني ربى على صراط مستقيم - ومن استقامة صراطه أن يأخذ بناصية السواب وبناصية الانسان . فكل شيء تكفل الله به لافرق بين الانسان والحيوان . ثم يتأمل الفقيه اذ ذاك فيقول . لماذا ذكرنا هود وقد ذكرت في أول السورة ثم يجب على ذلك بأن علم الحيوان في زماننا مدهشة عجيبه . مثال ذلك ما ستره في سورة المؤمنون في قوله تعالى - ولقد خلقنا قومك سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين - فالك سترى هناك ما لا عين رأت من عيون الغافلين ولا أذن سمعت من آذان المتكبرين ولا خطر على قلب الجاهلين من حكم غالية وجواهر باهرة وغرائب مدهشة . اذ ترى هناك رسوما شمسية لأشكال حيوانية (١) كفراس ذى أجنحة تشبه في صورتها ولونها وشكلها أودا جافة منبوذة (٢) وكنوع من الحشرات قد وقع على جنح شجرة عتيقة والتصق بها فيظن من يراه أنه غصن ضخم من أغصانها قد قطع من أعلاه حديثاً (٣) وكودود الفراس الملون باللون الظاهر الباهر حتى يتبينه كل ناظر ويعرفه كل صادر ووارد وهكذا من كل شاردة غريبة ونادرة عجيبه سترها هناك برسمها ان شاء الله وتطلع على سر هذه الأشكال وضرب تلك الأمثال وتفهم فهمها حقاً معنى - وما كنا عن الخلق غافلين - وأن الفراس ذا الأجنحة التي تشبه الورق الجاف انما خلقت على هذه الصفة لتكون تلك المشابهة وقاية لها من الطيور التي تصطادها فتعيش عليها فتي مرت عليها لم تميزها من الورق الجاف فلا تصطادها ولا تفرسها . وأما الحشرات الواقعة على جذوع الأشجار المناسبة لأغصانها فكذلك للاحتراس من أعداء تلك الحشرات . وأما المسألة الثالثة فذلك أن هذا البود الذي ظهر واكتشف بلونه وجسمه وتميز عن الشجر المحيط به فانما ذلك لأنه كرهه الطم قد جربه الطير المقترب قديماً فكرهه فلذلك منحه الله لونا زاعياً ليكون ذلك اللون علامة للطيور الأكلة للحشرات تعرفها أن هذا طعمه كرهه فتحته لجرد منظره ولولا هذا اللون الذي به امتاز ذلك البود لكان دائماً يحط أنظار تلك الطيور فتأتى إليه فتدقوه وتريداً كماه لاتقدر فيكون الطير في شغل بما لا يضرع وذلك البود دائماً خائف وجل من ذلك

بهذا يفهم الفقيه قوله تعالى في سورة هود - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين - ويفهم لماذا أعاد هذا المعنى هود في قوله - إني نوكيت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - فمن درس هذه العلوم وأقنها أيقن أن الله نظر لكل حيوان نظرة خاصة وأعطاه شكلاً ولونا وحجماً يوافق كل المواقفة حاله . فإذا عرف ذلك الفقيه عرف أننا معاشر بني آدم لسنا في حجاب عن نظر الخالق لنا . فاذن هو يعامل كلامنا معاملة خاصة تناسب أحواله . نتيجتها نافعة له . فإذا رأينا لون الحيوان لحكمة وشكله لحكمة حتى انك سترى في تلك الآية أن من الحشرات ما اذا جثم على ورقة أو غصن يرى على شكل زرق الطيور وذلك الشكل جعل وقاية له من الطيور الآكلات له فهذه الحشرات حين وقوعها على شجر أو ورق أو حجر لا تلتصقها الطيور وكيف تلتصق ملائشك في أنه زرقها فهذا يتبين الفقيه أن الله حقيق بالتوكل عليه وأن كل مانع عليه من عز أوذل أو حزن أو فرح أو إقامة أو حال لله فيه حكمة فصل عما كما فصل تلك الحكمة عن تلك الحشرات التي أشبهت زرق الطيور لو كانت ذات عقل وقالت ﴿ لم خلقتي يارب على شكل زرق الطيور ولم تخلفني بهيمة بهيمة كالحباب المغضى في ليالي الظلام ﴾ فهذا يفهم الفقيه الاسلامي لماذا قال هود بعد قوله - إني نوكيت على الله الخ - . ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها - فإن أخذ بنواصي الدواب كما علمت وكما ستعلم عند تفسير آية سورة - قد أفلح المؤمنون - دليل على أنه آخذ بنواصي كل امرئ من بني آدم وأن كل عمله فينا لحكمة فصل عنا فلتوكل عليه وذلك الفقيه اذا قرأ أمثال ما سمعته الآن في الطير وغير الطير في موسوعات الكتب الفرنجية كما اتفق لي في هذا المقام يأخذه الجب كل مأخذ لأمرين ﴿ الأول ﴾ أن أمم الفرنجة المتأخرين قد برعوا في تلك المعاني التي هي حقا وصداقاً فمنها القرآن والمسلمون غافلون ﴿ الثاني ﴾ أنه يدهش حيناً يرى القوم يتسرحون تلك العلوم لذات العلوم فتتسع قرائعهم وتزداد رزقهم ولكنهم (كما رأيت أنا) لا يكتفون بذكر أنها فعل الخالق ولا بان ذلك دال على حمالة وحكمته إلا قليلاً جداً مثل ما يذكره (اسبلسر وألبفر لودج) و (اللورد اقبري) وأمثالهم فهؤلاء يذكرون الخالق تبارك وتعالى عند ذكر بعض هذه الصغائر . وأكثر القوم لا يهتمون بذلك . وعليه سيكون فقهاء الاسلام مخالفين للأوروبيين في طريقة تدريس هذه العلوم ويسعون في العلوم كما صنعنا بوجه ما في هذا التفسير فيجب الناس صانع العالم ويفرحون بالعلم غراماً دائماً هذا ما يراه الفقيه المستقل في سورة هود

﴿ مسيراه الفقهاء الاسلاميون في سورة يوسف بعد هود ﴾

فإذا قرأ ذلك الفقيه سورة يوسف سمع الله يقول - لقد كان في يوسف واخوه آيات للسائلين - وأخذ يسرد نظام آداب يوسف في بيت الميزان إذ عفا عن الشهوات وهذا هو تهذيب الشخص وآدابه في السجن إذ أحسن المصاحبة مع المسجونين من المصريين وأخذ يعظهم ويدعوهم للإيمان وهذا أشبه بتدبير المنزل ثم قبض على أزمة الأعمال العامة في الأمة المصرية والاقتصاد وتدبير الدولة . فكان هذا هو السياسة العامة وهذه هي نصف علم الفلسفة لأن الفلسفة ﴿ قسبان ﴾ قسم علمي . وقسم عملي . والقسم العلمي هي الرياضيات والطبعيات والاهليات . والقسم العملي تهذيب الشخص وتدبير المنزل وتدبير المدينة . فهذه الثلاثة هي القسم العملي وهناك يسمعه يناجي ربه شاكره انعامه عليه بالملك والحكمة الخ وطالباً منه وفاته على الاسلام والحق بالخالقين . ومعنى هذا أن الفقيه يقتدى بيوسف في الحكمة العملية بأقسامها وبعد تمام النعمة يتسكراثة على نعمه التي أفاضها عليه ويشهد له بابداع السموات والأرض ثم يطلب الثبات على الايمان واللاحق بالخالقين

فإذا عرف هذا الفقيه في الاسلام أخذ يسبح في تلك الآيات في أول السورة والآيات في آخرها أي الآيات

التي قبل قصص يوسف والآيات التي بعد قصته بتمامها فيجد عجبا • يجد أن التي في أول السورة جاء فيها أن هذه القصة فيها آيات للسائلين وأن التي في آخرها جاء فيها • وكأن من آية في السموات والأرض يبرون عليها وهم عنها معرضون • هناك يأخذ في الفهم ويقول • يقول الله تعالى إن قصص يوسف إنما هو آيات للذين يسألون ولكنه في آيات أخرى يقول • إن في خلق السموات والأرض لآيات للمؤمنين • ويقول إن خلق السموات والأرض من آياته واختلاف الألسن من آياته واختلاف الألوان من آياته والشمس من آياته والقمر من آياته وهكذا كل مخلوق هو من آيات الله • ويقول تارة إنها للتفكرين • وتارة للمؤمنين • وتارة لمن يقولون • وتارة يقول إنها آيات لقوم يعلمون أو يقول • للعالمين • بكسر اللام • وتارة يقول بعدها • إنما يخشى الله من عباده العلماء • ولكن في هذا القصص لم يذكر معه إلا السائلين عنه وإنهم يفهم الفقيه أن هذه القصة إذا كانت آيات للسائلين فهنا لك آيات لا يخص السائلين بل تعم العلماء والعقلاء والمؤمنين وهي التي في السموات والأرض والناس يبرون عليها وهم عنها معرضون • إذن الآيات (قسان) قسم مسموح وهذا لمن اعتادوا أن يأخذوا العلم بالسماع والتقليد والاعتبار • وهذا القسم من العلم المسموح يفرح به الجاهل ويعتبر به العالم • فهو للجاهل علم • ولذي العقل اعتبار كما قال تعالى • لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب • أما القسم الآخر وهي الآيات للعقلاء فهي درجات بعضها فوق بعض للمؤمنين تارة وللعقلاء أخرى وللعلماء آخرة • ثم ينظر في سورة يوسف فيجد أن هذه القصة ليست كل آيات الله بل هناك من الآيات مئات ومئات لا يحصى قد أعرض الناس عنها • بل من الآيات ما يختص بالعلماء الذين بدرسون العلوم كما سيأتي ذكره في سورة الحجر في قوله تعالى • وأنتنا فيها من كل شيء موزون • إذ نظام الأوراق وأنه موضوع بحساب رياضي هندسي له جداول متناسقة بديعة تشمل أوراق الفصائل النباتية مرتبة كترتيب تلاميذ المدارس في الفصول كما ستراه مرسوما مشروحا موضحا • هناك يأخذك أنت ويأخذ الفقيه العجب إذ يرى نظاما يجهل جميع أهل الأرض إلا العلماء النبات • هؤلاء عرفوا نظم الأوراق وجدولوه المنظمة والنسب والشواهد المشتمة على عدد من الأوراق معلوم مرسوم بأشكال حاسوبية لها أعداد خاصة متناسبة كل للنسبة مع أوراق وأشكال النباتات الأخرى • ثم يرى هو وترى أنت أن هذا كله معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى ومن الأدلة البديعة على إبداع وإحكام صانع هذه الدنيا

ثم بعد ذلك ينظر نظرة أخرى فيقول • اللهم إن هذا العلم اليوم غير معروف في بلاد الإسلام اللهم إلا لمن تعلموا علم النيات تعلميا تاما • وهؤلاء لا يعرفون شيئا من الدين إن وجلوا في الشرع واختصت هذه للعرفه بالعلماء بهذه العلوم • اللهم إن قوله تعالى • من آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين • لم يظهر أكبر سره إلا في عصرنا فإن اختلاف الألوان والألسنة لم يظهر خبايا سره إلا في هذه الأيام إذ استبان أن ألوان الحيوان لها آثار في حياتها كما تقدم بعصه في هذا المقال وكما سيأتي في قوله • وما كنا عن الخلق غافلين • وفي غيرها • إذن سر القرآن يظهر في هذا العصر • من ذا الذي كان يظن أن للألوان أثرا في حياة الحيوان • ومن ذا الذي كان يعرف أن جبال الزهرة سائق وداع للحشرة أن تدخل الزهرة فتشرب عسلها • من ذا الذي كان يعرف أن الحشرة التي تماثل زرق الطير لونا وشكلا قد جعل ذلك فيها لحايتها وحفظها وبقاؤها • حقا حقا إن هذا لا يفهمه إلا علماء قد اختصوا بهذا الفن • إذن هذا سر قوله تعالى • إن في ذلك لآيات للعالمين •

ولاحزم أن هذا من الآيات التي ليست للسائلين الذين لم يشترط فيهم أن يكونوا علماء بل هي آيات للعلماء بهذه العلوم • وهذه معجزة جديدة يسجلها العلم للإسلام • هذا ما يفهمه الفقهاء في السامعين بعدنا في سورة يوسف

﴿ نظر الفقيه الاسلامي في سورة الرعد بعد سورة يوسف ﴾

ثم ينظر نظرة في سورة الرعد فيجد أن الآيات الالهية التي لم يذكر منها في سورة يوسف الا التنبيه عليها والحث على الاقبال عليها قد كثرت في سورة الرعد كرفع السموات بغير عمد . ثم تمثيل عظمة الله وسلطانه بما يشاهد الناس في الدنيا من عروش الملوك وندير الجمهور ونظام المدينة فقال - ثم استوى على العرش - ثم أخذ يفصل تدير للملكة وحسن نظمها فأبان أنه ليس هذا العرش كعروش ملوك الأرض الذين ينظمون الممالك الى آخر ما تقدم في السور السابقة في هذه المقالة بل هنا - سخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى - فأما ماوكم فأعلى ما تطلسه عروشهم وغاية ما يقصده وزرأهم أن يسخروا الأمم لشهواتهم ويقودوا الجنود لتسخيرهم فلان مناسبة بين الملوكين كما لاناسبة بين التسخيرين

ثم ذكر أنه مد الأرض وجعل فيها جبالاً وأنهاراً ونبأاً مكتوباً من ذكر وأتى . وفي الأرض أما كن متجاورة مختلفة التربة للنظام العام . ثم ذكر البرق والرعد والسحاب وأنه اذا كان الناس يخضع بعضهم لبعض بحسب القوة والضعف حتى أن الدليل ليخضع للقوى منكم . فهاهو الله يسجد له من في السموات والأرض وطائفة من الناس كما في ماوكم . وهناك سترى ويرى الفقيه الاسلامي بعدنا قوله تعالى في تلك السورة - وكل شيء عنده بمقدار * عالم العيب والشهادة الكبير المتعال - ويطلع على المقادير الحسابية والهندسية في العوالم المختلفة ما بين علوية وسفلية لاسيا (القطع الناجية) التي لحظها القوم في الجهات الشمالية اذ أنك سترى هناك أشكالاً الهندسية المسدسة البديعة النظام للتلائمة لمنهجة التي عدوها بنحو الألف وقد رسموا منها جلة سالحة وهذا الذي رسموه ستطلع عليهم وتجب من أن التسديس تام في كل شكل مع ان كل واحد من تلك الأشكال اختص بحكمة بحيث أنك لا ترى شكلاً منها مع إمعانها في التسديس يوافق الآخر في ابداعه وقشيه ورقشته وبهجته وحسن نظامه فبعضها ترى أضلاعه كأنها أغصان محلاة بالأوراق مقنة الصنع مع ان كل مستدس من تلك المستدسات فيه ٦ مثلثات متساويات الروايات كل زاوية ثلثا القائمة (١٢٠) درجة وهكذا سترى هناك عجائب القطع للتجاوالت حتى أن امتزاج الرمل ببعض المواد كانت منه أنواع الزجاج المقصر والمحدب في وجه أوفى وجهين وتأتي ذلك في منافع الانسان من تقرب الأشكال تارة وتكبيرها أخرى ومنافع ذلك في اصلاح خطا الأنظار في عيني الانسان . وهكذا ترى رسوم تلك الزجاجات وعجائبها مما يشرح الصدر وبه يهنا الحكماء

﴿ نظر الفقيه في سورة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

ثم ينظر الفقيه الاسلامي في سورة ابراهيم فيجد أنه تعالى في أول السورة أفاد أنه أرسل نبينا ﷺ ليخرج الناس من الظلمات الى النور . ولم يخص الناس بالعرب بل الأمم كلها هم الناس . وقال في هذا الصدد ان الله أمر موسى أن يخرج قومه من الظلمات الى النور اذن موسى لقومه . وهذا هو الذي حصل الآن فان الذين يتبعون موسى في شريعته هم قومه وحدهم الآن وان كان التوحيد ليس خاصاً بهم فنحن اتبعناه واتبعنا رسولنا ﷺ في التوحيد . أما نبينا ﷺ فقد قال الله فيه - لتخرج الناس من الظلمات الى النور - فاذن نحن جئنا في الأرض بعد نبينا للناس كافة لا لأمتنا وحدهم . لهذا انشتر المسلمون في الصدر الأول في الكفرة الأرضية ولم ينتشر الدين اليهودي الا في بني اسرائيل مع انه قد نسخ بالبعث المحمدي . وسترى في تلك السورة عجائب التذكير . جاء موسى لاخراج قومه من الظلمات الى النور بنص الآية وجاء نبينا ﷺ بعده كذلك لاخراج الناس من الظلمات الى النور . ثم ان موسى ذكر قومه بأيام الله وهكذا سيدنا محمد ﷺ مأموراً أن يذكر قومه بأيام الله . وسترى ويرى الفقيه في سورة ابراهيم ما الذي به ذكر سيدنا محمد ﷺ من أيام الله المسلمين كما ذكر موسى قومه بأيام الله من أنهم كانوا أذلاء عند فرعون

وقومه ثم نجوا من ذلك وأنعم الله عليهم ثم ما الذى يجب على علماء الاسلام بعدنا من تذكير شعوبهم بأيام الله في كل أمة بحسب الوقائع التي حصلت لها وكيف تعتبر الأمم الاسلامية بتاريخها وسترى هناك النموذج الذى ذكرته للأمم الاسلامية من تاريخها العام من عصر النبوة الى الآن . وكيف كان جهل ملوك الاسلام وعلماء الاسلام في القرن السادس والسابع إذ هجم التثار والمفول على المسلمين وهم قد جهلوا علم الجغرافيا وعلم تعداد الأمم وأحوالها كما ظهر جهل أمتنا المصرية من أمرائها وعلمائها إذ دخل نابليون البلاد وهم كانوا يظنون أنهم أقوى من أوروبا كما جهلهم علم الجغرافيا وقد فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزؤون فهزم جمعنا في أقل من ساعة من الزمان . ذلك كله للجهل العام - فبدأ لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - هكذا سترى هناك كيف أراد الفرنسيون أن يحتاطوا فلناس عند وقوع الطاعون الذى هوم من تربتنا ومن نظام ديننا وله في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية شأن عظيم فأخذ الناس يفرون من القاهرة لاعتقادهم هم وعلمائهم أن هذا ليس من الدين مع أنه في الحديث المذكور في قصة سفر عمر رضى الله عنه في بعض غزواته وكذلك في قوله تعالى - ألم ترالى الدين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - ثم سترى ويرى الفقيه الاسلامي بعدنا في سورة ابراهيم المذكورة ذكر العلماء من أوروبا بعد ذهاب دولة الاسلام الذين علموا الناس علوما وصناعات نفعتهم من ابتداء نهضتهم التي جاءت على أفاض دولتنا الاسلامية العالمية الى زماننا الحاضر . كل ذلك هناك لذكر الناس بأيام الله في زماننا كما ذكر نبينا ﷺ الأمم في زمانه وكما ذكر موسى قومه وكما يذكر فقهاء الاسلام بعدنا أنهم - ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون - والحمد لله رب العالمين

هذا ما قصدت ذكره هنا من آراء فقهاء الاسلام الذين سيكونون بعدنا وهم الدين سينير الله بهم أمم الاسلام وغير أمم الاسلام تحقيقا لقوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الخامس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم)
ويليه الجزء السادس وأوله سورة يونس عليه السلام)

(الخطأ والصواب)

غلينا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاحظته . وهذا جدول مما عثرنا عليه

من ذلك

| صواب | خطأ | صفحة | سطر | صواب | خطأ | صفحة | سطر |
|---------------|-------------|------|-----|--------------------|--------------------|------|-----|
| أنكر | انكسر | ١٠٢ | ١٢ | ثلاث | ثلاثة | ٩ | ١٣ |
| غريغور يوس | غريغور يوس | ١٠٢ | ٢١ | واحياءها | واحيائها | ١١ | ٢٧ |
| البصابت | البصابت | ١٠٣ | ١٦ | عمره | عمره | ١١ | ٣٢ |
| وغيرها | وغيرهم | ١٠٤ | ٢٣ | الا قليلا | إلا قليلا | ١٣ | ٣ |
| أعود | أعوذ | ١٠٥ | ٤ | على قسمين | قسمين | ١٥ | ١٨ |
| حفت | حفت | ١٠٥ | ٣٣ | النصر | النصر | ٢٦ | ١٨ |
| يعيشوا | تعيشوا | ١١١ | ١٤ | والعالي | والعالي | ٣٢ | ١٤ |
| للتعارف | للتعارف | ١١٢ | ٢٩ | رجلا | رجلان | ٣٢ | ٢٨ |
| يعور | يعور | ١٢١ | ٢٣ | بنقوش | ينقوش | ٣٩ | ٢ |
| أى يرضوه | أى يرضوه | ١٢٢ | ٣١ | زويت | ازويت | ٤٤ | ١٠ |
| الشهوات | الشهوات | ١٢٣ | ٢٦ | تيب | تيب | ٤٦ | ٢٤ |
| (١) | (١) | ١٢٣ | ٣٠ | واعد | أعد | ٥٣ | ٢٠ |
| (١) | (١) | ١٢٤ | ١٥ | بامارات | بامارت | ٥٨ | ١٣ |
| على التيم | إذ هو | ١٢٥ | ١٤ | فيرغبون | فيترغبون | ٥٩ | ٥ |
| إذا هو | إذ هو | ١٣١ | ٢٦ | الشروط | وجود الشروط | ٦٠ | ٢١ |
| طلب فيها | طلب | ١٣٢ | ١٧ | أن شعور | شعور | ٦٢ | ١ |
| والاستنار | والاستنار | ١٣٨ | ١٣ | يعتبر | يعتبره | ٦٤ | ١٤ |
| سرة | سرة | ١٤٠ | ٢١ | وأظهر أمرا | وأظهر أمرا | ٦٦ | ٤ |
| وحدها | وحدها | ١٤١ | ٢٣ | اجتنبوا | اجتنبوا | ٦٦ | ٩ |
| وعبر | وعبر | ١٤١ | ٢٧ | فازيت | وازييت | ٦٨ | ٤ |
| فيرغبون | فيرغبوا | ١٤٢ | ١٦ | لم ينفها | لم ينفها | ٧١ | ٧ |
| أثر اعراضه | أثره اعراضه | ١٤٤ | ٤ | يوم العناء | يوم العناء | ٧٢ | ١٦ |
| اليك الى قوله | اليك | ١٤٥ | ١٣ | في هذا المقام أن | في هذا المقام | ٧٦ | ١٣ |
| كل الجهاد | كالجهاد | ١٥٣ | ١٦ | أقول | | | |
| قطانها | فطونها | ١٥٩ | ٢٤ | دونكم خواص | دونكم وخواص | ٧٧ | ٤ |
| قبل | قبيل | ١٦١ | ٩ | الثانية على الأولى | الأولى على الثانية | ٨٥ | ١١ |
| نقه | نقه | ١٦٦ | ١٤ | ورد عليه | رد عليه | ٨٦ | ٢٧ |
| تهذب | لتهذيب | ١٦٧ | ٦ | أليف | أليف | ٨٧ | ١٤ |
| التي تعد | التي يعد | ١٧٠ | ١٩ | بالعز | بالعز | ٩٣ | ١ |

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم ﴾

صحيفة

- ٢ تفسير سورة الأنفال وهي تشتمل على خمسة أقسام • مقدمة السورة
- ٣ ذكر موجز في ملخص السور السابقة ولماذا رتب هكذا إلى هذه السورة • (القسم الأول) - يسأونك عن الأنفال - إلى - رزق كريم - • التفسير اللفظي
- ٤ بقية التفسير اللفظي
- ٥ الطيفة الأولى في حال المسلمين اليوم يتقاطعون على صغار الأمور وقد جهلوا سب نزول هذه الآية إذ أمر الله بتقسيم الغنائم بالعدل فزال شقاق أصحاب النبي ﷺ بسبب العمال فلماذا لا يفعل أمراء الإسلام ذلك
- ٦ (الطيفة الثانية) المتوكل على الله يستفيد فائدتين • (الطيفة الثالثة) تبين من هذه الآية أن أعمال القلوب مقدمة على أعمال الجوارح • حكم ظهرت في هذه الآيات
- ٧ ههنا (أمران) أمر مقاصد السورة العاتية • وأمر مناسبة آخر سورة الأعراف لأول سورة الأنفال • سورة الأعراف منذرة وسورة الأنفال والتوبة مبشرتان بالنصر والغنيمة
- ٨ حديث (ان مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا الخ) وكيف جهل المتأخرون من المسلمين انذار سورة الأعراف وتحذيرهم من الطغيان في سورة يونس التي بعد سورتي النصر والغنائم المؤذنة بأن الطغيان بعد التمسك هو دليل الهلاك في الدنيا • دواء هذا الداء
- ٩ وذلك يعرض نماذج من جلال هذا العالم تمسق الأطفال في العلم عند قراءة آيات من القرآن • الكلام على الوجه عند ذكر الله وزيادة الإيمان والتوكل على الله • وحديث الإيمان بضع وسبعون شعبة
- ١٠ بيان خلاف الأئمة في قول المسلم أنا مؤمن حقًا • وتبين أن النبوة قد أومأت إلى شرحه • وتبين هذا المقام بإيضاح
- ١١ الإيمان في ديننا قد ابتلع جميع العلوم لأنها داخلية في الشعب المذكورة والمؤمنون كلهم كأنهم إنسان واحد ونقص علم أو صناعة قص في إيمانهم • الصلح في بلاد الإسلام
- ١٢ الإيمان أمر واحد كما أن الإنسانية عبارة عن الجسم والروح • الكلام على صلح ذات البين الكذب في القرى وفي المدن ببلادنا • كيف استعاض الناس عن سعادة القلوب بذكر سعادة الباشا الخ فاستغنوا باللفظ عن المعنى
- ١٣ الأمم الإسلامية وجعية الأمم في أوروبا • الإصلاح العام وله شروط سعة • تحسر المؤلف على الأمم الإسلامية وأنهم لم يجعلوا التعليم عامًا إجباريًا
- ١٤ تفسير القرآن في الحقول والحشرات • وصف حشرة (بق الهببسكس الدقيق)
- ١٥ انتشار هذه الحشرة في نباتاتنا المصرية • عدوها تنتقل بللها والهواء والحيوان • نساها كثير • يحاربها الإنسان وهي تكثر لأن الله أكثر من الحشرات النافعة للنبات باللقاح والناكسة به قال تعالى - ونبلوكم بالصبر والخير فتنة - • ان الأئمة من هذه الحشرات قد نلد بدون ذكر كما تكون الذكور والانوثة في نبات واحد معا • اذن الذكور والانوثة في جميع الأحياء متحدتان إما فعلا ولما بالشوق
- ١٦ كل ذلك يفسر معنى قوله تعالى - إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

- فهيها ﴿درجتان﴾ اصلاح ذات البين بين المسلمين وتعارفهم مع جميع الأمم
ما فوق الملائكة • تذييل لهذا المقام • ان لفتى بفهم ما يضرنا وما ينعفنا دليل على أن هناك عوالم
أرق منا تستلذ بذلك ولا تحب إلا النظام العلم
- ١٩ الله ما فرق الناس إلا ليجمعهم • نذكرة آية - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الخ -
سيأتي معناها وهو الملخص الذي كتبه الأستاذ (ستلانه) التلاني لكتابي ﴿أن الانسان﴾ وذلك
ستقره في سورة الحجرات لأن الكتاب مبني على تعداد الذكور والاناث في الأرض كما في الآية وهكذا
جميع أحوال الناس ومنافع الأرض فهي مختلفة وبهذا الاختلاف يتم النظام
- ٢٠ كيف قصر للمسلمون في قوله تعالى - وأصلحوا ذات بينكم -
٢١ فريدة مشرقة في سورة الأنفال والتوبة ثم القتال والفتح والحجرات
﴿القسم الثاني﴾ في قوله تعالى - كما أخرجك ربك - الى قوله - وأن الله مع المؤمنين -
٢٢ مقدمة في سبب غزوة بدر • والكلام على العير والنفير
- ٢٥ التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ٢٧ خمس لطائف • اللطيفة الأولى فيها استبان اقتحام الأخطار في قوله - وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين
والثانية أن هذا العالم المادى خاضع لناموس العقول
- ٢٨ اللطيفة الثالثة دقة الملاحظة والبحث الصادق في أمور هذه الحياة في قوله - إذ يفتشكم الناس أمة منه
اللطيفة الرابعة الثبات وقوة العزيمة • اللطيفة الخامسة علم الإعجاب بالفلس ورك الكبرياء
﴿القسم الثالث﴾ - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله - الى - والله ذو الفضل العظيم -
- ٢٩ تفسير بعض الألفاظ • بيان ما يحجي القلوب وهو أربعة أمور • وفي قوله تعالى - واعلموا أن الله
يحول بين المرء وقلبه - أربعة أمور أيضا
- ٣٠ تفسير بقية الألفاظ في هذه الآيات • ست لطائف • اللطيفة الأولى في قوله تعالى - إن شر الشوائب
عند الله الصم البكم -
- ٣١ مشامة الانسان في حال نقصه لأنواع الحيوان • اللطيفة الثانية - ولعلم الله فيهم خيرا لأسمعهم -
اللطيفة الثالثة • كيف يحول الله بين المرء وقلبه وذلك بالنوم والجنون والاضغاث والسكر وأحوال
المرض • تأثير الخطيئة والشراء والوسط والبيئة • كلام العلامة (جوستاف ليون)
٣٢ أدوار التنويم المغناطيسى وعجائبه وأن هناك ثلاث درجات يذكر في كل منها ما لا يتذكره في الأخرى
فها هو ذا الله قد حال بين المرء وقلبه
- ٣٣ لمحات الأنوار وبواهر الأسرار في قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - والحيلولة
تنحصر في ﴿ثلاثة أقسام﴾ الاصول الصناعية • والاصول الحقيية • والاصول العلمية • فالأولى
كالتخار والكهرباء والمنطاد والطيارة قبل العلم بها ولحل المسلمين بأكثر الصناعات اليوم لأن الله
حال بينهم وبين قلوبهم إلا قليلا منهم
- ٣٤ ﴿القسم الثاني﴾ الاصول الحاقية وذلك كاعتقاد الحجر وغيره
﴿القسم الثالث﴾ الاصول العلمية • وفيه فصلان
- ٣٥ (الفصل الأول) في العلوم العامة • (الفصل الثاني) في معرفة الله عز وجل
- ٣٦ الله جعل الشمس مثالا لنفسه فهي كبيرة مضئة بعدة قرينة مقابلة لكل امرئ في الأرض لاحصر

لنصوتها . هكذا الله عظيم كثير الانعام الخ . اوضح بعض صفات هذا المثل وآية - الله نور السموات والأرض - وحديث ﴿ انكم سترون ربكم عيانا الخ ﴾ . تشبیه النبي ﷺ رؤية الله لكل امرئ غلبا به بما يرى الإنسان القمر غلبا به

٣٧ شفاء الصدور ومشرق النور من شمس بازغات ومعان باهرات في هذه الآيات - يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول الخ -

٣٨ وصف السماء وكواكبها ونور القمر وجمال الصباح وشرق الشمس ووصف قوس قزح وأبنات جبلة في وصفها والكلام على الكتب السماوية والمعارف النفسية والكتب الحكيمية

٣٩ الجسم الانساني . النظر في النفس . غفة الناس عن القلب ذلك الذي جمع وصف السماء وكواكبها وأنوار أقمارها وشمسها وصباحها ومساءها وكيف كانت الأعداد لها وجود في ذهني فالقلب يجمع بين الموجود في الخارج والذي لا وجود له فيه فهو أوسع والناس عنه غافلون إلا قليلا

٤٠ الغذاء في تحوله الى سمع وبصر دليل على أن أصل المادّة فكر لأن الفكرة من جنس البذر . النفس تتصور الواجب والجائز والمستحيل فهي من عالم أوسع من علاننا

٤١ النفس في حال النوم تعطيك صورة من الدنيا والآخرة . استيقاظ النفس ونومها يمثلان الحياة والموت يا قوتة في عقد للقال . ليس للدار على كثرة العلوم وانما للدار على حسن التصرف والتعقل

٤٢ نفس ونفسك فيها قدرة مدهشة وقد حيل بيننا وبينها . غرائب زهاد الهند . وبيان وإن الدار الآخرة هي الحيوان . التنويم للعنطيسى وغيره كالمندى الذي دفن ستة أشهر ثم خرج حيا الخ

٤٣ ضوء اليافوتة وازدياد عجائبها كسألة الوسيط الأمريكى (جيمس) وكلام صبرى يجادل أعظم الفلاسفة في حال استيلاء الروح عليه ولكنه في حاله الاعتيادية لا يدري شيئا من العلوم . آراء علماء الاسلام في النفس الانسانية وصفاتها واطلاعها على العجائب

٤٤ ما قاله الامام الغزالى من أن النفس الانسانية متى ذكرت الله في خلوة وعابت عن الوجود خاطبتها للملائكة فالانكشاف في النوم وفي الموت وفي صفاء النفس . الجوع والصمت والسهر والعزلة هي الأركان الأربعة للفتح . طريقة الجوع بحيث يأكل قليلا وذكر مضارها

٤٥ اتجاه الأمم لفتح الحسن الباطنى دائما يورثها الانحطاط اللطيفة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة في قوله تعالى - واقفوا فتنة الخ - وفي قوله - واذكروا

٤٦ إذ أنتم قليل مستضعفون - وفي قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تخفوا الله ورسوله - وفي قوله - واعلموا أنما أموالكم الخ . (القسم الرابع) - واذمكروا الذين كفروا - الى قوله - ونعم النصر -

التفسير اللفظي

٤٨ بقية التفسير اللفظي . لطيفة في قوله تعالى - واعلموا أن الله مولاكم نعم الولي ونعم النصير - وفي بقية الآيات

٥٠ (القسم الخامس) - واعلموا أنما غنمنا - الى آخر السورة

٥٣ التفسير اللفظي لهذه الآيات

٥٤ بيان التحليل العقلى في قصة بدر وكيف فصل الله فيها ١٤ مسألة فلم يذكر نفعنا معشاهم ولا نصرا ولا خطرا إلا استخرج منها حكما لمنفعتهم

٥٥ الكلام على تكثير القليل وتقليل الكثير لاصلاح هذه الدنيا

- ٥٦ بقية التفسير اللفظي . كيف صح ان قوله تعالى - إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين - ليس بمسوخ كما حصل في حرب مراکش حديثا إذ غلب الواحد عشرة كما هو معلوم . وهذا من عجائب القرآن في هذا العصر
- ٦١ لطيفتان (الأولى) قوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وبيان آثار الوهم في الانسان . وبيان ما نقل من مجلة في (برازيل) أن امرأة خرج ولدها ضفدعة
- ٦٣ كيف يتقن الهندى على الزهد في الحياة . وكيف يكون شؤم التفكير المحزن سنا في الحزن . وكيف جرب أحد الأطباء قوة الاستهواء في تمل مجرم بالوهم الخ . وكذلك بائع اللبن في انكثرا الذى أومه المسترون أنه مريض ففرض
- ٦٤ طريقة (اميل كويه) الفرنسى في قوة الاستهواء وانها تشفى كثيرا من الأمراض وقال انه يجب على الأطباء للدواة بالاستهواء
- ٦٥ اذا ردّد الانسان كلمات كل يوم تدل على أنه قد شفى من مرضه فذلك نافع عند (كويه) الطبيب اللطيفة الثانية - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة الخ -
- ٦٦ الحرب من مقومات الأمم ومفشطاتها في الحياة والكسل والتحول بميتان . المفرقات في الحروب من القطن واللواذ للنهضة . كيف يصنع الديناميت . الجلاتين المرقع وغيره . القطن والكبريت والترياك قد حوّلت الى مادة محرقة . للهنا أمرنا بهذه الصناعات استعدادا للحرب
- ٦٨ نظرات الفلاح الى شجرة القطن . ونظرات علماء الحرب تناسق آى القرآن وتلا-قها في مسألة عدة الحرب والقتال
- ٦٩ التجب من أن القطن الذى نلبسه كنت فيه قوة مهلكة . وبيان أن هذه الخواص من عجائب خلق السموات والأرض
- ٧٠ الابتهاج بالعلم والحكمة والتجرب من القطن وغيره فكيف كنت فيها تلك المهلكات
- ٧١ زهرة ناضرة مبهجة في قوله تعالى - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة - . كيف أدرك أبو مسلم الخراساني غايته في الحرب بسبب الكتمان . وكيف كان الجيش الفرنسى قد كاد ينحل ولولا تكتم الرؤساء لحسروا الحرب وهذا السرّ ظهر اليوم . أسامرك أيها الدكى في تكثير القليل وتقليل الكثير فتقليل الكثير كما فعل اليابانيون في الحرب مع الروس إذ أخفوا سفنهم بالتلوين وكصفر الشمس في أعيننا والعكس كالطفل عند أبويه
- ٧٣ تفسير بقية السورة من قوله تعالى - ما كان لنى أن يكون له أسرى الخ -
- ٧٤ حديث ﴿ ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ ﴾ وبقية التفسير لهذه الآيات
- ٧٦ لطيفة ذكر فيها أن الأئمة لو كانوا أحياء ورأوا جهل المسلمين لعلموهم ولأمرؤهم بما نكتبه لهم الآن . والكلام على ذم المتقاعدين عن هذه العلوم
- ٧٧ المبرات مبرامان . مبرات الخي . ومبرات الليت وشرح هذا المقام
- ٧٨ ﴿سورة التوبة﴾ وبيان أنها أربعة أقسام . (القسم الأول) من أول السورة الى قوله - لإقيل -
- ٨١ الكلام على سبب هذا النداء يوم الحج الأكبر
- ٨٢ تفسير هذه الآيات قصرا لفظيا
- ٨٦ لطائف في هذا القسم . الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة

- اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وقصل الآيات لقوم يعلمون - . وبين أن الصديق رضى الله عنه أبى أن يترك الزكاة التي قرنت في القرآن بالصلاة . وقد فصل الله الآيات لقوم يعلمون فهو بهذا من الذين يعلمون . أما المسلمون اليوم فكيف صرح القرآن بالعدم وهم نائمون
- ٨٨ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - أم حسبكم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم - الآية اللطيفة الثالثة قوله تعالى - ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم -
- اللطيفة الرابعة - أ جعلتم سقاية الحاج الحج -
- ٨٩ اللطيفة الخامسة - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم -
- تفسير بقية الآيات من قوله تعالى - ويوم حنين - الى قوله - عن يدوهم صاغرون -
- مقدار الجزية . مناسكة الجوس والصابئين وذبايحهم . وقالت اليهود عزير ابن الله والحكمة بولس الرسول وحيته
- ٩٢ حقيقة مسألة بولس وانه رجل فريسي الحج . نتائج الخلاف في النصرانية . تنازع النصرى في أمر المسيح . وذلك في أوائل الجبل الرابع وقد اقساموا (حزين) مقر بألوهية المسيح ومنكرها وظهور (لويوس) واسكندر أسقف الاسكندرية . الشتم بين آباء النصرانية . أقام قسطنطين مجمعا في انطاكية
- ٩٣ تفسير قوله تعالى - ذلك قولهم بأفواههم الحج -
- ٩٤ تفسير - يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان الحج -
- ٩٥ تفسير - إن عدة الشهور عند الله - الى قوله - إلا قليل -
- ٩٦ اللطيفة الأولى في تحقيق الكلام في الأشهر الحرم
- ٩٨ بيان أن من يقول بنسخ تحريم القتال في هذه الأشهر ومن لا يقول به متفقان ما لا اللطيفة الثانية الشهور العربية والأفريقية والقطبية وعلّة تسميتها بأسماها كأن يقال المحرم لتحريم القتال فيه . ويناير مأخوذ من يانوس معبود خواف كانوا يمثلونه بوجهين الحج . ونوت هوثوت إله الحكمة والقلم عند القبط
- ٩٩ اللطيفة الثالثة - يوم يحى عليها في نار جهنم الحج - . وبين أن الاطلاع على علم الأرواح مجزة للقرآن في مثل هذه الآية . جوهره باهرة في هذه الآيات وهي - قل إن كان آباؤكم - الى - عما يشركون - مظهران وهما (١) آثارها في الأمم الاسلامية القديمة واهمال للتأخرين (٢) وآثارها في أم الاسلام
- ١٠٠ آثار هذه الآيات في صدر الاسلام . ذكر حكايات عن أبي بكر وعمر وزهدهما . ثم ذكر غرور التأخرين من الأمة الاسلامية
- ١٠١ المقام الثاني آثار هذه الآيات في الانقلاب الاوربي . الكاثوليكية وكيف كان البابا رئيسهم يذل الملوك في أوروبا إذ ابتداء حكمهم من سنة ١٠٨ هجرية . كلام المؤرخ (كرينوس اغربا) في بيع العفران بالقرود . وكيف تاجروا بالفضائل الحج
- ١٠٢ غزاي البابوات ورؤساء النصرى أيام (شرلمان) الكبير والاسحاق والقتل والحرق والقتل صبرا . وقد أسرق لويس الحادى عشر ١٨٣ شخصا مع راعيهم وهكذا غيره ألوفاً وألوفاً
- ١٠٣ ذكر المحكوم عليهم بمحكمة التفيتش بإسبانيا وانهم ٥١٠٠ في مدة ١٨ سنة والذين أحرقوا ما بين

- ثمانية وعشرة آلاف الخ . وقتل من المسلمين مائة ألف بإيعاز رئيس أساقفة بأسبانيا . وقتل في
انكلترا وايكوسيا لأجل الدين في مائتي سنة ألفي نفس الخ
- ١٠٤ مذكرات سيدة أوروبية أسلمت تحت عنوان ﴿ رجال الدين ﴾ قد ذكرت ظلم رجال الدين في أوروبا
وأن (فولتر روسو) وأمثالهما لم ينشروا مبادئهم إلا بعد أن قرؤها في كتب المسلمين فأعقت
أوروبا من ذل رجال الدين بفضل الاسلام . تنبؤا بأنه سيأتي وقت قريب تسلم فيه أوروبا وأمريكا
تذكر أن عمر كان عادلا والله يقول - وشاورهم في الأمر الخ -
- ١٠٥ القانون المدني . صورة محورة من الشريعة الاسلامية . تحسرها على الشرق وعلى الاسلام .
تتها لعلماء المسلمين في مصر والحجاز وفي بني غازي الخ
- ١٠٦ (المظهر الثاني) ملجاء عن علماء الأرواح حديثا بأوروبا . معجزات القرآن في هذا الزمان وظهور
الكشف الحديث مصداقا للقرآن . (الجوهرة الأولى) . مجمل هذه الآيات
- ١٠٧ (الجوهرة الثانية) في تحليل النفس الانسانية وكيف قبلت جميع الموجودات وشاركت كل شيء
وتوقفت على كل موجود وتودّ لو تبطل العالم كله وشرح هذه الأربعة شرحا مستفيضا
- ١٠٨ (الجوهرة الثالثة) معجزات القرآن التي ظهرت مطابقة لما تقدم عند بعض علماء النصارى الذين
حدثوا الأرواح . وذكر (همانوئيل سودنبرج) وتاريخ حياته ومنزله في المملكة
- ١١٠ ماذا يحدثنا همانوئيل . يقول ان الافريقيين من بين جميع الأمم هم المحبوبون أكثر من الجميع
في الجنة . ولاجرم أن الافريقيين مسلمون ودمّ المسيحيين وقال إن نصيهم في الآخرة مزيج محزن
ويقول إن الأرواح أخبرته بأن الله واحد وأن اعتقاد الثلاثة غير في الآخرة وأن الأطفال يدخلون
الجنة ولاعبرة بمسألة ماء المعمودية عند النصارى وهكذا
- ١١١ كلامه في جهنم وأن أبوابها تحت صخور وفيها خزائبات ومنازل بعد شيوخ نيران . وقال انه رأى
الأرواح الشريرة تدخلها . وقال إن الله يرى كالشمس وكل ذلك موافق تمام الموافقة للقرآن
- ١١٢ اعتراض على المؤلف بأن هذا لا دليل عليه جوابه بانه ذكره ثلاثة أمور . أولا هذه الآراء توافق
كتاب الأرواح . ثانيا توافق آراء خواص علماء الاسلام . ثالثا اني نظرت في هذه الدنيا بعقل الخ
- ١١٣ تبيان نظام هذا الوجود . وكيف كان كله متحدا واذن لا يتم نظام الانسانية إلا اذا أصبحت كلها
نظاما واحدا مشا كلا لنظام هذا الوجود والا فهي انسانية حقيرة دنيسة كما هي الآن
- ١١٤ بيان سقراط أن الدين يحكمون الجمهورية يكونون أعفّ الناس وأعلمهم . وبيان أن أهل كل دين
في الأرض طغوا وبغوا كالنصارى والمسلمين وغيرهم وذكر آيات من القرآن والانجيل ودين الصين
القديم لنبي (بو الكبير) ثم الفيلسوف (ليوتسو) ثم (كوفسيوس) وبيان أن الناس هم الدين
يجعلون الدين الظاهر جاريا على حسب أخلاقهم فينزل صافيا من السماء وهم يجعلونه كدرا
- ١١٥ ﴿ القسم الثاني ﴾ - لا تنفروا بعديكم - الى قوله - ان كنتم تعلمون -
التفسير اللفظي - لا تنفروا بعديكم الخ -
- ١١٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ - لو كان عرضا قريبا - الى قوله - والله عليم حكيم -
التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ١٢٠ - لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا الخ -
- ١٢٢ - ومنهم من يلزمك في الصدقات الخ -

- ١٣٣ - قل استهزؤا إن الله مخرج الخ -
 ١٣٤ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم الخ -
 ١٣٥ - فلما آتاهم من فضله بخلاوا به الخ -
 ١٣٦ - قل نار جهنم أشد حرا الخ -
 ١٣٧ - إنما السبيل على الذين يستأذنونك الخ -
 ١٣٨ - وآخرون مرجون لأمر الله الخ -
 ١٣٩ ذكر ١٤ لطيفة وبيان اللطيفة الأولى - الانتفروا يعذبكم الله عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم -
 وبيان أن الأمم الإسلامية إذا تركت الأعمال العاتية استبدل الله بها غيرها
 ١٣٠ اللطيفة الثانية - لا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الخ - وفيه بيان
 لمحجرة النبي ﷺ من مكة إلى المدينة • اللطيفة الثالثة - اتقوا خفافا وثقالا -
 ١٣١ - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم - وهي اللطيفة الرابعة • إيضاح هذا المقام ببيان أن الفكر هو
 الذي له أثر في عذابنا ونعيمنا فمن كان في جنة أو نار وهو لا يحس بهما فلا عذاب ولا نعيم عنده
 ١٣٢ ظاهر هذه السورة العذاب وباطنها النعمة • السعادة لا تشرى بمال • وبيان الإطالة المنتهية بخلص
 من الفنى والثروة مع أنه لا عمل له
 ١٣٣ جمال هذه الآيات وبيان أن الحشرات تلد الآلاف وهي لا تعذب بالثرية والإنسان يلد الآحاد وهو
 معذب بها وهذا سر قوله تعالى - ففروا إلى الله - بعد قوله - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم
 تذكرون - الآية -
 ١٣٤ أسئلة الحاق أقلام الحق • وبيان أن الناس يتبرمون من الحياة وهذا تعبير عما سطر بقلم الحكمة في
 الظاهر أمام الناس وإن كانوا لا يشعرون • شعر ترنس الانجليزى مترجما شعرا بالعرية في أن الفقراء
 يحسون بالسعادة أكثر من الأغنياء
 ١٣٥ موازنة بين شعر أبى العلاء وبين شعر شارل وكذا شكسبير الانجليزى عما نظمته سابقا في كتاب
 (جوهرة الشعر والتعريب)
 ١٣٦ شعر شكسبير مما رجته إلى الشعر العربى بما يفيد - كل من عليها فان - شعر المواقف في كتاب ضاع
 منه قبل أن يرجع إليه
 ١٣٧ كيف ينطق الطير للسان الحكمة يقول اتخذوا لكم مكانا في العلا كما اتخذت • وبيان نطق
 الطير لسليمان في قوله - يا أيها الناس خلعنا منطلق الطير - • غفلة الناس عن الجلال وعن الفهم
 وعن السمع العاتية فالجوع والتسبع والمرض وغيره كل هذا نطق أصح من نطق اللسان
 ١٣٨ فهم بعض سر هذه الآية في هذا الزمان وأن الحرب الكبرى إنما جاءت من أجل المال • والكلام
 على الاشتراكية • اللطيفة الخامسة - إنما الصدقات للفقراء وللساكنين الخ - وإيضاح المقام
 ١٣٩ اللطيفة السادسة - ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب - وأن الاستهزاء بالدين يورث
 افتراق العقائد فنفرت الأفراد ففضيع الأمة • جوهرة في قوله تعالى - قل أبالله وآبأ - رله كنتم
 تستهزون - • الاستهزاء بالمتدينين
 ١٤٠ استهزاء علماء الفقه بجميع العوام واستهزاء بعض الناس بهم • حكايه أمير هندى وسرى من سرارة
 الهند والعالم الصينى

- ١٤١ نتيجة الاستهزاء في زمن النبي ﷺ وفي زماننا . قاعدة كلما زاد المستهزاء به كلما زاد المستهزئ وبالا . الآيات المستهزأ بها واضحة في سورة يس
- ١٤٢ قاعدة أكثر الناس تعرضا للاستهزاء أكابرهم . آثار الاستهزاء في بلاد الاسلام
- ١٤٣ ايضاح آتم للاستهزاء بآيات الله . مواكب لله ومواكب للملوك والبول في عصرنا
- ١٤٤ اعراض أهل الهند وأهل ايرلند وأهل مصر عن عظماء الانجليز وجنودهم احتجاجا على احتلالهم لبلادهم . فالاعراض عن مواكب البول له نظير وهو الاعراض عن مواكب الشمس والقمر والنجوم . لذلك أرسل مواكب أقرب وهي الطيارات والمدافع . ذكر ستة أنواع من مواكب الله تعالى التي عرضها وأعرضا عنها كما تعرض الأمم المحكومة عن عظمة حكامها
- ١٤٤ اعرض المحكومون عن بطش الحكام فأوجب ذلك أثره . هكذا اعراضنا عن مواكب الله في الأرض وفي السماء
- ١٤٥ اللطيفة السابعة - كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة - الى قوله - ولكن كانوا أنفسهم يظلمون -
- اللطيفة الثامنة - ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم -
- ١٤٦ اللطيفة التاسعة - وهما بما لم ينأ -
- اللطيفة العاشرة - قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون -
- اللطيفة الحادية عشرة الى الثالثة عشرة
- ١٤٧ اللطيفة الرابعة عشرة في أصناف المناققين وهم عشرة
- ١٤٨ ﴿ القسم الرابع ﴾ - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم - الى آخر السورة
- ١٤٩ التفسير اللفظي لهذه الآيات
- ١٥٠ - فاستبشروا ببيعكم الخ -
- ١٥١ - الذين اتبعوه في ساعة العسرة الخ -
- ١٥٢ - ما كان لأهل المدينة الخ -
- ١٥٣ - يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلوونكم من الكفار الخ -
- ١٥٤ - فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون الخ -
- ١٥٥ ذكر مقالة أدرجت في الجرائد تناسب هذا المقام
- ١٥٦ الاسلام والاستعمار وسبب تأثر المسلمين (المقالة الأولى) وفيها الأوامر التي صدرت في بلاد هولانده وتلك المقالة كتبت قبل العاء ذلك الأمر ومعاملة المسلمين بالحنس
- ١٥٨ بان أن المسلمين لا يتسنى لهم أن يعيشوا مع أمة أعلم منهم فلا بد أن يساووهم
- (المقالة الثانية) خطاب الى أمراء الاسلام المستقلين ومن تحت سيادة الأجانب وإلى جميع زعماء الاسلام وعظمائه
- ١٥٩ المسلحون في الاسلام اليوم (المقالة الثالثة)
- ١٦٠ (المقالة الرابعة) تنهات الآراء في بلاد الشرق ولا سيما في بعض البلاد الاسلامية
- ١٦١ حديثي مع قاض شهر - وذلك في أن المؤلف كان يقرأ الرسالة التفسيرية مع عالم فرنجي أمره أستاذ الألمان بذلك . وقد حضر لزيارة العالم الفرنسي قاض مشهور في مصر بالتأليف وملخص الحديث أن القاضي يحرق البيانات وإن لم ينطق بذلك والمؤلف يوجب مزج العلوم بالدين والقاضي يأبى ذلك

ثم إنه خضع لحجج المؤلف

١٦٢ اعتراف القاضي الأهلئ للذكور بأنه مقتنع ولم يقتنع أكبر عالم في مصر قبل ذلك . حديث الامام الغزالي إذ يذم علماء الدين في زمانه ويصفهم بأنهم شر من الشياطين لصدهم الناس عن هذه العلوم المعروفة الآن في أوروبا وأمريكا . وذلك في مقالة عنوانها « الاسلام والاستعمار »
١٦٣ مخاطبة المؤلف للامام الغزالي يقول له المسلمون اليوم هم لايزالون كما تركتهم لا يحبون إلا علم القضاء والحماة والراغبون في العلوم الأخرى قليل . الواجب على المجالس الشورية

(المقالة السادسة) هل في الاسلام نابغون

١٦٤ ذكر ما جاء في الجرائد سنة طبع هذه السورة أن ملك الأفغان كان قد أقفل مدارس البنات فاستفتى علماء مصر والمهند فافتوا بأن الأتئ كالذكرففتح للدرس لمن ثانيا

١٦٥ بيان أن قسم الأعمال مأخوذ من الآية بطريق الاستنتاج بل بطريق النص . وفي هذا ذكر المعنى اللغوي للتفقه وهو غير الاصطلاحي المعروف . وبيان ما بدل من ألفاظ العلوم وهي خمس الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة

١٦٦ أنوال السلف في هذه الألفاظ وأن الفقه كان يطلق على تعدد نم الله وعلى مابه الخوف منه الخ

١٦٨ من هم الأولى أن يسموا علماء في الاسلام

١٦٩ منافع المرجان الثابت في البحر الأبيض المتوسط أمام تونس والجزائر ونحوها في قاع البحر من ٣٠ قامة الى ١٣٠ ويغوص الايطاليون عليه والفرنسيون والاسبانيون وبيان النقود التي كسبوها في بعض السنين والمسلمون ناعون . وذكر أن للطعومات ولللبوسات والجواهر من حشرة برية ودودة وحيوان بحري الخ

١٧١ نقل الكلام في فروض الكفايات من كتاب « جمع الجوامع » وشرحه . أيهما أفضل الملك أم العالم نقل كلام المؤرخ الشهير (سيدو) الفرنسي الذي اجتهد في اظهار علوم العرب وانهم هم الذين أناروا أوروبا

١٧٢ ذكر انهم ملكوا من نهر (التاج) الى نهر (الكنج) وانهم بعد العز والملك والعلم لزموا جزيرهم كرة أخرى . حقيقة النبي ﷺ الباطنية عند المرحمة

وصف المدينة العربية

١٧٣ ذكر من اشهر من علماء العرب و بيان أنهم أعلم من الترك ومن الصين بعد البحث الطويل وانتقال علمهم الى الهندستان بواسطة البيروني وإلى الفول بواسطة الطوسي وإلى التهانين أيضاً ثم أهل أوروبا بعد ذلك . وذكر أن العرب هم الذين أقطوا أوروبا من الجهل وهكذا نشر علم العرب بين أهل الصين (كوشوكينغ) . الكلام على العلوم الطبيعية عند العرب

١٧٤ مبحث علم الكيمياء عليهم . مبحث علم النباتات عندهم أيضاً . وكذا المادة الطبية والاقتصاد الزراعي في علم الطب . والمدرسة اليونانية العربية والعصر الرازي وابن سينا

١٧٦ مبحث في عدم انتصار العرب على شرحهم فاسفة أرسطاطاليس وتكذيب العلامة (سيدو) المذكور علماء المرحمة القائلين أن العرب ليس لهم إلا النقل عن اليونان

١٨٥ بيان أن الله ليس عن خلقه غافلا . ولأنك حفظ في كتب المتقدمين معنى التفقه لتعرفه في هذا الزمان كما أنه جعل بعض الخنترات على هيئة حصاة ليكون هذا الشكل وقاية لها يصدها الطيور التي تصطادها

١٨٦ إذلال المسلمين سابقا للعلماء كابن رشد بصقوا في وجهه وقوه فلذلك هرب العلم إلى أوروبا من بلاد

الاسلام وصار الناس يقرؤن التصوف وحده ولكن في عصرنا لن قدر أحد أن يقاوم للمفكرين لأن
الأمم كلها استيقظت والمسلمون أذبهم الدهر وعظمهم
ملخص التفقه في الدين قد جاء في أول سورة يونس

١٨٧ ﴿الوجه الثالث﴾ ختم الله التوبة بأنه جاء للناس رسول من جنسهم الخ وأول سورة يونس فيها مثل هذا
تكذبة الكلام في مناسبة آخر سورة التوبة بأول سورة يونس • الفقهاء في الماضي والحال والاستقبال
الفقهاء في عصر الصحابة • الفقهاء بعد الصدر الأول

١٨٨ الفقهاء في زماننا • آثار ما تقدم في الاسلام

١٨٩ بقية نظرات الفقيه في سورة يونس • نظر الفقيه في مستقبل الزمان في سور أخرى من القرآن
كسورة هود • وكيف يفهم استواء الله على العرش • وما الفرق بين عرس ملك الملوك وعرش
أولئك الملوك • ويفهم معنى كون الله أخذًا بناصية كل دابة ومناسبتها لتوكل هود وما مثال هذا في
الكشف الحديث • وذكر الفرائض ذى الأجنحة التي تشبه أوراها حافة أولاني يشه غصنا ضغما على
شجرة عتيقة أول السود الملون الظاهر الباهر لأن طعمه كزبه فكان ذلك وقاية له • فهذه أخذ الله
بناصيتها فهكذا يأخذ بناصية الانسان لاسما الأنبياء

١٩٠ بيان أن من درس علوم الحيوان وأتقنها فهم هذه الآية حتى فهمها • وبيان أن الفقيه في مستقبل
الاسلام ينظر فيما في موسوعات الفرجة من الحكم الجببية ويحب كيف كان أكثرهم لا يتجرب إلا
من نفس الصنعة ثم لا يتجرب من الصانع • وذكر ما سيراه الفقهاء الاسلاميون في سورة يوسف
بعد سورة هود عليهما السلام

١٩١ ذكر ما يراه الفقيه في سورة يوسف ولم قال - آيات الساتلين - • وبيان أن القصص للمسجوع غير
الآيات المشاهدة أو المعقولة ولكل أناس مذاهب في العلم فهم الذين يستمعون ومنهم الذين يكفرون
فلا أولين قصة يوسف وغيرها ولا آخرين آيات السموات والأرض التي هم عنها معرضون
بيان أن بعض الآيات السكونية كعرائب الترتيب في نظام الأوراق على النبات احصى به علماء هذا
الفن • وأن نجات الحيوان بسبب لونه كما تقتم لم يظهر إلا في زماننا طهورا وأخفا وهذا يفهم من
قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للعالمين - بكسر اللام ولم يعل للساتلين الخ

١٩٢ نظرة الفقيه الاسلامي في سورة الرعد بعد سورة يوسف

ذكر القطع الثلجي الى استدراك في قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وسرسم هالك وبيان أنها
مشملة على مهندس كل مستس فيه ست مثلثات كل مثلث منها مساوي الروايات كل رلوية منها
درجة (١٢٠)

نظر الفقيه في سورة ابراهيم عليه السلام • وأن موسى ذكر فوهه وأخرجهم من الظلمات الى النور
وهكذا نبينا في الأمرين معا

(تم)

م

400/518

